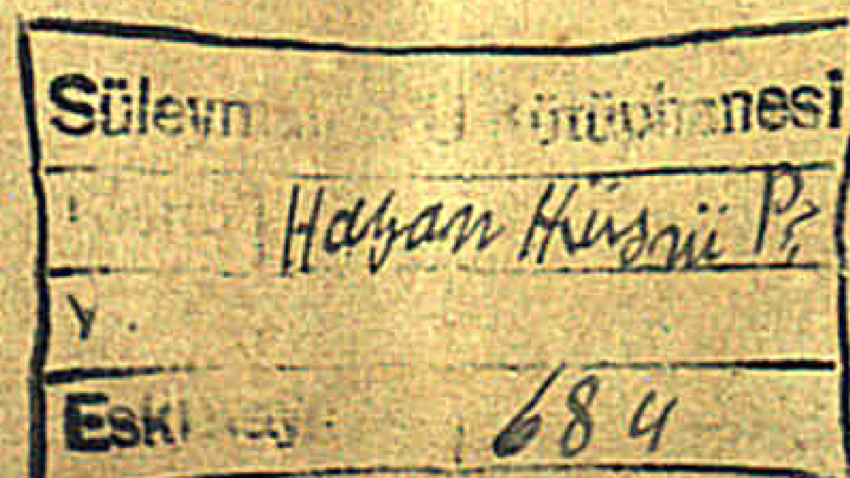
(فهرسة الجزء الاول من غالية المواعظ)

(تمت)

هذا ثبت وسند حضرة الاستاذ العلامة خير
الدين أبى البركات السيد نعمان آلوسى
زاده مؤلف غالية المواعظ واجازته
من بعض مشايخه
السادة الاعلام

(ويليه ترجمة المؤلف ثم تقريظات شريفة على هذا الكتاب لجمع من أفاضل العلماء)



(فاتحة الغالية)

بسم الله والحمد لله والصلاة على خاتمة أنبياء الله الذى حدثت نعم الله سبحانه عليه كما أمر فى كتاب الله *(أما بعد)* فمن نعم الله تعالى على هذا العبد الفقير أنى قد أجزت بالعلوم الشرعية النقلية والعلوم العقلية والآلية والرياضية والعربية من علماء أفاضل وجهابذة تشد للاخذ عنهم الرواحل *منهم والدى وشيخى عليه الرحمة والرضوان ومنهم علامة أوانه وأمير أقطاره ناشر السنة الغراء وعالم الامراء المحقق المدقق السيد السند حضرة مولانا السيد محمد صديق البخارى القنوجى لازالت أياديه هاطلة وتآليفاته وحسناته متواصلة *ومنهم الولى العابد والورع الزاهد الشيخ كاكه أحمد بن الشيخ معروف الشافعى السليمانى القادرى طريقة *ومنهم الفاضل النحرير سيدى العلامة الشيخ عيسى أفندى القادرى النقشبندى الخالدى البندنيجى البغدادى الحنفى ومنهم السيد الشريف ذو الفضل المنيف العالم الفاضل الحسيب النسيب السيد عبد الرحمن أفندى المحض القادرى الكيلانى فانه أجازنى بالطريقة القادرية ومنهم الورع الفهامة الشيخ عبد الغنى أفندى الغنيمى الميدانى الدمشقى ومنهم الفاضل الشيخ أحمد بن عيسى الحنبلى المجاور فى بلد الله الحرام وكل منهم حرر لى اجازة عامة بأثبات تامة وانى لما وردت دمشق الشام واجتمعت مع علمائها الاعلام فى السنة المتممة ثلثمائة وألف من هجرة النبى الاكرم والرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم استجازنى بعض أفاضلها واستجزت برسمها العلامة الشهير والمفسر القدر الخطير قدوة أهل الشام بل المتفرد بين فضلاء الانام مولاى ذا الخلق الندى حضرة السيد محمود أفندى مفتى الحنفية بدمشق المحمية ونكتفى هنا بذكر اجازته العالية المحلية بالبدور السامية ونصها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى رفع أسانيد أهل الرواية وكملهم بمعارف لطائف الدراية وشرفهم بنقل الصحيح من الاخبار والحسن من بدائع الوقائع وشرف الآثار والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد الذى قويت به أسانيد المشايخ فى الطرق والمذاهب وانجلت ببعثته عرائس النعم من الله تعالى على البرية وهطلت غيوث المواهب وعلى آله وأصحابه الذين أيدوا هذا الدين المتين بنقل الاحاديث النبوية والمجاهدة فى سبيل الله مع خلوص النية والتابعين لهم باحسان فى كل مكان وزمان صلاة وسلاما دائمين بدوام الله الحنان المنان *(أما بعد)* فان العلم أشرف المطالب وأعلاها وأنجح الرغائب وأغلاها وأطيب المكاسب وأزكاها وأهم الامور بالعناية وأولاها بما ان الله سبحانه شرفه وفضله وميز فى الشهادة بالوحدانية حملته وأهله ونبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على فضله فى غير ما حديث واتفق العقلاء على أنهم هم القادة الاخيار فى القديم والحديث ومن أجل ذلك علم الحديث النبوى فانه أصل الدين القويم والشرع المستقيم وقد ورد فى فضله وشرف أهله من الاخبار ما لا يعد ومن الآثار ما لا يحد وكفى الراوى المنتظم فى هذه السلسلة شرفا وفضلا وجلالة ونبلا أن يكون اسمه منتظما مع اسم المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى طرس واحد على رغم أنف الحاسد المعاند وبقاء سلسلة الاسناد من شرف هذه الامة المحمدية واتصالها بنبيها خصوصية لها بين البرية وقد جرت عادة أهل الحديث أن يذكروا أسانيدهم واتصالها بالائمة الاشياخ لانها أنسابهم المعتبرة لديهم وعليها يعولون واليها يصاخ فقد نقل الشيخ اسمعيل الجراحى عن الامام سفيان الثورى أنه قال الاسناد سلاح المؤمن فاذا لم يكن له سلاح فبأى شىء يقاتل وذكر عن الحافظ بن عبد البر أنه قال الاجازة فى العلم رأس مال كبير وذكر عن الامام الشافعى رحمه الله أنه قال الذى يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يحمل الحطب وفيه أفعى وهو لا يدرى وذكر عن عبد الله بن المبارك أنه قال الاسناد من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء على أنه نقل عن الحافظ السيوطى أنه قال فى كتابه الاتقان الاجازة من الشيخ ليست بلازمة فى رواية الحديث بل الشرط أن يكون أهلا للرواية والدراية الاخيرة أولى وأكمل ثم قال لكن نقل ابن حجر المكى فى فتاواه الحديثية عن الزين العراقى أنه قال الانسان ما ليس لديه رواية غير سائغ باجماع أهل الرواية ثم قال وعن الحافظ ابن جبر الاشبيلى أنه قال اتفق العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول قال النبى صلى الله

تعالى

نقل صح

تعالى عليه وسلم حتى يكون عنده ذلك القول مرويا ولو على أقل وجوه الروايات وتعرض للجمع بين الاقوال بحمل الجواز على ما اذا كان لمجرد الاستنباط وعدمه على ما اذا كان للرواية عن القائل هذا وان ممن لاحظته العناية وشملته التوفيق والهداية فسابق فى ميدان العلوم على طرف الذكاء والفهوم وتحلى بتحرير درر المسائل وغرر المقاصد والوسائل بين كل باحث وسائل الفاضل الكامل والعالم العامل عمدة العلماء المحققين وقدوة الفضلاء المدققين وناشر لواء الافادة للطالبين والاستفادة للسائلين السيد الشريف الحسيب النسيب سيدنا السيد نعمان أفندى ابن العلامة الشهير والمحقق النحرير السيد محمود أفندى الآلوسى مفتى العراق أدام الله تعالى عليه امداده وتوفيقه واسعاده فانه أفاد واستفاد وتفنن وأجاد وقد حسن ظنه بى كما هو شأن المؤمن وطلب منى أن أجيزه فى علوم الدين اجازة عامة بجميع مروياتى وما تطفلت بجمعه من مصنفاتى كالتفسير بحروف المهمل المسمى بدر الاسرار ونظم الجامع الصغير للامام محمد صاحب أبى حنيفة رحمهما الله تعالى ونظم مرقاة الاصول لمنلا خسرو واللآلئ البهية فى القواعد الفقهية وبغية الطالب فى شرح رسالة الصديق لعلى ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وقواعد الاوقاف وكشف الستور فى المهاياة فى الاجور ومنظوم غريب الفتاوى والفتاوى الجزاوية وشرح بديعية الوالد المسمى بكشف القناع ودليل الكمل الى المهمل فى اللغة وكتاب الطريقة الواضحة الى البينة الراجحة فاستخرت الله تعالى وأجزته بأن يروى عنى صحيح الامام محمد بن اسمعيل البخارى وسائر ما تجوز لى روايته وتصح لى نسبته ودرايته اجازة عامة شاملة لجميع ذلك بشرطه الصحيح المعتبر عند أهل الحديث والاثر بحق روايتى لذلك ما بين القراءة والسماع والاجازة الخاصة والعامة عن مشايخى الثقات رحمهم رب الارض والسموات منهم العلامة المحقق محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبرى فانى حضرت عليه صحيح البخارى تحت قبة النسر دراية وحضرت فى منزله صحيح البخارى وغيره كالشفاء وصحيح مسلم رواية ودراية سماعا وقراءة باجازة خاصة وعامة ومنهم الفقيه المتفنن شيخ الحنفية فى دمشق المحمية الشيخ سعيد الحلبى رويت عنه البخارى ومسلما من أولهما الى آخرهما الاماقل والجامع الصغير للسيوطى والشفاء وأكثر الكتب الفقهية المتداولة قراءتها والنحو والصرف والاصول والكلام والمنطق والآداب والمعانى والبيان والاستعارات ومن التفاسير تفسير القاضى وبعضا من الجلالين وغير ذلك حيث جل طلبى كان عنده جزاه الله تعالى خيرا ومنهم العالم العلامة صوفى زمانه والمفسر فى أوانه الشيخ حامد العطار رويت عنه بعضا من صحيح البخارى رواية وبعضا دراية وحضرت عليه جانبا من تفسير القاضى وشرح الاربعين لابن حجر وفصوص الحكم رحمه الله تعالى ومنهم الشيخ عمر الآمدى العالم العلامة المتقن المحدث رحمه الله تعالى رحمة واسعة حضرت عليه المختصر وبعده المطول مع الحواشى وتوفى قبل اكماله ثم ان تفاصيل أسانيد الكتب المتصلة الى بواسطتهم وبيان أنواعها لا يمكننى ذكره فى هذه العجالة لضيق وقتى على انه قد تكفل بذكرها أثبات الشيوخ وشيوخهم وأكثر الطرق يجمعها شيخ الشيوخ الشيخ محمد بن أحمد عقيلة المكى فاذا أراد المجاز شيأ منها فليطلبه من ثبته المشهور فى كل البلدان والعصور غير انى أتشرف بذكر بعض أسانيدى فى صحيح الامام البخارى وفى الفقه النعمانى فأقول مستمدا من حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وآله أصحاب القبول ۞ أروى صحيح الامام البخارى عن مشايخى الثلاثة الشيخ عبد الرحمن الكزبرى والشيخ سعيد الحلبى والشيخ حامد العطار سماعا واجازة منهم برواية الثلاثة كذلك عن والد الاول الشيخ محمد الكزبرى بروايته كذلك عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبرى ح وعن الرابع الشيخ عمر عن الثانى الشيخ سعيد الحلبى عن الشيخ محمد الكزبرى عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبرى وهذا أنزل واسطة والشيخ عبد الرحمن يرويه من طرق عديدة كما أخبر هو عن نفسه فى ثبته ونصه أرويه بطرق عديدة متنوعة أنواعا فريدة مشتملة على لطائف فى الاسناد والعلو المرغوب فى كل ناد متنوعة فروعا جمة ومتحولة بتحويلات كمل الامة لا يمكن استقصاؤها فى هذه الوريقات لضيق الوقت وشغل الذهن وقصور الهمم الا لافراد من أهل العنايات فنقتصر على البعض من ذلك وننالك فيه ان شاء الله تعالى أحسن المسالك فأرويه عن شيخنا العلم الشيخ صالح الفلانى المدنى

عن المعمر محمد بن محمد بن شنة العمرى الفلانى عن العلامة أحمد بن على الشناوى العباسى عن العلامة السيد غضنفر النقشبندى عن العلامة تاج الدين عبد الرحمن بن أحمد الكازرونى عن الحافظ أحمد ابى الفتوح الطاوسى عن المعمر بابا يوسف الهروى عن محمد بن شادبخت الفرغانى وهو يروى عن الشيخ المعمر ابى لقمان يحيى بن عمار الختلانى بسماعه لجميعه من الامام الفربرى بسماعه لجميعه من جامعه الامام البخارى وباعتبار ثلاثيات الامام البخارى يتم لى أربع عشرة واسطة الى سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولله الحمد والمنة وهذا أعلى سند يوجد على وجه الارض الآن فيما أعلم وقد تلقى الائمة الكبار الفحول هذا السند بالقبول وعدوه من جملة نعم الله تعالى عليهم للقرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه قربة محبوبة مطلوبة وفضيلة عظيمة مرغوبة اه وأنا أقول كما قال وأقتصر على هذا السند الشريف الذى هو أعلى ما وقع له من الاسناد رحمه الله تعالى وكنت قبل ذلك نظمت رجال الاسناد من طريق الشيخ الثانى الشيخ سعيد الحلبى رحمه الله تعالى

يقول محمود بن حمزة راويا * هذا الصحيح بحمد ذى الاحسان
عن قدوتى سعيد الشامى * عن شيخه محمد ذى الشان
أعنى به ذا الكزبرى عن شيخه * أبيه وهو عابد الرحمن
عن شيخه عقيلة محمد * عن حسن محدث الزمان
عن شيخه أبى الوفاء أحمد * عن شيخه يحيى أخى الرجحان
عن شيخه الطبرى محب الدين * عن شيخه ابراهيم أى برهان
عن شيخه عبد الرحيم سنه * مائة وأربعون ذا الفرغانى
عن شيخه محمد بن شادبخت * عن شيخه يحيى أبى النعمان
هو الذى عمر نحو ما مضى * عن الفربرى صاحب الاتقان
عن البخارى شيخه محمد * قدوتنا امام هذا الشان

وبالنسبة الى ثلاثيات البخارى يكون بينى وبين الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم سبعة عشر وأما السلسلة الفقهية فكذلك كنت نظمتها تحت سؤال عنها فى الفتاوى النظم التى ذكرتها قبل ذلك من جملة ما تطفلت بجمعه من المؤلفات وصورة ما كتبته هنالك

يقول محمود بن حمزة انى * أروى صحيح كتب النعمانى
عن قدوتى سعيد الشامى * عن شاكر العقاد ذى الاتقان
عن يوسف الشامى عن محمد * مفتى دمشق الحصكفى ذى الشان
عن شيخه مفتى دمشق الفاضل * هو العمادى عابد الرحمن
عن شيخه أعنى عماد الدين * والده مفتى دمشق الدانى
ذا عن أبيه هو شمس الدين * هو عن محب الدين ذى الرجحان
أبيه وهو عن كمال الدين * أبيه عن محب القبيانى
أبيه وهو عن عماد الدين * والده ذا الحنفى الشان
عن شيخه محمد العينى * عن شيخه البلقينى ذى الاحسان
عن شمس أمة هو التكريتى * عن كردرى زينة الزمان
عن شارح الهداية السغنانى * عن حافظ للدين من ديان
عن شيخه أى هو فخر الدين * اعنى ابن الياس رفيع الشان
عن شيخه محمد عن شيخه * ذاك العمادى الكردرى المحسان
هو عن على صاحب الهداية * برهان دين أوحد الاوان

هو عن على البزدوى عن شيخه * أعنى السرخسى عن الحلوانى
عن شيخه النسفى أبى على * عن البخارى حجة الاقران
عن السبذمونى الامام وهو عن * أبى لحفص صاحب الاذعان
عن أبى حفص الكبير هو عن * امامنا محمد الشيبانى
وهو عن الامام قدوة الورى * سند أبى حنيفة النعمان

ولى طرق غير هذه أضربت عن ذكرها طلبا للاختصار وقد جرت عادة الشيوخ أن يذكروا بعض الفوائد فى أواخر الثبت فلنذكر شيأ تشبها بهم كما قيل

ان لم تكونوا مثلهم فتشبهوا * ان التشبه بالرجال فلاح

فنقول منها ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الكزبرى ونصه أخرج الامام أبو حنيفة فى مسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من داوم أربعين يوما على صلاة الغداة والعشاء فى جماعة كتبت له براءة من النفاق وبراءة من الشرك ومنها ما رواه مسلم عن سمرة مرفوعا أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ومنها ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الكزبرى فى ثبته ونصه ومنها ما روى عن على كرم الله تعالى وجهه مرفوعا من أحب أن يكال بالمكيال الاوفى من الاجر فليقل آخر مجلسه وحين يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين هذا ما أردت تحريره فى هذه العجالة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ١٥ ش سنة ١٣٠٠

قاله بفمه وكتب هذا
بقلمه محمود بن حمزة
الحسينى مفتى
الشام عفا
الله عنه
آمين

ومن نعم الله جل وعز على ان جعل نسبى من جهة الآباء يتصل بالحسين رضى الله تعالى عنه ومن جهة الامهات يتصل بالحسن رضى الله تعالى عنه بواسطة الشيخ الجليل الربانى والقطب الكيلانى قدس الله تعالى سره وأفاض علينا بره وقد ذكر منظوما وهو

حمدا لمن قد جعل الانسابا * لشرف ورحمة أسبابا
وجعل الاشرف منها ما اتصل * بخاتم الرسل وسيد الاول
وبعد فالعبد حقيقا ينتمى * الى النبى المصطفى المعظم
من جهة النساء عبد القادر * واسطة لمعدن المفاخر
من جاء من كيلان للعراق * قطب التقى وطيب الاعراق
كذاك أنمى للبتول من أبى * مفتى العراق السند المحبب
السيد المحمود فى الافعال * سليل عبد الله ذى الافضال
أبوه محمود بن درويش الذى * ينمى لعاشور غياث اللائذ
هو ابن محمود سليل ناصر * للدين ينمى للحسين الطاهر
ابن على بن الحسين المعتزى * الى كمال الدين ذى التعزز
سليل شمس الدين ذى التبيين * ابن محمد بن شمس الدين
سليل حارس لشمس الدين * يعزى وذا نجل شهاب الدين
ابن أبى القاسم طاهر النسب * ابن أمير ذاك باهر الحسب

ابن محمد الى بيدار * يعزى كما قد جاء فى الاخبار
وجاء من بعد أبيه عيسى * محمد بن أحمد بن موسى
وأحمد من بعده محمد * وأحمد الاعرج فهو السيد
ينمى الى الشهير بالمبرقع * موسى الى الجواد فانعم وع
ابن الرضا أبوه موسى الكاظم * أبوه جعفر الامام العالم
ابن محمد الامام الباقر * سليل زين العابدين الطاهر
نجل الحسين السبط عالى الهمم * ريحانة الهادى شفيع الامم
نجل على الصهر ذى المفاخر * حاز العلا من كابر عن كابر
وأمه فاطمة البتول * بضعة طه المجتبى الرسول
صلى عليه الملك الوهاب * ما اتصلت بين الورى الانساب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ترجمة المؤلف من كتاب التاج المكلل)

هو خير الدين أبو البركات السيد نعمان الحسينى القادرى ابن السيد محمود أفندى المفتى ببغداد الشهير بآلوسى زاده رحمه الله تعالى والمترجم حفظه الله تعالى وسلمه قد ولد الساعة الحادية عشرة من يوم الجمعة ثانى عشر شهر الله المحرم ابتداء السنة الثانية والخمسين بعد الالف والمائتين وقد أرخ ذلك الناظم المجيد الملا عبد الحميد بقصيدة بديعة وهى

بدا الكوكب الدرى والقمر الذى * محاسنه للشمس أضحت تسامت
فلا عجب أن فاح كالمسك عرفه * فهاهو من بيت النبوة نابت
له ثبت الحق الصريح من العلا * وتاريخه حق لنعمان ثابت

١٠٨ ٢٤١ ٩٠٣

١٢٥٢

قرأ القرآن الكريم وحفظ ألفية ابن مالك والرحبية فى الفرائض وغيرهما من متون العلم وقرأ على تلامذة والده المبرور جملة من الفنون الآلية كالنحو والصرف والفقه وقرأ على أبيه المرحوم مغنى اللبيب وشرح الالفية لابن الناظم وكتبا من المنطق وغيره وقرأ بعد وفاة والده سائر العلوم من الاصلين والحديث والعلوم العربية والرياضية وسائر الفقه وبقية العلوم النقلية والعقلية على علماء بغداد دار السلام ومشايخ تلك البقعة ذات الاحترام وبرع وساد وألف وأفاد حتى فاق مع كونه شابا الشيوخ وثبت له فى كل علم أتم الرسوخ وصنف جملة صالحة من التصانيف وحرر زبرا نافعة من التآليف منها اكمال حاشية القطر لوالده العلامة والشقائق ورسالة فى النقه وله نثر ونظم يزرى باللؤلؤ والنجم وكتب فى المواعظ دروسا مفيدة ومجالس عديدة حميدة وله كتاب جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين وهما العلامة شيخ الاسلام ابن تيمية الحرانى والفقيه ابن حجر المكى الهيتمى وهو كتاب جليل المقدار مفيد الاحرار يعز له مثيل بل لا يلفى له بديل وقد طبع بهذا العصر سنة ١٢٩٨ هجرية بمحروسة مصر القاهرة العلية فى مطبعة بولاق المشهورة فى الآفاق وله عافاه الله تعالى مراسلات ومفاوضات الى وهو الآن مشتغل عن منادمة الجليس بالوعظ والتدريس

*بوعظ قد تلين له قلوب *وزجر قد تلين به الصخور* تفرد فى الفحول بقوارع وعظه وأذاب القلوب بزواجر لفظه

اذا مارقى للوعظ ذروة منبر * لخطبته فالكل مصغ ومنصت
فصيح عن الشرع الالهى ناطق * وعن كل مذموم من القول صامت

وقد تقلد بعض المناصب وحاز من ألطاف الدولة العلية أسنى المراتب وله أشبال عليهم مخايل الشرافة والنجابة وفيهم تحقق السعادة المأثورة من القرابة وفقهم الله تعالى للخيرات وحرسهم من كافة المكروهات آمين آمين اه باقتصار من التاج للعلامة الشهير لا برح مؤيدا لسنة البشير النذير ومضيأ كالبدر فى الليل الداج

(التقاريط)

(التقريظ الاول)

لشمس فلك الافاضل والبدر المتلألئ فى دياجى الليال طود المجد والفخار والحسب الرفيع المنار صاحب الفضل والفضيلة والمزايا الجليلة الجميلة حضرة المولى محمد جميل أفندى جميل زاده لا برح نائلا من الخير مراده وهو قوله دام فضله لقد سرحت طرف الطرف فى شقائق هذا الكتاب الموسوم بغالية المواعظ فألفيته مؤلفا كاشفا لطالب الديانة كل غامض وسفرا متكفلا بما يلزم بيانه على كل واعظ ومصنفا غزل غزالى ذهن مصنفه غزلا دقيقا وأبان جوزى فكره لارباب الرواية كساء رقيقا فلله تعالى در هذا المؤلف ولله أبوه من جامع مرصف كيف لا وهو الفاضل العالم الكامل والبليغ الذى ليس له مناضل سمى المجتهد الاقدم ومقلد ذلك المذهب الاعظم فخر الموالى الكرام ونجل علامة العلماء الاعلام وارث الفضائل عن آبائه الفخام قرة أعين الواعظين أبو البركات السيد نعمان خير الدين أفندى آلوسى زاده لا برح موفقا لنشر الافادة نائلا للحسنى والزيادة ولا زال مجزيا عن طالبى الافادة خير الجزاء وكوكب سعده مشرقا فى الزوراء محرم سنة ١٣٠٠

وكتبه الفقير جميل زاده
محمد جميل الحائز لرتبة
الحرمين المحترمين

(التقريظ الثانى)

لجناب العالم الفاضل والاديب الذى غدا نوره كامل السيد مصطفى أفندى مفتى الحلة حالا نجل المبرور السيد محمد أمين أفندى واعظ القادرية فى بغداد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لمن منح خواص عباده من موارد امداده واسعاده ورفع عز شأنه شانهم وخفض قدر من ناضلهم وشانهم وصلاة وسلاما على الهادى البشير والصادع النذير الذى آتاه الله تعالى القرآن *والسبع المثانى وعلمه البيان وخصه بروح المعانى فكان امام الائمة وخطيب الامم وواعظ الامة ومجلى غياهب الظلم وعلى آله وأصحابه الذين استمعوا لاقواله وتأسوا بفعاله فنشر الله تعالى لهم فى الخافقين أعلاما وامتثلوا لاوامره وانتهوا عن زواجره فكانوا للدين المبين عمادا وللشريعة الغراء والحنيفية السمحاء سنادا وقواما وعلى التابعين الذين أحيوا معالم التنزيل ووقفوا على اسرار التأويل (أما بعد) فقد سرحت الخاطر الفاتر فى ملكوت ازهار رياض محيا هذه الحديقة المونقه وشرفت الطرف القاصر فى غياض مقصورات هاتيك الجنة المورقه وارتشفت من زلال حميا أنهار حياضها المتدفقه واستنشقت من عبير عنبر تلك الغالية الغالية السامية وعطرت المشام من خزامى مسك ذى النافجة النامية كيف وقد عبق الكون طيب شذاها وثمل الندامى من طيب خندريس بهاها

ولولا شذاها ما اهتديت لحانها * ولولا سناها ما تصورها الوهم

ولما سطع على الخافقين أشعة سناها وأضاء على الكونين بدر سماها وأشرفت تختال تيها فى حلل صباها تراود فتاها فاذا هى الشمس وضحاها والنهار اذا جلاها والكوكب الدرى الساطع والنور الطالع بل البدر اللامع بل الحد الجامع بل القول الفصل الناصع بل البرهان الجلى القاطع يستضى بمشكاة مصباحها الواعظ ويهتدى الضال بما اشتملت عليه من جوامع المواعظ فهى وحياة العلم حياة القلوب وقوت العارف وتنبيه الغافلين عن علام الغيوب ومجمع المعارف ومنهاج العابدين الى أوضح المذاهب ومعراج السالكين الى أسنى المواهب وتبصرة الناسكين الى أوضح الطرق وأرشد المطالب وثانى اثنين لجلاء العينين ولعمرى انها جمعت من اللطائف فنونا وأجرت من عيون السامعين عيونا فكم أحيت قلبا ونفست كربا وكفرت ذنبا

وسترت عيباً وأزالت شكاً وريباً محكم عباراتها مصونة عن الزيغ والاشتباه ومكنون اشاراتها جلت عن ان يكون لها نظائر واشباه وايم الله انها الكاشفة عن روح معانى الكتاب المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والمفصلة لما أجملته السنة السنيه والحاكية لآثار أحبار أهل السنة من الامة المحمديه كيف لا وناظم دراريها وناسج برودها وحاكيها مولانا الذى قرط الاسماع بلآلئ لفظه وأنعش الارواح ببليغ نصحه وبديع وعظه الصادع بأمر ربه والبارع من بين صحبه والكارع من رحيق العلوم سليل باب مدينة العلم والسر المكتوم وشبل من صرف نقد عمره فى تحقيق المنطوق والمفهوم البحر المتدفق والحبر المفلق من حاز المعالى مذ كان طفلا وساد حيث سار فضله فغدا مولى الموالى اذ صار كهلا سمى الامام الاعظم أبو ثابت السيد نعمان خير الدين أفندى المقوم نفع الله تعالى المسلمين بعلمه وأفاض عليهم من وابل كرمه ووفقنا واياه لما نروم ونتمناه فانه أدام الله علاه أطنب فى هذا السفر المسفر عن الحق وأعجب ورغب ورهب وأمر وزجر وصدح على منابر التذكير وصدع الباطل وانذر فكم أسال فى مجالس وعظه من العلوم انهارا وصير ليل الشك فى رمضان براهينه نهارا وكم جرح القلوب بنبال ترهيبه وأحيا موات الذنوب بترياق ترغيبه فجزاه الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ونضر وجوهنا يوم اللقاء وجعلنا واياه ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وصلى الله تعالى وسلم على سيد الواعظين وخاتم النبيين وعلى أتباعه وأشياعه الى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين فى ٢١ صفر سنة ١٣٠٠

وكتبه الفقير اليه عز شأنه السيد
مصطفى نور الدين زاده الواعظ
فى القادرية عفا
الله عنه آمين

(التقريظ الثالث)

للاريب والمهذب الاديب جناب مسود الفتوى عبد الوهاب أفندى لازال مبيضا وجوه القراطيس بما يملى ويبدى

هذا كتاب مانع عن الهوى * وجامع سبل الهدى لمن وعى
هذا هو الحق الصريح لفظه * مسلم ثبوته بلا مرا
يشفى به الصدر العضال داؤه * وهو نجاة للذى على شفا
من لم ينل مما حواه رشده * كان العمى أولى به من الهدى
فلا يضل سالك فى نهجه * ومن سرى فى نهجه فقد نجا
لما أضاء كالصباح نوره * وصار مشكاة لارباب النهى
وعطر الكون عبير مسكه * لما بدا غالية بين الورى
نادا من أمعن فيه فكره * وقال كل الصيد فى جوف الفرا
نعمان خير الدين قد حبره * والحبر ان حبر حاز المنتهى
فمن رآه جالسا فى وعظه * ووعظه يقل أفلا ذا الصفا
يقول محمود الفعال لم يمت * اذ بأبى الثابت احياء العلى
ومن غدا محاكيا لوعظه * فقل له ذا أمل لا يرتجى
علامة لقد تسامى رفعة * بل بحر فضل بالعلوم قد طمى
أنى يسوغ للبراع مدحه * وهو الى سبط النبى ينتمى
فكم له من مكرمات قصرت * عن حصرها بلا فصيحات الخطا
سعى الى الخير بعزم صادق * وليس للانسان الا ما سعى
رعى حقوق الله فيما بشه * وخاب من أهملها وما رعى

للجوزي

اذ فيه للتقوى شراب سائغ * وكل علم نافع له حوى
ان كان للجوزاء تثنر ظاهر * فالب فى هذا اللباب قد نوى
لازال من ألفه مؤيدا * لـيرتقى معارجا لا ترتقى
ودام فى نشر العلوم رافعا * منابر الحق وأعلام التقى

وكتبه الفقير عبد الوهاب أمين الفتوى
ببغداد المحروسة

(التقريظ الرابع)

انجل المؤلف السيد على أفندى حفظه ووفقه المعيد المبدى آمين

أبدور تم باديه * أم ذى زهور زاهيه
أم كاس راح قد جلتـ * ـها الندامى جاريه
أم طفلة تركية * نجلاء عين غانيه
من ثغرها البسام قد * بانت عقود لآليه
أم روضة انهارها * بين الازاهر جاريه
بل ذا كتاب قد حوى * حكما لعمرى هاديه
سفر به قد اسفرت * أقمار فضل باديه
عقد ولكن الدرا * رى منه أضحت غاليه
أبداه أكرم والد * منه اكتسبت كماليه
كهفى اذا خطب عرا * وذخيرتى وعماديه
كم ليلة قد باتها * يجلو الرموز الخافيه
فعيونه لله سا * هرة وليست ساهيه
أحيا طريق المصطفى * وهدى النفوس الطاغيه
من شامه فى وعظه * والناس طرا باكيه
ظن الفتى المهدى قد * وافى الأنام علانيه
فله العلوم أصالة * ولمن عداه عاريه
أهدى كتابا للأنا * م به علوم ساميه
لما انتشى فكرى شذا * ألفاظه نادانيه
جهرا وقال مؤرخا * (قد صح طيب الغاليه)

١٠٤ ٩٨ ٢١ ١٠٧٥

١٢٩٨

(التقريظ الخامس)

(للأديب الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ صالح التميمى البغدادى)

نعمان فخر بنى الزوراء قاطبة * لازال أسخى الورى جودا وأتقاها
أحيا معالم دين الله فى خطب * ما كان أحلى معانيها وأغلاها
ترى مواعظ أحياء العلوم بها * بين البرية حقا طاب محياها
للناس ألف بالتقوى كتاب هدى * برشده عن طريق الغى ينهاها
الى بصائر أهل العلم تبصرة * تخاله يهتدى فيه الذى تاها

ان المواعظ جسم للعلوم بها * روح المعانى لحيته وحياها
لما أبو ثابت سماه غالية الـ * ـمواعظ اليوم أحيا العلم ذكراها
مذ استعان على علم مؤلفه * بالفرد أرخ دروس الوعظ أوحاها
١ ٢٧٠ ١٠٠٧ ٢٢
١٢٩٩

(التقريظ السادس)

لجناب سليل العلماء وبدر سماء النجابة فى الزوراء الالمعى يوسف أفندى سويدى زاده العباسى الشافعى

امام العصر خير الدين أضحت * فضائله تعطر كل ناد
لاشرف على العيوق يسمو * ومجد جاز للسبع الشداد
همام قد سما فضلا وعلما * ووافته المفاخر بانقياد
لقد كشف الغياهب عن قلوب * محجبة باردية الفساد
وغالية المواعظ قد أبانت * لنا سبل السماحة والرشاد
بأقوال معنعنة صحاح * مسلسلة الى خير العباد
فلو قيست بتبصرة لفاقت * ومحكم فضلها كالصبح بادى
وان الفرق بينهما جلى * كما بين الزواخر والثماد
فدام منعما بأتم عيش * على رغم الحسود من الاعادى

كتبه الفقير يوسف ال
السويدى البغدادى
غفرله

(التقريظ السابع)

(لصاحب الفضيلة الذى هو من العلوم راوى السيد أحمد أفندى الشهير بالراوى)

انى وقفت على كتاب مواعظ * للعبر نعمان يسمى الغاليه
فيه المباحث توجت بفواتح * وخواتم تدع الأمانى ساليه
ما الوعظ الا ما حواه كتابه * وانبث فيه من الدروس العاليه
لو كان فى الدنيا جلا مد قسوة * سمعته قال القلب منها واليه
هذى صواعق ربنا تملى فمن * لصحائف قد سودت بفعاليه
لولم يكن فى النشأتين مهذبا * ما هذبت أقواله أفعاليه
لازلت خير الدين خير مؤلف * ألف النصيحة للنفوس القاليه
فاصدع بامرك فى زواجرك التى * فيها ابن عمار يصوغ اماليه
آباؤك الشم الانوف وان علوا * فلأنت فيهم طيب عطر الغاليه
النصح فيك طوية مطوية * من جدك الاعلى غدت متواليه
اذ جدك الأعلى النبى محمد * لم يأل جهدا فى العصور الخاليه
شكر المولانا العليم فلم يزل * يولى من الحق الحقيق أهاليه

كتبه الفقير راوى زاده
السيد أحمد شهاب
الدين

ومن قرظه فى اسلامبول المحميه فرع الشجرة الفاروقيه الفاضل البليغ الاديب والعالم الحسيب الاريب صاحب السعادة حضرة أحمد عزت باشا الموصلى فاروقى زاده لابرح نائلا للحسنى والزيادة وذلك قوله مد فضله

بغالية المواعظ فاح نشرى * وفى تلك المعانى حار فكرى
فلو طلعت على ابن الجوزى يوما * تجرد لبه عن حشو قشر
سرت كالروح فى جسد المعانى * ولطف الروح فى الاجسام يسرى
لقد وشى صحائفها همام * يخاف الله فى سر وجهر
وانى لست أدرى كيف وشى * ملابسها وانى لست أدرى
باربعة المذاهب قد أتتنا * وفيها وازنت فترا بشبر
تكلم فى مسائلها وأبدى * لنا منها الصباح عقيب فجر
جلاها فى العيون لنا عروسا * زهت فى سندس الاذيال خضر
مجالسها على الخمسين أربت * كما أربى على الخمسين عمرى
وانى ما رأيت لها شبيها * بحسن تذكر ومطارد كر
مجالس روضة ورياض حسن * وموقف ذاكر ومقام ذعر
أتانا فى مواعظها بلفظ * غنينا فيه عن زيد وعمرو
أبان لنا طريق الحق فيها * وأسندها على خبر وخبر
غدت زاد المعاد لكل قوم * وذخرا للانام وأى ذخر
شممنا من غواليها أريجا * غدا يزرى شذاه بكل عطر
أرانا الامر منه بعد نهى * مثال البحر فى مد وجزر
مواقف عبرة ومسيل دمع * لكل جماعة فى كل شهر
لنعمان الشقيق ابى المعالى * تصانيف زهت فى نور حبر
جلا العينين جلى كل غين * عن الاثنين دهرا بعد دهر
تسيل بها على الاذهان منا * زلالا قد جرى من صدر بحر
زهت أوراقها بالحسن حتى * بدت أكمامها عن ثغر نور
لقد عذبت مواردها لدينا * كما عذب البيان بكل ثغر
فما ضلت لعمر أبيه ناس * اذا انقاد والهاف كل سطر
وقلب صحفها ظهرا لبطن * وردد شكلها بطنا لظهر
لقد طلعت علينا فى فروق ١ * طلوع البدر فى ايام بدر
فكال رأسها بمديح ملك * غدت ألطافه كالسحب تجرى
حميد الاسم محمود السجايا * مجيد الاصل ذى كرم وخير
معادن رأفة ومقام لطف * وملجأ خائف ومحل شكر
امير المؤمنين بلا خلاف * وسلطان الانام بكل عصر
أراح العالمين بكل ارض * وأحيا المسلمين بكل قطر
قد ازدان الانام بما احتواه * كما فى مدحه زينت شعرى
تسلطن والشؤن لقد أضرت * فنفس عن حمانا كل ضر
ومهد ملكه فى ضرب سيف * وهزة أسمر ووجيف شقر

١ فروق بفتح الفاء لقب القسطنطينية كما فى القاموس اهـ منه

كسا الاعدا ثيابا من دماء * لعمرك ماتشق بيوم حشر
ادام الله رأفتـــه علينا * وابقاه لدى عـــز ونصر
حبا العلماء فى نظر كريم * وبدل عسرهم فى عين يسر
فنهم خيرنا النعمان هذا * كريم الاصل ذو علم وقدر
أبوه للشريعة كان صدرا * وفى صدر الشريعة خير صدر
اقام مقام والده المفدى * على الحالين فى طى ونشر
كفانا للعراق به فخارا * ففيه وفى أبيه كمال فخر
لعمرى مارأيت له مثيلا * مثيلا ما رأيت له لعمرى
فدم يا أيها المولى بعز * وعلم وافر وطويل عمر
وهاك من المحب قصيد شعر * وان أنصفته فنضيد در

وكتبه الفقير اليه جل
شأنه احمد عزت
الفاروقى

وممن قرظه فى اسلامبول أيضا من فاق نثره روضا وشعره قلائد العقيان العالم الفاضل والسيد المرشد والصدر فى المحافل من حاز رتبة قاضى العساكر الاناطوليه صاحب السماحة والعلوم الربانيه حضرة السيد محمد أبو الهدى افندى طالت أياديه لكل مستجدى وذلك قوله انهل وبله

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكرم خلق الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه (أما بعد) فقد سرحت طرف الطرف فى هذا الكتاب الكريم والسفر الجليل العظيم والعقد النظيم فالفيته كتابا جمع من أحكام الشرع فرائد شتى لاترى فيه عوجا ولا أمتا توشح فى كل صحائفه درا وياقوتا وصار لارباب المعارف ربيعا ولاصحاب الشريعة قوتا وعلى طلاب الحق كتابا موقوتا جمع فأوعى وفتت من أهل البدعة الأمعا وقام فى محراب الهداية اماما وانتضى لاعلاء كلمة الله حساما ورفع لحزب الله أعلاما وأوقع فى حزب الشيطان سهاما وانه الصحيح المعتبر والبحر الخضم الاظهر والركن الشامخ والطود الذى هو على صحراء السنة راسخ والحبل المتين والكتاب المبين قد جمعت شوارده ورصعت قلائده يد الحبر الاكمل والعالم الافضل والعلم الاطول بقية السلف وبركة الخلف سليل العلماء الاعيان وبضعة أركان هذا الشان العلامة الفهامة السيد خير الدين أفندى نعمان شبل الهمام الجليل والاستاذ المفسر النبيل علم العراق وعلامة العصر بالاتفاق صاحب القلم السيال واللسان العطر الندى المرحوم المبرور السيد الآلوسى شهاب الدين محمود أفندى فلازال آخذا أثر والده البحر المفعم وحاذيا حذو مجده وفضله قدما على قدم ومن يشابه أبه فما ظلم

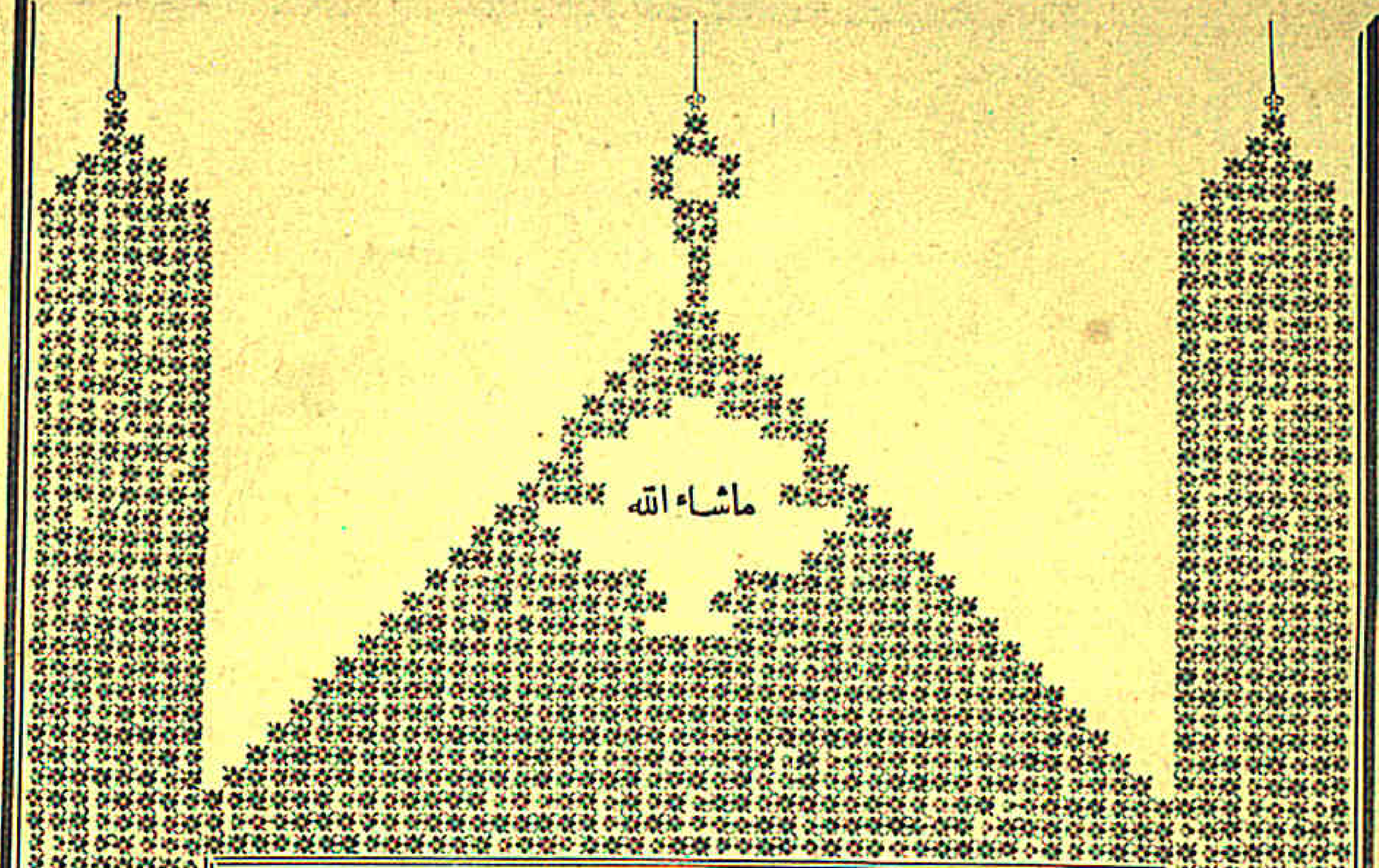
هم الطهر الكرام بنو الأعالى * شموس الناس جيلا بعد جيل
فروع أصلها المختار طه * ووصلتها بذا الحسب الجليل
وقد أخذوا العلوم سبيل قرب * لجدهم فحسبك من سبيل

والحق يقال ان هذا الكتاب فريد المنوال كما أن مؤلفه فريد الرجال فى علو القدم وكرم الاخلاق والافعال نفع الله تعالى به المسلمين كما نفع بآبائه الطاهرين آمين كتبه الفقير محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعى نقيب أشراف حلب الشهباء غفر الله له آمين

(الجزء الاول)
من كتاب غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة خاتمة المحققين والمدققين السيد الشيخ خير الدين أبى البركات نعمان افندى آلوسى زاده ابن السيد الشيخ محمود افندى المفتى ببغداد الشهير بآلوسى زاده نفعنا الله به والمسلمين أجمعين
آمين

لمؤلفه الفقير اليه سبحانه
نعمان

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠١ هجرية



الحمد لله الذى أحيا قلوب المؤمنين بتبصرته وزجر الغافلين عن تذكرته بزواجر موعظته والصلاة والسلام على البشير النذير والنبى الساطع هداه كالصبح المستنير والرسول الذى غدت مواعظه كيمياء السعاده وامتثال أوامره والاجتناب عن مناهيه موصلين الى الحسنى والزياده وعلى آله الحائزين من العلم والعمل أوفر نصيب وأصحابه الفائزين بنعمتى الترغيب والترهيب وعلى من اقتفى أثرهم من علماء الامة الذين كشفوا بحسن توجهاتهم وبديع تقريراتهم عن قلوب المستمعين كل غمة *(أما بعد)* فيقول أسير ذنوبه الغافل عن عيوبه المهمل لنفسه الذاهل عن مضى أمسه نعمان ابن المرحوم السيد محمود افندى مفتى الحنفية ببغداد الشهير بالوسى زاده غفر ذنوبهما وستر عيوبهما المعيد المبدى انى لما بليت بالوعظ للانام فى مدينة السلام وتذكير الخواص وتعليم العوام وأردت كتابا أقرؤه مفيدا فى هذا الزمن للعموم وسفرا تنقشع به عن قلوب الجاهلين واللاهين الغموم فلم أجد مؤلفا حاويا للمسائل الفقهية الدينية والاحاديث النبوية والقصص الصحيحة المرضية والترقيقات الجوزية اللازم بيان جمعه فى هذا الزمن والواجب على العلماء قراءته لمن فطن اذ كل من المؤلفات فى هذا الباب لم يجمع هذه الصفات بأسرها فيما رأينا من كتاب فأحببت أن أجمع كتابا متصفا بهذه الصفات فحررت هذه المجالس المهذبات فجاءت كتابا يحتوى ان شاء الله تعالى على ذلك وينير للمستفيدين الليل الحالك ويسهل لهم فى معرفة ضروريات دينهم المسالك متتبعا الصحيح الروايات متجنبا عن موضوع الحكايات مثبتا لبعض أقوال المذاهب الاربعة ليدل ١ على ما ينبغى طالبه وسامعه متوجا كل درس منه بديباجة من تبصرة العلامة التى بدت لكل واعظ امامه وموشحا بسجع منها ختامه لئلا تخلو هذه الرياض عن تغريد حمامه والله تعالى أسأل أن يعلمنى مالم أعلم وينفعنى بما أتعلم ويجعلنى ممن يتعظ أولا ٢ بمواعظها ويعمل بفوائدها

١ قوله ليدل فى نسخة ليوقف وقوله بمواعظها فى نسخة بمواعظه وكذا بقية الضمائر اجعلها مذكرة ان شئت اهمؤلفه

وينزجر

وينزجر عن منهياتها ويمتثل لمروياتها وينال أجر روايتها وثواب تعليمها وخير جمعها وتفهيمها وأن لا يجعلنى ممن أمر الناس بالبر ونسى نفسه ١ وأضاء القبور بمصباحه ٢ وأظلم رمسه وأبتهل اليه سبحانه أن ينفع بها السامعين ويكتب لى مثل أجرهم يوم الدين ويختم أجلى بصالح الاعمال ويحفظنى من كيد الحساد والجهال ويتوفانى على الايمان الكامل ويحشرنى ووالدى مع الابرار ويرزقنى كل خير متواصل فى هذه الدار وفى تلك الدار آمين ورتبته على أحد وخمسين مجلسا ليطيب الطالب بعبقها نفسا (وسميته) غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ هذا وانى أحمد الله الوهاب على أن وفقنى لجمع هذا الكتاب فى أيام خلافة ظل الله تعالى على الانام وحامى سور الاسلام عن الانثلام سلطان سلاطين العالم وصاحب الرأفة والرحمة على كافة بنى آدم من حمدت أيامه المسلمون ونشر اللطف على كافة رعيته الذين هم فى ظله الظليل قائلون والخاقان الذى دل النص الجلى على خلافته بالمنطوق والمفهوم وخصه الله تعالى بالشرف المحكم من بين هذا العموم الخليفة الذى من يفارق حماه فهو مارق ومن يلزم اطاعته فهو فى دينه صادق المؤيد بتأييد الله المجيد ومن أوجب الله تعالى طاعته على كافة العبيد حضرة مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازى عبد الحميد خان ابن المبرور المرحوم السلطان الغازى عبد المجيد خان لا زالت أعلام دولته محفوفة بالنصر مدى الزمان ودولته العلية محاطة بالتأييد مادام الدوران ولا برحت أقطار الارض مشرقة بانوار معدلته وأغصان الأمن مورقة بسحائب رأفته ولا زالت أعتابه السنية ملجأ لطوائف الأنام وحصنا حصينا للخاص والعام آمين آمين

من قال آمين أبقى الله مهجته * فان هذا دعاء يشمل البشرا

ولذا أسرع قلمى بهذه الابيات المخبرة عن بعض كريم الصفات والمفصحة بلازم الدعوات وهى

بمولانا أمير المؤمنينا * لقد سرت قلوب العالمينا
وفى ظل الاله هم أقاموا * ٣ وظل الله يؤوى القائلينا
أنام الكل فى ظل ظليل * ٤ فكان لجمعهم كهفا أمينا
وأصناف الرعية قد تراءت * بانواع المعارف عارفينا
مليك ليس يشبهه مليك * فلا تطلب له ملكا قرينا
ملاذ الخلق فى الدنيا جميعا * وسيدنا امام المسلمينا
عياذ الناس سلطان البرايا * وخاقان الخلائق أجمعينا
خليفة ربنا قد صار حقا * فكان لتخته السامى مزينا
وقد أحيا مآثر لن تضاهى * ومهد ملكه للساكنينا
وقد عمت أياديه البرايا * وأدب فى الفلاة المارقينا
أدام الله دولته علينا * وأيد نابه دنيا ودينا
وأبقى ذاته العلياء فينا * وأعطانا به فتحا مبينا
وملكه أقاصى الارض طرا * شمائلها البعيدة واليمينا
وأبقى عبده المولى حميدا * حميد العيش دهر الداهرينا
وأيد جنده البارى بنصر * وفتح كائن حينا فحينا

وقد آن الشروع فى المقصود فأقول مستمدا من فيض الله تعالى الكريم وطالبا للفوز بجنات النعيم

المجلس الاول

(فى شهر رمضان المبارك وفرضية صومه وليقرأ فى آخر شعبان)

١ قوله وأضاء فى نسخة وأنار ٢ وقوله وأظلم رمسه فى نسخة وأخلى منه رمسه ٣ قوله وظل الله فى نسخة كذلك الظل ٤ وقوله فكان لجمعهم فى نسخة فكان لشملهم

١ *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

الحمد لله خالق الخلق كلهم من تراب وفارق ما بينهم فى المعانى والآداب رفع عن أبصار بصائر الاولياء الحجاب وأشهدهم ما خفى عن غيرهم وغاب فهم على باب الدلالة للخلق على الباب أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب وشغل الجهال الطغام بالطعام والشراب فهم فى جمع الحطام بين المجىء والذهاب يعمرون بالهوى أجسامهم والقلوب فى خراب وما ابيض لهم عرض حتى اسود الكتاب فاذا عاينوا تفريطهم عند الموت بان المرتاب ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب أحمده على كل ما عرض وناب وأقر بوحدانيته من غير شك ولا ارتياب وأصلى وأسلم على رسوله محمد الذى عرج به فكان قاب وعلى أبى بكر السابق الى الفضائل ولا سبق العراب وعلى العادل عمر بن الخطاب وعلى عثمان منفق الاموال على الاسلام من غير حساب وعلى ابن عمه على المعد لكشف الكربات الصعاب وعلى بقية الصحابة والقرابة والتابعين الى يوم الحشر والحساب (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون صدق الله العظيم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قال العلماء رحمهم الله الصوم فى اللغة مطلق الامساك ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم انى نذرت للرحمن صوما ٢ أى صمتا وسكوتا عن الكلام ويقال صامت الريح أى أمسكت عن الهبوب وصامت الفرس أى أمسكت عن العدو والركض قال النابغة

خيل صيام وخيل ٣ غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وقيل صياما الا أنهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ فى أمته وانما أمرها الله تعالى أن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى كلام لمعنيين * أحدهما أن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها من قوله قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الخ والثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه اشارة الى أن السكوت عن السفيه واجب ولقد أحسن من قال

اذا فاه السفيه بسب عرضى * كرهت بأن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلما * كعود زاده الاحراق طيبا

١ بهامش الاصل للمؤلف خطبة أخرى بدل الخطبة المتقدمة وهى قوله *(بسم الله الرحمن الرحيم)* الحمد لله الاول بلا ابتداء الآخر بلا انتهاء الظاهر بلا اختفاء الباطن بلا اخفاء الاحد بلا احتواء الصمد بلا انزواء الفرد بلا اثناء الابدى بلا فناء الوفى بلا التواء العلى بلا اعتداء البرىء من الشركاء الخلى عن القرناء السميع بلا اصغاء البصير بلا سوداء المتكلم بلا هجاء الحاكم بلا أهواء القابض بغير اعضاء الباسط بغير احتشاء الذى رفع السماء بغير بناء ومهد البطحاء على تيار الماء استوى على العرش فلا كيف للاستواء ونظم متفرق العلوم فى طى سجل علمه فلا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء أحمده على السراء والضراء والجهر والخفاء وأصلى وأسلم على سيدنا محمد المصطفى ونبيه المجتبى وصفيه المقتفى خاتم الانبياء المخصوص بليلة الاسراء وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وذرياته السادة النجباء لاسيما أبو بكر الصاحب فى الشدة والرخاء وعمر سيد الوزراء وعثمان الصابر على مر البلاء وأمير المؤمنين على أبى الامناء وزوج بضعته الزهراء الى آخره اهـ ٢ قوله صوما قرأ أنس بن مالك رضى الله عنه صمتا وكذلك فى مصحف عبد الله ٣ وقوله وخيل غير صائمة فى نسخة وأخرى الخ اهـ منه

فتبين أن الصوم لغة الامساك وفى الشرع امساك ١ مخصوص من شخص مخصوص بشرطه ٢ فى زمن مخصوص بعينه وهو اليوم وفى هذه الآية دلالة ظاهرة قطعية على وجوب صوم رمضان وهو من الامور المعلومة من الدين بالضرورة ولذلك يكفر جاحده بل قد ذكر فى البزازية أن من أكل شهر رمضان عيانا متعمدا يؤمر بقتله لان صنيعه الفاحش دليل الاستحلال ۞ وههنا مسائل وفوائد نفيسة *(أولاها)* فرض الصوم فى السنة الثانية من الهجرة بالمدينة وفى الخطاب بيا أيها الذين آمنوا اشارة الى أنه فرض فيها لا بمكة لأن الخطاب بها على ما قيل كان بيا أيها الناس *(الفائدة الثانية)* اختلف العلماء فى أفضل العبادات البدنية فقيل الصوم أفضل أعمال القرب وقيل الحج وقيل الطواف وبه قال جمع ٣ واستدلوا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل الله على هذا البيت فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة فستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين قال الماوردى فجعل للطائف أكثر من المصلى فدل على أن الطواف أفضل وقيل الجهاد أفضل وقيل الصلاة بمكة أفضل ٤ والصوم بالمدينة أفضل نظرا الى محل فرضيتهما وقيل الدعاء أفضل وبه صرح الغزالى فى أول كتابه وسائل الحاجات والصحيح كما قال السفيرى الذى قاله جمهور العلماء أن الصلاة أفضل عبادات البدن بدلائل منها أن الله تعالى سماها ايمانا فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم لبيت المقدس ومنها ما ورد فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال سألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى وفى رواية أفضل قال الصلاة لوقتها ومنها ما رواه عبد الله بن عمر أن رجلا أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله عن أفضل الاعمال فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة ٥ قال ثم مه قال ثم الصلاة قال ثم مه قال ثم الجهاد فى سبيل الله ومنها ما رواه عبد الله ابن قرط رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله وأيضا انما فضلت الصلاة لانها تجمع من القرب ما تفرق فى غيرها من ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والقراآت ٦ والتسبيح والاستقبال والطهارة والستارة وترك الاكل والشرب والكلام فما حوته من مقاصد التكليف لا يجتمع فى عبادة غيرها فان باطنها الحضور بين يدى الله تعالى وذلك مقصود التكاليف وظاهرها شغل جميع الجوارح بالطاعات ومنعها من المعصيات ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وليعلم أنه ليس المراد كما قال الامام النووى من قولهم الصلاة أفضل ان صلاة ركعتين أفضل من صيام يوم أو يومين فان صوم يوم أفضل من ركعتين وانما معناه أن من أمكنه الاستكثار من الصوم والصلاة فأراد أن يستكثر من أحدهما ويقتصر عن الآخر فليستكثر من الصلاة فهذا محل الخلاف واعلم أنه انما قلنا سابقا ان الصلاة أفضل عبادات البدن لاخراج عبادات القلب كالايمان والمعرفة والتوكل ونحوها فانها أفضل من العبادات البدنية وأفضلها الايمان ولاخراج العبادات المالية كالزكاة وشبهها فانها أفضل من العبادات البدنية أيضا لتعدى النفع بها على ما قاله أبو على ونازعه الشيخ عز الدين بما قاله الشافعى رضى الله تعالى عنه ان الصلاة أعظم من الزكاة والحاصل أن افضل العبادات البدنية الصلاة ثم الصوم وأفضل الصوم صوم رمضان وكم له من فضائل جليلة ومناقب جسيمة فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه أبو هريرة وفى البخارى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم مرتين والذى نفسى بيده لخلوف ٧ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته

١ أى حقيقة أو حكما كمن أكل ناسيا ٢ وقوله بشرطه وهو كونه مسلما طاهرا عن حيض ونفاس مع النية ٣ قوله واستدلوا الخ لكن قال الشيخ عز الدين هذا الحديث ضعيف فلا حجة فيه ٤ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره

٥ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

٦ فى نسخة والقراءة ٧ تغير ريح الفم

من أجلى الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها وعنه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ليس بتارك أحدا من المسلمين صبيحة أول يوم من رمضان الا غفر له وعن ابن مسعود قال من صام يوما من شهر رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة الى الحول رواه فى الدرر واللآلى وفى الصحيحين اذا دخل رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وفى فضل الصيام مطلقا أحاديث كثيرة نذكر بعضها ان شاء الله تعالى فى محلها *(الفائدة الثالثة)* يستحب لمن رأى هلال رمضان أو غيره أن يكبروا أن يقول اللهم أهله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله فقد روى الترمذى عن طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان اذا رأى الهلال يقول اللهم أهله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله ونقل السفيرى عن نزهة المجالس أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال اذا رأيت الهلال أو الشهر فقل الله أكبر ثلاثا الحمد لله الذى خلقنى وخلقك وقدر لك منازل وجعلك آية للعالمين يباهى الله بك الملائكة ويقول يا ملائكتى اشهدوا أنى قد أعتقت هذا العبد من النار وروينا فى مسند أحمد أنه كان يقول الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك خير هذا الشهر وأعوذ بك من شر القدر ومن شر المحشر قال السبكى ويستحب أن يقرأ سورة تبارك لأمر ورد فى ذلك ولأنها المنجية قال والحكمة فى قراءتها انها ثلاثون آية بعدد أيام الشهر أى فلعله ينجى الله العبد بقراءتها عند رؤية الهلال ويحفظه جميع أيام الشهر ببركة كل آية منها بل قال العلماء يستحب قراءتها كل ليلة لانها تنجى من عذاب القبر كما ورد فى ذلك أخبار وآثار منها ما أخرجه عبد الرحمن فى مسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وأخرج خلف بن هشام فى فضائل القرآن عن ابن مسعود قال سورة الملك هى المانعة تمنع من عذاب القبر يؤتى صاحبها فى قبره من قبل رأسه فيقول رأسه لا سبيل لك على انه وعى بى سورة الملك ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه ليس لك على سبيل انه كان يقوم على فى سورة الملك وهى احدى الاشياء التى تنجى من عذاب القبر فقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أشياء تنجى من عذاب القبر منها الموت يوم الجمعة أو ليلتها أخرج أبو يعلى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مات يوم الجمعة وقى عذاب القبر ومعنى وقى عذاب القبر أى المترتب على السؤال وأما السؤال فلا بد منه لكل أحد ما عدا الانبياء على الصحيح لانه قيل ان الانبياء أيضا يسئلون وكذا الصبيان لا يسئلون على الصحيح بدليل أنهم قالوا الصبى لا يسن تلقينه ولو مميزا ومنها الموت فى رمضان وكذا لو مات فى غير رمضان فانه يرفع عنه العذاب لشرف رمضان بل عمم النسفى فى بحر الكلام فقال ان الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان كما يرفع عن المسلم العاصى وسنذكر ان شاء الله تعالى بقية من ينجو من عذاب القبر فى محله *(الفائدة الرابعة)* قال الشيخ شمس الدين محمد السفيرى لما كان شهر رمضان شهرا مباركا جليلا شرعت التهنئة فيه فيهنئ الانسان بقدومه اخوانه المسلمين بان يقول لمن رآه منهم جعل الله تعالى هذا الشهر مباركا علينا وعليكم أو أبشر بشهر مبارك علينا وعليكم فقد أفاد ابن رجب وغيره أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان وقد صنف العلامة السيوطى كتابا ذكر فيه أنه يهنأ الانسان بالفضائل العلية ١ ويهنأ بالعافية من مرض ويهنأ بتمام الحج ويهنأ بقدومه من الحج ويهنأ بعقد النكاح ويهنأ بمولود ولده ويهنأ بشهر رمضان وغير ذلك والتهنئة فى كل واحد من هؤلاء بما يليق له ولله در القائل

قد جاء شهر الصوم فيه الأمان * والعتق والفوز بسكنى الجنان
شهر شريف فيه نيل المنى * وهو طراز فوق كم الزمان
طوبى لمن قد صامه واتقى * مولاه فى الفعل ونطق اللسان

١ لكن ذكروا أنه لا تجوز التهنئة بالمناصب المحرمة فلا تغفل

وياهنا

وياهنا من قام فى ليله * ودمعه فى الخد يحكى الجمان
ذاك الذى قد خصه ربه * بجنة الخلد وحور حسان
هناكم الله بشهر أتى * فى مدحه القران نص عيان

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما من يوم الا وملك يهتف فى المقابر فينادى يا أهل القبور من تحسدون اليوم فيجيبونه نحسد أهل المساجد فى مساجدهم يصلون ولا نقدر ان نصلى ويصومون ولا نقدر أن نصوم ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق ويذكرون ولا نقدر أن نذكر فيندمون على ما مضى من زمانهم حيث لا ينفع الندم *(الفائدة الخامسة)* لرمضان أسماء كثيرة تزيد على الستين ذكرها أبو الخير الطالقانى منها شهر الله وشهر الامة وشهر القرآن وشهر القيام وشهر النجاة وغير ذلك واختلفوا فى سبب تسميته رمضان فقيل انه مأخوذ من الرمض وهو شدة الحر لان العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور فى شدة الحر كما سمى الربيعان لموافقتهما زمن الربيع وقيل سمى بذلك لانه يرمض الذنوب أى يحرقها *(الفائدة السادسة)* قال الوالد عليه الرحمة منع بعضهم أن يقال رمضان بدون شهر لما أخرجه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن أبى هريرة مرفوعا لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان والى ذلك ذهب مجاهد والصحيح الجواز فقد روى ذلك فى الصحيح ١ والاحتياط لا يخفى اه كلامه وقال بعضهم فى ذلك

ولا تضف شهر اللفظ شهر * الا الذى أوله الرا فادر
واستثن من ذا رجبا فيمتنع * لأنه فيما رووه ما سمع

(الفائدة السابعة) يجب صوم شهر رمضان بأحد أمرين اما باكمال شعبان ثلاثين يوما واما برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان لما ورد فى صحيح البخارى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين ومعنى غم استتر عليكم بان حال بينكم وبينه غيم وفى بعض كتب أئمتنا الحنفية أنه لا بأس بالاعتماد على قول المنجمين وعن محمد بن مقاتل أنه كان يسألهم ويعتمد على قولهم بعد أن يتفق على ذلك جماعة منهم ورده الامام السرخسى رحمه الله تعالى بقوله عليه الصلاة والسلام من صدق كاهنا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد وصوم يوم الشك لا يحرم عند الحنفية والمالكية خلافا للشافعية وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم كما رواه أصحاب السنن فهو حديث موقوف وسيأتى تفصيل هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى المجلس المشتمل على فضائل شعبان وليلة البراءة فراجعه فانه مفيد قيل والسبب فى الكراهية أن فيه تشبها بأهل الكتاب لانهم زادوا فى مدة الصوم وليتقوى على العبادة بفطر يوم أو يومين قبل رمضان وفى الحديث الطاعم الشاكر كالصائم الصابر وقد وردت أخبار كثيرة وأحاديث وفيرة نذكر بعضها ان شاء الله تعالى فى عقاب من أفطر شهر رمضان مقرا به وأما اذا أنكره فهو كافر بالاجماع منها ما روى فى نزهة الابصار عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال سمعت جبريل يقول يؤتى بشاب يوم القيامة باكيا حزينا والملائكة تسوقه بمقامع من حديد من نار وهو يقول الأمان الأمان ألف سنة ولا أمان له ثم يساق فيوقف بين يدى الله تعالى فيأمر الله تعالى ملائكة العذاب تسحبه على وجهه الى النار قلت يا جبريل من هو قال شاب من أمتك قلت وما ذنبه قال أدرك رمضان فعصى الله تعالى فيه ولم يتب ولم يستغفر الله تعالى كى يغفر له فأخذه الله عز وجل بغتة فعليكم عباد الله تعالى باخلاص الصيام والصلاة والناس نيام فأين من كان معنا فى رمضان الماضى أما أتته آفات المنون القواضى واسمعوا ما قاله سبحانه فى آياته العالية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية اخوانى توبوا من المعاصى واستعدوا ليوم يؤخذ بالنواصى واقتدوا بالسلف لما تلمحوا الطباع الى الدنيا صابيه رفضوها عن عزمة آبيه وثنوا قلوبهم الى الدار الثانيه ورأوها بعين اليقين دانيه فآثروها على الحقيرة الفانيه يطلبون العيشة الهانيه هممهم ليست متوانيه تنهض نهوض السباع الضاريه سارية عن عاداتها منتصبة فى عباداتها كالساريه

١ كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه

كانوا يقومون والليالى داجيه قيام نفس خائفة راجيه يسهرون طول الليالى الشاتيه يستعدون للصيحة الآتيه عيونهم من البكاء غاشيه والقلوب منزعجة جاشيه وأسرار القوم بالدمع واشيه فلهذا غدوا فى الحاشيه يصبحون والنفوس عطشى صاريه ١ يرضون بالخلقان والاجسام باديه اسماع لما ينفعها واعيه قلوب لما يصلحها راعيه أقدام الى أرباحها ساعيه ألسنة طول الزمان داعيه بطون من الطعام خاويه غصون من الاعدام ذاويه أبدان من الجوع ضاويه تبيت الليالى لفقرها طاويه اقتنعوا من الدنيا بزاويه وتركوا الهوى خوف الهوى فهم فى عافيه صاروا بالمجاعة كالشنان البالية آه لهممهم انها عالية آه لمطلوباتهم انها غاليه واه لطيبهم زاد على الغاليه فلو سمعت منادى الجزاء فى الدار الباقيه كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

المجلس الثانى

(فيما يتعلق بالصيام أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله خالق الدجى والصباح ومسبب الهدى والصلاح ومقدر الغموم والافراح الجائد بالفضل الزائد والسماح مالك الملك والمنجى من الهلك ومسير الفلك والفلك مسير النجاح عز فارتفع وفرق وجمع ووصل وقطع وحرم وأباح ملك وقدر وطوى ونشر وخلق البشر وفطر الاشباح رفع السماء وأنزل الماء وعلم آدم الاسماء وذرأ الرياح أعطى ومنح وأنعم ومدح وداوى الجراح علم ما كان وما يكون وخلق الحركة والسكون واليه الرجوع والركون فى الغدو والرواح يتصرف فى الطول والعرض وينصب ميزان العدل يوم العرض الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وأصلى وأسلم على سيدنا محمد رسوله المكرم وحبيبه المعظم تفديه الارواح وعلى رفيقه أبى بكر فى الغار وعلى عمر مبيد الكفار وعلى عثمان شهيد الدار وعلى على الذى يفتك رعبه قبل السلاح وعلى بقية القرابة والتابعين اهل الصلاح *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات المتقدمة فى الدرس الماضى (فنقول) وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق قد تقدم بعض الكلام فى الدرس الماضى على هذه الآية الكريمة ولنكمل ان شاء الله تعالى الكلام اللازم بيانه على هذه الآيات مختصرا من تفاسير الأجلة الأعلام ثم نرجع بحوله سبحانه الى ذكر ما يتعلق بها من الابحاث المناسبة للمقام فاعلموا أنه قال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) وهو عدم الاكل والشرب والجماع من خروج الفجر الصادق الى غروب الشمس مع النية فاذا أفسد الصائم صومه بشئ من ذلك وجبت عليه الكفارة وسيأتى بيانها ان شاء الله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم واختلف المفسرون فى وجه التشبيه ما هو فقيل قدر الصوم ووقته فان الله تعالى كتب على اليهود والنصارى صوم شهر رمضان فغيروا وقيل وجوب مطلق الصوم (لعلكم تتقون) أى تحافظون على ذلك وقيل تتقون المعاصى بسبب هذه العبادة لانها تكسر الشهوة وتضعف دواعى المعاصى كما ورد فى الحديث أنه جنة ٢ وانه وجاء فى قوله عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ٣ (أياما معدودات) أى معينات بعدد معلوم وأتى بجمع القلة اشارة الى تقليل الايام وقيل ان الصوم كان فى ابتداء الاسلام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفرضية شهر رمضان وأخرج البخارى فى تاريخه

---

١ قول الشيخ صاريه بالصاد والراء أى فى شدة من المجاعة والعطش اهـ ٢ أى كالترس

٣ الوجاء الخصاء يقال وجئ اذا دق عروق خصيته بين حجرين ولم يخرجهما كما فى القاموس

والطبرانى عن دغفل بن حنظلة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال كان على النصارى صوم شهر رمضان فمرض ملكهم فقالوا لئن شفاه الله تعالى لنزيدن عشرا ثم كان آخر فأكل لحما فأوجع فوه فقال لئن شفاه الله تعالى لنزيدن سبعة ثم كان عليهم ملك آخر فقال ما ندع من هذه الثلاثة الايام شيأ أن نتمها ونجعل صومنا فى الربيع ففعل فصارت خمسين يوما (فمن كان منكم مريضا) وسنبين ان شاء الله تعالى حد المرض وان المرضع أيضا يباح لها الافطار فى الدروس الآتية (أو على سفر فعدة من أيام أخر) واختلفوا فى السفر المبيح للافطار فالذى عليه الجمهور أنه مسيرة ثلاثة أيام للابل وقال غير الجمهور أقل من ذلك وهو ما صدق عليه اسم السفر واختلفوا فى سفر المعصية هل يجوز فيه الافطار أم لا فعند امامنا الاعظم يجوز وعند الشافعى وأحمد لا يجوز الافطار الا فى سفر طاعة (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قد اختلف العلماء فى هذه الآية هل هى محكمة أم منسوخة فالذى عليه الجمهور أنها منسوخة وانما كانت رخصة عند ابتداء فرض الصيام وكان من أطعم من الشيوخ والعجائز كل يوم مسكينا ترك الصوم وهو يطيقه ثم نسخ ذلك وقال بعض العلماء انها رخصة للشيوخ والعجائز خاصة اذا كانوا لا يطيقون الصوم الا بمشقة فعلى هذا ان لفظة لا مقدرة أى وعلى الذين لا يطيقونه فدية فتكون الآية غير منسوخة واختلفوا فى الفدية أيضا فقال الامام الاعظم كل يوم صاع من غير البر ونصف صاع منه وقيل مد وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره وروى عنه أن المرضع تفطر وتطعم ولا تقضى وهذا أيضا مروى عن جماعة من التابعين لكن لا يفتى به ولا يعمل بمقتضاه (فمن تطوع خيرا فهو خير له) أى من أراد الاطعام مع الصوم أو زاد على اطعام المسكين (وأن تصوموا خير لكم) أى صيامكم أيها المطيقون خير لكم من الافطار مع الفدية وهذا قبل النسخ أو معناها وأن تصوموا فى السفر والمرض غير الشاق خير لكم من الافطار وفى هذا دليل على خلاف ما قالته الامامية ان افطار المسافر واجب والبحث فى ذلك طويل (ان كنتم تعلمون) أن الصوم خير لكم واعلموا أنه لا رخصة لاحد من المكلفين فى افطار شهر رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فاذا أفطر هؤلاء فعليهم القضاء دون الكفارة والثانى الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء فقط عند الحنفية وعند الامام الشافعى عليهما الكفارة أيضا والثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء والكفارة قد تقدم ذكرها بخلاف المجامع فى رمضان فعليه كفارة الظهار وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) أى ذلكم شهر الخ أو كتب عليكم الصيام صيام شهر وقرئ بالنصب أى صوموا شهر رمضان واسمه فى الجاهلية ناتق لانه كان ينتقم لشدته عليهم والمراد من انزال القرآن العظيم فيه انزاله فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام منجما أى مفرقا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل معنى الآية أنزل فى شأن رمضان القرآن أو فى فرض صيامه وروى البيهقى وغيره أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزل الزبور لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وفى رواية زيادة وأنزلت التوراة لست خلون من رمضان وأنزل الانجيل لثمان عشرة خلت من رمضان والقرآن هو كلام الله تعالى غير مخلوق وسيأتى تفصيل هذا البحث فى حديث جبريل ان شاء الله تعالى (هدى للناس) أى هاديا لهم من الضلالة وقوله تعالى (وبينات من الهدى) من عطف الخاص على العام لاظهار الشرف المعطوف بافراده بالذكر وقيل الهدى الاول فى الاحكام الاعتقادية والهدى الثانى فى الفرعية (والفرقان) أى الفاصل بين الحق والباطل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى من حضر ولم يكن فى سفر فليصم فيه واذا سافر يباح له الافطار وقال جماعة من العلماء ان من أدركه شهر رمضان مقيما لزمه اكمال صيامه ولو سافر بعد ذلك واستدلوا بهذه الآية وخالفهم الجمهور بدليل أحاديث كثيرة ان النبى سافر فأفطر فى رمضان وقيل من شهد أى رأى الهلال ولذلك قال عليه الصلاة والسلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته الحديث فاذا رآه أحد الناس فى بلدة أو نحوها يلزم الجميع أن يصوموا ونصاب الشهادة عند عدم العلة فى السماء جماعة وعند العلة واحد وتفصيل المسئلة فى الكتب الفقهية (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام

أخر) انما كرره سبحانه لانه ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخه سبحانه وتعالى بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا الاحتمل أن يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فلذلك أباح الفطر للمسافر والمريض ومثله قوله سبحانه وماجعل عليكم فى الدين من حرج وقد ثبت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله) أى تقولوا الله أكبر ليلة الفطر وقد وقع الخلاف بين العلماء فى وقته وسنبين ذلك ان شاء الله تعالى فى الدروس الآتية فى آخر الشهر بحوله تعالى (على ماهداكم) أى على هدايته لكم وارشادكم الى طاعته (لعلكم تشكرون) الله عزوجل على نعمه التى لا تعد ولا تحصى ولنرجع الى الابحاث المتعلقة بالصيام فنقول قد تقدم أن المراد بكتابة الصيام على الامم السالفة على بعض الاقوال ثلاثة أيام من كل شهر وقد ورد فى الترغيب على ذلك ولا سيما الايام البيض وكذا عاشوراء وغيرها أحاديث كثيرة منها عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال أوصانى حبيبى بثلاث لن أدعهن ماعشت بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبأن لا أنام حتى أوتر رواه الامام مسلم وعن أبى قتادة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله رواه مسلم وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صيام الدهر فانزل الله تعالى تصديق ذلك فى كتابه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها رواه الامام أحمد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال له بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل فان لجسدك عليك حظا ولعينك عليك حظا وان لزوجك عليك حظا صم وافطر صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر قلت يارسول الله ان لى قوة قال فصم صوم داود عليه السلام صم يوما وافطر يوما أقول ولذا ورد كراهة صيام الدهر وأما ما ورد فى صوم عاشوراء فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له سنة امامه وسنة خلفه ومن صام عاشوراء غفر له سنة وكذلك ورد فى صوم الاثنين والخميس عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم رواه الترمذى وروى مسلم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعرض الاعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عزوجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيأ الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام الاربعاء والخميس كتبت له براءة من النار وروى عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام الاربعاء والخميس والجمعة بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره * وليعلم أن المرأة لا تصوم تطوعا وزوجها حاضر الا أن تستأذنه فقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال أيما امرأة صامت بغير اذن زوجها فأرادها على شئ فامتنعت عليه كتب الله تعالى عليها ثلاثا من الكبائر وفى رواية فان فعلت جاعت وعطشت ولا يقبله الله تعالى منها وفى مختصر الترغيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ولا تاذن فى بيته الا باذنه رواه البخارى ومسلم وزاد الامام أحمد الا رمضان واعلم أن الصوم له درجات كما قال حجة الاسلام الغزالى عليه الرحمة فى كتاب الاحياء * الفصل الثانى فى أسرار الصوم اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فى سوى الله عزوجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت له خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله

عزوجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين واما صوم خصوص الخصوص فهو صوم الصالحين وهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور * الاول غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل مايذم ويكره والى كل مايشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عزوجل قال صلى الله تعالى عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله تعالى آتاه الله عزوجل ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وروى عن جابر قال صلى الله تعالى عليه وسلم خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة * الثانى حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل انى صائم انى صائم قال الغزالى وجاء فى الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تستأذناه فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا ٢ وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله تعالى عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم * الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه فلذلك حرم الله تعالى سماع الغيبة فقال سماعون للكذب أكالون للسحت وقال عزوجل لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت وقال عليه السلام المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم * الرابع كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل والبطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم كمن يبنى قصرا ويهدم مصرا * الخامس أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ فما من وعاء أبغض الى الله عزوجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادة بان يدخر جميع الاطعمة لشهر رمضان مع أن المقصود من الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى الى أن قال * السادس أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن ذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها اه واعلموا ان لشهر رمضان فضائل لا تحصى وكرامات لا تستقصى ويكفى فيه شرفا وفضلا مارواه البيهقى من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى اما الاولى فانه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه أبدا واما الثانية فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله تعالى من ريح المسك وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة واما الرابعة فان الله عزوجل يامر جنته فيقول لها استعدى وتزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى واما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا فقال رجل من القوم أهى ليلة القدر فقال لا ألم تر الى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم ومن الفضل الذى يساوى فيه الناقص الكامل تفتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار وعن سلمان رضى الله تعالى عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد رزق المؤمن فيه من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ قالوا يارسول الله أليس كلنا لا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى الله عزوجل

٢ قوله غريضا الغريض الطرى أو المهزول اه منه

هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن وهذا شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فمن خفف عن مملوكه فيه غفر الله تعالى له وأعتقه من النار استكثروا فيه من اربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم عزوجل وخصلتين لاغنى لكم عنهما اما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم عزوجل فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه واما الخصلتان اللتان لاغنى لكم عنهما فتسألون الله تعالى الجنة وتعوذون به من النار ومن سقى صائما سقاه الله تعالى من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة رواه ابن خزيمة والبيهقى وأبو الشيخ وابن حبان * واعلموا أيضا أن للصيام آدابا كثيرة ولوازم غزيرة لا يحصل الاجر التام الا بها منها الاخلاص لله سبحانه وتعالى فى العمل لقوله تعالى مخلصين له الدين وقوله عزوجل ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ومنها أكل الحلال والافطار على الحلال ومنها كف الاذى عن الناس ومنها عدم سماع اللهو والغناء المحرم وعدم سماع القصص المحرمة فى الاماكن المذمومة وترك الكذب والغيبة والنميمة وغض النظر عن المحرمات ولله در الشاعر جابر حيث يقول

اذا لم يكن فى السمع منى تصاون * وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى اذا من صومى الجوع والظما * وان قلت انى صمت يوما فما صمت

بل قد نهى عليه الصلاة والسلام عن فضول كلام غير الصائم أيضا بقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال عليه الصلاة والسلام طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله (أقول) وقد عكس الناس الامر فى هذا الزمان فامسكوا المال وأطلقوا اللسان ومن أعظم الفضول تكلم الانسان بكلمة ليضحك بها أصحابه حتى عد ذلك من الكبائر وقد يستشهد له بالخبر المرفوع وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يريد بها الا أن يضحك القوم يهوى بها ابعد ما بين السماء والارض وقال عليه الصلاة والسلام ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يرفعه الله تعالى بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب قال العلماء رحمهم الله تعالى ومن ذلك التكلم فى موافقة من أراد أن يسن سنة سيئة فانه يعذب بتلك الكلمة ما دام أحد يعمل بتلك السنة السيئة ومنه أيضا اعانة الظالم على المظلوم فى أخذ السحت والزقوم قالوا ومن الفضول أيضا أن يحدث الانسان بكل شئ من الاخبار من غير أن يتحقق صدقها فقد قال عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول فيا من طول سنته قد نام انتبه لهذه الايام واحذر غفلة الطغام وخذ قدر البلغة من الطعام واسمع قول الملك العلام يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام يا مريضا لا يقبل من طبيبه هذا شهر الحمية قد جاء لتهذيبه صن لسانك عن اللغو ولا تهذى به فالصوم لى وأنا أجزى به ولكن أين الصيام هذا شهر عمارة المحراب هذا زمان حضور الالباب هذا وقت تلاوة الكتاب للمتقين فيه على الباب كل وقت زحام يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام شهر فيه تكف النفوس كأنها فى حبوس وتظمأ عن الكؤس وتطرق من الخشية الرؤس عن النظر الحرام يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام شهر فيه تملأ المساجد ويخشع فيه الراكع والساجد وينهض الى الخير كل قاعد ويصير الراغب كالزاهد من قلة الطعام كتب عليكم الصيام شهر التعبد والتراويح شهر السهر والمصابيح شهر المتجر الربيح شهر يترك فيه القبيح وتهجر الآثام كتب عليكم الصيام فيه تصح الامور فيه تراق الخمور فيه يتعطل الزور فيه تحنى الظهور من القيام كتب عليكم الصيام فيه ترق القلوب فيه تغفر الذنوب وتتجافى المضاجع والجنوب فتجفو لذيذ المنام كتب عليكم الصيام أيقظوا فيه الاسماع والابصار واحبسوا عن الفضول اللسان المهذار وانهضوا للاستغفار وقت الاسحار واعجبا لمن ينام كتب عليكم الصيام اعزموا على ترك القبائح فى السنة واعملوا ما يصلح للضرائح فالى متى أنتم فى السنة هذا ما يقول لكم الناصح والسلام

المجلس الثالث

(فيما يتعلق بالصوم أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله اللطيف الرؤف العظيم المنان الغنى العلى القوى السلطان الحليم الكريم الرحيم الرحمن الكبير القدير القديم الديان الاول فلا سبق لسبقه المنعم فما قام مخلوق بحقه المولى بفضله على جميع خلقه بشرائف المنائح على توالى الزمان جل عن شريك وولد وعز عن الاحتياج الى أحد وتقدس عن نظير وانفرد وعلم ما يكون وأوجد ما كان أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها وفرق الاشياء بقدرته وجمعها ودحا الارض على الماء وأوسعها والسماء رفعها ووضع الميزان يعز ويذل ويفقر ويغنى ويسعد ويشقى ويبقى ويفنى ويشين ويزين وينقض ويبنى كل يوم هو فى شان مد الارض فأوسعها بقدرته وأجرى فيها أنهارها بصنعته وصبغ ألوان نباتها بحكمته فمن يقدر على صبغ تلك الالوان ثبت بالجبال الراسيات نواحيها وأرسل السحاب بمياه تحييها وقضى ربك بالفناء على جميع ساكنيها كل من عليها فان أنعم على هذه الامة بتمام احسانه وعاد عليها بفضله وامتنانه وجعل شهرها مخصوصا بعميم غفرانه شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن أحمده على ما خصنا به من الصيام والقيام واشكره على بلوغ الآمال وسبوغ الانعام وأشهد أن لا اله الا الله الذى لا تحيط به العقول والاذهان وان محمدا أفضل خلقه وبريته المقدم على الانبياء بقاء معجزته الذى انشق ليلة ولادته الايوان صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر رفيقه فى الغار وعلى عمر فتاح الامصار وعلى عثمان شهيد الدار وعلى على راسخ الايمان وعلى سائر الآل والاصحاب على توالى الزمان (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات المتقدم ذكرها فى الدرس الماضى (فنقول) وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق قد أسلفنا لكم فى الدرسين الماضيين جملة من الابحاث المتعلقة بالصوم وبقيت ابحاث أخر نذكرها ان شاء الله تعالى لكم فى هذا اليوم فمنها ما فى الميزان للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وملخصه أن المذاهب رحمهم الله تعالى اختلفوا فى باب الصوم فى مسائل منها أن الحامل والمرضع اذا أفطرتا خوفا على الولد لزمهما القضاء والكفارة عن كل يوم مد على أرجح قولى الشافعى وأحمد مع قول أبى حنيفة انه لا كفارة عليهما ومع قول ابن عمر وابن عباس انه تجب الكفارة دون القضاء ومنها قول أبى حنيفة وأحمد ان المسافر اذا قدم مفطرا أو برئ المريض أو بلغ الصبى أو أسلم الكافر أو طهرت الحائض فى أثناء النهار لزمهم امساك بقية النهار مع قول مالك والشافعى فى الاصح انه يستحب ومنها قول الائمة الثلاثة ان المرتد اذا أسلم وجب عليه قضاء ما فاته من الصوم حال ردته مع قول أبى حنيفة انه لا يجب ومنها قول الائمة الثلاثة انه يصح صوم الصبى مع قول أبى حنيفة انه لا يصح (أقول) سيأتى ان شاء الله تعالى بحث صوم الصبى مفصلا فلا تغفل وراجع ومنها قول ابى حنيفة والشافعى ان المجنون اذا أفاق لا يجب عليه قضاء ما فاته مع قول مالك انه يجب وهو احدى الروايتين عن أحمد بن حنبل ومنها قول أبى حنيفة وهو الاصح من مذهب الشافعى ان المريض الذى لا يرجى برؤه والشيخ الكبير لا صوم عليهما وانما تجب عليهما الفدية فقط مع قول مالك انه لا صوم عليهما ولا فدية وهو قول للشافعى وهى عند أبى حنيفة وأحمد نصف صاع من بر عن كل يوم وعند الشافعى مد ومنها قول الائمة الثلاثة انه لابد من التعيين فى النية مع قول أبى حنيفة انه لا يشترط التعيين بل ان نوى صوما مطلقا أو نفلا جاز ومنها قول الائمة الثلاثة ان وقت النية فى صوم رمضان ما بين غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى مع قول أبى حنيفة انه لا يجب التعيين أى التبييت بل تجوز النية من الليل فان لم ينو ليلا أجزأته النية الى الزوال وكذلك قولهم فى النذر المعين ومنها قول الائمة الثلاثة ان صوم رمضان يفتقر كل ليلة الى نية مجردة مع قول مالك انه يكفيه فيه واحدة من أول ليلة من الشهر أنه يصوم جميعه ومنها قول الائمة الثلاثة ان صوم النفل يصح بنية قبل الزوال مع قول مالك انه لا يصح بنية من النهار كالواجب واختاره المزنى ومنها قول الائمة الاربعة ان صوم الجنب

صحيح مع قول أبي هريرة وسالم بن عبد الله انه يبطل صومه كما مر أول الباب وانه يمسك و يقضي ومع قول عروة والحسن انه ان أخر الغسل بغير عذر بطل صومه ومع قول النخعي ان كان في الفرض يقضي ومنها قول الاوزاعي بابطال الصوم بالغيبة والكذب مع قول الائمة بصحة الصوم مع النقص ومنها قول أبي حنيفة وأكثر المالكية والشافعية ان الصوم لا يبطل بنية الخروج منه مع قول أحمد ببطلانه ومنها قول الامام مالك والشافعي انه يفطر بالقيء عامدا مع قول الامام أبي حنيفة انه لا يفطر بالقيء الا اذا كان ملء فيه أي اذا استقاء تعمدا ومع قول أحمد في أشهر روايته انه لا يفطر الا بالقيء الفاحش ومع قول الحسن انه يفطر اذا ذرعه القيء ومنها قول الائمة الثلاثة انه لو بقي بين اسنانه طعام فجرى به ريقه لم يفطر ان عجز عن تمييزه ومجه وانه ان ابتلعه بطل صومه مع قول أبي حنيفة انه لا يبطل صومه وقدره بعضهم بالحمصة وبعضهم بالسمسمة الكاملة ومنها قول الائمة الثلاثة ان الحقنة تفطر الا في رواية عن مالك وكذلك التقطير في باطن الاذن والاحليل والاسعاط مفطر عند الشافعي ولم أجد لغيره في ذلك كلاما ومنها قول الائمة الثلاثة ان الحجامة لا تفطر مع قول أحمد انها تفطر الحاجم والمحجوم ومنها اتفاق الائمة على انه لو أكل شاكا في طلوع الفجر ثم بان انه طلع بطل صومه مع قول عطاء وداود واسحق انه لا قضاء عليه وحكي عن مالك انه يقضي في الفرض (أقول) وقد ذهب الى عدم الافطار في الفرض وغيره من الحنابلة الشيخ أبو العباس تقي الدين عليه الرحمة ومنها قول أبي حنيفة والشافعي انه لا يكره الكحل للصائم مع قول مالك وأحمد بكراهته بل لو وجد طعم الكحل في الحلق أفطر عندهما وقال ابن أبي ليلى وابن سيرين يفطر بالكحل ومنها قول الائمة الثلاثة ان العتق والاطعام والصوم في كفارة الجماع في نهار رمضان عامدا على الترتيب مع قول مالك ان الاطعام أولى وانها على التخيير ومنها قول الشافعي وأحمد ان الكفارة على الزوج مع قول أبي حنيفة ومالك ان على كل منهما كفارة فان وطئ في يومين من رمضان لزمه كفارتان عند مالك والشافعي وقال أبو حنيفة اذا لم يكفر عن الاول لزمه كفارة واحدة وان وطئ في اليوم الواحد مرتين لم يجب بالوطء الثاني كفارة وقال أحمد يلزمه كفارة ثانية وان كفر عن الاول ومنها اتفاق الائمة الاربعة على ان الكفارة لا تجب الا في أداء رمضان مع قول عطاء وقتادة انها تجب في قضائه ومنها قول الائمة الثلاثة انه لو طلع الفجر وهو يجامع ونزع في الحال لم يبطل صومه مع قول مالك انه يبطل ومنها قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد في احدى روايتيه ان القبلة لا تحرم على الصائم الا ان حركت شهوته مع قول مالك انها تحرم عليه بكل حال ومنها قول الائمة الثلاثة انه لو قبل فامذى لم يفطر مع قول أحمد انه يفطر وكذلك لو نظر بشهوة فانزل لم يفطر عند الثلاثة وقال مالك يفطر ومنها قول الائمة الثلاثة ان للمسافر الفطر بالاكل والشرب والجماع مع قول أحمد انه لا يجوز له الفطر بالجماع ومتى ما جامع المسافر عنده فعليه الكفارة ومنها قول أبي حنيفة ومالك ان من أفطر في نهار رمضان وهو صحيح مقيم تلزمه الكفارة مع القضاء مع قول الشافعي في أرجح قوليه وأحمد انه لا كفارة عليه ومنها قول الائمة الاربعة ان من أفسد صوم يوم من رمضان بالاكل أو الشرب عامدا ليس عليه الا قضاء يوم مكانه مع قول ربيعة لا يحصل الا بصوم اثني عشر يوما ومع قول ابن المسيب انه يصوم عن كل يوم شهرا ومع قول النخعي انه لا يحصل الا بصوم ألف يوم ومع قول علي وابن مسعود انه لا يقضيه صوم الدهر ومنها قول أبي حنيفة والشافعي ان من أكل أو شرب أو جامع ناسيا لم يبطل صومه مع قول مالك انه يبطل ومع قول أحمد انه يبطل بالجماع دون الاكل والشرب وتجب به الكفارة ودليل أبي حنيفة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من أكل أو شرب ناسيا وهو صائم فانما أطعمه الله تعالى وسقاه ومنها قول أبي حنيفة ومالك انه لو سبق ماء المضمضة أو الاستنشاق الى جوف الصائم من غير مبالغة بطل صومه مع قول الشافعي في أرجح قوليه وهو قول أحمد انه لا يبطل ومنها قول مالك والشافعي وأحمد ان من أخر قضاء رمضان مع امكان القضاء حتى يدخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد مع قول أبي حنيفة انه يجوز له التأخير ولا كفارة عليه واختاره المزني وقال الائمة الثلاثة انه لا يجوز تأخير القضاء ومنها قول الائمة الثلاثة باستحباب صيام ستة أيام من شوال مع قول مالك انه لا يستحب صيامها وقال في الموطا لم أر احدا من أشياخي يصومها وأخاف أن يظن انها فرض اه (قلت) وما نقله المناوي في شرحه الكبير للجامع

الصغير وصاحب الدرر واللآلئ ان الامام الاعظم قال بكراهية صومها فهو قول غير مصحح عنه ولا مروي بطريق سالم منه فلا تغفل (أقول) واتفقوا على ان الصائم اذا غمس جميع بدنه ورأسه في الماء لا يفطر خلافا للشيعة فان ذلك عندهم مفطر واتفق العلماء المتأخرون على ان شرب الدخان والتتن وجعله في الانف والاستعاط به ان ذلك مفطر لدخوله الى الجوف والباطن فلا تغفل وفي حاشية الحضرمية للجد العلامة الشيخ حسين أفندي عليه الرحمة لو خرجت مقعدته مبسور ٢ لم يفطر وكذا ان أعادها ولا يجب غسل ما عليها من القذر ولا يضر عوده معها للباطن لانه لم يفارق معدته سواء ضره الغسل أم لا اه (قلت) وذكر أئمتنا الحنفية ان الصائم لا يبالغ في الاستنجاء خوفا من أن يدخل في باطنه الماء فليحفظ * واعلموا أنه يسن تعجيل الفطر اذا تيقن الغروب وتقديمه على الصلاة للخبر الصحيح لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وفي خبر أحب عبادي الي أعجلهم فطرا على تمر وأفضل منه رطب وجد لما صح كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فان لم يكن فعلى تمرات فان لم يكن حسا حسوات من ماء للخبر الصحيح اذا كان أحدكم صائما فليفطر على التمر فانه بركة فان لم يجد فعلى ماء فانه طهور وأخذ منه ابن المنذر وغيره وجوب الفطر على التمر وقال المحب الطبري يسن له على ماء زمزم ولو جمع فحسن وفيه المخالفة لرواية التمر فلا تغفل وقيل الاولى في هذا الزمن أن يفطر على ماء النهر ويأخذه بيده لعدم وجود الحلال الصرف وان قيل ان ماء الانهر الكبار كدجلة لا يخلو عن شبهة لانه كما قال ابن حجر ان كثيرا من البلاد التي على حافتها يحفرون حفرا للصيد السمك فيمتلئ ماء ثم يسدون عليه فاذا أخذوا السمك منه فتحوا السد فيختلط ماؤهم المملوك بغيره وهذه شبهة قوية اه وحكمة الافطار على التمر كما قال ابن حجر انه لم تمسه نار مع ازالته لضعف البصر الحاصل من الصوم لاخراجه فضلات المعدة ان كانت والاغتذية للاعضاء الرئيسة وقول الاطباء انه يضعفه أي عند المداومة عليه والشيء قد ينفع قليله ويضر كثيره قيل والزبيب أخو التمر ان لم يوجد اه قال بعض الافاضل ومن القبيح افطار كثير من الناس على الدخان والتتن مع ان العلماء اختلفوا فيه كما قال العلامة ابن عابدين فمنهم من قال بحرمته ومنهم من قال بكراهته ومنهم من قال باباحته كالثوم والبصل وقد ورد فيهما من اكل هاتين الشجرتين فلا يقرب مسجدنا يؤذنا وستأتي تتمة البحث ان شاء الله تعالى ويسن أن يقول عقب فطره اللهم لك صمت أي لا لغرض ولا لاحد غيرك وعلى رزقك أفطرت وروي ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله تعالى وفي رواية يا واسع الفضل اغفر لي * واعلموا ان من السنن في الصيام السحور وتاخيره لما في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الصلاة قلت كم بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تسحروا فان السحور بركة والبركة التي فيه القوة على الصيام لخفة المشقة على المتسحر وقيل لانه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء في وقت نزول الرحمة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر رواه مسلم ومعناه انه الفارق بين الصيامين فانهم لا يتسحرون وقال عليه الصلاة والسلام ان الله وملائكته يصلون على المتسحرين * واعلموا رحمكم الله تعالى وايانا ان من أعظم القرب في شهر رمضان صلاة التراويح ففي شرح السفيري باب فضل من قام رمضان حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال حدثني أبو سلمة ان أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لرمضان من قامه ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومعنى قوله عليه السلام ايمانا أي مصدقا بما وعد الله تعالى من الثواب عليه ومعتقدا الفضله وقوله احتسابا أي يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة من غير رياء ولا سمعة وقوله غفر له ما تقدم من ذنبه قيل الصغائر والكبائر ما عدا حقوق العباد وقيل الصغائر فقط قال العلماء والمراد بقيامه أن يصلي صلاة التراويح في لياليه وهي سنة باتفاق العلماء وانما سميت بالتراويح لانهم كانوا يستريحون بعد كل تسليمتين ويسمى كل أربع منها ترويحة فهي خمس ترويحات وأهل المدينة كانوا يصلونها ستا وثلاثين ركعة قال الامام الشافعي

٢ قوله مبسور أي من فيه باسور اه منه

رحمه الله تعالى رأيت أهل المدينة يصلون تسعة وثلاثين ركعة منها ثلاث الوتر وروى الامام البخارى فى صحيحه عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أخبرته ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أما بعد فانه لم يخف على مكانكم ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والامر على ذلك قال بعض العلماء يحتمل عدم خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم وجوها الاول أن يكون أوحى الله تعالى اليه ان صلى هذه الصلاة معهم فرضت عليهم الثانى أن يكون ظن عليه الصلاة والسلام انها ستفرض عليهم الثالث أن يكون خاف صلى الله تعالى عليه وسلم أن يظن أحد من أمته بعده اذا داوم عليها انها واجبة أى يتوهموا فرضيتها فيعجزوا عنها والله تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا من شفقته عليه الصلاة والسلام فانه كان بالمؤمنين رحيما قال العلماء وصلاها باقى الشهر فى بيته واستمر ترك صلاة التراويح مع الجماعة الى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه حتى جمع الناس عليها جميع شهر رمضان قال ابن الملقن ذكر أن عليا كرم الله تعالى وجهه مر ليلة ببعض مساجد الكوفة فى رمضان وهم يقومون فقال نور علينا عمر مساجدنا نور الله تعالى عليه قبره فان قيل قد ثبت فى صحيح البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال فى التراويح نعمت البدعة هذه فسماها بدعة مع ان البدعة هى الفعل الذى لم يعهد فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه قد عهد فعلها فى الجملة فقد أجاب الكرمانى باجوبة منها انه لم يثبت فعلها كل ليلة مع الجماعة ومنها انه لم يثبت فعلها بهذه الصفة أى بهذا العدد المعين فلذا قيل أربعون وقيل ست وثلاثون ماعدا الوتر وقيل عشرون وهو المشهور ومنها انه لم يثبت فعلها أول الليل فلهذا قال الحليمى فى منهاجه ينبغى أن يكون الشروع فيها بعد مضى ربع الليل أو قريبا منه فان قيل البدعة على ما قال غير واحد تنقسم الى خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة فمن أى قسم صلاة التراويح فالجواب انها من قسم المندوبة وقد صرح بذلك العز بن عبد السلام فى قواعده فمثل للبدعة الواجبة بتعلم النحو لاجل القرآن والحديث والمحرمة بمذهب القدرية والمجسمة ونحوهما وقال ان الرد عليهم من البدع الواجبة وللمندوبة بصلاة التراويح وبناء المدارس ونحوها وللمكروهة بزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وللمباحة بالمصافحة بعد صلاة العصر بل قيل سنة وأصل المصافحة سنة فقد ورد اذا التقى المسلمان وتكاشرا وتصافحا تحاتت عنهما ذنوبهما وأما تقبيل يد العالم والسلطان فقيل لا بأس به وتقبيل الارض والعتبات كما يفعله الجهلة فهو حرام والحاصل ان التراويح مندوبة ومسنونة بفعل عمر رضى الله تعالى عنه لقوله عليه الصلاة والسلام اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر لاسيما وقد اتفقت معه الصحابة فقد زال اسم البدعة عنها لكن لا تفعل بكثرة التطويل الممل ولا بالاستعجال المخل من غير خشوع ولا تكميل أركان كما يفعلها كثير من أئمة الزمان وكذا صلاتها فى البيت باستئجار الامام كما يفعله كثير من الانام فذلك مكروه أشد الكراهة كما نص على ذلك فى الفتاوى الهندية فلا تغفل *عباد الله قد مضى عنكم شهر رجب وشعبان ولعل أكثر أيامهما ذهبت فى العصيان وها أنتم اليوم فى شهر رمضان وهو شهر الاعتاق من النيران لمن ترك الذنوب واستحى من رقيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر أقبل على المقبولين بتكثير الاجور وعلى الصادقين بتوفير النور وعلى المتقين بالفرح والسرور وعلى التائبين بتقويم الامور وعلى العامل بتكميل نصيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر يتم به الاسعاد والتكريم ويتفضل بجزيل الانعام الملك الكريم ويصفد فيه كل شيطان رجيم ويعافى فيه مريض الخطايا السقيم اذا امتثل أمر طبيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر تتوفر فيه العطايا والمنح ويتحصل فيه كل مأمول مقترح ويتم للعابد بالثواب الفرح ويغفر للعاصى كل ما اجترح ويعاد على من أصلح وصلح باذنائه وتقريبه الصوم لى وأنا أجزى به فيه الاحباب بالدعاء يضجون وبالتضرع فى جميع أوقاته يضجون وفى نهاره من الغفلات يتحرجون وفى دياجيه للمولى الكريم يناجون وبآمالهم لسيدهم يلتجئون

اذا سكن كل حبيب الى حبيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر يعفو فيه عن عباده الرؤف الرحيم فاحفظوه لعله يحصل لكم جنات النعيم ويقيكم فى القيامة هول الجحيم اذا انزعجت القلوب لهيبة الهيبة الصوم لى وأنا أجزى به لقد سعد من اتقى فيه وشبا ولقد نال مأمول الغفران فيه من رجا ولقد تم حال من أفطر فيه على السؤال والتجا وتسحر فى جوف الليل وظلمة الدجا ببكائه ونحيبه الصوم لى وأنا أجزى به فصححوا رحمكم الله الفروض والنوافل واحترسوا من سهوات الغفلات القواتل وتيقظوا قبل لحاق الاواخر تنجوا من عقاب الله وتعذيبه الصوم لى وأنا أجزى به واحذروا غيبة الناس فانها تحبط الاجر وجانبوا كل الحرام فانه سبب الطرد والهجر وعظموا شهركم فانه عظيم الامر وانتظروا فيه بحسن اليقظة ليلة القدر فانها غريبة وعجيبة عجيبه الصوم لى وأنا أجزى به واياكم فيه وفضول النظر والكلام واجتهدوا فيه فى الصلاة والصيام فاذا سلم رمضان سلم جميع العام عساه يقيكم شر الوقوف على الاقدام يوم يفر المرء من أخيه والنسيب من نسيبه الصوم لى وأنا أجزى به وحققوا فى صيامكم التقوى والورع ولازموا الحذر قبل يوم الفزع وراقبوا مولاكم لعله اذا اطلع منحكم أفضل المنح ووهب أحسن الخلع فى دار جزائه وثوابه اذا تبرأ الحبيب من حبيبه الصوم لى وأنا أجزى به اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ووفقنا للتزود قبل العلة وألهمنا اغتنام الزمان ووقت المهلة اللهم انا نستغفرك ونتوب اليك ونعتمد عليك ونسألك بنور وجهك الكريم وسلطانك العظيم توبة صادقة وأوبة خالصة وانابة كاملة ومحبة غالبة وشوقا اليك ورغبة فيما لديك وفرجا عاجلا ورزقا حلالا واسعا اللهم انا نسألك لسانا رطبا بذكرك وقلبا منعما بشكرك وبدنا هينا لينا بطاعتك وأعطنا مع ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اللهم الطف بنا فى قضائك وعافنا من بلائك وهب لنا ما وهبته لاوليائك واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك وتوفنا وأنت راض عنا وقد قبلت اليسير منا واجعلنا يا مولانا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اللهم اعصمنا من شر الفتن وعافنا من جميع المحن وأصلح منا ما ظهر وما بطن ونق قلوبنا من الحقد والحسد ولا تجعل علينا تباعة لاحد اللهم انا نعوذ بك من الفقر الا اليك ومن الذل الا لك ومن الخوف الا منك ونعوذ بك أن نقول زورا وأن نغشى فجورا ونعوذ بك من شماتة الاعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة وفجأة النقمة اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين واغفر لنا ولوالدينا وللجماعة الحاضرين ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

المجلس الرابع

(فى صوم الصبى وما يتعلق به كالعقيقة ونحوها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى يسبح له البحار الطوافح والسحب السوائح والابصار الطوامح والافكار والقرائح العزيز فى سلطانه الكريم فى امتنانه ساتر المذنب فى عصيانه ورازق الصالح والطالح تقدس عن مثل وشبيه وتنزه عن نقص يعتريه يعلم خافية الصدور وما فيه من سر أضمرته الجوانح لا يشغله شاغل ولا يبرمه سائل ولا ينقصه نائل تعالى عن الند المماثل والضد المكادح يسمع تغريد الورقاء على الغصن وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ويتكلم وكلامه مكتوب فى اللوح مسموع بالاذن بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح موصوف بالسمع والبصر مرئى فى الجنة كما يرى القمر من شبهه أو كيفه فقد كفر هذا مذهب أهل السنة والاثر ودليلهم جلى واضح ينجى من يشاء كما يشاء ويهلك فهو المسلم والمسلم والمهلك لم ينتفع كنعان بالنسب يوم الغرق لانه مشرك قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح أحمده على تسهيل المصالح وأشكره على ستر القبائح وأصلى على رسوله محمد أفضل غاد ورائح صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر ذى الفضل الراجح وعلى عمر العادل فلم يراقب ولم يسامح وعلى عثمان الذى بايع عنه الرسول فيا لها صفقة رابح وعلى على البحر الخضم الطافح وعلى جميع آله وأصحابه ذوى الرأى السديد والعمل

الصالح *(أمابعد)* فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (فنقول) قال المفسرون (وأمر أهلك) المراد بهم أهل بيته وقيل جميع أمته ولم يذكر ههنا الامر من الله تعالى له (بالصلاة) بل قصر الامر على أهله اما لكون اقامته بها أمرا معلوما أو لكون أمره بها قد تقدم فى قوله وسبح بحمد ربك الخ أو لكون أمره بالامر لاهله أمرا له ولهذا قال (واصطبر عليها) أى اصبر على محافظة الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تشتغل عنها بشئ من أمور الدنيا وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول أخرج البخارى وابن عساكر وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآية كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجئ الى باب على صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول الصلاة رحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأخرج أحمد والبيهقى وغيرهما عن ثابت قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وعن عبد الله بن سلام قال السيوطى بسند صحيح قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وقرأ وأمر أهلك بالصلاة الآية وكان عروة بن الزبير اذا رأى ما عند السلاطين قرأ هذه الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة وكان بكر ابن عبد الله المزنى اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله (نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك وتشتغل بذلك عن الصلاة (نحن نرزقك) ونرزقهم (والعاقبة) المحمودة وهى الجنة (للتقوى) أى لاهل التقوى على حذف المضاف كما قال الاخفش وفيه دليل على ان التقوى هى ملاك الامر وعليها تدور دوائر الخير قال السفيرى عليه الرحمة ويجب على ولى الصغير أن يأمره بالصلاة اذا بلغ الصغير سبع سنين واذا بلغ عشر سنين أن يضربه وكذا الامر بالصوم ان أطاقه والمراد بالولى الاب والجد والوصى والقيم فان ترك الولى الامر أو الضرب اثم وكما يجب عليه ذلك يجب عليه تعليمه الطهارة وما يلزم من العلم ونهيه عن فعل المحرمات وأمره بقضاء ما فاته من الصلاة وضربه عليها وليعلم ان الائمة اختلفوا فى رجوع ثواب الصبى لمن من صلاة وحج وقراءة ونحو ذلك فالذى ذكره الامام النووى الشافعى فى فتاويه ان ثواب ذلك للصبى لا لوالديه بل يثاب وليه على أمره له بذلك وهذا مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه واختلف الحنفية ففى فتاوى قاضيخان اذا فعل الصغير من الحسنات قال أبو بكر الاسكافى تكون حسناته له دون أبويه لقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وانما يكون لوالده من ذلك أجر التعليم كما قالت الشافعية وقال بعضهم حسناته تكون لابويه لما روى عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال من جملة ما ينتفع به المرء بعد موته أن يترك ولدا علمه القرآن والعلم فيكون لوالديه أجر ذلك من غير أن ينقص من أجر الولد شئ وهذا يرجع الى قول الشافعى أيضا وأما المرأة فكما ذكرنا أنها من الاهل فيلزم أمرها بذلك لكن المرأة اذا أرادت أن تصوم نفلا فلا تصوم الا برضا زوجها فان الصيام بلا اذنه على ما قال ابن حجر فى الزواجر من الكبائر كما تقدم وكذا يجب على السيد أن يأمر رقيقه ورقيقته بالصلاة والصوم وغير ذلك كالولد والاقارب وأولى الارحام وليعلم ان للوالد على الولد حقوقا وللولد على والديه حقوقا والحقوق قسمان واجبة ومندوبة فمن الحقوق الواجبة عليه النفقة والكسوة فقد روى كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول ومنها أمره بالصلاة كما تقدم وأما حقوقه المستحبة فكثيرة منها أن يؤذن فى اذنه اليمنى ويقيم فى اليسرى ولله در من قال

آذان المرء حين الطفل يأتى * وتأخير الصلاة الى الممات
دليل ان محياه قليل * كما بين الأذان الى الصلاة

ولله در من قال أيضا

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
فاجهد لنفسك أن تكون اذا بكوا * فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

ثم ليعلم ان غير الاب يقوم مقامه فى الاذان روى الترمذى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذن فى اذن الحسين رضى الله تعالى عنه حين ولدته فاطمة وروى ابن السنى عن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ولد له مولود فاذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان وأم الصبيان التابعة من الجن والحكمة أيضا فى الاذان والاقامة أن يكون أول ما يدخل سمعه عند قدومه الى الدنيا توحيد ربه عز وجل كما يلقن التوحيد عند خروجه منها ويستحب أيضا قراءة سورة الاخلاص فى أذنه اليمنى فقد ورد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فى أذن مولود وللاخلاص فضائل عظيمة منها ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال أقبلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد السورة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت فسألته ماذا يا رسول الله فقال الجنة وعن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن من قرأ قل هو الله أحد فقد قرأ ثلث القرآن وروى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن معاذ بن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد يختمها عشر مرات بنى الله عز وجل له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله تعالى عنه اذن نستكثر يا رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكثر وأطيب وهذا كما للكثير من الآيات والسور خواص وثواب عظيم من ذلك ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام فى آية الكرسى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه ان أباه أخبره انه كان لهم جرين فيه تمر وكان مما يتعاهده فيجده ينقص فحرسه ذات ليلة فاذا هو بدابة كهيئة الغلام المحتلم قال فسلم فرد السلام فقلت من أنت جن أم انس قال جن فقلت ناولنى يدك فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هذا خلق الجن فقال لقد علمت الجن ان ما فيهم من هو أشد منى فقلت ما يحملك على ما صنعت فقال بلغنى انك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك فقلت ما الذى يحرزنا منكم قال هذه الآية آية الكرسى قال فتركته وغدا أبى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال صدق الخبيث رواه ابن حبان بنقل الترغيب وروى الحاكم سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن لا تقرأ فى بيت وفيه شيطان الا خرج منه آية الكرسى وكذا ورد فى المعوذتين قال عقبة بن عامر بينما أسير مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة وفى سورة يس قوله عليه الصلاة والسلام قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرؤها على موتاكم رواه الامام أحمد ولنرجع الى ما نحن بصدده من القراءة فى أذن المولود قال العلماء فكما يسن قراءة الاخلاص فى أذنه يسن قراءة انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال بعض الحنفية ويلف المولود اذا ولد فى خرقة بيضاء نقية ولا يلف فى خرقة صفراء ويستحب أن يحنك الولد عند ولادته بتمر بأن يمضغ التمر ويدلك به حنكه ويفتح فمه حتى يدخل الى جوفه منه شئ فان لم يوجد تمر فبحلو كعسل وينبغى أن يكون المحنك له من أهل الخير فان لم يكن رجل فامرأة صالحة فانه كان يؤتى بالصبيان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدعو لهم ويحنكهم قال الامام الغزالى ويستحب أن يلقن الصبى أول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك أول حديثه ومن حقوق الولد على وليه أن يحسن اسمه قال صلى الله تعالى عليه وسلم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم وأفضل الاسماء عبد الله وعبد الرحمن ويستحب أن تكون التسمية يوم السابع من ولادته ويستحب تسمية السقط لخبر ورد فيه فان تركه طالبه بذلك يوم القيامة حكى الغزالى ان السقط يوم القيامة يسعى الى أبيه فيقول أنت ضيعتنى وأنت تركتنى ولا اسم لى فان لم يعلم هل السقط ذكر أم أنثى سمى باسم يصلح لهما كحمزة وطلحة وعمارة ونحو ذلك وقال الامام مالك لا يسمى ما لم يستهل صارخا ويستحب تغيير الاسم القبيح فقد ورد ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير اسم عاصية الى جميلة وفى الصحيحين ان زينب كان اسمها برة فقيل تزكى نفسها فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب وفى الصحيح ان شخصا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما اسمك قال حزن قال أنت سهل قال لا أغير اسما

سمائه أى فازالت الحزونة فيه وفى أولاده والحزونة غلظ الوجه وشئ من القساوة وبهذا يعرف خطأ من
يسمى ولده بعبد فلان وعبد فلان ويشمئز عن التسمية بعبد القادر وعبد الملك وعبد الرحمن فهلا علم سر قوله تعالى
حتى اذا آتاهما صالحا جعلا له شركاء على بعض التفاسير فتذكروا ولا تغفل ومنها الختان قال ابن حجر فى كتابه الزواجر
الكبيرة التاسعة والثمانون بعد الثلثمائة ترك ختان الرجل والمرأة بعد البلوغ كذا ذكره بعضهم وله نوع وجه فى
ترك ختان الرجل لما يترتب على ذلك من المفاسد التى من جملتها عدم صحة الصلاة غالبا لان غير المختون لا يصح استنجاؤه
حتى يغسل الحشفة التى داخل قلفته لانها لما كانت مستحقة الازالة كان ما تحتها فى حكم الظاهر فوجب غسله
والغالب من أحوال غير المختونين التساهل فى ذلك وعدم الاعتناء به فلا تصح صلاتهم فكأن هذا هو ملحظ من قال
بأن ذلك كبيرة وأما كون تركه فى حق الانثى كبيرة فلا وجه له قال فى شرح المنهاج انا ان اوجبنا الختان فتركه بلا عذر
فسق انتهى أى فى حق الذكر فسق دون الانثى فانه فى حقها ليس بكبيرة ولما كان لا يتم تطهير الحشفة على أتم وجه
كان عدم الختان من الكبائر عند بعض العلماء لما أن التحفظ والاستبراء التام والتنزه من البول أمر لازم فعن أنس
رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر من البول
وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كنا نمشى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمررنا على قبرين فقام فقمنا
معه فجعل لونه يتغير حتى رعد كم قميصه فقلنا مالك يارسول الله فقال ألا تسمعون ما أسمع فقلنا وماذاك يانبى الله قال
هذان رجلان يعذبان فى قبورهما عذابا شديدا فى ذنب هين قلنا فيم ذلك قال كان أحدهما لا يستنزه من البول وكان
الآخر يؤذى الناس بلسانه ويمشى بينهم بالنميمة فدعا بجريدتين من جرائد النخل فجعل فى كل قبر واحدة قلنا
وهل ينفعهم ذلك قال نعم يخفف عنهما ما دامتا رطبتين وقوله فى ذنب هين يعنى هين عندهما وفى ظنهما أو هين عليهما
اجتنابه لان النميمة محرمة اتفاقا فقد روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال من مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله تعالى عليه نارا فى قبره تحرقه الى يوم القيامة وعن حذيفة قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفى رواية نمام وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الدروس
الآتية تفصيل الغيبة والنميمة وكونهما من الكبائر المحرمة ولنرجع الى تتمة بحث الختان * فنقول ان الامام
الاعظم قد توقف فى زمنه كما توقف من شدة ورعه رضى الله تعالى عنه فى خمسة عشر مسئلة أو أكثر والذى يقتضيه
كلام العلماء أن وقته عند السبع لانه وقت الامر بالصلاة واعلم انهم اختلفوا فى ان النبى عليه الصلاة والسلام هل
ولد مختونا أم لا فقيل نعم لما رواه فى الجامع الصغير عن أنس من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوآتى
وقيل هذا ضعيف وقد ولد اثنا عشر نبيا مختونين والختان كما قيل من الكلمات التى ابتلى ابراهيم عليه السلام بهن
فأتمهن كما قال تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال
عهدى الظالمين وقيل هى شرائع الاسلام وقيل ذبح ولده وقيل أداء الرسالة وقيل خصال الفطرة وهى الختان
ونتف العانة وتقليم الاظفار ونحوها ولنرجع الى حقوق الولد على والده * فنقول قال العلماء منها أن يعلمه القرآن
ويزوجه اذا بلغ فقد ذكر أبو الليث السمرقندى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال حق الولد على الوالد ثلاثة
أشياء أن يحسن اسمه اذا ولده ويعلمه الكتاب اذا عقل ويزوجه اذا أدرك وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الغلام يعق
عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث
عشرة سنة يضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ
بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة قال فى شرعة الاسلام لبعض العلماء الحنفية فان لم يزوجه وأحدث
حدثا فالاثم بينهما قال والولد أمانة الله عند والده أودعه اياه طاهرا على فطرة الاسلام فينبغى أن يؤديه الى الله تعالى
طاهرا مطهرا ويبذل الجهد فى تربيته وصيانة عرضه قال أبو الليث وجاء رجل بابنه الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال
ابنى هذا يعقنى فقال عمر للابن أما تخاف من عقوق والدك فان من حق الوالد كذا وكذا فقال الابن يا أمير المؤمنين أما
للابن على والده حق قال نعم عليه أن ينتخب أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب قال فوالله ما انتخب أمى ما هى الا سندية

اشتراها بأربعمائة درهم ولا حسن أسمى سمانى جعلا ولا علمنى من كتاب الله شيأ فالتفت عمر الى أبيه وقال تقول ابنى
يعقنى وقد عققته قبل أن يعقك قم عنى ومن حقوق الولد على والده أن يسوى بينه وبين بقية أولاده فى العطية
ذكورهم واناثهم سواء فان لم يسو كره له الا اذا علم ورع أحد أولاده فلا بأس * ومنها معاشرته باللطف فقد كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدلع لسانه للحسين رضى الله تعالى عنه فاذا رآه حركه له * ومنها أن يعلمه حرفة
صالحة فان الحرفة أمان من الفقر فقد كانت الانبياء والاولياء أصحاب حرف يأكلون منها * ومنها أن يدعو له بالخير
ففى الحديث دعاء الوالد لولده كدعاء النبى لامته ولا يدعو عليه بالشر * ومنها أن يطرفه بشئ من فواكه السوق فقد
ورد فى الحديث من اشترى لعياله شيأ ثم حمله بيده اليهم حط عنه ذنب سبعين سنة وليبدأ بالاناث فى الاعطاء لانهن
أضعف قلوبا وجاء فى الحديث من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على
النار * (ومنها العقيقة) قال الشعرانى فى الميزان العقيقة عند مالك والشافعى مستحبة وعند أبى حنيفة مباحة
وعند أحمد فى أشهر روايتيه سنة والثانية أنها واجبة واختارها بعض أصحابه وهو مذهب الحسن البصرى وداود
الظاهرى وان السنة فى العقيقة عند الائمة الثلاثة عن الغلام شاتان وعن الجارية واحدة وقال مالك عن الغلام شاة
واحدة كما فى الجارية وذهب الشافعى وأحمد الى استحباب عدم كسر عظام العقيقة وذهب غيرهما الى استحباب
كسرها تفاؤلا بالذبول وكثرة التواضع وخمود نار البشرية اه وقال السفيرى قال العلماء يستحب للوالد أن يعق عن
ولده وكل من تلزمه النفقة فى معنى الوالد والسنة أن يعق عن الولد الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة وفضل الذكر على
الانثى فى العقيقة لان السرور بالغلام أكثر فان ذبح عن الغلام شاة حصل أصل السنة ولو ولد له ولدان فذبح عنهما
شاة واحدة لم تحصل سنة العقيقة ويشترط أن ينوى عند ذبحها انها عقيقة كما فى الاضحية ويستحب أن يقول عند
ذبحها بعد التسمية اللهم لك واليك عقيقة فلان ويستحب أن يفصل أعضاءها ولا يكسر شيأ من عظامها تفاؤلا
بسلامة أعضاء المولود نعم يجوز كسرها بلا كراهة ويستحب أن لا يتصدق بلحمها نيأ بل يطبخه بشئ حلو ويتصدق
به على الفقراء ويستحب أن يأكل منها ويتصدق ويهدى والسنة أن يكون ذبحها فى اليوم السابع ولا تفوت
بتأخيرها عن السبعة لكن يستحب أن لا يؤخرها عن البلوغ فان بلغ سقط حكمها عن الوالد والولد مخير ان شاء عق
عن نفسه ولو مات بعد اليوم السابع وبعد التمكن من الذبح يستحب أن يعق عنه ويستحب أن تذبح أول النهار
وأن يدفع للقابلة رجل العقيقة ويكره أن يلطخ رأس المولود بدمها كما كان فى الجاهلية فانهم كانوا يضعون
قطنة فى دم العقيقة ويجعلونها على رأس المولود فأمرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجعلوا مكان الدم
خلوقا فالسنة أن يلطخ رأسه بخلوق أو زعفران ويستحب أن يحلق رأسه يوم السابع أيضا وأن يتصدق بوزن شعره
ذهبا أو فضة سواء فيه الذكر والانثى فان فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزنت شعر حسن وحسين وزينب
وأم كلثوم فتصدقت بزنة ذلك فضة ويستحب أن يكون الحلق بعد الذبح وفعل العقيقة أفضل من التصدق بثمنها
عندنا ١ وسن الشاة التى تذبح كالاضحية جذعة ٢ ضأن أو ثنية ٣ معز وذهب الامام أحمد بن حنبل فى احدى روايتيه
الى أنها واجبة وذهب الامام الاعظم أبو حنيفة أنها ليست بواجبة ولا سنة بل هى بدعة واستدل الشافعى على
استحبابها بما رواه الترمذى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق
رأسه ويسمى فاختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتهن بعقيقته فقيل معناه
لا ينمو نموّ مثله حتى يعق عنه وأجود ما قيل فى معناه أنه اذا لم يعق عنه لم يشفع فى والديه يوم القيامة فان الولد اذا مات
دون البلوغ يشفع فى والديه الا اذا لم يعق عنه هذا ما اختاره الامام أحمد رحمه الله تعالى قال صلى الله تعالى عليه وسلم
ذرارى المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافعين مشفعين هذا ومن جملة حقوقه تربيته وتأديبه روى جابر عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع * وأما حقوق الوالدين
فكثيرة وعقوقهما من أكبر الكبائر وقد ورد فى ذلك آيات عديدة وأحاديث سديدة منها قوله تعالى ولا تقل لهما

١ أى الشافعية اه منه ٢ ما تمت له سنة أو أقل اه منه ٣ هى ما دخل فى الثانية أو الثالثة اه منه

أف وقوله سبحانه أن اشكرلى ولوالديك وغيرذلك ومنها مارواه طلحة قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يارسول الله انى أريد الجهاد فى سبيل الله تعالى قال أملك حية قلت نعم قال الزم رجلها فثم الجنة وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم ابناؤكم ومن أتاه أخوه مستنصلا فليقبل ذلك محقا كان أومبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض وفى حديث آخر كل الذنوب يؤخر منها ماشاء الى يوم القيامة الا العقوق فانه يعجله لصاحبه وفى حديث آخر لا ينظر الله تعالى الى العاق ومدمن الخمر والمنان عطاءه وفى حديث آخر ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق والديوث والرجلة أى المرأة المتشبهة بالرجال ومن جملة عقوقه انتسابه الى غيره قال عليه الصلاة والسلام من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام وروى أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه من ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا رواه البخارى وغيره وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال رقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المنبر فلما رقى الدرجة الاولى قال آمين ثم رقى الثانية فقال آمين ثم رقى الثالثة فقال آمين فقالوا يارسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات قال لما رقيت الدرجة الاولى جاءنى جبريل فقال شقى عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له فقلت آمين ثم قال شقى عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة فقلت آمين ثم قال شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فعليكم عباد الله بحسن تربية أولادكم وبر آبائكم وخدمة أمهاتكم والتزود لمعادكم فكأنى بك ياغافل وعمرك قد انقرض وهجم عليك المرض وغاب كل مراد وغرض واذا بالتلف قد عرض أخاذا لقد كنت فى غفلة من هذا شخص البصر وسكن الصوت ولم يمكن التدارك للفوت ونزل بك ملك الموت وحاذا لقد كنت فى غفلة من هذا عالجت أشد الشدائد فياعجبا لما تكابد كأنك سقيت سم الاساود فقطع افلاذا لقد كنت فى غفلة من هذا بلغت الروح التراقى ولم تعرف الراقى من الساقى وماتدرى عند الرحيل ماتلاقى عياذا بالله عياذا لقد كنت فى غفلة من هذا ثم أدرجوك فى الكفن وحملوك الى بيت العفن على العيب والقبيح والافن واذا الحبيب من التراب قد حفن وصرت فى القبر جذاذا لقد كنت فى غفلة من هذا وتسربت الاقارب عنك تسرى فى مالك وتغرى وعاية أمرهم أن تجرى دموعهم رذاذا لقد كنت فى غفلة من هذا قفلوا الاقفال وبضعوا البضاعه ونسوا ذكرك باحبيبهم بعد ساعه وبقيت هنالك الى يوم الساعه لاتجد زادا ولا معاذا لقد كنت فى غفلة من هذا ثم قمت من قبرك فقيرا لا تملك من المال نقيرا وأصبحت بالذنوب عقيرا فلو قدمت من الخير حقيرا صار ملجأ وملاذا لقد كنت فى غفلة من هذا ونصب الصراط والميزان وتغيرت الوجوه والالوان ونودى شقى فلان بن فلان وماترى للعذر نفاذا لقد كنت فى غفلة من هذا كم بالغ عذولك فى الملام وكم قعد فى زجرك وقام فاذا رأى قلبك ما استقام قطع الكلام على ذا لقد كنت فى غفلة من هذا اللهم يامصلح الصالحين أصلح فساد قلوبنا واستر فى الدنيا والآخرة عيوبنا واغفر بعفوك ورحمتك ذنوبنا وامح عنا زللا وآثاما واجعلنا بآبائنا وأمهاتنا بارين واجعلنا من عبادك المقربين وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين

المجلس الخامس

(فى مبدء الكلام على حديث جبريل عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا شأن يشغله ولا نسيان يذهله ولا قاطع لمن يصله ولا نافع لمن يخذله جل عن ضد يماثله أو ند يشاكله أو نظير يقابله أو مناظر يقابله يثيب على العمل القليل ويقبله ويحلم على العاصى فلا يعاجله ويدعى الكافر له شريكا ويمهله ثم اذا بطش هلك كسرى وصواهله وذهب قيصر ومعاقله استوى على العرش وما العرش يحمله وينزل لا كالمنتقل تخلو منازله هذا جملة اعتقادنا وهذا حاصله من ادعى علينا التشبيه فالله

يقاتله مذهبنا مذهب أحمد ومن كان يطاوله وطريقنا طريق الشافعى وقد علمت فضائله ونرفض قول جهم فقد عرف باطله ونؤمل رؤية الحق ومتى خاب آمله لقد حنت حنة الى ولد فسألت من لا يرد سائله فانكسرت بوضع أنثى فجبر المكسور قابله فكفلها زكريا فاذا وكيل الغيب يواصله فيا لها من مكفول ماتعنى كافله فلما بلغت حملت بمن شرف حامله فعجبت من ولد لاعن والد بشا كله فقيل هزى فهزت جذعا يابسا تزاوله فأخرج فى الحال رطبا يلتذ آكله فاستدلت على تكوين ولد تحمد شمائله فالنصارى غلت واليهود عتت فأتت به قومها تحمله أحمده حمدا أديمه وأواصله وأصلى على رسوله محمد الذى ارتجت ليلة ولادته أعالى الايوان وأسافله صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر ثانى اثنين واعرفوا من قائله وعلى عمر الذى انتشر عدله فى الاقطار واشتهرت فضائله وعلى عثمان الذى زارته الشهادة وماتعبت رواحله وعلى على بحر العلم المديد فما يدرك ساحله وعلى سائر آله وأصحابه الذين صفا الاسلام بجدهم وعذبت مناهله *(أما بعد)* فاروى بسندى الى الامام الشهير والمحدث النحرير أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى نسبا والنيسابورى وطنا المتوفى سنة احدى وستين ومائتين نفعنا الله تعالى بعلومه اللدنيه وجعلنا من العاملين وايا كم بما روى من الاحاديث النبويه فانه قد قال فى كتابه الصحيح قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل قال فاخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم *فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قال القاضى عياض عليه الرحمة كما نقله النووى هذا الحديث أى المشهور بحديث جبريل عليه السلام قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان وأعمال الجوارح واخلاص السرائر والتحفظ من آفات الاعمال حتى ان علوم الشريعة كلها راجعة اليه ومتشعبة منه قال وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذى سميناه بالمقاصد الحسان فيما يلزم الانسان اذ لا يشذ شئ من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة اه (قلت) ولنذكر ان شاء الله تعالى فى درسنا هذا والدروس الآتية بعض ما يتعلق بهذه الكلمات الوافية الشافية اذ ما لا يدرك كله لا يترك كله مكررين له فى مبادئ الدروس فلعله يرسخ فى بعض الاذهان ويسهل حفظه على الاخوان لانه العمدة فى باب الايمان وقد قيل لا عطر بعد عروس وقد ورد هذا الحديث الجليل بروايات عديدة فى الكتب الصحاح وبهذه الرواية رواه أبو داود فى باب القدر ورواه الامام مسلم أيضا كالامام البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل وفى رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال سلونى فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال ما الايمان قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الاسلام قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها اذا ولدت الامة ربها واذا تطاول رعاة الابل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الآية ثم أدبر الرجل

فقال ردوه فلم يروا شيأ فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم وفي رواية أراد أن تعلموا اذ لم تسألوا وفي حديث أبي عامر والذي نفس محمد بيده ما جاءني قط الا وأنا أعرفه الا أن تكون هذه المرة وفي رواية ما عرفته حتى ولى وفي جامع الاصول لابن الاثير عليه الرحمة قال فما الاسلام قال إقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وفي رواية أخرى فلبثت ثلاثا وفي أخرى قال عمر فلقيني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ثلاث فقال يا عمر هل تدري من السائل الحديث وفي رواية في الاحسان أن تخشى الله كأنك تراه وفي رواية اذا ولدت الامة بعلها وفي رواية قال له في آخر كل سؤال منها صدقت وفي رواية واذا رأيت أو واذا كانت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض فذاك من اشراطها وفي آخرها هذا جبريل أراد أن تعلموا اه قال العلماء رحمهم الله تعالى يستفاد من هذا الحديث أن التجمل باللباس الحسن والابيض لاسيما لطلب العلم أمر مشروع وفي المساجد مأمور به لقوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقد فصل الفقهاء أمر اللبس على وجوه فمنها فرض ومنها سنة ومنها مباح ومنها حرام * ولنذكر أولا صفة لباسه عليه الصلاة والسلام ليقتدي به المهتدي من كاملي الاسلام قال الامام الغزالي في احيائه كان يلبس من الثياب ما وجد وكان يعجبه الثياب الخضر وأكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له قباء سندس فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة وكان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رأيت قط كان أحسن من بياضك على سواده وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله تعالى عليه وسلم أتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته غيره وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فيها ماء شربوا ومسحوا أجسادهم ووجوههم يبتغون البركة اه وقال في الدر المختار وحاشيته رد المحتار ما ملخصهما مع زيادة من غيرهما اعلم أن الكسوة منها فرض وهو ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد والاولى كونه من القطن أو الكتان أو الصوف على وفاق السنة بأن يكون ذيله للرجال الى نصف الساق لما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما أسفل الكعبين من الازار ففي النار وقال عليه الصلاة والسلام ازرة المؤمن الى نصف الساق ولا حرج فيما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من ذلك فهو في النار ومن جر ازاره بطرا لم ينظر الله تعالى اليه يوم القيامة وعلى ذلك قوله تعالى وثيابك فطهر أي فقصر على بعض التفاسير وأن يكون كمه الى رؤس أصابعه وفمه قدر شبر بين النفيس والخسيس اذ خير الامور أوساطها وللنهي عن الشهرتين وهو ما كان في غاية النفاسة أو الخساسة ومستحب وهو الزائد لاخذ الزينة واظهار نعمة الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى آثار نعمته على عبده وأما النساء فتطويل الثياب لهن مشروع فقد أخرج أبو داود في سننه عن صفية بنت أبي عبيد أن أم سلمة زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لرسول الله عليه الصلاة والسلام حين ذكر الازار فالمرأة يا رسول الله قال ترخي شبرا قالت أم سلمة اذا ينكشف عنها قال عليه الصلاة والسلام فذراعا لا تزيد عليه ومباح وهو الثوب الجميل للتزين في الاعياد والجمع ومجامع الناس لا في جميع الاوقات لانه صلف وخيلاء وربما يغيظ المحتاجين فالتحرز عنه أولى قال بعض الافاضل

ويستحب

ويستحب التجمل لطالب العلم والقدوم على الغير ومن أعظمه القدوم الى المساجد والصلوات قال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال العلامة ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسألوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبسها لمثل ذلك كان فيه أجر (وأما المكروه) وهو اللبس للتكبر لما قال عليه الصلاة والسلام يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم واياكم والبغي وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجده عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال من لبس ثوب شهرة ألبسه الله تعالى اياه يوم القيامة ثم ألهب فيه النار ومن تشبه بقوم فهو منهم قالوا ومثله من يلبس الثياب الخشنة لغير غرض شرعي فقد روى أن الحسن رضي الله تعالى عنه جذب فرقدا فأخذ بكسائه وقال له يا فرقد يا فريقد ان البر ليس في لبس هذا الكساء انما البر ما وقر في الصدر وصدقه العمل اه ويستحب الابيض لقوله عليه الصلاة والسلام البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وكذا الاسود لانه عليه الصلاة والسلام دخل مكة وعلى رأسه عمامة سوداء ولبس الاخضر سنة كما في الشرعة وقد جعل علامة للشرفاء العلويين الفاطميين في حدود سنة ستمائة وعلى ذلك قول الشاعر

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في جباه وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

ومن المحرم لبس الحرير والذهب والفضة للرجال الا ما استثنى فعن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشرب به في الآخرة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بهما في الآخرة ثم قال لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة (قلت) ويحرم استعمالهما بغير شرب وأكل كما اذا جعلهما علبة للتتن أو ساعة أو نحو ذلك مما نصوا على حرمته وكذا يكره عند الحنفية على الرجل لبس الثوب المنسوج بذهب أو فضة الا اذا كان قدر أربع أصابع أي عرض ذلك وان زاد طوله على ما قيل ومثله الحرير لخبر مسلم نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع اصبع أو اصبعين أو ثلاث أو أربع والحاصل أن استعمال أواني الذهب والفضة للرجال والنساء مكروه كراهية التحريم الا السلاح ولبسهما على الرجال حرام وللنساء مباح للتزين وكذا لبس الحرير على الرجال مكروه وللنساء حلال وفي الهداية ويكره أن يلبس الذكور من الصبيان الذهب والحرير (قلت) ومنها الجلاجل ونحوها والناس عنه غافلون ولا بأس بتكة الديباج وتكره التكة منه والكيس الذي يعلق معه بخلاف كيس الدراهم الذي يوضع في الجيب وفي الدر المنتقى ولا تكره الصلاة على سجادة من الابريسم لان الحرام هو اللبس أما الانتفاع بسائر الوجوه فليس بحرام وفي القنية لا بأس بشد خمار أسود على عينيه من ابريسم لعذر ومنه الرمد ويحل توسده وافتراشه والنوم عليه على رواية عن أبي حنيفة خلافا لابي يوسف ومحمد ومالك والشافعي اه وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبة مجيبة بحرير فقال طوق من نار يوم القيامة قال العلماء وأما جعله دثارا فحرام عند الجميع ويحل لبس ما سداه ابريسم ولحمته غيره لان الثوب انما يصير ثوبا بالنسج والنسج باللحمة فكانت هي المعتبرة دون السدى وكره لبس المعصفر والمزعفر الاحمر والاصفر للرجال فقط ولا بأس بسائر الالوان وبقي في هذه الابحاث تفصيلات وتعريفات واختلافات لا يسعها المجلس العام لضيق الوقت على الصوام فلنفرقها في الدروس استطرادا بتوفيق الملك العلام ومن المحرم على النساء اظهار الزينة للاجانب والتمايل ولبس الثوب الرقيق حتى عد ذلك بعض العلماء من الكبائر ففي كتاب الزواجر لابن حجر رحمه الله تعالى أخرج الامام مسلم وغيره صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا

وكذا وقوله كاسيات أى من نعم الله تعالى وعاريات أى من شكرها أو المراد كاسيات صورة عاريات معنى بأن يلبسن ثوبا رقيقا يصف لون ابدانهن ومائلات أى عن طاعة الله وما يلزمهن فعله وحفظه ومميلات أى لغيرهن أى يعلمن غيرهن أو متبخترات وروى ابن حبان يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سروج كأشباه الرجال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤسهم كأسنمة البخت العجاف العنوهن فانهن ملعونات لو كان وراء كم أمة من الامم خدمتهن نساؤكم كما خدمتكم نساء الامم قبلكم وروى أبو داود عن عائشة أن أختها أسماء رضى الله تعالى عنها دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت زمان المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا أشار الى وجهها وكفيها قال الذهبى ومن الافعال التى تلعن المرأة عليها اظهار زينتها كذهب أولؤلؤ من تحت نقابها أو تطيبها بطيب كمسك اذا خرجت وكذا لبسها عند خروجها كل ما يؤدى الى التبهرج كصبوغ براق وازار حرير وتوسعة كم وتطويله ولهذه القبائح قال عنهن عليه الصلاة والسلام اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء وكذلك من الكبائر تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وروى الطبرانى أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متقلدة قوسا فقال لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء وروى أحمد لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال وراكب الفلاة وحده وروى الطبرانى أربعة لعنوا فى الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله تعالى ذكرا فانث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا والحصور الذى لا يأتى النساء امامن العنة وامامن العفة أو الاجتهاد فى ازالة الشهوة وينبغى للرجل أن يمنع زوجته مما تقع فيه من التشبه بالرجال فى لبس أو غيره أو خروج خوفا من اللعنة عليه وعليها لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال ابن حجر فى الزواجر أى بتعليمهم وتأديبهم وأمرهم بطاعة ربهم ونهيهم عن معصيته ولقول نبيه عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته الرجل فى أهله راع وهو مسؤل عنهم يوم القيامة وفى حديث ان هلاك الرجال طاعتهم لنسائهم ومن ثم قال الحسن والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله فى النار ولنرجع الى الحديث قوله شديد سواد الشعر لعله يستدل بهذا وما قبله ان جبريل عليه السلام لما أتى يعلم الصحابة دينهم كما فى آخر الحديث برز لهم فى هذه الهيئة معلما لهم بفعله أيضا التزيى بالزى الحسن وبشعر هذا بأن جبريل عليه السلام كان قد أرخى شعره وهو المسنون عن سيد العالمين عليه أفضل صلاة المصلين فقد أخرج أبو داود عن البراء قال ما رأيت من ذى لمة أحسن فى حلة حمراء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زاد محمد بن سليمان له شعر يضرب منكبيه وفى رواية أخرى له شعر يبلغ شحمة أذنيه وعن أنس قال كان شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أنصاف أذنيه وعن ابن عمر قال نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن القزع والقزع أن يحلق رأس الصبى فيترك بعض شعره وفى رواية قال احلقوه كله أو اتركوه كله وكذلك سن عليه الصلاة والسلام الأخذ من الشوارب فقال خمس من الفطرة أى فطرة الاسلام الختان والاستحداد ونتف الابط وتقليم الاظفار وقص الشارب وفى رواية عن أنس وقت لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حلق العانة وتقليم الاظفار وقص الشارب ونتف الابط أربعين يوما مرة وكذلك نهى عن نتف الشيب وقال عليه الصلاة والسلام لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وكذلك نهى عن الخضاب بالسواد وأمر به فى غير السواد ونهى الرجال عن خضاب الايدى وأمر النساء به حتى أن المرأة اذا تركته وتركت الزينة لزوجها له أن يأمرها ثم يؤدبها على ذلك وكذلك وصل شعر المرأة بشعر أخرى حرام فقد لعن عليه الصلاة والسلام الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمتنمصة والمتفلجة للحسن المغيرة خلق الله تعالى فعليكم عباد الله بامتثال أوامره والاجتناب عن

نواهيه وزواجره فان من خالف شرعه القويم له العذاب الاليم فوا أسفا لاهل النار قد هلكوا وشقوا لا يقدر الواصف أن يصف ما قد لقوا كلما عطشوا ابحى بالحميم فسقوا هذا جزاؤهم اذ خرجوا من الطاعة وفسقوا فقطعوا والله بالعذاب ومزقوا فلو رأيتهم قد كبلوا بالسلاسل وأوثقوا واشتد زفيرهم وتضرع أسيرهم وقلقوا وتمنوا أن لم يكونوا وتأسفوا كيف خلقوا وندموا اذ عرضوا عن النصح وقد صدقوا فلا اعتذارهم يسمع ولا بكاؤهم ينفع ولا أعتقوا يا من بين يديه يوم لا شك فيه ولا امرا يقع فيه الفراق وتنفصم فيه العرا تدبر أمرك قبل أن تحضر وترى وانظر لنفسك نظر من فهم ودرى قبل أن يغضب الحاكم رب الورى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تشيب فيه الاطفال يوم تسير فيه الجبال يوم يظهر فيه الوبال يوم تنطق فيه الاعضاء بالخصال يوم لا تقال فيه العثار وكم أعذار تقال فترى من قد افترى يقدم قدما وأخرى الى ورا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ينصب الصراط فناج وواقع ويوضع الميزان فتكثر فيه الوضائع وتنشر الكتب وتسيل المدامع وتظهر القبائح بين تلك المجامع ويؤلم العتاب ويملأ المسامع ويخسر العاصى ويربح الطائع فكم غنى قد عاد من الخير مقترا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اللهم انا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك اللهم احفظنا بالاسلام قاعدين واحفظنا بالاسلام راقدين ولا تشمت بنا الاعداء ولا الحاسدين اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما

المجلس السادس

(فى حديث جبريل عليه السلام أيضا والكلام على الايمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ومن يحمد سوى الله ولا اله الا الله وما من اله الا الله وسبحان الله ولا ينبغى التسبيح الا لله والله أكبر ولا كبير أكبر من الله وأستغفر الله ومن يغفر الذنوب الا الله ذلكم الله ربكم الذى قامت الدلالة على ربوبيته فى سجل شهد الله واحد بدليل لو كان فيهما آلهة الا الله فرد بدليل لا تتخذوا الهين اثنين انما الهكم الله عليم بدليل قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله سميع بدليل قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله بصير بدليل وقل اعملوا فسيرى الله خبير بدليل وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء الحمد لله قدير بدليل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله مريد بدليل ألا له الخلق والامر تبارك الله متكلم بدليل وكلم الله لا شريك له بدليل فادعوا من استطعتم من دون الله لا ولد له بدليل ما اتخذ رد اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله أحمده على نعماه وأصلى على محمد الذى اختاره واجتباه وأحبه وارتضاه وعظمه وكرمه ورفعه على من سواه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه لاسيما أبا بكر الذى نزل فيه آية الا تنصروه فقد نصره الله وعمر الذى وافق حكمه حكم لولا كتاب سبق من الله وعثمان الذى شملته آية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعلى الذى نزل فيه آية انما نطعمكم لوجه الله صلاة وسلاما دائمين ما أضاء النهار بضياه واحلولك الليل بظلماه (اما بعد) فانى اروى بسندى الى الامام الشهير والمحدث النحرير أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى نسبا والنيسابورى وطنا لا زال نائلا فى ضريحه مننا فانه قد قال فى كتابه الصحيح ومسنده الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام الحديث الذى تقدم فى الدرس الماضى فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قوله حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى دنا حتى جلس قريبا منه واعلموا أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يجلسون بحضور النبى

عليه أفضل الصلاة والسلام لكن بزيادة السكينة والوقار حتى كأنهم على رؤسهم الطير وما كانوا يقفون بين يديه ولا يقوم بعضهم لبعض لان القيام للقادم عادة الاعاجم قال أبو أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتوكأ على عصا فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقام رجل مرة لمعاوية فامره بالجلوس وقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل المراد أن يقفوا وهو جالس وكذلك الانصات من الجالسين واستماع كلام بعضهم لبعض من السنن فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام ما تجالس قوم مجلسا فلم ينصت بعضهم لبعض الا نزع الله من ذلك المجلس البركة ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنه الآنك يوم القيامة وكذلك نهى عن الجلوس فى مواضع التهم والمجالس التى يغتاب الناس فيها ومجالس اللهو وما يقرأ فيها القصاصون وبين عليه الصلاة والسلام ان أشرف الاماكن المساجد وشرها الاسواق ونهى عن الجلوس فى الطرق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اياكم والجلوس فى الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال ان أبيتم الا الجلوس فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارشاد الضالة عن الطريق واغاثة الملهوف وحسن الكلام وستأتى تفصيلات هذه الابحاث **قوله** الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل بين يديه قيل لان حاله تدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معلما **قوله** فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه قال الامام النووى عليه الرحمة على فخذى نفسه وجلس على هيئة المتعلم وقال بعض الافاضل ظاهره أنه جلس بين يديه وهو كذلك اذ لو جلس الى جانبه لما أمكنه الاسناد ركبة واحدة وهو غير جلوس المتعلم بين يدى شيخه للتعلم وانما فعل ذلك للتنبيه على ما ينبغى للسائل من قوة النفس وعدم الاستحياء عند السؤال وان كان المسؤل ممن يحترمه ويهابه وعلى ما ينبغى للمسؤل من التواضع والصفح عن السائل وان تعدى ما ينبغى من الاحترام للمسؤل والادب معه لان شرف المعلم وكذا شرف المتعلم عظيم فقد روى أبو أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته رواه الطبرانى وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من غدا يريد العلم يتعلمه لله تعالى فتح الله له بابا الى الجنة وفرشت له الملائكة أكنافها وصلت عليه ملائكة السموات وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب فى السماء والعلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكنهم أورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظه وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وهو نجم طمس موت قبيلة أيسر من موت عالم رواه أبو داود وغيره وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الدروس الآتية تفصيل هذه المطالب العالية وقيل فى قوله ووضع كفيه على فخذيه أى فخذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفعل ذلك للاستئناس باعتبار ما بينهما من الانس فى الاصل حين يأتيه بالوحى قال يا محمد أخبرنى عن الاسلام انما ناداه باسمه كما تناديه الاعراب مع أنه حرام لما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون الآيات قال المفسرون قال ابن عباس لا تقدموا بين يدى الله ورسوله هو أن يتكلموا بين يدى كلامه بل عليهم أن يصغوا ولا يتكلموا وقيل معناه لا تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم قال بعض أجلة المفسرين يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على ترك الاحترام لان خفض الصوت من لوازم التعظيم ويحتمل أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط والمعنى لا ترفعوا أصواتكم الى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المفسرون والمراد من الآية تعظيمه عليه الصلاة والسلام وان لا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا حتى ان أبا بكر الصديق قال لا أكلمك يا رسول الله الا كأخى السرار حتى ألقى الله تعالى وقوله تعالى ولا تجهروا أى لا ينادى

وقت الخطاب باسمه أو كنيته كنداء بعضهم لبعض فلا يقال يا محمد يا أحمد ولكن يا نبى الله يا رسول الله أن تحبط أعمالكم أى كراهة حبوط أعمالكم وذلك أن الرفع والجهر اذا كان عن استخفاف واهانة فهو كفر محبط للاعمال وقوله تعالى امتحن الله أى أخلص الله قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه وقيل طهرها من كل قبيح وقيل وسعها وشرحها وقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات جمع حجرة وهم جفاة بنى تميم على قول وقيل جاء رجل فقال يا محمد ان حمدى زين وان ذمى شين فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك الله وعن زيد بن أرقم قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه فأتيت النبى فأخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرته فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باذنى وجعل يقول لقد صدق الله قولك يا زيد (أقول) ويستفاد من ذلك أن من زار النبى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ينبغى له أن يمتثل هذه الآية الكريمة ولا يفعل ولا يقول ما لا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته لانه عليه أفضل الصلاة والسلام حى فى قبره الشريف ويسمع سلام المسلم عليه فى مقامه العالى المنيف كما صرحت بذلك علماء المذاهب الاربعة فاسمع قول البارى سبحانه وكن متبعه (١) اما لانه معلم لا متعلم أو قبل التحريم وبما تقرر علم أن نداء غيره عليه الصلاة والسلام ممن يستحق التوقير باسمه غير حرام وانما هو خلاف الاولى الا أن يتأذى به فينبغى تحريمه حتى قيل من العقوق نداء الولد والده باسمه واعلموا أن فى مسئلة الاسلام والايمان مسائل كثيرة يلزم التنبيه على بعضها فى هذا المجلس منها أن الايمان والاسلام هل هما بمعنى واحد أو مختلفان فذهب البخارى وجماعة الى أن معناهما واحد ويؤيده قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وذهبت طائفة من المعتزلة والحشوية الى أن الاسلام غير الايمان واحتجوا بقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال الخطابى والصحيح فى هذا أن تقيد الكلام وذلك ان المسلم قد يكون مؤمنا فى بعض الاحوال ولا يكون فى بعضها والمؤمن مسلم فى جميع الاحوال وكل مؤمن مسلم ولا عكس وقيل الخلاف لفظى فقد قال الوالد نور الله تعالى ضريحه فى بعض تعليقاته على شرح البخارى للسفيرى ما نصه جمع السعد بين القول بالترادف والقول بعدمه بأنهما خلاف فى حال فان مفهوم الاسلام ان فسر بالانقياد الظاهرى بمعنى امتثال الاوامر والنواهى والعمل بمقتضى تلك الاحكام من غير ملاحظة الاذعان والتسليم القلبى كان مخالفا لمفهوم الايمان وان فسر بالاسلام والانقياد الباطنى بمعنى قبول تلك الاحكام والاذعان لها وترك الاباء والاستكبار عنها كان متحدا فيه فعلى هذا يصير الخلاف لفظيا واصير ورته كذلك وجه آخر أيضا فتدبر اه ومنها ان الايمان هل يزيد وينقص أم لا اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك فذهب امامنا الاعظم أبو حنيفة عليه الرحمة وأصحابه وامام الحرمين وجمع كثير من الاشاعرة الى أنه لا يزيد ولا ينقص وقالوا متى قبل الزيادة كان شكا وكفرا وذهب الامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل والامام مالك بن أنس وسفيان الثورى وجماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار وأكثر الاشاعرة رحمهم الله تعالى أجمعين الى أنه يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصانها للقطع بان ايمان آحاد الامة ليس كايمان أبى بكر الصديق ونحوه من الصحابة الكرام فضلا عن ايمان الانبياء والملائكة عليهم السلام وأدلتهم من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله تعالى أيكم زادته هذه ايمانا وقوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وما رواه ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقال سفيان ابن عيينة الايمان قول وفعل ويزيد وينقص فقال أخوه ابراهيم لا تقل ينقص فغضب وقال اسكت يا صبى بل ينقص حتى لا يبقى منه شئ اه قالوا والدليل على نقصانه أن كل ما قبل الزيادة لابد وأن يكون قابلا للنقصان ضرورة قال فى الشيبانية

وايماننا قول وفعل ونية * ويزداد بالتقوى وينقص بالردى

(١) قوله اما لانه معلم الخ هو مرتبط بقوله سابقا انما ناداه باسمه اه

وقال الخطابى الايمان قول وهولايزيدولا ينقص وعمل وهو يزيدو ينقص واعتقاد وهو يزيد ولا ينقص فان نقص ذهب قال بعض الافاضل ومن قال ان الخلاف لفظى فهو خطأ وأجابت الحنفية ومن وافقهم ان المراد بالزيادة الزيادة بحسب الدوام والثبات وكثرة الزمان والساعات أوالمراد الزيادة بحسب زيادة مايؤمن به أوان المراد زيادة ثمرته واشراق نوره فى القلب الى غيرذلك ومنها كما قال السفيرى عليه الرحمة اختلاف العلماء فى ايمان المقلد والمقلد هو أن يسمع انسان الناس يقولون ان للخلق ربا خلقهم وخلق كل شئ و يستحق العبادة عليهم وحده لاشريك له فيجزم بما سمعه منهم والمختار الذى عليه الفقهاء وكثيرمن العلماء صحته من غيرنظر واستدلال لحصول الجزم بالايمان الذى يحصله الاستدلال ولان الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يقبلون ايمان عوام الامصار التى فتحوها من العجم حال كون ايمانهم صادرا تحت السيف ولااستدلال ومنع كثيرمن المعتزلة صحته ورد عليهم بانه يلزم من قولهم تكفير العوام وهم غالب المؤمنين ومنها ما اختلفوا فيه أيضا أنه هل يجوز للانسان أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله تعالى أم لا فذهب امامنا الاعظم وأصحابه وكثيرمن العلماء الى أنه ليس له أن يقول ذلك وانما يقول أنا مؤمن حقا والذى ذهب اليه الامام الشافعى وأصحابه والامام مالك وأصحابه والامام أحمد وأصحابه وأكثر السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم جواز قول الانسان أنا مؤمن ان شاء الله وبه قالت الاشعرية هذا اذا كان جازما بالايمان حال التكلم أما اذا شك فى ايمانه حال التكلم وقال ان شاء الله للشك فى ايمانه فان ايمانه يكون منفيا لان الشك فى ثبوته فى الحال كفر وليس محل قول ان شاء الله تعالى بالاتفاق بل محل النزاع بين الفريقين انما هو ايمان الموافاة وهو الذى يموت العبد عليه و يأتى متصفا به آخر حياته وأول منازل آخرته وهو المعتبر فى النجاة فى الدار الآخرة وهو الملحوظ عند المتكلم بالمشيئة فاذا جزم الانسان بالايمان فى الحال ولكن لايعلم هل يبقى هذا الايمان الى الوفاة أم لا فلا عند الفريق الثانى أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله أى أنا أموت على الايمان ان شاء الله تعالى وهو أمر مستقبل فالقائل انا مؤمن ان شاء الله تعالى مقتد بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعامل بقوله تعالى ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وأيضا يقول ان شاء الله تعالى للتبرك بالمشيئة خوفا من سوء الخاتمة مع جزمه بالايمان فى الحال فكأن القائل انا مؤمن ان شاء الله تعالى يقول أطلب حسن الخاتمة فكم من انسان سلب الايمان عند موته ولذلك قال بعض العلماء ان الخلاف فى هذه المسئلة بين الائمة الحنفية والائمة الشافعية لفظى فنسال الله العظيم أن يختم لنا وللمسلمين بخير فى عافية بلا محنة وحكى الامام الغزالى حجة الاسلام قدس الله تعالى روحه فى منهاج العابدين ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا أستاذ لاتقرأ هذه فسكت ثم لقنه وقال له قل لا اله الا الله قال لا أقولها انى منها برئ ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكى أربعين يوما ولم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب الى جهنم أجارنا الله تعالى منها بمنه فقال بأى شئ نزع الله تعالى المعرفة عنك وكنت أعلم تلامذتى فقال بثلاثة أشياء أولها النميمة فانى قلت لاصحابى بخلاف ماقلت لك والثانى الحسد حسدت أصحابى والثالث كان بى علة فجئت الى طبيب وسألته عنها فقال تشرب فى كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبق فى تلك العلة فكنت أشرب به نعوذ بالله تعالى من سخطه الذى لاطاقة لنا به قال بعض العلماء ان سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى أكثرما تكون أسبابه من حب الدنيا والاعتقادات الفاسدة وكثرة المعاصى ومن أعظمها ظلم العباد وسئل بعض العارفين عن سبب ذلك فقال ترك الشكر على الاسلام وترك الخوف على ذهابه والظلم للعباد وقال بعض الواصلين سببها ترك الصلاة وأكل الربا والعداوة لاولياء الله تعالى وقد قال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الامن تاب وآمن الآية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر وقال سبحانه فى حق أكلة الربا فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقال فى الحديث القدسى فى حق المعادين لاوليائه عزوجل من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب قالوا لان الله تعالى لايحارب الا الكافرين فينبغى للمسلم أن لايعادى العباد الصالحين والمتقين المؤمنين وأن يخاف من سلب ايمانه عند الموت والعياذ بالله تعالى وقد ورد فى الحديث ان الرجل

ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايبقى بينه و بين الجنة الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايبقى بينه و بين النار الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ولذا ورد انما الاعمال بالخواتيم فنسأله عزشأنه أن يثبتنا واياكم على القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة انه أرحم الرحمين وقال فى الروض الفائق يروى أن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى أن يرى ابليس فى محرابه فتمثل له فقال له وا أسفا عليك ضيعت عمرك أربعين سنة فى حصر نفسك واتعاب بدنك وقد بقى من عمرك مثل مامضى فاطلق نفسك فى شهواتها وتلذذ ثم تب بعد ذلك وعد الى العبادة فان الله غفور رحيم فقال العابد لعلى انزل الى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على اللهو واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين التى تبقى من عمرى فنزل وقال اخوه المسرف على نفسه قد أفنيت عمرى فى المعاصى وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأتوبن وأصعد الى أخى العابد وأوافقه فى العبادة مابقى من عمرى فلعل الله أن يغفر لى فطلع على نية التوبة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعا فى السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف المسلم على نية التوبة فرغوا قلوبكم للاعتبار فيما يجرى فى الليل والنهار كم من بعيد قرب وكم من قريب أبعد وجفاه الاهل والجيران وكان حظ الاول الجنة وحظ الثانى النار فاعتبروا يا أولى الابصار ندم العابد على تغيير نيته بلاشك ولاخفا وبكى على تفريطه بعد عبادته اذزل وهنا يود لو أن صافى وده يردو يرجع الى الوفا وسيعلم انه كان يبنى على شفا جرف هار فاعتبروا يا أولى الابصار اسمعوا أيها القاعدون افهموا أيها الراضون بالدون لماجد فى الجد المتقون مدحهم من يقول للشئ كن فيكون والسابقون السابقون كانوا اذاجن الليل يسهرون وتجرى من العيون عيون فاذا جاءت الهواجر فللطعام يهجرون ومازالوا فى الخدمة كالخدم ينتصبون ان أقبل البلاء فهم صابرون وان وردت النعماء فهم شاكرون وان تزخرفت الدنيا فهم عنها معرضون وكذا من أراد الاخرى يكون اذكارهم فى الحياة وهم ميتون فاذا انجاب التراب عن الانجاب فعلى النجائب يحملون وتبشرهم الاملاك هذا يومكم الذى كنتم توعدون لايقفون الى الحساب بل الى الجنة يحملون يعجب أهل الموقف منهم ثم يسألون من هؤلاء الذين الى النعيم يحضرون فاذا الجواب انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون فلو قيل ماصفاتهم قيل التائبون العابدون وأحسن مابه القوم يمدحون والسابقون السابقون اللهم انظمنا فى سلك السابقين الاخيار وألحقنا بعبادك الصالحين الابرار وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفرلنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

المجلس السابع

(فى حديث جبريل عليه السلام أيضا وفيه مايتعلق ببعض مايجب الكفر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمدلله عالم الاسرار المكنونة ومخرج البذور المدفونة أمر بالجد وضمن المؤنة ونبه على عيب الدنيا فافتضحت الخؤنة كلماته مسموعة فى الصحف مصونة احذر طريق البدع فانها مسبعة غيرمأمونة هذه أمانة أديتها كانت عندى مخزونة واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فسبحان من أنشأ الانسان وخلقه وأنعم عليه ورزقه وألهمه الهدى ووفقه وأخرجه بالتقى من أسر الهوى وأعتقه علم مافى كل شجرة من ورقة وسمع تطريب الحمامة المطوقة وقوم أعضاء الادمى فتناسبت متسقة واختط الانف ونور الحدقة أحمده وتوفيقه على حمده وأقر بوحدانيته اقرار من صدقه وأصلى على رسوله محمد ذى الرأفة والشفقة صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر الذى صاحبه فى الغار ورافقه وعلى عمر الذى كسر كسرى وخنقه وعلى عثمان الذى أخرج المال وأنفقه وعلى على الذى بحار علومه مندفقة وعلى سائر آله وأصحابه ما انهلت المتدفقة وسلم تسليما (أما بعد) فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة والرضوان فانه قد قال فى كتابه الصحيح وجامعه الحرى بالترجيح عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن

عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الى آخر الحديث الذى ذكرناه مرارا (فنقول) وبالله التوفيق ونسأله الوصول بأحسن طريق قد تقدم الكلام على بعض المسائل المتعلقة بالاسلام والايمان ولنذكر فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى تتمة لذلك لتستضيؤا بانوارها فى الليل الحالك فاعلموا ان معنى الشهادتين أماتنا الله تعالى وايا كم عليهما أشهد أى أذعن وأقر وأصدق أن لا اله الا الله أى لا معبود بحق فى الوجود الا الله وأشهد أى أقر وأصدق أن محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصى وينتهى الى ابراهيم خليل الرحمن هو رسول الله وعبده وصفيه وحبيبه أرسله رحمة للعالمين ونبيا للانس والجن أجمعين (١) فمن قال هاتين الكلمتين الطيبتين خالصا مخلصا فهو من أهل الايمان وأصحاب الجنان وقد ورد فى فضلهما أحاديث كثيرة منها ما رواه الامام المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال صلى الله تعالى عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه رواه البخارى وروى أيضا عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل زاد جنادة من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء وفى رواية لمسلم من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار قال العلماء أى اذا أتى بلوازمهما من أداء الفرائض واجتناب الكبائر والدليل على ذلك ما رواه الطبرانى قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن يحجزه عن محارم الله وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام يا رب علمنى شيأ أذكرك به وأدعوك به قال قل لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقول هذا قال قل لا اله الا الله قال انما أريد شيأ تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات السبع والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهم لا اله الا الله ومثله حديث البطاقة وهو ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال فانك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ فلذا قال عليه الصلاة والسلام فيما رويه الحاكم عن عمر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انى لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك الا حرمه الله على النار لا اله الا الله وقال أكثروا من شهادة أن لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وقال ما من عبد قال لا اله الا الله فى ساعة من ليل أو نهار الا طمست ما فى الصحف من السيآت حتى تسكن الى مثلها من الحسنات واعلموا انما ورد فى بعض هذه الاحاديث ذكر لا اله الا الله من دون محمد رسول الله لان ذلك مراد ومعلوم لان من قال لا اله الا الله ولم يقل محمد رسول الله ولم يشهد بهما معا فهو ليس بمسلم فالشهادتان بمنزلة شهادة واحدة وكلمتان بمنزلة كلمة واحدة لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية جعلهما الله تعالى آخر كلامى وكلامكم وحشرنى واياكم عليهما وجعلهما ولوازمهما فى موازين أعمالنا آمين ثم اعلموا ان هاتين الشهادتين والكلمتين الطيبتين لهما شروط ولوازم ينبغى تنبيهكم عليها

(١) واما ارساله عليه الصلاة والسلام الى الملائكة الكرام فمختلف فيه بين العلماء الاعلام اه منه

وتعليمكم

وتعليمكم اياها وهى أن لا يعتقد الانسان ما ينافيهما وان لا يترك ما يلزمهما وان يموت عليهما فاذا أتى بالمنافى لهما قولا وفعلا كما سنبينه ان شاء الله تعالى فهو والعياذ بالله تعالى كافر أو منافق والكفر على أقسام والنفاق على قسمين والشرك على قسمين شرك أصغر وهو الرياء ونحوه فى العمل وهو الذى يغفر وشرك أكبر وهو الذى لا يغفر ولا يستر نعوذ بالله تعالى منه وهو على ما قال فى كتاب تبيين المحارم من أكبر الكبائر على الاطلاق وهو الستر وجحود الحق قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وانما كان كذلك لانه يعدم المقصود الاصلى من خلق العالم والمقصود من خلقه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه وكتبه ورسله والوسيلة المقربة اليه والكفر حجاب بين العبد وبين هذه المعارف بخلاف سائر المعاصى والعبد بقدر جهله يبعد عن ربه وأعظم الجهل الكفر بالله تعالى ومن كفر بعد من الله تعالى بعدا أبديا ويتلو الكفر من المعاصى قتل النفس بغير حق فهو أكبر الكبائر بعد الكفر ويتلو القتل الزنا واللواطة وعقوق الوالدين وسيأتى الكلام عليها فى محالها ان شاء الله تعالى وانما كان القتل دون الكفر لان الكفر يعدم عين المقصود كما ذكرناه وهذا يعدم وسيلة المقصود وهى الحياة الدنيا التى لا تراد الا للآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلو القتل الزنا واللواطة لان الزنا وان كان لا يعدم عين المقصود ولا الوسيلة ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر ويبطل جملة من الامور التى لا ينتظم العيش الا بها وان كان الزنا يفوت تميز الانساب ويحرك من الاسباب فما كاد يفضى الى التقاتل قرب فى الرتبة الى القتل وكذا مرتبة اللواطة لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود وكذلك عقوق الوالدين مضاره ومخاطراته لا تخفى على ذى عينين (واعلموا) أن ما يلزم به الكفر على أنواع نوع يتعلق بالله تعالى ونوع يتعلق بالقرآن العظيم وسائر الكتب المنزلة ونوع يتعلق بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء والملائكة والعلماء ونوع يتعلق بالاحكام (وليعلم) أنه اذا كان فى المسئلة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنعه فللعالم أن يميل الى هذا الوجه لان الاليق للمؤمن أن يريد هذا الوجه الا اذا صرح القائل بأن مراده الوجه الذى يوجب الكفر فحينئذ لا ينفعه التأويل فيكفر وروى الطحاوى عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى وكذا روى عن أصحابه أنه لا يخرج المؤمن من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه وهو الاقرار والتصديق فلا يحكم بكفر المؤمن الا بالانكار وقال بعض العلماء الخطأ فى ترك الحق على كافر أهون من الخطا فى سفك محجمة من دم مسلم فينبغى أن لا يعجل المسلم فى تكفير مسلم حتى يحيط خبرا بالمسئلة والراجح فيها ولكنا نذكر ان شاء الله تعالى ما ذكره الائمة الحنفية من بعض الالفاظ حتى يتجنبها المسلم ولا يقع فى مكفر ولو على بعض الاقوال لان الكفر اذا لم يلزم فالحرمة أو الحظر فيها موجود أو مظنون وكما ورد من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ودع ما يريبك الى ما لا يريبك (وليعلم) أيضا أن المسلم اذا صدر منه والعياذ بالله تعالى ما يوجب الكفر يخرج من دين الاسلام وتبين زوجته فيستتاب ويحبس ثلاثة أيام فان تاب فبها ونعمت والا قتل وتركته لبيت المال والمسلمة اذا كفرت والعياذ بالله تعالى تبين من زوجها وتستتاب ولا تقتل وكثير مما عمله المرتد والمرتدة يحبط لقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك حتى ان بعض الفقهاء من الحنفية استحسن أن يجدد الرجل نكاح زوجته فى كل شهر لما يظهر من طائفة النساء من المكفرات بلا علم منهن فلا تغفل (فأما ما يتعلق بالله تعالى) اذا وصف الله تعالى بما لا يليق به بأن شبه الله تعالى بشئ من المخلوقات أو نعمته بجارحة أو نفى صفات كمال أو قال بالحلول والاتحاد أو قال انه مستقر فى مكان أو فى زمان أو معه قديم آخر أو معه مدبر مستقل غيره أو اعتقد أن الله سبحانه وتعالى جسم أو محدث أو غير حى أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات أو سخر باسم من أسمائه أو أمر من أوامره أو وعده أو وعيده أو أنكرها أو سجد لغير الله أو سب الله تعالى أو ادعى أنه له ولدا أو صاحبة أو أنه متولد من شئ أو كائن عنه أو أشرك بعبادته شيأ من خلقه أو افترى على الله الكذب بادعاء الالهية والرسالة أو نفى أن لا يكون خلقه ربه وقال ليس لى رب أو قال لذرة من الذرات هذه خلقت عبثا أو سهوا وما أشبه ذلك مما لا يليق به سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا يكفر فى هذه الوجوه كلها بالاجماع سواء فعل عمدا أو هزلا يقتل ان أصر على ذلك أو أحد من المذكورات وان تاب تاب الله تعالى عليه وسلم من القتل ومن

قال ان الله تعالى فى السماء ان أراد به المكان وأنه مستقر كاستقرارنا يكفروان أراد به الحكاية والنقل عما جاء فى ظاهر
الاخبار لا يكفروان لم يكن له نية يكفر عند أكثرهم ومذهب السلف فى ذلك أسلم وأحكم والله تعالى أعلم وتفصيل
هذا فى الفتاوى والكتب الكلامية وأما ما يتعلق بالقرآن فقد قالوا ان من استخف بالقرآن أو حرف من حروفه
أو استخف بالمصحف أو سبه أو ألقى المصحف الى القاذورات أو جحد حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشئ منه أو كذب بشئ
مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك فى شئ من ذلك أو نقص حرفا
منه قصدا أو بدله بحرف آخر مكانه عمدا أو زاد فيه حرفا عالما بما يشتمل عليه المصحف الذى وقع الاجماع عليه أو قال
القرآن جسم اذا كتب وعرض اذا قرئ أو قرأ القرآن على وجه الهزل أو الدف والقصب أو قال شبعنا وقرأ القرآن فى
بدله كلامه كما لو قال فى موضع الامر بالشئ أو قال فى موضع الاجازة لمن يقول له آخذ أو أدخل أو أقوم أو أصعد أو أتقدم
أو أسير وقال المستشار بسم الله كما هو عادة بعض أهل الحجاز من مكة والمدينة وما حواليهما والاعجام يعنى به أذنت لك
فيما استأذنت أو حضر الطعام وقال واحد بسم الله مكان كلوا يكفر كذا فى تتمة الفتاوى الا اذا كان مراده من قوله
بسم الله التبرك أو افعل مستعينا باسم الله تعالى أو كل مبتدئا باسم الله وفى هذا الوجه لا يكفر لانه لم يستعمل
القرآن فى بدله كلامه من الاعلام والجواب بل أراد به التبرك والاستعانة باسم الله تعالى والاحتياط لا يخفى عليك
وكذا يكفر من قال القرآن مخلوق أو أعجمى أو قال خذ أجرة القرآن أو أجرة المصحف أو عاب شيأ من القرآن أو خطأ
أو أنكر المعوذتين أن يكونا من القرآن أو سمع قراءة فقال استهزاء صوت طرفه أو قال عند ازدحام الناس فجمعناهم
جمعا أو ملأ قدحا وقال كأسا دهاقا أو قال عند الكيل والوزن واذا كالوهم أو وزنوهم أو قال والنازعات نزعا أو
نزع أراد به الاستهزاء أو المزاح أو قال للقراء هؤلاء كلة الارز استخفافا بهم وأمثال هذه لا يمكن عده يكفر فى هذه
الوجوه كلها يقتل ان أصر على ذلك وان تاب تقبل توبته ومن أنكر التوراة والانجيل والزبور أو لعنها أو سبها فقد
كفر ومن قرأ أو أقرأ بشواذ من الحروف مما ليس فى المصحف قالوا يجب عليه التوبة منه والرجوع عنه (وأما ما يتعلق
بنبينا) عليه الصلاة والسلام من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره من الانبياء والعياذ بالله تعالى أو عابه أو
شبهه بشئ على طريق السب له أو الازدراء عليه أو التصغير لشأنه أو لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب اليه
ما لا يليق بمنصبه العالى أو لشعره شعير أو قال جن النبى عليه الصلاة والسلام أو عيره بشئ مما جرى عليه من البلاء
والمحن أو نسب اليه المداهنة فى تبليغ الرسالة أو قال انه شاعر أو كاهن أو ساحر أو ألحق نقصا أو دنيئة عابه بها أو خصلة
من خصاله أو عرض به أو قال ان رداء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو ازاره وسخ وأراد به عيبه أو عيره برعاية الغنم
أو السهو أو النسيان أو نسب اليه المداهنة فى حكم بين الناس أو نسب اليه سفه القول أو قال هزم النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم على وجه الاستخفاف أو قال مراء فى زهده وفقره أو نفى نبوته أو رسالته أو ختمه للانبياء أو قال
انه رسول ولكن رسول الى العرب فقط أو قال انه ليس من العرب فقد كفر من هذه الوجوه كلها بالاجماع يقتل
ان أصر على ذلك لا خلاف فى وجوب قتله وأما ان تاب هل تقبل توبته أم لا فعندنا وعند مالك لا تقبل توبته فقبل
التوبة يقتل كفرا وبعد التوبة حدا عندنا وعند مالك يقتل بعد التوبة كفرا فى رواية وحدا فى رواية ولا تعمل
توبته فى اسقاط قتله عندنا وعند مالك نقل هذا عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ولا فرق بين أن يجئ تائبا
من نفسه أو شهد الشهود عليه بذلك بخلاف الغير من الكفر فان الانكار فيه توبة فلا تعمل الشهادة معه حتى قالوا
من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم سكرانا يقتل ولا يعفى عنه قاله ابن الهمام فى شرح الهداية ولا بد من تقييده بما اذا
كان سكره بسبب محظور باشره بلا اكراه والا فهو كالمجنون وأما قتله فى حقه تعالى فيعمل توبته فى اسقاط قتله
نقل هذا عن على كرم الله تعالى وجهه وقال القاضى عياض واختلف فيه عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى ثم
قال والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس
تلحقهم المعرة الا من أكرمه الله تعالى بنبوته والبارى تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس من تلحقه
المعرة وليس سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق

فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق فيه حق الآدمى فكان كالمرتد
يقتل حين ارتداده فيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التوبة الكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة
وذلك لا يسقط بالتوبة اه كلام القاضى هذا حكم المسلم وأما الذمى اذا سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو استخف
به أو وصفه بما لا يليق بمنصبه العالى يؤدب عندنا ويعزر وعند مالك يقتل ان لم يسلم فان أسلم ففى ذلك روايتان
فى اسقاط قتله قال ابن الهمام والذى عندى ان سب الذمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو نسب ما لا ينبغى الى الله
تعالى ان كان مما يعتقدونه كنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى وتقدس عن ذلك اذا أظهره يقتل به وينقض عهده وان لم
يظهره ولكن تستر عليه وهو يكتمه فلا يقتل اه ومن سب سائر الانبياء أو الملائكة عليهم السلام أو استخف بهم
أو كذبهم بما أتوا به أو أنكروا واحدا منهم ممن تعين أنه نبى أو جحد حكم نبى منهم أو قال ان جبريل أخطأ بالوحى انما كان
النبى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أو سب سائر الملائكة فعليه القتل وحكمه حكم المرتد عندنا وعند مالك
لم يستتب ومن سب أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أو أنكر خلافتهما يكفر كذا قيل والذى صححه غير واحد من
الفقهاء أنه لا يكفر بسب الشيخين رضى الله تعالى عنهما ومن قذف عائشة رضى الله تعالى عنها بالزنا فهو كافر بالاجماع
يقتل ان لم يتب عنه وأما سب آل بيته وسائر أزواجه المطهرات وسائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم فهو حرام ملعون
فاعله وينكل النكال الشديد ومن أبغض عالما من غير سبب ظاهر قال فى الخلاصة خيف عليه الكفر ومن قال
لعالم عويلم أو لعلوى عليوى قاصدا به الاستخفاف قال فى المحيط كفر وقد أمر الامام الفضيلى بقتل من قال لمن
ترك كتابه عنده تركت المنشار ههنا وذهبت واستخفاف العلماء انما يكون كفرا اذا كان عاملا بعلمه لان من
لا يعمل بعلمه لا يستحق التعظيم ومن قال لفقيه أخذ شاربه ما أعجب قبحها أو أشد قبحا قص الشارب أو لف
العمامة تحت الذقن قال فى الظهيرية يكفر لانه استخفاف بالعلماء ومن قال قصعت شاربك وألقيت العمامة
على العاتق استخفافا كفر كذا فى الخلاصة للحميدى والتشبه بالمعلم على وجه السخرية بأخذ الخشبة وضرب
الصبيان كفر لانه استخف بالعلم والعالم ومن قال لرجل صالح لقاؤك عندى كلقاء الخنزير قال فى الذخيرة يخاف
عليه الكفر ومن قال من يقدر على الاتيان بما قاله العلماء كفر قال فى الخلاصة رجل يجلس فى مكان مرتفع
ويسألون منه مسائل بطريق الاستهزاء ثم يضربونه بالوسائد وهم يضحكون كفروا جميعا وكذا لو لم يجلس على مكان
مرتفع (قلت) وكذلك اذا تشبه المضحك المذكور بقاض أو مفت أو خطيب أو نحوهم وأتى بحركات مضحكة أو تكلم
بكلمات كفرية ليضحك السامعين كفروا جميعهم وهذا الفعل شائع فى زماننا هذا ويسمون المضحك المذكور بالاخبارى
مع أن المطابق للحال تسميته بالاكفارى فانا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ونسأله وهو ذو النعم الفاخرة ان يثبتنا
وايا كم على القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومما يتعلق بالاحكام مسائل متفرقة الالفاظ كثيرة أيضا
نذكر بعضها ان شاء الله تعالى ليتوقاها الانسان الكامل الايمان فمن ذلك اذا أنكر حكما شرعيا ثابتا من الدين
بالضرورة كانكار الصلاة أو تركها عند الامام أحمد بن حنبل وكثير من العلماء وكانكار الحج والزكاة والصيام
والغسل من الجنابة والحيض ونحو ذلك ومنه اذا اعتقد الحلال حراما والحرام حلالا ومنه استحلال المعاصى
والاستهانة بها لان ذلك من أمارات التكذيب ولو لم يتكلم بكلمة الكفر واذا تكلم بكلمة الكفر من غير قصد أو من
غير علم قيل لا يكفر وقال أكثرهم يكفر ومنه العزم على الكفر بعد حين ورضاه بكفر الغير كفر وقيل لا ومنه
ما لو أنكر وجود الجن أو الملائكة ومنه ما لو صدق أن الكاهن يعلم الغيب أو المنجم قال عليه الصلاة والسلام من
أتى كاهنا فصدقه كفر بالله ومن ذلك ما لو قال قصعة ثريد خير من العلم ومنه ما لو قال العزة للدرهم لا للعلم لانه
عارض قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنه ما لو قال لو كان فلان قبلة ما توجهت اليه ومنه ما لو قال
الصلاة وتركها واحد ومنه ما اذا تمنى أن يكون نصرانيا أو يهوديا فيسلم ليعطى ومنه ما لو قال لمن أسلم ما ضرك
دينك حتى أسلمت ومنه ٢ ما لو قال له كافر أريد أن أسلم فقال له اصبر الآن ومنه ما اذا قال ان أمرنى فلان بالكفر

٢ ينبغى هذا التكفير على قول من قال به اذا لم تخش فتنة عظيمة ولم تكن مداهنة فليراجع اه منه

كفرت ومنه مالو قال الحلال ماحل فى الكف أو قال الحرام أحب الى من الحلال ومنه اذا قال حين مايعطى عالم فقير ادرهما تضرب الملائكة الطبل فى السموات ومنه مالو قال يعلم الله كذا وهو كاذب ومنه مالو قال له خصمه نذهب الى شرع الله فقال لا أعرف شرع الله ومنه مالو صاح الطير فقال يدل على كذا يكفر عند بعضهم ومنه على مافى البزازية من قال أرواح مشايخنا حاضرة تعلم ومنه اذا قال أنا أعلم المسروقات أو ان الجن تخبر بالمغيبات كفر لانه تكذيب لقوله تعالى لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين الآية ومنه مالو قال له المظلوم سوف آخذ دراهمى منك يوم لادرهم فقال زدنى وخذهنالك ومنه مالو وضع قلنسوة المجوسى على رأسه أو شد الزنار ودخل دار الحرب أو دعاه المجوسى فى اعياده وأجابه كفر قال الامام أبو حفص لو أن رجلا عبد ربه خمسين سنة ثم جاء يوم النيروز فاهدى الى بعض المشركين هدية يريد تعظيم ذلك اليوم فقد كفر ومنه التصفيق على الذكر قال فى الوهبانية

بدرويش درويشان كفر بعضهم * وصحح أن لا كفر وهو المحرر
كذا قول شئ لله قيل بكفره * وياحاضر ياناظر ليس يكفر
ومن يستحل الرقص قالوا بكفره * ولاسيما بالدف يلهو ويزمر
ومن لولى قال طى مسافة * يجوز جهول ثم بعض يكفر
واثباتها فى كل ماكان خارقا * عن النسفى النجم يروى وينصر

قال العلماء واذا قال هو يهودى أو نصرانى أو برئ من الاسلام أو ما أشبه ذلك ان فعل كذا على أمر مستقبل فهو يمين عندنا والمسئلة معروفة فان أتى بالشرط وعنده أنه يكفر كفر وان كان عنده أنه لا يكفر متى أتى بالشرط فعليه كفارة اليمين لاغير و يكون قصده بذلك الكلام هو المبالغة عن امتناعه وتقبيحه لذلك المرام وان حلف بهذه الالفاظ على أمر فى الماضى وعنده أنه لا يكفر كاذبا لا كفارة عليه لانه غموس لكونه كبيرة فلا يكفر به على ماذكرنا أى كما قررنا وفى الماضى ١ والمستقبل ان عنده أنه يكفر كفر لانه رضا منه بالكفر ولو قال بالله وبروحك أو برأسك قال بعض المشايخ يكفر ولو قال بالله وبتراب قدمك كفر عند الكل ومنه مالو قال لغيره رؤيتك كرؤية ملك الموت قيل يكفر لان بغض الملائكة وسبهم كفر ومنه مالو قال قتل فلان واجب أو مستحق القتل ولم يكن عليه فى الشرع مايلزمه القتل يكفر القائل لانه استحل ماحرم الله تعالى وهذا كثير الوقوع والناس عنه غافلون ومنه مالو قال للظالم حين ضرب زيدا مثلا ظلما أحسنت يكفر ومنه مالو قال لمن لبس الحرير أو استعمل المحرم مبارك قيل يكفر ومنه مالو تصدق من الحرام رجاء الثواب كفر (٢) قال فى تبيين المحارم والامن من مكر الله واليأس من رحمته كفر عندنا وعند غيرنا من الكبائر وظاهر الآية معنى قال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقال تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون و ينبغى للانسان أن يتعوذ بهذا الدعاء المأثور صباحا ومساء فانه سبب الحفظ عما يوقع فى المكفرات وهو اللهم انى أعوذ بك من أن أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم انك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب وأما النفاق فسيأتى بحثه ان شاء الله تعالى فسبحان من خلق سعيدا وشقيا وعاصيا وتقيا وأحضر جهنم متهما وبريا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا جمع عدوا ووليا وفرق على الفريقين زيا فترى وجه التقى نقيا وبصر الشقى عميا فسلم طائعا وأهلك عصيا ونذر الظالمين فيها جثيا نشر على الفريقين كتابا مطويا وعرض أعمالهم وما كان ربك نسيا فأتاهم عيشا مريا وعيشا هنيا وكأنك بهذا قد كان وكان وعده مأتيا حضروا يوم الحساب فأغنى جميع الخلائق كلهم بريا وبحريا فميز الميزان من كان سعيدا أو شقيا فما نجا الامن كان مخلصا نقيا ونذر الظالمين فيها جثيا خرست ألسنتهم خوفا لا عجزا وعيا وبرد اعتذارهم وماذاك بناكس رأسه خجلا من لم يكن حييا وسكت عن

(١) ومنه على مافى الفتاوى لو قال بعد القرون الثلاثة لملك يجور عادل لانه قد سمى الظلم والجور عدلا الا اذا أول كلامه أى بالنسبة الى غيره فانه لا يكفر اهـ منه (٢) فى هامش الاصل وفى الحاضر بدل الماضى

الكلام من لم يزل جريا وانعجم اللسان وان كان عربيا يستغيث أهل النار بكرة وعشيا يعطشون ولا يجدون ريا لو رأيتم يضجون شجا وصبيا يستغيثون الى أن يرجع الصوت خفيا ويلهم من يرحمهم وقد غضب من لم يزل حفيا ما نفع فقرهم ان كان فى الدنيا غنيا ولا ضعيفهم ان كان قويا ولا شجاعهم وكم قد حمل خطيا ولا ذليلهم وقد كان عليا ونذر الظالمين فيها جثيا عموا عن الرشاد فأصبح كل غبيا ثم سلكوا سبيلا خالفوا فيه دليلا جليا كم آذوا صالحا وكم ظلموا وليا كم حبس الحقوق منهم من كان مليا دخلوا سجنا وجدوه بالبلاء مبنيا قد أفردوا فى العذاب لا يجدون نجيا يعذبون عذابا دائما سرمديا يأكلون لحم أيديهم فينبت طريا غرسوا شجر الندامة فتناولوا الاسف جنيا انتبه بهذه الموعظة ولاتنى قبل أن تقول (ياليتنى كنت نسيا منسيا)

المجلس الثامن

(فى حديث جبريل عليه السلام أيضا فى الصلاة وبعض لوازمها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المطلع على ظاهر الامر ومكنونه * العالم بسر العبد وجهره وظنونه المتفرد بابداع العالم وانشاء فنونه ويقول للشئ كن فيكون بين كافه ونونه فطر الخلائق على ارادته ودبر الكل بمقتضى حكمته وأجراهم فى التصريف على مشيئته وقدر حال كل منهم فى حركته وسكونه أحسن انشاء ما خلق وفتق الاسماع وشق الحدق وأحصى عدد ما فى الشجر من الورق فى أعواده وغصونه مد الارض ووضعها وأوسع السماء ورفعها وسير النجوم وأطلعها فى حندس الظلام ودجونه أنزل القطر وبلا ورذاذا فأنقذ به المذر من اليبس انقاذا هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه أحمده على جوده واحسانه وأقر أنه لا شريك له فى سلطانه وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث ببرهانه الى جاحد الحق وخؤنه صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر صاحبه فى جميع شانه وعلى عمر مقلق كسرى فى سلطانه وعلى عثمان ساهر ليله بقرآنه وعلى على قالع باب خيبر ومزلزل حصونه وعلى سائر آله وأصحابه الذين اجتهد كل منهم فى الطاعة فى حركاته وسكونه *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة فانه قد قال فى جامعه الصحيح وكتابه الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة الحديث (فنقول) وبالله تعالى التوفيق ونسأله الهداية الى أقوم طريق قد تقدم الكلام على بعض المسائل المتعلقة بالاسلام ولنذكر لكم ان شاء الله تعالى ما يتعلق بأمر الصلاة التى هى عماد الدين والفرق بين المسلمين والكافرين واقامتها كفارة لذنوب المذنبين ونور على الصراط ووسيلة للنجاة من العذاب الاليم والدخول فى دار النعيم فقد روى عمرو بن مرة الجهنى رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت ان شهدت أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا قال من الصديقين والشهداء وعن أبى مسلم قال دخلت على أبى أمامة وهو فى المسجد فقلت يا أبا أمامة ان رجلا حدثنى عنك أنك سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من توضأ فأسبغ الوضوء غسل يديه ووجهه ومسح على رأسه وأذنيه وغسل رجليه ثم قام الى صلاة مفروضة غفر الله تعالى له فى ذلك اليوم ما مشت اليه رجلاه وقبضت عليه يداه وسمعت اليه أذناه ونظرت اليه عيناه وحدث به نفسه من سوء فقال والله لقد سمعته من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج فى الشتاء والورق يتهافت فأخذ بغصن من شجرة قال فجعل ذلك الورق يتهافت فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال ان العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة وروى جابر

ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة وعن الامام أحمد عن أميمة مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كنت أصب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضوءه فدخل رجل فقال أوصنى قال لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وأحرقت بالنار ولا تعص والديك وان أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ولا تشربن خمرا فانها مفتاح كل شر ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله وعن علي رضى الله تعالى عنه من لم يصل فهو كافر ولاجل ذلك ذهب الامام أحمد رضى الله تعالى عنه وبعض أصحاب الشافعي رضى الله تعالى عنه وجماعات من الصحابة الى ان الانسان المكلف اذا ترك الصلاة عمدا من غير حجة يكفر ويخرج من الملة المحمدية وتجرى عليه أحكام المرتدين فلا يورث ولا يغسل ولا يصلى عليه وتبين منه امرأته واستدل بحديث مسلم بين الرجل والكفر أو الشرك ترك الصلاة وقال أبوهريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرون شيأ من الاعمال تركه كفر الا الصلاة لكن جمهور العلماء كالامام الاعظم والشافعي رضى الله تعالى عنهما قالوا لا يكفر الا الجاحد لوجوبها وأجابوا عن الاحاديث بانها محمولة على مقاربة الكفر أو على كفران النعمة كقوله عليه السلام سباب المسلم فسق وقتاله كفر أو على ان معناها انه يستحق بتركها عقوبة الكافر وهي القتل واعتمدوا على ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وفي الميزان الشعراني قال الامام مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ان من ترك الصلاة كسلا لا جحدا قتل ثم تجرى عليه أحكام المسلمين والصحيح من مذهب الشافعي قتله بصلاة فقط بشرط اخراجها عن وقت الضرورة ويستتاب فان تاب والا قتل وقال أبوحنيفة انه يحبس أبدا حتى يصلى وقال الامام أحمد بن حنبل يقتل بترك صلاة واحدة وتجرى عليه أحكام المرتدين فلا يصلى عليه ولا يورث ويكون ماله فيئا انتهى من الميزان ملخصا وقال السفيرى قيل تقول الملائكة لتارك الفجر يا فاجر ولتارك الظهر يا خاسر ولتارك العصر يا عاصى ولتارك المغرب يا كافر ولتارك العشاء يا مضيع ضيعك الله تعالى وجاء في الخبر من نام عن صلاة العتمة نادته الملائكة لا نامت عيناك ولا قرتا حبسك الله تعالى بين الجنة والنار كما حبستنا (وليعلم) أن للصلاة فرائض وسننا ومستحبات أما فرائض الصلاة فأجمعوا على انها سبعة وهي النية للصلاة وتكبيرة الاحرام والقيام مع الاستطاعة والقراءة في الركعتين للامام والمنفرد والركوع والسجود والجلوس آخر الصلاة بمقدار ايقاع السلام فهذه هي الشرائط والاركان المجمع عليها في المذاهب الاربع وأما ماعداها هذه فمختلف فيه فيما بينهم وللصلاة شرائط وهي كما في الدر المختار ستة طهارة بدنه من حدث وخبث وثوبه وكذا ما يتحرك بحركته كمنديل طرفه على عنقه وفي الآخر نجاسة مانعة ان تحرك موضع النجاسة بحركات الصلاة منع والا لا بخلاف مالم يتصل كبساط طرفه نجس وموضع الوقوف والجبهة طاهر فلا يمنع وكذا تشترط طهارة مكانه أي موضع قدميه لقوله تعالى وثيابك فطهر فبدنه ومكانه أولى لانهما ألزم والرابع ستر عورته ووجوبه عام ولو في الخلوة وهي للرجل ماتحت سرته الى ماتحت ركبته وشرط الامام أحمد ستر أحد منكبيه أيضا وعند الامام مالك هي القبل والدبر فقط ٢ وماهو عورة من الرجل عورة من الامة مع ظهرها وبطنها وجنبها تبع لهما وللحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل في الاصح خلا الوجه والكفين فظهر الكف عورة وتمنع الشابة من كشف الوجه بين رجال لخوف الفتنة ولا يجوز النظر اليه بشهوة كوجه أمرد فانه يحرم النظر الى وجهها ووجه الامرد اذا شك في الشهوة والخامس النية وهي ارادته والمعتبر فيها عمل القلب وهو أن يعلم بداهة أي صلاة يصلى والتلفظ بها مستحب وعند الحنفية أن مصلى الجنازة ينوى الصلاة لله تعالى والدعاء للميت والسادس استقبال القبلة حقيقة أو حكما كعاجز وهو شرط زائد أي ليس مقصودا لان المسجود له هو الله تعالى حتى لو سجد للكعبة نفسها كفر وشرطه تعالى للابتلاء أي للاختبار كما ابتلى الملائكة بالسجود لآدم وصفة الصلاة التحريمة وهي شرط والقيام في فرض للقادر عليه والقراءة وهي ركن زائد

٢ أي في الصلاة وأما غيرهما فحرام رؤيته عنده أيضا كذا نقله عنه بعض العلماء اه منه

لسقوطه بالاقتداء القادر وهي قراءة آية ٢ من القرآن والركوع والسجود والقعود الاخير وهو شرط أو ركن زائد قدر التشهد الى عبده ورسوله والخروج بصنعه والصحيح انه ليس بفرض اه واعلموا ان أوقات الصلاة اختلفت في بعضها المذاهب أما وقت الصبح فهو من طلوع الفجر الصادق ونهايته الى طلوع الشمس اتفاقا وأما أول وقت الظهر فهو من زوال الشمس عن وسط السماء وفي آخره خلاف وأما اول وقت العصر عند الشافعي اذا صار ظل كل شيء مثله ماعدا فيء الزوال وعند أئمتنا الحنفية أول وقت العصر اذا صار ظل كل شيء مثليه ماعدا فيء الزوال وآخر وقتها غروب الشمس فيكون آخر الظهر على هذا الخلاف وأما المغرب فقال مالك والشافعي في الجديد ان وقت المغرب بعد غروب الشمس لا يؤخر عنه في الاختيار عند مالك وفي الجواز عند الشافعي وقال أبوحنيفة وأحمد ان لها وقتين أحدهما كقول مالك والشافعي في الجديد والثاني ان وقتها الى أن يغيب الشفق وهو القول القديم للشافعي والشفق هو الحمرة التي تكون بعد الغروب اه قاله في الميزان وفي الدر المختار ووقت المغرب من غروب الشمس الى غروب الشفق وهو الحمرة عند أبي يوسف ومحمد وبه قالت الائمة الثلاثة واليه رجع الامام أبوحنيفة فكان هو المذهب وفي كتاب الاختيار الشفق البياض وهو مذهب الصديق ومعاذ بن جبل وعائشة رضى الله تعالى عنهم اه فالشفق شفقان أحمر وأبيض والخلاف جار فيه فلا تغفل والبحث مستوفى في الكتب الفقهية وأما أول وقت العشاء فانه يدخل اذا غاب الشفق الاحمر عند مالك والشافعي وأحمد خلافا لابي حنيفة على ما تقدم ويبقى الى الفجر اتفاقا عند الاربعة وفي قول بعض الائمة من التابعين ان العشاء لا تؤخر عن ثلث الليل وفي قول آخر انها لا تؤخر عن نصفه وأما وقت الوتر الواجب عند أبي حنيفة فهو بعد صلاة العشاء الى الفجر واعلم ان هذه الاوقات انما هي للمقيم وأما المسافر سفر طاعة فيباح له القصر والجمع جمع تقديم وتأخير عند الائمة الثلاثة خلافا لابي حنيفة وكذلك اختلفوا في جواز الجمع تقديما وتأخيرا للمقيم عند المطر وتفصيل البحث في الكتب الفقهية فارجع اليها ان أردتها وليعلم ان الطهارة كما سبق شرط في الصلاة على القادر عليها وهي عبارة عن الاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس والوضوء أو بدل ذلك وهو التيمم أما الاغتسال ففرضه المضمضة والاستنشاق وغسل جميع البدن عند الامام الاعظم والامام أحمد وعند الشافعي المضمضة ليست بفرض ٣ وعند الامام مالك الدلك أيضا واجب ونقض ضفائر الرجل لا المرأة ويقتضى أن يتعهد ماتحت الاظافر والانف وأما الوضوء ففرائضه عند الحنفية أربعة غسل الوجه وغسل اليدين ومسح ربع الرأس وغسل الرجلين أو مسح الخفين أو الجوربين بشرطه وقد أجمعوا على اشتراط النية ماعدا الامام الاعظم وكذا في الغسل لقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وأبوحنيفة يقول ان الوضوء ليس مقصودا لذاته بل لغيره وهي الصلاة فالنية فيه ليست بفرض والبسملة في ابتدائه غير واجبة خلافا لاحمد في أحد روايتيه واتفق الاربعة على أن الترتيب والموالاة في الطهارة مشروعان ثم اختلفوا في وجوبهما فقال أبوحنيفة لا يجبان وقال الامام مالك الموالاة واجبة دون الترتيب وقال الشافعي الترتيب واجب قولا واحدا وعنه في الموالاة قولان وقال الامام أحمد في المشهور عنه أنهما واجبان وعنه رواية أخرى في الموالاة انها لا تجب واختلفوا في مسح الرأس فعند أبي حنيفة الربع أو قدر أربع أصابع وعند مالك وأحمد في أظهر الروايات عنه يجب استيعابه والاذن منه عند أحمد في رواية فيمسحهما وقال الشافعي يجزئ أن يمسح منه أقل ما يقع عليه اسم المسح والمرفقان والكعبان يغسلان خلافا لمالك والمضمضة والاستنشاق سنة وأوجبهما أحمد في الوضوء والغسل والامام الاعظم في الغسل فقط ويستحب أن يتوضأ مستقبل القبلة وأن لا يتكلم بلا حاجة لما ورد أن فمه تنزل عليه الرحمة اذا توضأ فاذا تكلم ارتفعت وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قبل أن يتكلم غفر الله تعالى له ما بين الوضوءين وأن يقرأ بعده قل هو الله أحد لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه بها وقال ينادى مناديا مادح الرحمن قم فادخل الجنة وأن يقرأ

٢ وهذا عند الامام الاعظم والامام أحمد وأما عند الشافعية والحنبلية فلا بد من قراءة الفاتحة لقوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بفاتحة الكتاب ودليل الحنفية مبسوط في محله اه منه ٣ أي في الغسل اه منه

ايضا انا أنزلناه لما ورد فى الحديث من قرأ انا أنزلناه عقب وضوئه غفر له ذنوب أربعين سنة والوضوء على الوضوء نور على نور فقد قال عليه الصلاة والسلام ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم فى صلاته فيعلم ما يقول الا خرج كيوم ولدته أمه رواه الحاكم وأما التيمم فهو عبارة عن ضرب اليدين على الصعيد وهو التراب ومسح الوجه واليدين وقد اختلفوا فيه أيضا فى بعض المسائل واتفقوا فى بعضها أما ما اتفقوا عليه فهو ان التيمم بالصعيد الطيب عند عدم الماء أو الخوف من استعماله جائز وأجمعوا على وجوب التيمم للجنب كالمحدث وعلى ان المسافر اذا كان معه ماء وخشى العطش فله أن يحبسه ليشربه ويتيمم وعلى أن المحدث اذا تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول فى الصلاة بطل تيممه ولزمه استعمال الماء وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى التيمم ضربتان مع قول مالك وأحمد واحدة بان يكون بطون الاصابع للوجه وبطون الراحتين لمسح الكف ومن ذلك قول الشافعى وأحمد ان الصعيد التراب أو الرمل فيه الغبار وقال أبو حنيفة ومالك يجوز بجميع أجزاء الارض ولو بحجر لا تراب عليه وزاد مالك ما اتصل بالارض كالنبات ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى فى الجديد ان مسح اليدين الى المرافق كالغسل فى الوضوء مع قول مالك وأحمد الى المرافق مستحب والى الكوعين جائز وقول الزهرى الى الآباط ومن ذلك قول الائمة الثلاثة لا يجوز الجمع بين فرضين بتيمم واحد وقال أبو حنيفة التيمم كالوضوء ومن ذلك قول الائمة الثلاثة لا يجوز التيمم لصلاة العيدين والجنازة فى الحضر وان خيف فواتهما مع قول أبى حنيفة بجواز ذلك ومن ذلك قول الشافعى ان من تعذر عليه الماء فى الحضر وخاف فوات الوقت فان كان الماء بعيدا عنه أو فى بئر ولو استسقى منه خرج الوقت انه يتيمم ويصلى ثم اذا وجد الماء أعاد مع قول مالك انه يصلى بالتيمم ولا يعيد ومع قول أبى حنيفة انه يصبر الى أن يقدر على الماء ومن ذلك قول الشافعى وأحمد فى رواية عنه انه اذا وجد ماء لا يكفى جميع الاعضاء يغسل البعض ويتيمم وعند بقية الائمة يتيمم فقط ومن ذلك قول الشافعى من كان بعضوه جرحة وخاف من نزع الجبيرة مسح على الجبيرة ويتيمم ومع قول أبى حنيفة ومالك ان كان بعض جسده صحيحا وبعضه جريحا ولكن الاكثر هو الصحيح غسله وسقط حكم الجريح ويستحب مسحه بالماء وان كان الصحيح هو الاقل يتيمم وسقط غسل العضو الصحيح وقال أحمد يغسل الصحيح ويتيمم عن الجريح من غير مسح الجبيرة ومن ذلك قول أبى حنيفة ان فاقد الطهورين لا يصلى مع قول الشافعى انه يصلى ويعيد اذا وجد أحدهما وهو رواية عن مالك وعن أحمد يصلى ولا يعيد اه من الميزان ملخصا وأما نواقض الوضوء فقد اتفقوا على ان الخارج من السبيلين ناقض كالبول والغائط والمذى واختلفوا فى بعض النواقض قال فى الميزان فمن ذلك قول الائمة الثلاثة انه لا ينقض الخارج النادر كالدود والحصاة والريح من القبل مع قول أبى حنيفة ينقض الريح الخارج من القبل وهو الراجح من مذهب الشافعى فانه قال بالنقض فى الثلاثة اه (قلت) لكن المصرح به فى كتب الحنفية خلافه فقد قال فى التنوير والدر لا ينقضه خروج ريح من قبل وذكر لانه اختلاج حتى لو خرج ريح من الدبر وهو يعلم انه لم يكن من الاعلى فهو اختلاج فلا ينقض وانما قيدنا بالريح لان خروج الدودة والحصاة منهما ناقض اجماعا اه قال فى الميزان ومن ذلك قول الامام أبى حنيفة لا ينقض الوضوء مس الفرج مطلقا على أى وجه كان مع قول الشافعى والقول الارجح من مذهب أحمد بانتقاضه ببطن الكف وزاد أحمد نقض الطهارة بلمس الذكر بظهر الكف أيضا ومع قول مالك ان مسه بشهوة انتقض والا فلا ومن ذلك قول الشافعى وأحمد بنقض طهارة من مس فرج غيره صغيرا كان الممسوس أو كبيرا حيا كان أو ميتا مع قول مالك انه لا ينقض مس فرج الصغير ومع قول أبى حنيفة انه لا ينقض مطلقا ومن ذلك قول الائمة الثلاثة بعدم نقض الطهارة بلمس الامرد الجميل مع قول الامام مالك بايجاب الوضوء بلمسه وحكى ذلك أيضا عن الامام أحمد وغيره ومن ذلك قول الشافعى ان لمس المرأة ينقض الا ان كانت محرما مع قول مالك وأحمد ان كان ذلك بشهوة نقض والا فلا ومع قول أبى حنيفة لا ينقض الا بالمباشرة الفاحشة وهى الانتشار ٢ وأما الملموس فمذهب مالك والراجح من قولى الشافعى وأحدى الروايتين عن أحمد انه كاللامس فى النقض انتهى وفى غيره من كتب اختلاف المذاهب انهم أجمعوا على أنه لا وضوء على من مس

٢ أى وملاقاة الفرجين اه

أشيه وقالت الثلاثة ان أكل لحم الجزور وغسل الميت غير ناقض خلافا لاحمد وقالت الثلاثة القهقهة لا تنقض الوضوء بل تبطل الصلاة خلافا لابى حنيفة فانها تنقض عنده بشروطها ٢ المفصلة وينقضه الاغماء والجنون والسكر ولو باكل حشيشة عند أبى حنيفة واختلفوا فى خروج النجاسات من غير السبيلين كالقئ والحجامة وخروج الدم قال أبو حنيفة القئ ملء الفم والدم السائل ناقض وقال مالك والشافعى لا ينقض وقال أحمد اذا كان كثيرا فاحشا ينقض وان كان يسيرا ففيه روايتان ونوم غير المتمكن ناقض اه ملخصا واعلموا ان الصلاة لها درجات يزداد الاجر فيها أو ينقص ومن أعظم ما يزداد الاجر فيها صلاة الجماعة وقد أجمع العلماء على أنها مشروعة وانه يجب اظهارها فى الناس فان امتنعوا منها قوتلوا واختلف الائمة فيها فقال أبو حنيفة والشافعى هى فرض كفاية فى غير الجمعة وفى قول عند الحنفية واجبة فقد قال فى شرح المنية والاحكام تدل على الوجوب من ان تاركها بلا عذر يعزر وترد شهادته ويأثم الجيران بالسكوت عنه وفى تنوير الابصار والجماعة سنة مؤكدة للرجال وأقلها اثنان واحد مع الامام وقيل واجبة وعليه عامة المشايخ اه وقال الامام أحمد فرض عين وقال مالك سنة واختلفوا فى امامة الفاسق فقال أبو حنيفة والشافعى وأحمد فى احدى روايتيه بصحة امامته لكن مع الكراهة وقال الامام مالك وأحمد فى أشهر روايتيه انها لا تصح ان كان فسقه بلا تأويل قال القطب الربانى الشيخ عبد القادر الكيلانى فى كتابه الغنية فصل فى الخروج الى المسجد والخشوع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين صلاة الجماعة والفذ سبع وعشرون درجة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا توضأ العبد ثم خرج الى المسجد كتب الله عز وجل له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة ويستبشر الله تعالى كما يستبشر بالغائب الطويل غيبة اذا قدم على أهله وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بشر المشائين فى ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيامة قال الشيخ ويستحب للرجل اذا أقبل للمسجد أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع وأن تكون عليه السكينة والوقار من غير عجب ولا تكبر ولا رياء وافتخار بل بذل وانكسار وينوى بذلك التوجه الى الله عز وجل لانه روى أنه تبارك وتعالى لا يتقبل من المتكبرين عملا حتى يتوبوا وفى الحديث ان الله عز وجل أوحى الى عيسى عليه السلام اذا قمت بين يدى فقم مقام الخائف الذليل الذام لنفسه فانها أولى بالذم واذا دعوتنى فادعنى وأعضاؤك تنتفض وأبصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه اه قلت ويكفى فى ذلك قوله تعالى الذين هم فى صلاتهم خاشعون وقوله عليه الصلاة والسلام الاحسان أن تعبد الله تعالى كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولذا كان العبث فى الصلاة مكروها والحركات الثلاث المتواليات مبطلة أو عمل اليدين مبطل أو اذا رآه الرائى يظنه ليس فى الصلاة على أقوال مبسوطة فى كتب الفقهاء ثم اعلموا ان العلامة ابن حجر الهيتمى قد عد ترك الجماعة فى كتابه الزواجر من الكبائر قال أخرج الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام لقد هممت ان آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم وروى أحمد والطبرانى بحسب المؤمن من الشقاء والخيبة أن يسمع المؤذن يثوب بالصلاة فلا يجيبه والتثويب هنا اسم لاقامة الصلاة وقال كعب الاحبار فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون والله ما نزلت الا فى المتخلفين عن الجماعات وسئل ابن عباس عمن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى الجماعة ولا يجمع يوم الجمعة فقال ان مات هذا فهو فى النار واعلم أنه قد ذهب بعض العلماء الى تفضيل الصلاة فى الفلاة على الجماعة لما روى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة فى الجماعة تعدل خمسا وعشرين صلاة فاذا صلاها فى فلاة فأتم ركوعها وسجودها بلغت خمسين صلاة فياهذا اذا صليت والقلب غائب كان وجود الصلاة كالعدم

٢ قوله بشروطها وهى أن تكون قهقهة بالغ فى صلاة ذات ركوع وسجود اه

هو بالروم مقيم * وله بالشام قلب

ياذا اهل القلب فى الصلاة حاضر الذهن فى الهوى جسده فى الخراب وقلبه فى بلاد الغفلة يدور كل باب يامن شاب وما تاب اكتسب باقى الرمق كان الشباب غصنا غضا فخلا عن ورق وأنت فى الشيب كالشباب تجرى على نسق ياغريقا فى الهوى صح من قبل الغرق ليأتينك من الموت مالا يقبل رشوة ولامالا يامحتالا جهلا وضلالا لقد حملت أزرك أوزارا ثقالا ايالك والمنى فكم وعد المنى محالا كم سقى الموت من الحسرات كؤسا كم فرغ ربعا عامرا مأنوسا كم طمس بدورا وشموسا وأغمض عيونا ونكس رؤسا وأبدل التراب عن الثياب ملبوسا ياهذا احذر الامل وبادر العمل فكأنك بالاجل على عجل أنت كل يوم تتقرب وسترحل الى البلاد وتغرب وسيأكل المحب بعدك ويشرب وكأنك به اذا ذكرته يطرب فخذ العدة واسمع نصحى فنصحى مجرب اللهم انا الى رحمتك محتاجون وبكرمك واثقون وعلى بابك عاكفون ولنعمائك شاكرون ولالائك ذاكرون والى طاعتك داعون ولمخالفتك كارهون ومن نورك مقتبسون فاحفظنا فى أحوالنا ووفقنا فى أقوالنا وأفعالنا واجعل علينا رقيبا مناحتى لانعتمد الا على رضاك ولانقصد من الدارين الااياك اللهم حسن ايماننا بالتوفيق وزين سرائرنا بالتحقيق وعلمنا مالم نعلم وانفعنا بما تعلمنا وتجاوز عن آبائنا وأمهاتنا وجميع أموات المسلمين اللهم انا نسألك من الخير أوله وآخره والدرجات العلى من الجنة آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

المجلس التاسع

(فيما يتعلق بالصلاة أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الواحد القديم الجبار القادر العظيم القهار المتعالى عن درك الخواطر والأفكار المتفرد بالعز والقهر والاقتدار الذى وسم كل مخلوق بسمة الافتقار وأظهر آثار قدرته بتصريف الليل والنهار سميع بصير يسمع لا كالاسماع ويبصر لا كالابصار قادر مدبر حكيم عليم بالاسرار يبصر دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الغار ويسمع أنين المذنب يشكو مابه من اضرار كلم موسى كفاحا لما قضى الاجل وسار ورآه نبينا كما دل على ذلك القرآن والاخبار ويراه المؤمنون اذا نزلوا دار القرار صفاته كذاته والمشبهة كفار نقروغمر وأرباب البحث فى خسار أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار أحمده فى الاعلان والاسرار وأشهد بوحدانيته بأصح اقرار وأصلى على رسوله محمد سيد الانبياء الاطهار صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر رفيقه فى الغار وعلى عمر قامع الكفار وعلى عثمان شهيد الدار وعلى على القائم بالاسحار وعلى سائر آله وأصحابه خصوصا المهاجرين والانصار *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة فانه قد قال فى جامعه الصحيح وكتابه الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة الحديث (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام فى الدرس الماضى على بعض المسائل المتعلقة بالصلاة وبقى عليها كلام كثير نذكر بعضه ان شاء الله تعالى فى هذا الدرس فمنه الاذان والاقامة قال الامام أبو حنيفة ومالك والشافعى ان الاذان والاقامة سنتان للصلوات الخمس والجمعة وقال الامام أحمد انهما فرض كفاية على أهل الامصار وقال داود انهما واجبان لكن تصح الصلاة بتركهما وقال الاوزاعى ان نسى الاذان وصلى أعاد فى الوقت وقال عطاء ان من نسى الاقامة أعاد الصلاة وقال الأئمة الثلاثة لاتسن للنساء الاقامة وقال الشافعى انها تسن فى حقهن وفى كتاب كشف الغمة للشعرانى عليه الرحمة كان عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه يقول سبب الاذان يعنى على هذه الهيئة

المشروعة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أجمع أن يضرب بالناقوس وهو كاره له لموافقته النصارى طاف بى طائف من الليل وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران وفى يده ناقوس يحمله قال فقلت له ياعبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قال قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله قال ثم استأخر غير بعيد قال ثم تقول اذا اقمت للصلاة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله قال عبد الله بن زيد فلما أصبحت اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته بما رأيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذه رؤيا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فالق عليه مارأيت فانه أندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه يقول والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى أرى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلله الحمد فكان بلال يؤذن بذلك ويدعو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الصلاة فجاءه يوما فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نائم فصرخ بلال بأعلا صوته الصلاة خير من النوم فأدخلت هذه الكلمة فى التأذين فى صلاة الفجر دون غيرها وفى رواية فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أحسن هذا يابلال اجعله فى أذانك وفى رواية أن بلالا كان ينادى بالصبح حى على خير العمل فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقول مكانها الصلاة خير من النوم وترك حى على خير العمل وقد جاء فى فضل الأذان أحاديث كثيرة فمنها قوله عليه الصلاة والسلام من أذن سنة محتسبا قيل له يوم القيامة اشفع لمن شئت وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم لذكر الله عز وجل وسيأتى على الناس زمان يكون سفلتهم مؤذنوهم وكان مجاهد يقول المؤذنون احتسابا لله تعالى لايدودون فى قبورهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أذن فى قرية آمنها الله من عذابه ذلك اليوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو يعلم الناس مافى التأذين لتضاربوا عليه بالسيوف وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال المؤذن يغفر له مدى صوته ويصدقه كل رطب ويابس وزاد النسائى وله مثل أجر من صلى معه وروى الطبرانى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو أقسمت لبررت ان أحب عباد الله اليه لرعاة الشمس والقمر يعنى المؤذنين وانهم ليعرفون يوم القيامة بطول أعناقهم وروى البخارى فى تاريخه عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن اماما قال لا أستطيع قال قم بازاء الامام وروى أبو داود والنسائى عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عجب ربك عز وجل من راعى غنم فى رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلى فيقول الله عز وجل انظروا الى عبدى هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف منى قد غفرت لعبدى وأدخلته الجنة قال فى كشف الغمة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجهر باجابة المؤذن حتى يسمع من حوله وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عليكم بالدعاء بين الأذان والاقامة فان الدعاء بينهما لايرد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لعن الله من سمع حى على الفلاح ثم لم يجب وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا كنتم فى المسجد فنودى بالصلاة فلا يخرج أحدكم حتى يصلى *(خاتمة)* قال شيخنا رضى الله تعالى عنه لم يكن التسليم الذى يفعله المؤذنون فى أيام حياته صلى الله تعالى عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدين قال كان فى أيام الروافض بمصر شرعوا التسليم على الخليفة ووزرائه بعد الأذان الى أن توفى الحاكم بأمر الله وولوا أخته فسلموا عليها وعلى وزرائها

من النساء فلما تولى الملك العادل صلاح الدين بن أيوب أبطل هذه البدعة وأمر المؤذنين بالصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدل تلك البدعة وأمر بها أهل الامصار والقرى فجزاه الله تعالى خيرا اه ومنه الصلاة في المقبرة قال في الميزان قال أبو حنيفة والشافعي تصح الصلاة في المواضع المنهى عنها مع الكراهة وبه قال مالك الا في المقبرة المنبوشة فان كانت غير منبوشة كرهت وأجزأت وقال الامام أحمد انها تبطل على الاطلاق اه وقال في الدر المختار تكره الصلاة في أماكن كفوق الكعبة لما فيه من ترك التعظيم وفي الطريق ولمزبلة ومجزرة ولمقبرة لان أصل عبادة الاصنام اتخاذ قبور الصالحين مساجد وقيل لانه تشبه باليهود وقيل لان فيها صديد الموتى وكذا تكره في المغتسل والحمام ومعابد الكفار وبطن وادفان الغالب احتواؤه على نجاسة يحملها اليه السيل أو تلقى فيه وكذا في معاطن ابل وغنم وبقر ومرابط دواب وطاحون ولعله لشغل البال بصوتها وكنيف وسطوحها وأرض مغصوبة (قلت) وألحق في الارض المغصوبة بعض الفقهاء ما يفعله بعض الناس من ارسال السجادات قبلهم الى المساجد وكذا الارض المزروعة أو المكروبة وصحراء بلا سترة لمار وقد نظم ذلك بعضهم فقال

نهى الرسول أحمد خير البشر * عن الصلاة في بقاع تعتبر
معاطن الجمال ثم مقبره * مزبلة طريق ثم مجزره
وفوق بيت الله والحمام * والحمد لله على التمام

اه مزادا من الحاشية وغيرها وقال العلامة ابن حجر في الزواجر ومن الكبائر اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها أخرج الطبراني لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر وروى أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وروى الحاكم الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام وروى أبو هريرة لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وروى الشيخان ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة اه (قلت) ويستفاد من ذلك حرمة ما يفعله كثير من جهلة العوام من نذر ايقاد الشموع والسرج عند مقابر الصالحين وهو باطل وحرام ومثله وضع الحناء على مقابرهم وجعل الراية البيضاء المتداولة عند جهلة الناس لهم لانهم ظنوا أن الميت يتصرف بالامور دون الله تعالى واعتقاد ذلك كفر الا ان نذر لله تعالى الايقاد في المساجد فهو جائز وقد فصل هذا البحث بأتم مما ذكرنا العلامة ابن عابدين الحنفي في حاشيته على الدر المختار وغيره من علماء الامصار ولعل لنا عودة الى هذا المبحث ان شاء الله تعالى ولنرجع الى المسائل المتعلقة بالصلاة فاعلموا ان أهل الصلاة هو الطاهر فلا تصح من غير طاهر كما لا تصح من جنب حتى يغتسل أو يتيمم لفقد الماء ولا من نفساء وحائض حتى تطهرا وتغتسلا أو تتيمما لفقد الماء ولنبين بحوله تعالى مدة الحيض والنفاس على المذاهب الاربعة فان ذلك من ضروريات الدين قال الله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وروى ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا الا أخذ على العلماء أن يعلموا وقال ابن حجر في شرح الحضرمية يجب على النساء أن يتعلمن ما يحتجن اليه من هذا الباب كغيره فان كان زوجها عالما لزمه تعليمها والا فلها الخروج لتعلم ما لزمها تعلمه عينا بل يجب ويحرم منعها الا أن يسأل ويخبرها وليس لها خروج لتعلم غير واجب عين الا برضاه اه فنقول قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني أجمع الامة على أن فرض الصلاة ساقط عن الحائض مدة حيضها وعلى أنه لا يجب عليها قضاؤها وعلى أنه يحرم عليها ٢ الطواف بالبيت واللبث بالمسجد وعلى أنه يحرم وطؤها حتى ينقطع حيضها وعلى أنه يحرم بالنفاس ما يحرم بالحيض هذا ما أجمعوا عليه واختلفوا في أقل الحيض وأكثره فقال أبو حنيفة أقله ثلاثة وأكثره عشرة أيام والزائد استحاضة تصوم وتصلي فيها وقال الشافعي أقله يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوما وقال مالك أقله ليس له حد وأكثره خمسة عشر وأقل طهر بين حيضتين خمسة عشر يوما عند أبي حنيفة والشافعي وقال أحمد ثلاثة عشر يوما ومن ذلك

٢ أقول هذا الاجماع منظور فيه قد جوز بعض الأئمة الطواف للحائض وان تهدى بدنة فلا تغفل اه منه

قول

قول أكثر العلماء أنه يحرم وطء من انقطع دمها حتى تغتسل وقال أبو حنيفة ان انقطع لأكثر الحيض جاز وطؤها قبل الغسل وان لدون حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة ومن ذلك اتفقوا على أن الحائض كالجنب في الصلاة وأما في القراءة فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد انها لا تقرأ القرآن وقال مالك وداود تقرأ القرآن وفي أخرى عنه تقرأ اليسير فقط ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد ان الحامل لا تحيض مع قول مالك والشافعي انها تحيض فعلى الاول تصلي اذا رأت الدم وعلى الثاني لا تصلي لانه حيض ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد عليهما الرحمة أكثر النفاس أربعون يوما وقال مالك والشافعي ستون يوما وأقله لحظة عندنا والشافعي الا عند نصب العادة في الحيض والنفاس اه (قلت) واتفقوا على أن الحائض لا تطوف بالكعبة المشرفة الا في رواية عن امامنا الاعظم أنها تطوف وتفدي بدنة وقد وافقه في جواز الطواف المذكور من الحنابلة شيخ الاسلام تقي الدين الحراني كما بيناه في كتابنا الجلاء فليحفظ وليعلم ان العلامة ابن حجر قد عد جملة من المسائل المتعلقة بالصلاة من الكبائر فمنها امامة الانسان لقوم وهم له كارهون فقد أخرج الحاكم ثلاثة لعنهم الله من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح فلم يجب وروى الترمذي ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وامام قوم وهم له كارهون وفي رواية ورجل اعتبد حرا أي جعله عبدا واخوان متصارمان وكذلك قالوا الا يؤم الرجل جماعة وفيهم من هو أعلم وأتقى منه فقد روى اذا أم القوم رجل وخلفه من هو أفضل منه لم يزالوا في سفال وادبار ومنها مسابقة الامام أخرج الشيخان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار وفي رواية الذي يخفض ويرفع قبل الامام انما ناصيته بيد شيطان ومنها قطع الصف وعدم تسويته أخرج جماعة وصححه الحاكم من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله وصح أيضا ان الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف وصح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسويهم في صفوفهم بيده الشريفة ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ومنها تخطي الرقاب لاسيما يوم الجمعة أخرج الترمذي وابن ماجه من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل قد رأيتك تخطى رقاب الناس وتؤذيهم من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل اه (قلت) ويلتحق بذلك سؤال المساجد الذين يدورون بين الصفوف فلذا منع الفقهاء اعطاءهم ويلتحق بذلك من يرسل سجادته قبله ثم يخترق الصفوف اليها ومما يلحق بذلك أكلة الثوم والبصل ونحوهما وشربة التتن وذو الرائحة الكريهة بالقياس على ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام من أكل من هاتين الشجرتين يعني الثوم والبصل فلا يقرب مسجدنا يؤذنا ومنها المرور بين يدي المصلي الا بسترة بشرطها أخرج الشيخان وأصحاب السنن لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان يقف أربعين خريفا وفي رواية مائة عام خير له من أن يمر بين يديه وصح أيضا فلا يدع أحدا يمر بين يديه وان أبى فليقاتله فانه معه القرين أي الشيطان وقد أطاعه (قلت) ونحو ذلك استقبال أحد للمصلي بوجهه بخلاف صلاته الى ظهره فقد روى في الاثر ما أفلح وجه صلى اليه لانه يشبه العبادة ولذا كرهت الصلاة الى النار التي هي جمر بخلاف السراج (واعلم) انهم اختلفوا في المرور الذي هو بين يدي المصلي فبعضهم قال هو ما بين المصلي وموضع سجوده وبعضهم قال مطلقا الا اذا كانت سترة أو بعدت المسافة كما فصل في الكتب الفقهية وقالت الائمة لا تبطل الصلاة بمرور حيوان بين يدي المصلي ولو كان حائضا أو حمارا أو كلبا أسود وقال الامام أحمد الكلب الاسود يقطع الصلاة وفي قلبي من الحمار والمرأة شيء ٢ فرحم الله عبدا أحسن صلاته التي هي عماد الاسلام وسهر ليله والناس نيام فيا مضيع الزمان فيما ينقص الايمان يا معرضا عن الارباح متعرضا للخسران متى تنتبه من رقادك أيها الوسنان متى تفيق لنفسك أما تحق أما آن الحم ترفض قول الناصح وقد

٢ أقول ومما يجب التنبيه عليه أيضا في هذا المقام الكلام عندما يخطب الامام فانه على ما صرحوا به حرام كما سنفصله ان شاء الله تعالى في محله اه منه

أتاك بأمر واضح أترضى بالشين والقبائح كأنى بك قد نقلت الى بطون الصفائح وبقيت محبوسا الى الحشر تحت الضرائح وختم الكتاب على آفات وقبائح من رأيت من آفات الدنيا سلم ومن شاهدت صحيحا وما سقم أى حياة بالموت لم تختم وأى عمر بالساعات لم ينصرم ان الدنيا الغرور حائل وسرور الى الشرور آيل تردى مستزيدها وتؤذى مستفيدها ينا طالبها يضحك أبكته ويفرح بسلامته أهلكته فندم على زلة اذ قدم على عمله وبقى رهين خوفه ووجله وودّ أن لو زيد ساعة فى أجله فما هو الا أسير فى حفرته وحسير فى سفرته

ياواقفا يسأل القبور أفق * فأهلها اليوم عنك قد شغلوا
قدهالهم منكر وصاحبه * وخوف ماقدموا وماعملوا
رهائن للثرى على مدر * تسمع للدود بينهم زجل
سرى البلى فى جسومهم فجرت * دماؤها وسالت المقل
ينتظرون النشور اذ يقف الا ملاك والانبياء والرسل
يوماترى الصحف فيه طائرة * وكل قلب له من هوله وجل
قد دنت الشمس من رؤسهم * والنار قد أبرزت لها شعل
وأزلفت جنة النعيم فيا * طوبى لقوم بربعها نزلوا
أكوابهم عسجد يطاف بها * والخمر والسلسبيل والعسل

المجلس العاشر

(من حديث جبريل عليه الصلاة والسلام أيضا فى الزكاة وبعض واجباتها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أعان بفضله الاقدام السالكه وأنقذ برحمته النفوس الهالكه ذمّ الدنيا وأعلم أن سيوف غدرها باتكه وأعرض عن أهلها الا العصبة الناسكه وكيف يسكن اليها ونوق الرحيل باركه وسيقرع محبها سنه ندما اذا أصبحت سن الزاهد ضاحكه كم بينك وبينهم يامن نفسه عليها متهالكه فالعمل على تقوى رابعة لا على انبساط يوران وعاتكه سعد من رأى الدنيا فتصبر ورضى بوصف أشعث أغبر وأقبلت عليه بزخرفها فادبر لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكه أحمده على الامور اللذيذة والشائكه وأقر بوحدانيته اقرار عبد يعرف مالكه وأصلى وأسلم على رسوله محمد صلوات متداركه وعلى صاحبه أبى بكر الذى تحرض عليه الفرقة الآفكه وعلى عمر الذى كانت نفسه لنفسه مالكه وعلى عثمان منفق الاموال المتداركه وعلى علىّ مجلى الكرب المظلمة الهالكه وعلى بقية الصحابة الذين هم أناروا الظلم الحالكه *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى فانه قال فى جامعه الصحيح الحرىّ بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر ابن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة الحديث (فنقول) وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق قد تقدم الكلام على أول الحديث فى الدروس السالفة وبقى الكلام على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتؤتى الزكاة فالزكاة هى من أركان الاسلام وقد وردت فيها آيات عظيمة وأحاديث كريمة وقد قرنت بالصلاة فى اثنين وثلاثين موضعا فى التنزيل وهذا دليل على كمال الاتصال بينهما ولذا قدمت على الصوم ولفرضها قبله قيل ولا تجب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اجماعا لان الزكاة طهرة لمن عساه أن يتدنس والانبياء مبرؤن منه وليس يبقى لهم مال وأما قوله تعالى حكاية عن عيسى وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا فالمراد بها زكاة النفس من الرذائل التى لا تليق بمقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو أوصانى بتبليغ الزكاة والزكاة لغة الطهارة والنماء

وشرعا تمليك جزء مال خرج الاباحة فلو اطعم يتيما ناويا الزكاة لا يجزئه الا اذا دفع اليه المطعوم كما لو كساه فانه يجزئه وقوله جزء مال خرج المنفعة فلو سكن فقيرا داره سنة ناويا لا يجزئه عينه الشارع وهو ربع عشر نصاب حولى خرج النافلة والفطرة من مسلم فقير غير هاشمى قيل ولا لتارك الصلاة ولا مولاه أى معتق الهاشمى وهم آل عباس وعلى وجعفر وعقيل وولدا الحرث بن عبد المطلب مع قطع المنفعة عن المملك فلا يدفع لاصله وفرعه ويكون النصاب فارغا عن دين له مطالب من جهة العباد وهذا اذا كان الدين فى ذمته قبل وجوب الزكاة فلو لحقه بعده لم تسقط لانها ثبتت فى ذمته فلا يسقطها مالحق من الدين بعد ثبوتها ويشترط أيضا أن يكون النصاب فارغا عن حاجته الاصلية لان المشغول بها كالمعدوم وفسره ابن ملك بما يدفع عنه الهلاك تحقيقا كثيابه ونفقته ودور سكناه وآلات الحرب أو تقديرا كالدين فان المديون محتاج الى قضائه بما فى يده من النصاب دفعا للحبس وكآلات الحرفة وأثاث المنزل ودواب الركوب وكتب العلم لاهلها ولغير أهلها غير أن الاهل له أخذ الزكاة من الغير والمديون يزكى الفاضل عن دينه وافتراضها عمرى أى على التراخى وقيل فورى وعليه الفتوى فيأثم بتأخيرها بلا عذر وترد شهادته ولا زكاة فى اللآلئ والجواهر الا أن تكون للتجارة ولا زكاة فى السائمة المعلوفة فى أكثر الحول الا أن تكون للتجارة فتجب فيها زكاة التجارة وزكاة الابل نصابها خمس فيؤخذ من كل خمس منها الى خمس وعشرين شاة وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى طعنت فى الثانية وفى ست وثلاثين بنت لبون وهى التى طعنت فى الثالثة وفى ست وأربعين حقة وهى التى طعنت فى الرابعة وفى احدى وستين جذعة وهى التى طعنت فى الخامسة وفى ست وسبعين بنتا لبون وفى احدى وتسعين حقتان الى مائة وعشرين هكذا كتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ثم تستأنف الفريضة عندنا وقال الشافعى وأحمد اذا زادت على مائة وعشرين واحدة ففيها ثلاث بنات لبون الى مائة وثلاثين ففيها حقة وبنتا لبون وعن مالك قولان أحدهما كمذهب الامام أبى حنيفة والآخر كالشافعى ونصاب البقر والجاموس ثلاثون سائمة وفيها تبيع وهو ذو سنة وفى أربعين مسن ذو سنتين وفيما زاد بحسابه لا يكون عفوا الى ستين ففيها ضعف مافى ثلاثين ونصاب الغنم ضان ومعز أربعون وفيها شاة وفى مائة واحدى وعشرين شاتان وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه وفى أربعمائة أربع شياه وما بينهما عفو ثم فى كل مائة شاة ولو أخذ البغاة والسلاطين الجائرة زكاة السوائم والعشر والخراج لا اعادة على أربابها ان صرف فى محله الشرعى والا فعليهم فيما بينهم وبين الله تعالى ونصاب الذهب عشرون مثقالا والفضة مائتا درهم وفى عرض تجارة قيمته نصاب ربع عشر وفى كل خمس بحسابه ففى كل أربعين درهما درهم وفى كل أربعة مثاقيل قيراطان ومابين الخمس الى الخمس عفو وقالا مازاد بحسابه والمذهب أحمد ومالك والشافعى وشرط حولان الحول وكمال النصاب فى طرفى الحول فلا يضر نقصانه بينهما ويضم عند الثلاثة الذهب الى الفضة وعكسه قيمة خلافا للشافعى وتجب عند الحنفية وان كان حليا وقال مالك وأحمد لا تجب وعن الشافعى قولان واتفق الائمة على وجوب الزكاة فى الاوانى ذهبا وفضة وان كانت محرمة وعصى الله تعالى باستعمالها وأما الاحاديث الواردة فى فضل الزكاة فمنها ماروى عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله تعالى عنهما قالا خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والذى نفسى بيده ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكى لا يدرى على ماذا حلف ثم رفع رأسه وفى وجهه البشرى فكانت أحب الينا من حمر النعم قال مامن عبد يصلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له أبواب الجنة وقيل له ادخل بسلام وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال أتى رجل من بنى تميم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله انى ذو مال كثير وذو أهل وحاضرة فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسائل وعن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجة الوداع ان أولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التى كتبهن الله تعالى عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتى الزكاة محتسبا طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التى نهى الله تعالى عنها الا رافق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فى بحبوحة جنته أبوابها مصارع

الذهب فقال رجل من أصحابه يارسول الله وكم الكبائر قال تسع أعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق
والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت
العتيق الحرام قبلتكم احياء وأمواتا وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار
جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد
فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ومن حقها
حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ٢ أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها
وتعضه بافواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى
سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها الا اذا
كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها شيأ ليس منها عقصاء ٣ ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها
وتطؤه باظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد
فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالخيل قال الخيل ثلاثة هى لرجل وزر وهى لرجل ستر وهى
لرجل أجر فاما التى هى له وزر فرجل ربطها رياء وفخرا ونواء لاهل الاسلام فهى له وزر وأما التى هى له ستر فرجل
ربطها فى سبيل الله ثم لم ينس حق الله فى ظهورها ولا رقابها فهى له ستر وأما التى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله
لاهل الاسلام فى مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شئ الا كتب له عدد ما أكلت حسنات
وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا تقتطع طولها فاستنت شرفا أو شرفين الا كتب له عدد آثارها وأرواثها
حسنات ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها الا كتب الله تعالى له عدد ما شربت حسنات
قيل يارسول الله فالحمر قال ما أنزل على فى الحمر الا هذه الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره رواه البخارى ومسلم وفى رواية للنسائى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن رجل
لا يؤدى زكاة ماله الا جاء يوم القيامة شجاعا من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف
سنة حتى يقضى بين الناس وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماتلف مال فى بر ولا بحر الا بحبس الزكاة وروى
ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يامعشر المهاجرين خصال خمس ان ابتليتم بهن
ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الاوجاع التى لم تكن فى
اسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم
الا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ
بعض ما فى أيديهم ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم وقال سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله
بما تعملون خبير قال ابن عمر قال عليه الصلاة والسلام ان الذى لا يؤدى زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا
أقرع له زبيبتان ٤ فيلزمه أن يطوقه يقول انا كنزك ولله ميراث السموات والارض فمالهم يبخلون عليه بملكه ولا
ينفقونه فى سبيله وحكى فى نزهة المجالس انه كان فى زمن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رجل كثير المال فلما مات
حفروا قبره فوجدوا فيه ثعبانا عظيما فاخبروا ابن عباس بذلك فقال احفروا غيره فحفروا فوجدوا الثعبان فيه حتى
حفروا سبع قبور فسأل ابن عباس من أهله عن حاله فقالوا انه كان يمنع الزكاة فامرهم بدفنه معه وقال النبى صلى

٢ القرقر الارض المطمئنة اللينة اهـ منه

٣ قال فى القاموس الاعقص من التيوس ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه وبقر جلح كسكر بلا قرون والعضباء الشاة المكسورة القرن الداخل اهـ منه

٤ الزبيب سم الحية والزبيبتان اسم ريق الحية اهـ منه

الله تعالى عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا فيقول وعزتى وجلالى
لأدنينكم ولأبعدنهم *(فائدة)* اختلف العلماء هل الفقير الصابر أفضل أم الغنى الشاكر فقيل الغنى الشاكر
وقال بعض الفقير الصابر لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء
واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء وفى رواية فرأيت أكثر أهلها الاغنياء وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا فى الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ماشاء الله تعالى
أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقيه فقال يا أخى ماذا حبسك والله لقد خشيت حتى خفت عليك فقال يا أخى انى حبست
بعدك حبسا فظيعا كريها ماوصلت اليك حتى سال منى العرق مالو ورد ألف بعير لصدرت عنه ولما قال صلى الله
تعالى عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة قالت عائشة ولم
يارسول الله قال لانهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ياعائشة لا تردى مسكينا ولو بشق تمرة ياعائشة
احبى المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة رواه الترمذى واعلموا أن الصدقة ماعدا الزكاة من أفضل
الاعمال وموجبة فى الدنيا والآخرة للخلاص من الشدائد والاهوال ولاسيما صدقة السر فانها تطفئ غضب الرب
وقد روى الترمذى وغيره ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله الامام
العادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا
عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه وروى الطبرانى مانقصت صدقة من مال ومامد عبد يده
بصدقة الا ألقيت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقر يقول
العبد مالى مالى وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى وماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه
للناس وقال عليه السلام مامنكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا
ما قدم فينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة
الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وفى حديث كعب بن عجرة يا كعب انه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على
سحت النار أولى به يا كعب الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء
وفى رواية ان الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وفى رواية
الصدقة تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى
الآخرة وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف وروى من كسا
مسلما ثوبا لم يزل فى ستر الله عز وجل مادام عليه منه خيط أو سلك وروى أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه
الله تعالى من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما
على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة رحم
وكل قرض صدقة وفى رواية رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الحسنة بعشر أمثالها والقرض بثمانية
عشر مامن مسلم يقرض مسلما قرضا مرة الا كان كتصدقه مرتين من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا
والآخرة وروى أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف وروى من أطعم
أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله تعالى من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين خمسمائة عام وروى
ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت
ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب وكيف أطعمك
وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى
يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما
انك لو سقيته وجدت ذلك عندى وروى فى الماء قوله يارسول الله ان أمى توفيت ولم توص فينفعها أن أتصدق

عنها قال نعم وعليك بالماء وروى يارسول الله أى الصدقة أفضل قال سقى الماء وفى حديث سبع تجرى للعبد بعد موته وهو فى قبره من علم علما أو كرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وفى رواية أو غرس نخلا أو بنى بيتا لابن السبيل واعلموا أن من الكبائر سؤال الغنى وكسب الصدقة طمعا وتكثرا أخرج الطبرانى من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر وروى الامام أحمد من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته فى وجهه خموش وخدوش وروى من فتح على نفسه باب مسئلة من غير فاقة نزلت به أو عيال لا يطيقهم فتح الله عليه باب فاقة من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن الكبائر الالحاح فى السؤال المؤذى للمسؤل أخرج البزار لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت ان الله تبارك وتعالى يحب الغنى الحليم المتعفف ويبغض البذى الفاجر السائل الملح وروى ان أحدكم ليخرج من عندى بحاجته متأبطها أى جاعلها تحت ابطه وما هى الا النار فقيل يارسول الله لم تعطيهم قال يأبون الا أن يسألونى ويأبى الله عز وجل لى البخل وأما ما كان من غير مسئلة فانما ذلك رزق يرزقكه الله تعالى وروى من آتاه الله شيأ من هذا المال من غير أن يسأله فليقبله فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه لكن صرح الفقهاء بان من أعطى شيأ على ظن علمه أو صلاحه مثلا وهو ليس كذلك يحرم عليه أخذه ومن الكبائر التطفل وهو الدخول على طعام الغير ليأكل منه من غير اذنه ولا رضاه حتى قال ابن حجر فى الزواجر انه لا تقبل شهادة الطفيلى وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى لما روى مرفوعا من أتى طعاما لم يدع اليه دخل سارقا وخرج مغيرا ولانه يأكل حراما ويفعل ما فيه دناءة وهذا اذا تكرر منه والا فتقبل قال ولذا ورد ان شر الطعام طعام الوليمة فقد روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه موقوفا عليه شر الطعام طعام الوليمة تدعى اليه الاغنياء وتترك المساكين ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله وفى رواية لمسلم اذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو نحوه قال والحاصل عندنا أن الاجابة لوليمة العرس واجبة بشروطها المقررة فى محلها ولسائر الولائم وغيرها مستحبة اهـ ومن الكبائر أيضا منع الانسان لقريبه أو مولاه مما سأله فيه لاضطراره اليه مع قدرة المانع عليه وعدم عذر له فى المنع فقد أخرج الطبرانى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من ذى رحم يأتى ذو رحمه اليه فيسأله فضلا أعطاه الله اياه فيبخل عليه الا أخرج الله عز وجل من جهنم حية يقال لها شجاع يتلمظ فتطوق به وروى من أراد أن يمد فى عمره ويبسط فى رزقه فليصل رحمه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله فيما ملكت أيمانكم ولا تعذبوا خلق الله ان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وسيأتى تتمة لهذه الابحاث فى الدروس الآتية ان شاء الله تعالى ومن الكبائر أن يسأل السائل غير الجنة وأن يمنع المسؤل سائله بوجه الله عز وجل قال عليه الصلاة والسلام ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله تعالى ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا أى قبيحا وروى الترمذى الا أخبركم بشر الناس رجل يسئل بالله ولا يعطى والنسائى وغيره من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بوجه الله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه وفيه رواية زيادة قصة الخضر وهى ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينما هو يمشى ذات يوم فى سوق بنى اسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال تصدق على بارك الله تعالى فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ما عندى شئ أعطيكه فقال المسكين أسألك بوجه الله لما تصدقت على فانى نظرت السماحة فى وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندى شئ أعطيكه الا أن تأخذنى فتبيعنى فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم أقول لقد سألتنى بأمر عظيم أما انى لا أخيبك بوجه ربى بعنى قال فقدمه الى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشترى زمانا لا يستعمله فى شئ فقال انما اشتريتنى التماس خير عندى فأوصنى بعمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف قال ليس يشق على قال قم فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ست نفر فى يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة فى ساعة قال أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه ثم عرض للرجل سفر فقال

انى أحسبك أمينا فاخلفنى فى أهلى خلافة حسنة قال أوصنى بعمل قال انى أكره أن أشق عليك قال ليس يشق على قال فاضرب من اللبن لبيتى حتى أقدم عليك فمضى الرجل لسفره قال فرجع الرجل وقد شيد بناءه قال أسألك بوجه الله تعالى ما سبيلك وما أمرك قال سألتنى بوجه الله ووجه الله أوقعنى فى هذه العبودية فقال الخضر سأحدثك من أنا أنا الخضر الذى سمعت به سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى شئ أعطيه فسألنى بوجه الله عز وجل فأمكنته من رقبتى فباعنى وأخبرك أنه من سئل بوجه الله تعالى فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده لا لحم له يتقعقع فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يا نبى الله لم أعلم قال لا بأس أحسنت وأنفقت فقال الرجل بابى أنت وأمى احكم فى مالى وأهلى ما شئت أو اختر فاخلى سبيلك قال أحب أن تخلى سبيلى فأعبد ربى فخلى سبيله فقال الحمد لله الذى أوقعنى فى العبودية ثم نجانى منها اهـ فعليكم عباد الله بالتجنب عن الشبهات والحرام وأكل الحلال والتصدق به على الاهل والعيال ولاسيما الاقارب والارامل وأبناء السبيل والايتام فقد قال عز من قائل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فيا عباد الله اطلبوا الحلال واحذروا من الشبهات واقنعوا باليسير فما يحتمل الصافى الشهوات وليس الطيب ما طاب طعمه بل ما صفا من الآفات وبذلك أمر الانبياء لا اتباع اللذات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات الدنيا دار تكليف لا منزل راحات اغتنموا زمانكم وجزؤا الاوقات واحذروا الدنيا فما طعمها فعموسها سمومات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات كانوا يقنعون من الدنيا بلقيمات ويتناولون بين الليل والنهار تمرات غرسوا أشجار الصبر يرجون الثمرات فما مضت أيام الا وسنبل النبات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ما ضرهم ما مضى من الملمات لقد عاشوا بالذكر بعد الممات ووصلوا بعد الرحيل الى الجنات فتلقتهم براحات الراحات حور مقصورات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات كان أويس يلتقط من المزابل خريقات وربما أعد لافطاره حشفات فيأكلهم ثم يرد الفرات ما أطيبها اذ سلمت من الزلات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ويحك ان اللذات سبب هلاك الذات كم تعزم على فعل الطاعات ثم تتغير فى ساعة لا فى ساعات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات أين المجتهد فى كسبه أين الخائف من ربه ان آكل الربا قد آذن بحرب ألا انه من أدخل الحرام على قلبه مات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات تأتى بقلب قد أظلم فتحدث بالنصح ولا تفهم وتقول دلونى على طريق ابن أدهم ألا ان العمى مانع والظلم ظلمات وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا واغفر لنا ولكافة المسلمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين

المجلس الحادى عشر

(فى الحج من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المالك العظيم الجليل المنزه عن النظير والعديل المنعم بقبول القليل المكرم باعطاء الجزيل تقدس عما يقول أهل التعطيل وتنزه عما يعتقد أهل التمثيل نصب للعقل على وجوده أعظم دليل وهدى الى جوده أبين سبيل وجعل للحسن حظا الى ميل جميل فأمر ببناء بيت وجل عن السكنى الجليل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم حمى حماه لما قصده أصحاب الفيل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل أحمده كلما نطق بحمده وقيل وأصلى وأسلم على رسوله محمد النبى النبيل الجليل وعلى أبى بكر الذى لا يبغضه الا ثقيل وعلى عمر وفضله طويل وعلى عثمان وكم له من فعل جميل وعلى على من كسر الاصنام وقمع الاباطيل وعلى بقية الآل والصحابة الوارثين التنزيل *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج فانه قال فى

جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت الحديث (فنقول) قد تقدم الكلام على الاسلام والشهادتين والصلاة والزكاة والصوم فى الدروس السالفة ولنذكر الآن ان شاء الله تعالى ما يتعلق بالحج ومابعده اعلم أن الحج لغة هو القصد وشرعا هو قصد الكعبة المكرمة لاجل النسك والطواف بها والسعى بين الصفا والمروة مع الوقوف بعرفة فى زمن مخصوص وهو من أعظم أركان الاسلام وكفارة للآثام فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى تعالى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعن عمرو بن عنبسة رضى الله تعالى عنه قال قال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فأى الاسلام أفضل قال الايمان قال وما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال فأى الاعمال أفضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر السوء قال فأى الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن تقاتل الكفار اذا لقيتهم قال فأى الجهاد أفضل قال من عقر جواده وأهريق دمه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم عملان هما أفضل الاعمال الا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة مبرورة رواه الامام أحمد والطبرانى والبيهقى وغيرهم والحج المبرور قيل هو الذى لا يقع فيه معصية وقيل هو المقبول ومن علامات قبوله أنه اذا رجع الى وطنه الحاج يكون حاله خيرا من الاول وقيل هو الذى لا رياء فيه وقيل هو الذى لا تعقبه معصية وقيل هو الذى لا ترتكب فيه المعاصى ولا يكون فيه فلس من حرام وما أحسن قول القائل

ومن كان بالمال الحرام حجه * فعن حجه والله ما كان أغناه

اذا هو لبى الله كان جوابه * من الله لا لبيك حج رددناه

(قلت) ولعل من علامات الحج الغير المبرور أن يحج قاصدا أن يدعى بحاج فلان حتى انه اذا نودى باسمه فقط يغضب ويضجر ويقطب وجهه ويتكدر ففعله هذا يدلك على عدم اخلاصه فى الحج وعلى ريائه والعياذ بالله تعالى فى العج والثج وقد جاء من حديث جابر مرفوعا ان بر الحج اطعام الطعام وطيب الكلام وعند بعضهم وافشاء السلام وقال صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة رواه البخارى وعن أبى موسى رضى الله تعالى عنه رفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحاج يشفع فى أربعمائة من أهل بيته ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما ترفع ابل الحاج رجلا ولا تضع يدا الا كتب الله له بها حسنة أو محا عنه سيئة أو رفعه بها درجة وفى رواية حتى اذا انتهى الى البيت فطاف وطاف بين الصفا والمروة ثم حلق أو قصر الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقد مرض ابن عباس رضى الله تعالى عنه فدعا اولاده فجمعهم فقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حج من مكة ماشيا حتى يرجع الى مكة كتب الله تعالى له بكل خطوة سبعمائة حسنة كل حسنة مثل حسنات الحرم قيل له وما حسنات الحرم قال بكل حسنة مائة ألف حسنة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وعنه من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج الى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر الى يوم القيامة ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازى الى يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة وروى عن على كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك لان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وفيه ضعف نعم صح

عن عمر رضى الله تعالى عنه لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الامصار فينظروا كل من له نفقة ولم يحج فليضرب عليهم الجزية ما هم بمسلمين وقال عليه الصلاة والسلام تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة جزاء الا الجنة وورد فى بعض الروايات ان الصلاة الواحدة فى مسجد مكة بمائة ألف ألف ألف صلاة فى غيرها وأخرج الطبرانى ان الله عز وجل ينزل على هذا المسجد فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف وقالت عائشة يا رسول الله هل على النساء من جهاد قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة وليعلم أن المرأة لا يجب عليها الحج الا اذا ملكت الزاد والراحلة ووجدت معها محرما أو زوجا لانه لا يباح لها السفر مسيرة ثلاثة أيام بلا ذلك وعبدها ليس بمحرم لان تحريم نكاحها عليه ليس على التأبيد فاذا وجدت الشروط لها أن تحج بلا اذن الزوج فليحفظ ولنذكر بعض المسائل التى اتفق العلماء عليها فى بحث الحج وبعضا من المسائل التى اختلف فيها على وجه الاقتصار قال فى الميزان أجمع العلماء على أن الحج أحد أركان الاسلام وأنه فرض واجب على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع فى العمر مرة واحدة وأجمعوا على أنه لا يجب على الصبى حج وان حجه قبل البلوغ لا يسقط عنه فريضة الحج واتفقوا على استحباب الحج لمن لم يجد زادا ولا راحلة ولكنه يقدر على المشى وعلى صنعة يكتسب بها ما يكفيه للنفقة وعلى أنه لا يلزم بيع المسكن للحج وعلى جواز النيابة فى حج الفرض عن الميت واختلفوا فى العمرة فقال أبو حنيفة ومالك ان العمرة سنة لا فريضة وقال أحمد والشافعى فى أرجح قوليه انها فريضة كالحج وقال الائمة الثلاثة ما عدا مالكا انه يجوز فعل العمرة فى كل وقت مطلقا من غير حصر يعنى فى العدد بلا كراهة وقال الامام مالك يكره أن يعتمر فى السنة مرتين والعمرة هى احرام وطواف وسعى بين الصفا والمروة وحلق ثم يتحلل وليس فيه وقوف فى عرفات بخلاف الحج فان فيه الوقوف اليوم التاسع من ذى الحجة لان الحج عرفات واختلفوا فيمن مات بعد التمكن من الحج فقال الشافعى وأحمد لا يسقط عنه الحج بل يجب الحج عنه من رأس ماله سواء أوصى به أم لم يوص به كالدين وقال أبو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم ورثته أن يحجوا عنه الا أن يوصى فيحجوا عنه من ثلثه واختلفوا فى موضع الحج عنه فقال أبو حنيفة وأحمد يحج عن الميت من دويرة أهله وقال مالك من حيث أوصى به والراجح من مذهب الشافعى أنه من الميقات واختلفوا فى صحة حج الصبى فقال الائمة الثلاثة بصحة حج الصبى باذن وليه اذا كان يعقل ويميز ومن لم يميز يحرم عنه وليه وقال الامام أبو حنيفة لا يصح احرام الصبى بالحج واختلفوا فى حج من يحتاج الى مسئلة الناس فقال الائمة الثلاثة بكراهته وقال مالك انه ان كان له عادة بالسؤال وجب عليه الحج واختلفوا فى حج من استؤجر للخدمة فى الطريق فقال الائمة الثلاثة انه يصح حجه وقال الامام أحمد لا يصح حجه واختلفوا فيما لو غصب دابة فحج عليها أو مالا فحج به فقال الائمة الثلاثة يصح حجه وان كان عاصيا بذلك وقال أحمد لا يصح حجه ولا يجزئه واختلفوا فى وجوب الحج على من وجبت عليه ٢ خفارة فى الطريق فقال الائمة الثلاثة لا يجب الحج على من وجبت عليه أجرة خفارة وقال مالك يجب عليه الحج ان كانت يسيرة وأمن العدو واختلفوا فى العاجز فقال الائمة الثلاثة ان العاجز عن الحج بنفسه لمرض أو زمانة لا يرجى برؤه منها أو لهرم ووجد أجرة من يحج عنه لزمه الحج فان لم يفعل استقر الفرض فى ذمته وقال أحمد لا يجب عليه الحج وانما يجب الحج على من كان مستطيعا بنفسه خاصة واختلفوا فى الاعمى فقالت الائمة الثلاثة ان الاعمى اذا وجد من يقوده لزمه الحج بنفسه ولا يجوز له الاستنابة وقال أبو حنيفة يلزمه الحج فى ماله فيستنيب من يحج عنه واختلفوا فيمن قصد دخول مكة زادها الله تعالى شرفا فقال الشافعى ان من قصد دخول مكة لا للنسك يستحب له أن يحرم بحج أو عمرة وقال أبو حنيفة لا يجوز لمن هو وراء الميقات أن يجاوزه الا محرما وأما من هو دونه فيجوز له دخوله بغير احرام وقال ابن عباس لا يدخل أحد الحرم الا محرما وقال مالك والشافعى فى القديم لا تجوز مجاوزة الميقات بغير احرام ولا دخول مكة بغير احرام الا أن يتكرر دخوله كحطاب

٢ التى تسمى الآن خاوة اهـ منه

وصياد واختلفوا فى المرأة اذا حاضت قبل طواف الافاضة لم تنفر حتى تطهر وتطوف ولا يلزم الجمال حبس الجمل لها بل ينفر مع الناس وتركب غيرها وقال مالك يلزمه حبس الجمل أكثر من مدة الحيض وزيادة ثلاثة أيام وقال أبو حنيفة ان الطواف لا يشترط فيه طهارة فتطوف وتدخل مع الحاج وقد أفتى البارزى النساء اللاتى حضن فى الحج بذلك ونقله عن جماعة من أئمة الشافعية اهـ (قلت) وقد سبق ذكر هذا القول عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى وأنها تفدى ببدنة والى هذا القول ذهب من الحنابلة شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية عليه الرحمة وبقيت من مسائل الحج خلافيات كثيرة من أرادها فليرجع الى الكتب الفقهية (فوائد جليلة) الاولى مواقيت الحج زمانية ومكانية فالزمانية هى التى يحرم فيها وهى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والمواقيت المكانية لاهل المدينة المنورة ذو الحليفة ولاهل الشام الجحفة ولاهل نجد قرن المنازل ولاهل اليمن يلملم ولاهل العراق ذات عرق وكذلك هى لمن أتى عليها من غير أهلها والاحرام عبارة عن عدم لبس المخيط وترك الجماع والصيد وغير ذلك مما هو مفصل فى كتب المناسك وموقت العمرة جميع السنة كما تقدم وكان عليه الصلاة والسلام يقول عمرة فى رمضان تعدل حجة معى

(الفائدة الثانية) وورد فى ماء زمزم أحاديث شريفة منها قوله عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له ان شربته تستشفى به شفاك الله عز وجل وان شربته ليشبعك أشبعك الله وان شربته لقطع ظمئك قطعه الله تعالى ومنها آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم وكان ابن عباس يقول اذا شربه اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وكان ابن المبارك يقول اللهم ان نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له وها أنا قد شربته لعطش يوم القيامة ثم يشرب وروى ان بين الركن والمقام ملتزم ما يدعو به صاحب عاهة الا برئ وان جبريل لما ركز زمزم بعقبه جعلت أم اسمعيل تجمع البطحاء رحم الله هاجر لو تركتها لكانت عينا معينا وان ماءها لما شرب له من أمور الدنيا والآخرة وجاء فى حديث صحيح ان الحجر الاسود من الجنة وأنه يرفع بينما هم يطوفون به اذا أصبحوا وقد فقدوه وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان يشهد على من استلمه وفى رواية وقبله من أهل الدنيا وانه شافع مشفع وانه كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك ولولا ذلك ما مسه ذو عاهة الا شفى وانه يمين الله فى الارض يصافح بها عباده أى يمنه وبركته ينزلها عليهم اذا استلموه وأنه والركن اليمانى يحطان الخطايا والذنوب (الفائدة الثالثة) كره الامام الاعظم المجاورة بمكة زادها الله تعالى شرفا لتضاعف السيئات فيها كالحسنات اذ لا يقدر المجاور على حفظ نفسه خلافا للصاحبين وبالاستحباب قالت الائمة الثلاثة قال حجة الاسلام الغزالى وبقوله قال الخائفون المحتاطون ولا يظن ان كراهة القيام تنافى فضل البقعة لان هذه الكراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع المكرم

(خاتمة) رزقنا الله واياكم حسنها صرح علماء المذاهب كافة ان الانسان اذا قضى حجه ينبغى له أن يزور النبى المصطفى والحبيب المجتبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويصلى فى مسجده الشريف لانهم قالوا بسنية شد الرحال الى المساجد الثلاثة وهى المسجد الحرام والمسجد الاقصى وهو البيت المقدس ومسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وثبت ان الصلاة تتضاعف فى ذلك كما سيأتى وصرحوا بأن من أتى المسجد النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام سنت له زيارة المصطفى أرواحنا له الفداء حتى قال بعضهم بوجوبها ويأتى الزائر بعد صلاة الركعتين الى روضته المطهرة مقابلا لوجهه الشريف خاضعا متذللا متأدبا متشوقا كما يأتى اليه فى حياته ويصلى ويسلم عليه وعلى صاحبيه وضجيعيه المحترمين ويدعو بالادعية المشروعة من غير تقبيل للجدار المكرم كما نص عليه النووى فى مناسكه لانه عليه الصلاة والسلام حى فى قبره بل ذهب كثير من العلماء الى سنية جواز شد الرحل الى الزيارة بخصوصها رزقنا الله تعالى العود اليها لقوله عليه الصلاة والسلام من جاءنى زائرا لا يعمله حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وقوله من حج ولم يزرنى فقد جفانى وقوله ما من أحد يسلم على الا سلمت عليه ولا يصلى على أحد الا صلى الله تعالى وملائكته عليه وقد صرحت بسنية زيارته عليه الصلاة والسلام علماء الحنابلة قاطبة ومنهم شيخ الاسلام وتلميذه ابن القيم الهمام وغيرهما من الاعلام الا ان الزائر عندهم ينوى المسجد النبوى ثم يقصد الزيارة المسنونة المشروعة بادعيتها المأثورة وهى لديهم

من أعظم السنن المرغوبة والطاعات المطلوبة وقد استوفينا الكلام على هذا البحث فى كتابنا جلاء العينين فارجع اليه لتشفى الغين من البين ٢ واعلم أنه قد ورد فى المدينة المنورة أحاديث كثيرة فمنها ما رواه بلال بن الحرث رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان وفى الجامع الصغير عن أبى الدرداء أنه عليه الصلاة والسلام قال الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة وفى رواية أخرى والصلاة بمسجدى عشرة آلاف صلاة والصلاة فى مسجد الرباطات وهى ثغور العدو بألف صلاة ومنها ما أخرجه الشيخان عن سعد رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء زاد مسلم ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله تعالى فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء وروى الامام أحمد وغيره من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى ومنها ما رواه الطبرانى اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل أى فرض ونافلة وقال ابن حجر صرح ابن القيم بان استحلال حرمة المدينة كبيرة وهى كمكة لخبر مسلم [illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمدينة فقال بل حرام لا يختلى أى لا يقطع خلاها أى كلؤها الرطب من فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وهذه مسئلة خلافية بين المذاهب ومنها لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى الا كنت له شفيعا يوم القيامة لا يدعها أحد رغبة الا أبدل الله فيها من هو خير منه ومنها ليأتين على أهل المدينة زمان ينطلق الناس منها الى الارياف يلتمسون الرخاء فيجدون الرخاء ثم يأتون فيحتملون أهلهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ومنها من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فمن مات بالمدينة كنت له شفيعا وشهيدا الوباء والدجال لا يدخلانها ومنها اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا وبارك لنا فى شامنا ويمننا قيل وعراقنا قال ان بها قرن الشيطان قال فى الزواجر أى أتباعه وقوة ملكه وتصريفه وتهييج الفتن وفى صحيح البخارى فى باب الزلازل عن ابن عمر انه قال اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قال قالوا وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قالوا وفى نجدنا قال قال هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان قال القسطلانى والمراد بشامنا ويمننا الاقليمان المعروفان أو البلاد التى عن يمينها وشمالها لا نعم منهما وانما ترك الدعاء لاهل المشرق لانه علم العاقبة وان القدر سبق بوقوع الفتن فيها وفى المشارق عن مسلم غلظ القلوب فى أهل المشرق والايمان فى أهل الحجاز (قلت) ولان من أرض العراق أرض بابل وهى كما قال على كرم الله تعالى وجهه نهانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أصلى بارض بابل فانها ملعونة كيف لا وقد وقعت فيها الوقائع التى أبكت المسلمين وفلت أعمدة الدين وخرج كثير من المبتدعة منها ورووا أحاديث الفتن عنها وهذا لا ينافى بروز العلماء الاجلة أيضا فيها فكم وكم بزغ من برجها امام كامل ومجتهد فاضل وورع زاهد وولى مجاهد ومجدد واصل وقطب كامل وعالم تشد اليه من الاقطار الرواحل ومحدث ومفسر وفقيه وعلامة مدقق نبيه وطالما انتشرت منها العلوم الاسلامية وانتثرت من ساكنيها الاحكام السنية ونسأله تعالى أن يدفع عنهم كل ضير ويجزيهم عنا وعن المسلمين بكل خير آمين فعليكم عباد الله بالحج المبرور وزيارة النبى الشافع المشفع يوم النشور

فيا أيها الناسى ليوم رحيله * أراك عن الموت المفرق لاهيا
ألا تعتبر بالظاعنين الى البلى * وتركهم الدنيا جميعا كما هيا

---

٢ وفى شرح القسطلانى لصحيح البخارى عند قوله عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى أى لا تشد الرحال الى مسجد للصلاة فيه ثم قال فى آخر باب فضل ما بين القبر والمنبر ما نصه واختلف فى شد الرحال الى غيرها كالذهاب الى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا والى المواضع الفاضلة للصلاة فيها والتبرك بها فقال أبو محمد الجوينى يحرم عملا بظاهر الحديث واختاره القاضى حسين وقال به القاضى عياض وطائفة والصحيح عند جمع من الشافعية الجواز اهـ باقتصار اهـ منه

ولم يخرجوا الابقطن وخرقة * وماعمروا من منزل ظل خاليا
وأنت غدا أو بعده فى جوارهم * وحيدا فريدا فى المقابر ثاويا

ويامن عليه منازل الموت تدور وهو مستانس بالمنازل والدور لابد أن تخرج من القصور على التوانى والقصور لابد من الرحيل الى بلاد القبور على الغفلات وعلى الفتور يامظلم القلب وماللقلب نور الباطل خراب والظاهر معمور ستحاسب على الايام والشهور وترى مافعلته من فجور فى النهار والديجور وستحزن بعد السرور على تلك الشرور اذا وفيت الاجور ونجا المخلصون دون أهل الزور تصلى ولكن بلا حضور وتصوم والصوم بالغيبة مغمور لو أردت الولدان والحور لسالتهم وقت السحور فكم بارزت بالقبيح والكريم الغفور يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور اللهم يا كريم ياغفور آنسنا برحمتك فى ظلمة القبور واجعلنا يوم القيامة ممن يسعى بين أيديهم و بأيمانهم النور وأسكنا بفضلك واحسانك الغرف والقصور فى جوار هذا الشفيع المشفع يوم العرض والنشور

المجلس الثانى عشر

(فى الايمان بالملائكة من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستحق الحمد وأهله وخالق الفرع وأصله منشئ الكائنات بفعله ومبين الهدى بايضاح سبله فضل نبينا بالقرآن فزاد على الرسل من قبله وتحدى به المكذبين فخرس كل ذى جهل عن جهله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله أحمده على صعب القدر وسهله وأشكره على قليل عطائه وجزله وأقر بوحدانيته متفيئا فى حمى الصدق وظله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى ختم به الانبياء فبت كل حبل غير حبله صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق مزعج المرتدين بسيف عزمه قبل سله وعلى عمر الذى كان الشيطان يفرق من صوت نعله وعلى عثمان الصابر على جراحه وقتله وعلى على المجاهد فى سبيل الله ومن أجله وعلى سائر آله وأصحابه الذين جعل كل منهم طاعة الله أعظم شغله *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم ابن الحجاج عليه الرحمة فانه قال فى جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قال صدقت الحديث (فنقول) وبالله التوفيق و بيده أزمة التحقيق قوله عليه الصلاة والسلام أن تؤمن بالله أى تصدق قلبا ولسانا بوجوده سبحانه وتعالى وأنه قديم أزلى أبدى سميع بصير متكلم لاشبه له ولا نظير ولا يحتاج الى أحد من خلقه وهو اللطيف الخبير وأن تؤمن بجميع صفاته وانها لاتشبه الصفات كما أن ذاته العلية لاتشبه الذوات فكل ماتصورته فى ذهنك أو توهمته فى وهمك فالله تعالى بخلافه لانه مخلوق وكل ماتصورته أو توهمته فهو مثلك مخلوق وقوله عليه الصلاة والسلام وملائكته أى تصدق بوجود ملائكته وأنهم لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون مايؤمرون وهم أجساد نورانية مبرأة عن الكدورات الجسمانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لايحتاجون الى طعام ولا شراب وهم عباد الله المكرمون وفيهم سفراؤه عزوجل بينه و بين خلقه صادقون فيما يخبرون به عنه ومنهم الكرام الكاتبون والمأمورون فى الارض والسماء وهم بالغون من الكثرة مالا يعلم علمها الا هو قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره اختلف الناس فى حقيقة الملائكة بعد اتفاقهم على أنها موجودة فذهب أكثر

المسلمين الى أنها أجسام نورانية وقيل هوائية قادرة على التشكل والظهور باشكال مختلفة باذن الله تعالى وقالت النصارى انها الانفس الناطقة المفارقة لابدانها الصافية الخيرة والخبيثة عندهم شياطين وقالت عبدة الاوثان انها هذه الكواكب السعد منها ملائكة الرحمة والنحس ملائكة العذاب وهى عندنا منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره يسبحون ولا يفترون وهم العلويون والمقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ماسبق به القضاء وجرى به القلم لايعصون الله ما أمرهم وهم المدبرات أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية ولا يعلم عددهم الا الله وفى الخبر أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع وهم مختلفون فى الهيئات متفاوتون فى العظم لايراهم على ماهم عليه الا أرباب النفوس القدسية وقد يظهرون بأبدان يشترك فى رؤيتها الخاص والعام وهم على ماهم عليه حتى قيل ان جبريل عليه السلام فى وقت ظهوره فى صورة دحية الكلبى بين يدى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفارق سدرة المنتهى ومثله يقع للكمل من الاولياء وهذا أمر وراء طور العقل وأنابه من المؤمنين اه وقد تبين من هذا الحديث ونحوه من الآيات وجوب الايمان بهم وان منكرهم كافر وقال عزوجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الآية وقال تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا نقل الجلال السيوطى عليه الرحمة فى كتابه الحبائك عن شعب الايمان للبيهقى أن الايمان بالملائكة ينتظم فى معان *أحدها التصديق بوجودهم * والثانى انزالهم منازلهم واثبات أنهم عباد الله وخلقه كالانس والجن مأمورون مكلفون لايقدرون الا على ما أقدرهم الله تعالى عليه والموت عليهم جائز ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ولا يوصفون بشئ يؤدى وصفهم به الى اشراكهم بالله تعالى ولا يدعون آلهة كما دعتهم الاوائل * والثالث الاعتراف بأن منهم رسلا يرسلهم الى من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرسل بعضهم الى بعض ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش ومنهم الصافون ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم كتبة الاعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره وروينا عن ابن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اه وقد نظم بعض مايتعلق بهم الامام أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى فى ارجوزته المسماة بالجواهر المضيئة فقال

القول بالملائك الكرام * فريضة لصحة الاسلام
وهم عباد الخالق القهار * قد خلقوا من خالص الانوار
حياتهم بالذكر والتسبيح * ومالهم فى الذكر من تبريح
قاموا صفوفا للعزيز الماجد * يدعونه على مقام واحد
قد طهروا عن شهوة العصيان * ومن شرور النفس والشيطان
ومالهم نسل ولا ولادة * ولا لهم شغل سوى العبادة
فمنهم كتاب أعمال الورى * ومنهم حفاظ سكان الثرى
ومنهم موكل بالرزق * يوصل أو يزوى بأمر الحق
فوصف حال القوم بالتفصيل * فى صحف الآثار والتنزيل
ونفيهم بالجحد والانكار * كفر صريح موجب للنار
ومن جرى لسانه بالطعن * والنقص فيهم فهو أهل اللعن

(ثم قال)

كذا لجنس الانس فضل بادى * بالعلم والتكليف والجهاد
على كرام الملا العباد * من ساكنى السبع العلا الشداد

فالرسل الكرام من نسل البشر * أفضل من رسل أولئك النفر
اذ موعد اللقاء والنعيم * للانس دون الملك الكريم اهـ

وفي شرح النسفية رسل البشر أفضل من رسل الملائكة ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر أما تفضيل رسل الملائكة على عامة البشر فبالاجماع بل بالضرورة وأما تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة فلوجوه منها مسئلة السجود لآدم ومنها قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والملائكة من جملة العالم وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملائكة وتمسكوا بوجوه منها أن الانبياء يتعلمون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى والمعلم أفضل من المتعلم ومنها تقديمهم في الذكر كما في هذا الحديث وقوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومفصل أجوبة الطرفين في الكتب الكلامية ولما كان الايمان بهم واجبا فلنذكر لكم بعض الاحاديث الواردة وبيان بعض فرقهم وما يتعلق بالايمان بهم لتزدادوا معرفة وايمانا مستمدا من الكتاب المذكور ضوعفت لمؤلفه الاجور فقد أخرج مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وأخرج أبو الشيخ عن يزيد بن رومان أنه بلغه أن الملائكة خلقت من روح الله وأخرج البزار وأبو الشيخ وابن منده في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال خلق الله تعالى الملائكة من نور وينفخ في ذلك ثم يقول ليكن منكم ألف ألفان فان من الملائكة خلقا أصغر من الذباب وليس شئ أكثر من الملائكة وروى أحمد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط ما منها موضع أربع أصابع الا وعليها ملك واضع جبهته وفي رواية أو قائم ثم قرأ وانا لنحن الصافون وأخرج الدينوري عن عبد الرحمن بن زيد قال ليس من خلق الله شئ أكثر من الملائكة ليس من بني آدم الا ومعه ملكان سائق يسوقه وشاهد يشهد عليه فهذا ضعف بني آدم ثم بعد ذلك السموات مكبوسات ومن فوق السموات بعد الذين حول العرش وأخرج أبو الشيخ ان في الجنة لنهرا من دخله ٢ فيخرج فينتفض الا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكا وأخرج أبو الشيخ عن الاوزاعي رضي الله تعالى عنه قال موسى عليه السلام يا رب من معك في السماء قال ملائكتي قال وكم هم يا رب قال اثنا عشر سبطا قال وكم عدد كل سبط قال عدد التراب وأخرج أيضا لجبريل في كل يوم اغتماسة في الكوثر ثم ينتفض فكل قطرة يخلق منها ملك وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب رضي الله تعالى عنه قال ما من موضع ابرة من الارض الا وملك موكل بها يرفع علم ذلك الى الله تعالى وان ملائكة السماء أكثر من عدد التراب وان حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى خده مسيرة مائة عام وعن عبد الله بن عمر الملائكة عشرة أجزاء تسعة أجزاء الكروبيون وهم الذين يحملون العرش وجزء وكلوا بخزانة كل شئ وان البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط لسقط عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وفي الملائكة رؤساء أربعة فعن ابن سابط قال يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فموكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وأخرج البيهقي عن المطلب أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قلت لجبريل مالي لا أرى اسرافيل يضحك ولم يأت أحد من الملائكة الا رأيته يضحك قال جبريل ما رأينا ذلك الملك ضاحكا منذ خلقت النار وفي رواية اذا سبح اسرافيل قطع على كل ملك في السماء صلاته استماعا له وليس أحد من خلق الله أحسن صوتا منه وهو صاحب الصور وعن ابن عباس قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشره بذلك فاذن له فجاء ابراهيم فبشره فقال الحمد لله ثم قال يا ملك الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض ثم نظر واذا برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة في جسده الا في صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشي على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت الى الصورة الاولى

٢ ما من أحد يدخله فيخرج فليراجع اهـ منه

فقال

فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن الا صورتك لكفاه فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال اعرض فأعرض ثم التفت فاذا برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيب ريحا في ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة الا صورتك لكان يكفيه وأخرج ابن أبي الدنيا قال سأل ابراهيم عزرائيل عليهما السلام اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الارواح باذن الله تعالى فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت له الارض فتركت مثل الطشت يتناول منها حيث شاء وفي رواية وجعل له أعوان يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم وفي رواية أخرى وكل خطوة منه من المشرق الى المغرب وأخرج أبو الشيخ ان لله ملكا في السماء يقال له الديك فاذا سبح في السماء سبحت الديوك في الارض يقول سبحان السبوح القدوس الرحمن الملك الديان الذي لا اله الا هو فما قالها مكروب أو مريض عند ذلك الا كشف الله همه وفي رواية فيرون أن الديكة انما تضرب بأجنحتها وتصرخ اذا سمعت ذلك وأخرج الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه فيقال له نم فيقول أرجع الى أهلي فأخبرهم فيقولون نم كنوم العروس الذي لا يوقظه الا أحب أهله حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه فان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري فيقولون قد علمنا أنك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وأخرج ابن أبي الدنيا عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفي غفلة عما خلق له ان الله عز وجل اذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب شقيا أم سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله تعالى به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت ليقبض روحه فاذا أدخل قبره ورد الروح في جسده وفي رواية انه يسمع قرع نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي ٢ البقر وأصواتهما مثل الرعد فامتحناه أي سألاه عما كان يعبد ومن كان نبيه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق وآخر شهيد ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قدامكم لأمرا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال كاتب الحسنات عن يمينه يكتب حسناته وكاتب السيئات عن يساره فاذا عمل حسنة كتب صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه حتى يسبح أو يستغفر وفي رواية فيمهل ست ساعات فاذا كان يوم الخميس كتب ما يجري به الخير والشر ويلقي ما سوى ذلك أي لأنه كان يكتب كل ما يتكلم به حتى انه يكتب أكلت وشربت ونحوهما ثم يلقي ما ليس فيه خير ولا شر ويثبت ما كان منه شرا أو خيرا وعلى ذلك قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله سبحانه اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وأخرج الدينوري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى للملائكة اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها واحدة فان عملها فاكتبوها عشرا واذا هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها واحدة فقال رجل يا أبا محمد الملكان يعلمان الغيب قال لا يعلمان الغيب ولكن اذا هم العبد بحسنة فاح منه رائحة المسك فيعلمان أنه قد هم بالحسنة واذا هم بالسيئة فاح منه رائحة النتن فيعلمان أنه قد هم بالسيئة وأخرج أيضا عن ابن المبارك قال بلغني أنه ما من أحد من بني آدم الا ومعه خمسة من الملائكة واحد عن يمينه وواحد عن شماله وواحد خلفه وواحد أمامه وواحد فوقه يدفع عنه ما ينزل من فوق رأسه من الهواء وأخرج عبد الرزاق عن ابن عباس في قوله تعالى له معقبات قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدره خلوا عنه وأخرج ابن جرير عن ابراهيم يحفظونه من أمر الله قال من الجن وفي رواية عن السدي يحفظونه من

٢ الصياصي على ما في القاموس جمع صيصة شوكة الديك وقرن البقر والظباء والحصن وكل ما امتنع به اهـ منه

بين يديه ومن خلفه ولا يصيبه شيء لم يكتب عليه اذا غشي من ذلك شيأ دفعاه عنه ألم تره يمر بالحائط فاذا جاز سقط فاذا جاء الكتاب خلوا بينه وبين ما كتب له وهم من أمر الله أمرهم أن يحفظوه وروى البيهقي ان الله عز وجل ملائكة في الارض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الاشجار فاذا أصاب أحدكم شيء بأن أفلتت دابته أو احتاج الى عون فليقل يا عباد الله أعينونا رحمكم الله تعالى فانه يعان ان شاء الله تعالى وروى عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل قال سمعت أبي يقول حججت خمس حجج منها اثنتان راكبا وثلاث ماشيا فضللت الطريق وكنت ماشيا فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق وأخرج أبو نعيم في الحلية عن محمد ابن كعب القرظي قال قرأت في التوراة أو قال في صحف ابراهيم عليه السلام فوجدت فيها يقول الله عز وجل يا ابن آدم ما أنصفتني خلقتك ولم تكن شيأ وجعلتك بشرا سويا خلقتك من سلالة من طين وجعلتك نطفة في قرار مكين ثم خلقت النطفة علقة فخلقت العلقة مضغة فخلقت المضغة عظاما فكسوت العظام لحما ثم أنشأتك خلقا آخر يا ابن آدم فهل يقدر على ذلك غيري ثم خففت ثقلك عن أمك لئلا تتأذى بك ثم أوحيت الى الامعاء أن اتسعي والى الجوارح أن تفرقي فاتسعت الامعاء من بعد ضيقها وتفرقت الجوارح من بعد تشبيكها ثم أوحيت الى الملك الموكل بالارحام أن يخرجك من بطن أمك فاستخلصت على ريشة من جناحه فاطلعت عليها فاذا أنت خلق ضعيف ليس لك سن يقطع ولا ضرس يطحن فاستخلصت لك في صدر أمك عرقا يدر لبنا باردا في الصيف حارا في الشتاء واستخلصته لك من بين جلد ودم وعروق ثم قذفت لك في قلب والدتك الرحمة وفي قلب أبيك التحنن فهما يكدان ويجهدان ويربيانك ويغذيانك ولا ينامان حتى ينوماك يا ابن آدم لم فعلت بك ذلك الشيء استأهلت به مني أو لحاجة استعنت بك على قضائها يا ابن آدم فلما قطع سنك وطحن ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف في أوانها وفاكهة الشتاء في أوانها فلما أن عرفت أني ربك عصيتني فالآن اذ عصيتني فادعني فاني قريب مجيب فادعني فاني غفور رحيم وأخرج أبو الشيخ بسند جيد عن ابن عباس قال وكل بالجنين ملك اذا نامت الام واضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق في الدم (قلت) اذا علمت ذلك وأردت السلوك بأحسن المسالك علمت أن ما تقوله النساء عند وضع الجنين مخالف لما شرع في الكتاب المبين وورد في أدعية سيد المرسلين عليه أفضل صلاة المصلين فينبغي أن لا ينادين يا علي يا عباس أو غيرهما من صلحاء الناس ولا يطلبوا تيسر المخاض والطلق الامن فالق الصباح والفلق فانه الخالق للجنين ومخرجه من الرحم المكين ولا ينبغي لصادق الايمان أن يلتجئ في تلك الحالة الى أحد من الانس والجان بل ينقطع في تنفيس كربته الى خالق مضغته ومبدئ نشأته والقادر بعد الفناء على اعادته نعم ذكر الفقهاء لاجل تسهيل ٢ الولادة كتابة بعض الآيات فمنها بسم الله الرحمن الرحيم وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت أهيا شراهيا اه ورأيت في بعض الكتب أن معناهما ياحي ياقيوم قالوا وتكتب هذه على ورقة قرطاس وتشد بفخذ المرأة اليسرى فيعجل الوضع باذنه تعالى وترى بعد العسر يسرا هذا ولنرجع الى ما نحن بصدده من بيان وظائف بعض الملائكة وأصنافهم فقد أخرج الاوزاعي في تاريخ مكة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل هذه الجمار ترمى في الجاهلية والاسلام كيف لا تكون هضابا تسد الطريق فقال ان الله عز وجل وكل بها ملكا فما تقبل منه رفع وما لم يتقبل منه ترك وأخرج الحاكم في تاريخه والشيرازي في الالقاب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ملك موكل بالقرآن فمن قرأه من أعجمي أو عربي فلم يقومه قومه الملك ثم رفعه قواما وأخرج الخطيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا وكل الله بها ملكا يبلغني وأخرج الطبراني والبغوي عن أبي طلحة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتاني جبريل ببشارة من ربي قال ان الله بعثني اليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك صلاة الاصلى الله وملائكته عليه بها عشرا وأخرج ابن عساكر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله ملائكة وهم الكروبيون من شحمة أذن أحدهم ٣ الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع

٢ وفي المجلس السابع والعشرين رقيات أخر لتسهيل الولادة فراجعها ولا تغفل اه منه

٣ الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق وجمعه التراقي والترائق اه منه

الانحطاط وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قال ان في السماء الرابعة حظيرة يقال لها حظيرة القدس فيها ملائكة يقال لهم الروحانيون فاذا كان ليلة القدر استأذنوا ربهم في النزول الى الدنيا فيأذن لهم فلا يمرون على مسجد يصلى فيه ولا يستقبلون أحدا في طريق الادعوا له فأصابه منهم بركة وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا وليعلم ان طوائف المكلفين أربعة الملائكة وهم أكثر جميع المخلوقات عددا والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين شرارهم وبعض الفرق أنكرتهم وانكارهم كفر قال تعالى يا معشر الجن والانس وقال عليه السلام الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ما منكم أحد الا وله شيطان قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم ويروى أن عيسى عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من بني آدم وكيفية وسوسته فأراه ذلك فاذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على قلبه فاذا ذكر الله تعالى خنس وأيس واذا لم يذكره ولم يستعذ وضع رأسه على حبة قلبه وقال الوالد عليه الرحمة في روح المعاني عند تفسير قوله تعالى قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن ما ملخصه الجن واحده جني كروم ورومي وهم أجسام عاقلة تغلب عليها النارية كما يشهد له قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار وقيل الهوائية قابلة جميعها أو صنف منها للتشكل بالاشكال المختلفة من شأنها الخفاء وقد ترى بصور غير صورها الاصلية بل وبصورها الاصلية التي خلقت عليها كالملائكة عليهم السلام وهذا للانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ومن شاء الله تعالى من خواص عباده عز وجل ولها قوة على الاعمال الشاقة وأكثر الفلاسفة على انكار الجن وهو الذي يلوح من كلام ابن سيناء وذلك كفر صريح واعترف جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات بوجودهم ويسمونهم بالارواح السفلية والآية ظاهرة في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة وقد وقع في الاحاديث أنه عليه الصلاة والسلام رآهم وجميع ذلك بتعدد القصة لان ابن عباس يقول ما رآهم وقد روى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن قال وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وفي رواية أخرى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى العشاء فأخذ بيدي حتى أتينا مكان كذا فأجلسني وخط علي خطا ثم قال لا تبرحن خطك فبينما أنا جالس اذ أتاني رجال منهم كأنهم الزط ٢ فذكر حديثا طويلا وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جاءه الى السحر قال وجعلت أسمع الاصوات ثم جاء عليه الصلاة والسلام فقلت أين كنت يا رسول الله فقال أرسلت الى الجن فقلت ما هذه الاصوات التي سمعت قال هي أصواتهم حين ودعوني وسلموا علي واختلف العلماء فيما استمعوه فقال عكرمة اقرأ باسم ربك وقيل سورة الرحمن وتمام الكلام في بحث الجان يطلب من كتاب آكام المرجان فيا من بين يديه الموت والحساب والتوبيخ الشديد والعتاب وعليه بأقواله وأفعاله من الملائكة كتاب وقد أذنب كثيرا غير أنه ما تاب وكلما عوتب خرج من باب الى باب ألست الذي دمت على الخطا وعصيت وبارزت بالقبيح وما استحييت وعلمت تحريم الذنب ثم أتيت وعرفت عظيم الجزاء وتناسيت ستكف الخمس بعد الحركة واللمس وسيذهب اليوم كما ذهب أمس وسيبدل النطق بالسكوت والهمس وستعدم نور القمر وضوء الشمس وسيقلع البستان وييبس الفرس وقد قرب وقت الغمس في بحر الرمس وسينسى ذو العلم الدرس بالدرس

نشيد قصور اللخلود سفاهة * ونبصر ماشئنا قبورا دوارسا

لقد صرمت كسرى الملوك وتبعا * وقيصر آمالا فلم تر قابسا

٢ قال الفيروزابادي عليه الرحمة الزط بالضم جيل من الهند معرب جت بالفتح اه منه

وقد نصح الدنيا لنا الموت واعظا * وهيهات ما نزداد الا تقاعسا

فيا نائما الى كم ذا الهجوع الى متى بالهوى هذا الولوع أتنفعك وقت الموت الدموع تقول فرقوا المال فالعجب يجود الممنوع هذا وملك الموت يسلها من بين الضلوع وخلت منك المساكن وفرغت الربوع وتمنيت أن لو زدت من سجود وركوع فيا اخوتى الدنيا فى ادبار وأهلها منها فى استكثار فهذا حادى الممات قد أسرع هذه قصور الاخوان بلقع ما لصاحب المال اذا المال يوزع ما نفعه حرصه فسلب ما جمع أجمع أين كسرى أين قيصر أين تبع أين حاتم الجود أين من كان يمنع أين قس وسحبان أين ابن المقفع ٢ انها لتمعو العين ثم للاثر تقلع فعليكم عباد الله بالتقوى فهذه أوقات معظمة وساعات مكرمة وقد صيرتم ضحاها بالذنوب عتمة فبيضوا بالتوبة صحفكم المظلمة فالملك يكتب خطاياكم ونفسكم فلا تظلموا فيهن أنفسكم قد ضيعتم معظم السنة فدعوا من الآن هذه السنة واسمعوا المواعظ فقد نطقت بألسنة ودعوا الخطأ فيكفى ما قدر كسكم فلا تظلموا فيهن أنفسكم اللهم انا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم لا تدع لنا ذنبا الا غفرته ولا ميتا الا رحمته ولا مريضا الا شفيته ولا فاسقا الا أصلحته ولا صالحا الا قبلته ولا غائبا الا بالخير رددته ولا محتاجا الا من الحلال رزقته ولا كربا الا فرجته ولا عسرا الا يسرته ولا حاسدا الا خيبته ولا عدوا الا خذلته وبعدته ولا حقا الا استخلصته ولا عملا الا تقبلته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها اصلاح الا يسرتها برحمتك يا أرحم الراحمين

المجلس الثالث عشر

(فى الايمان بالكتب المنزلة من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الداعى الى بابه الهادى لاحبابه المنعم بانزال كتابه يشتمل على محكم ومتشابه وليس للمتكلم به مشابه شغل به محبه عن مزماره وربابه فكلما تلاه زاد الحب وربابه وكساه العرفان أثواب ثوابه فألهاه عن الكون لذة شرابه وسرى به عن سرابه فهو دون الناس أولى به أحمده على الهدى وتسهيل أسبابه وأقر بوحدانيته اقرار مؤمن يأمن من عقابه وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى قدمه على أضرابه ورآه عيانا ليلة أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر الصديق المقدم على أصحابه وعلى عمر الذى عز به الدين واستقامت الدنيا به وعلى عثمان شهيد داره وقتيل محرابه وعلى ابن عمه على حلال كل مشكل وكاشف نقابه وعلى آله وجميع أصحابه ومن هو أولى به *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج عليه الرحمة فانه قال فى جامع الصحيح الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قال صدقت الخ (فنقول) وبالله التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قد تقدم الكلام فى الدروس الماضية على مبدا هذا الحديث وبقى الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام وكتبه الخ قال العلماء رحمهم الله تعالى أى تصدق بانها كلام الله تعالى المنزل على أنبيائه وكل ما تضمنته حق وهى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها على شيث خمسين وعلى ادريس ثلاثين وعلى آدم عشرة وعلى ابراهيم عشرة وعلى داود الزبور وعلى موسى التوراة وعلى عيسى الانجيل وعلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن العظيم قال العلماء ان الله تعالى أنزل القرآن فى رمضان وأنزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان

٢ مروان بن المقفع تابعى وأبو محمد عبد الله بن المقفع فصيح بليغ كما فى القاموس اهـ منه

وأنزلت

وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين ثم انه لا شك أن القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب الوقائع والمصالح وقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن أى أنزل أوله وذلك ليلة القدر أو أنه أنزل جملة الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما ٢ فى ثلاث وعشرين سنة وهو أفضل جميع الكتب ولنذكر مسائل منثورة من كتب العلماء ولا سيما الاتقان فيما يتعلق بالقرآن فقد قالوا يستحب الاكثار من تلاوته قال تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وفى الصحيحين لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله تعالى القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار وروى الترمذى من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها وروى ابن مسعود يقول الرب سبحانه وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه وروى أبو أمامة اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لصاحبه وأخرج البيهقى عن عائشة البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لاهل السماء كما تتراءى النجوم لاهل الارض وروى النعمان بن بشير أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن ويكره تأخير ختمه بلا عذر أكثر من أربعين يوما على ما قال غير واحد نص عليه أحمد وروى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال من قرأ القرآن فى كل سنة مرتين فقد أدى حقه لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على جبريل فى السنة التى قبض فيها مرتين وللسلف عادات فأكثر ما ورد من كان يختم فى اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا فى الليل وأربعا فى النهار وقد ذمت عائشة رضى الله تعالى عنها من يختم فيهما ختمة قال مخراق قلت لعائشة ان رجالا يقرأ أحدهم القرآن فى ليلة مرتين أو ثلاثا فقالت قرؤا ولم يقرؤا كنت أقوم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار الا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف الا دعا واستعاذ وكره جماعات الختم فى أقل من ثلاثة أيام وروى ابن عمر اقرا القرآن فى شهر ونسيانه من الكبائر فقد روى أبو داود عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها ويستحب الوضوء لقراءته وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكره أن يذكر الله الا على طهر ولا يكن فمه نجسا واذا عرض له ريح يمسك عن القراءة حتى تستتم وتسن القراءة فى مكان نظيف وأفضله المسجد وكره قوم فى الحمام والطريق ويستحب أن يجلس مستقبلا القبلة متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه ويستاك ويسن التعوذ قبلها وذهب قوم بعدها وذهب قوم الى وجوبها ولو مر على قوم فسلم وعاد الى القراءة عاد الى التعوذ قيل يجهر وقيل يسر به وليحافظ على البسملة ولا تحتاج الى النية ويسن الترتيل قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا قالوا وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين بقدر ذلك الزمان بلا ترتيل روى ابن عمر مرفوعا يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق فى الدرجات ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية كنت تقرؤها ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها الحديث ابن حبان وغيره زينوا القرآن بأصواتكم وفى آخر حسن الصوت زينة القرآن لكن لا يخرج الى حد التمطيط وأما القراءة بالالحان فنص الشافعى أنه لا بأس بها والقراءة فى المصحف أفضل من الحفظ لان النظر فيه عبادة مطلوبة روى أويس موقوفا قراءة الرجل فى غير المصحف ألف درجة وقراءته فى المصحف تضاعف ألفى درجة وقيل من الحفظ أفضل ويكره قطع القراءة لمكالمة أحد والضحك والعبث والنظر الى ما يلهى وقراءة السورة منكوسة أى من آخرها الى أولها ممنوع فعن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوسا قال ذلك منكوس القلب ويسن الاستماع لقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له الى آخره ويسن صوم يوم الختم وأن يحضره أهله وأصدقاؤه والرحمة تنزل عند ختمه والدعاء مستجاب روى من ختم القرآن فله دعوة مستجابة ويستحب التكبير من الضحى الى آخر القرآن عن البزى أن الاصل فى ذلك انقطع الوحى عنه عليه الصلاة والسلام لكلب كان تحت السرير فقال المشركون قلى محمدا ربه فنزلت سورة الضحى فكبر وقيل التشبه للقرآن بصوم رمضان اذا كمل عدته يكبر وقيل لا يكبر خوفا من مظنة الزيادة وعند السخاوى وأبى شامة سواء فى التكبير الصلاة وخارجها ويسن اذا فرغ أن يشرع فى غيرها الى أولئك هم

٢ أى مفرقا اهـ منه

المفلحون ويكره اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها ومن قرأ القرآن عند ظالم ليرفع به لعن بكل حرف عشر لعنات روى القرآن غنى لافقر بعده ولاغنى دونه واتفق أكثر الائمة على وصول ثواب القراءة للميت ومذهب المعتزلة خلافه لقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ماسعى وفى الدر المختار وحاشيته لابن عابدين عليه الرحمة ان من دخل الى المقبرة يقرأ يس فقد ورد من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وفى حديث من قرأ الاخلاص أحد عشر مرة ثم وهب أجرها للاموات أعطى من الاجر بعدد الاموات وفى شرح اللباب ويقرأ من القرآن ماتيسر له من الفاتحة وأول البقرة الى المفلحون وآية الكرسى وآمن الرسول وسورة يس وتبارك الملك وسورة التكاثر والاخلاص اثنى عشر مرة أواحدى عشرة أوسبعا أوثلاثا ثم يقول اللهم أوصل ثواب ماقرأناه الى فلان أواليهم اه فقد صرح علماؤنا فى باب الحج عن الغير بان للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أوصوما أوصدقة أوغيرها بل قيل الافضل لمن يتصدق نفلا أن ينوى لجميع المؤمنين والمؤمنات لانها تصل اليهم ولا ينقص من أجره شئ وهومذهب أهل السنة لكن استثنى مالك والشافعى العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة فلا يصل ثوابها الى الميت عندهما بخلاف غيرها كالصدقة والحج وخالف المعتزلة فى الكل (أقول) مامر عن الشافعى هو المشهور عنه والذى حرره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت اذا كانت بحضرته أودعا له عقبها ولوغائبا لان محل القراءة تنزل الرحمة والبركة والدعاء عقبها أرجى للقبول ومقتضاه أن المراد انتفاع الميت بالقراءة لاحصول ثوابها له ولهذا اختاروا فى الدعاء اللهم أوصل مثل ثواب ماقرأته الى فلان وأما عندنا فالواصل اليه نفس الثواب وفى كتاب الروح للحافظ ابن القيم أنه اختلف فى اهداء الثواب الى الحى فقيل يصح لاطلاق قول أحمد يفعل الخير ويجعل نصفه لابيه وأمه وقد نقل عن جماعة انهم جعلوا ثواب أعمالهم للمسلمين وقالوا نلقى الله تعالى بالفقر والافلاس والشريعة لاتمنع من ذلك اه باقتصار واختصار ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكى لمن لايقدر والحزن والخشوع قال عليه الصلاة والسلام انى قارئ عليكم سورة فمن بكى فله الجنة فان لم تبكوا فتباكوا وطريق البكاء أن يتأمل فى الوعد والوعيد وفى تقصيره ويكره الجماع بحضوره ومد الرجل له ولا يقرؤه الجنب ولا يتوسده وعن ابن عباس أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لايوحى اليه وعنه عليه السلام ان البيت الذى يقرأ فيه القرآن كثير خيره والذى لايقرأ فيه يقل خيره وعنه القرآن أحب الى الله من السموات والارض ومن فيهن روى أحمد مامن مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى الا وكل الله به ملكا فلا يقربه شئ يؤذيه حتى يهب متى هب أخرج أحمد لو كان القرآن من اهاب ما أكلته النار أى قلب المؤمن عن أنس مرفوعا القرآن شافع مشفع وماحل ٢ مصدق من جعله أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه قاده الى النار وعن أبى هريرة مامن رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيامة بتاج من الجنة ثم اعلم أن العلماء اختلفوا فى جواز الاستئجار على تعليم القرآن فحرمه جماعة لرواية البيهقى من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم وعن أبى ابن كعب قال علمت رجلا القرآن فاهدى لى قوسا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان أخذتها أخذت قوسا من نار ومن جوز استدل بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله هذا فى التعليم وأما فى القراءة للميت بالاستئجار فلا يصح على القول الاصح قال شيخ مشايخنا العلامة ابن عابدين فى حاشيته من جملة كلام طويل قال تاج الشريعة فى شرح الهداية ان القرآن بالاجرة لايستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ وقال العينى ويمنع القارئ للدنيا والآخذ والمعطى آثمان وقال الشيخ خير الدين الرملى المفتى به جواز الاخذ استحسانا على تعليم القرآن لا على القراءة المجردة والاجارة فى ذلك باطلة وهى بدعة لم يفعلها أحد من الخلفاء وقال فى الولوالجية ولو زار قبر صديق أو قريب له وقرأ عنده شيأ من القرآن فهو حسن أما الوصية بذلك فلا معنى لها ونقل الخلوتى فى حاشية المنتهى الحنبلى عن شيخ الاسلام تقى الدين مانصه ولا يصح الاستئجار على القراءة

٢ لعل الماحل بمعنى المجادل أومن المماحلة وهى القوة والشدة كما فى القاموس فليراجع اه منه

واهدائها الى الميت لانه لم ينقل عن أحد من الائمة الاذن فى ذلك وقد قال العلماء ان القارئ اذا قرأ لاجل المال فلا ثواب له فأى شئ يهديه الى الميت وانما يصل الى الميت العمل الصالح والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الائمة وانما تنازعوا على التعليم اه بحروفه وممن صرح بذلك أيضا الامام البركوى قدس سره فى آخر الطريقة المحمدية فقال الفصل الثالث فى أمور مبتدعة باطلة أكب الناس عليها على ظن أنها قرب مقصودة الى أن قال ومنها الوصية من الميت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده وباعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه أو يسبح أو يهلل له وكلها بدع منكرات باطلة والمأخوذ منها حرام للآخذ وهو عاص بالتلاوة والذكر لاجل الدنيا اه ملخصا وليعلم أن العلماء اختلفوا فى أخوف آية من القرآن فقيل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل فأين تذهبون وقيل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذا فى أرجى آية فقيل قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور وقيل انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى وقيل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وروى عن على كرم الله تعالى وجهه انها ولسوف يعطيك ربك فترضى وما أحسن ماقيل

أترضى حبيبى ان تكون منعما * ونحن على جمر اللظى نتقلب
ألم يرضك الرحمن فى سورة الضحى * وحاشاك أن ترضى وفينا معذب

واعلم أن القرآن كلام الله تعالى وهو مقروء بألسنتنا محفوظ فى صدورنا مكتوب فى مصاحفنا قديم غير محدث لاخالق ولا مخلوق ومن قال ٢ انه مخلوق فقد كفر وأما صوت القارئ فهو حادث وأنه فيه المحكم والمتشابه فأما المحكم فهو الذى يعرف معناه والمقصود منه كآية الصوم والصلاة والحج والزكاة ونحوها والمتشابه ينقسم الى قسمين الاول الذى لايعلم معناه والمراد به الا الله تعالى كحم عسق والم وكهيعص ونحوها من أوائل السور والثانى

٢ ولنذكر ان شاء الله تعالى فى هذا المقام مسئلة يكثر السؤال عنها وتحجم أغلب الاذهان عنها وهى أن الحنابلة صرحوا بأن كلام البارى سبحانه بحروف وصوت ونسب هذا أيضا الى بقية المذاهب الاربعة وصرح سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره فى الغنية بذلك وغيره من الحنابلة أيضا ورووا عن الامام أحمد أنه قال من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى وأن الحروف قديمة لان كلامه سبحانه قديم وهو مركب من الحروف واعترض بعض العلماء عليهم بأنه يلزم أن يكون كلام المخلوقين أيضا قديما لوجود هذه الحروف فيه فاجاب الشيخ أحمد بن عبد الحليم الحرانى الدمشقى فى بعض تصنيفاته بان الامام أحمد قال من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ولم يقل من قال صوتى بالقرآن لان الصوت غير اللفظ فالصوت مخلوق وهو صوت القارئ واللفظ كلام البارى سبحانه فلا يكون مخلوقا وأما قدم الحروف فانه لايلزم اذا كانت الحروف فى القرآن وكلام الله عز وجل قديمة أن تكون فى كلامنا أيضا قديمة كما اذا قلنا ان البارى سبحانه له علم وقدرة ونحن لنا علم وقدرة مثلا فلا يلزم أن يكون علمنا كعلمه وقدرتنا كقدرته لان علمنا وقدرتنا مخلوقان حادثان وعلمه سبحانه قديم غير مخلوق وكذا قدرته فلذلك ان هذه الحروف الهجائية ان وجدت فى كلامنا فهى من كلامنا وكلامنا مخلوق وان وجدت فى كلام البارى سبحانه فهى غير مخلوقة لان كلامه غير مخلوق لان مثل هذه الامور اذا أخذت مجردة مطلقة لم يكن لها حقيقة فى الخارج واذا أخذت مشخصة فحينئذ يكون لها حقيقة فتختلف بذلك الاعتبار كالوجود المطلق فانه لاحقيقة له فى الخارج فاذا قلت وجود الله تعالى فيكون قديما وان قلت وجود العبد فيكون حادثا مخلوقا فاذا قلنا يايحيى خذ الكتاب خطابا للرجل فهذا حادث مخلوق واذا قرأنا ذلك من القرآن فهو كلام الله غير مخلوق ولا خالق لان كلام البارى سبحانه ليس ككلامنا كما أن سمعه ليس كسمعنا والمقصود أن الحنابلة صرحوا بأن صوت القارئ مخلوق وان المداد مخلوق وصرحوا بان الحروف التى فى كلامنا مخلوقة ولا يلزم أنها اذا كانت فى كلامه سبحانه قديمة أن تكون فى كلامنا قديمة اذ فرق بين التراب ورب الارباب فليحفظ

كآية الاستواء والوجه واليد فى قوله تعالى استوى على العرش وقوله تعالى ويبقى وجه ربك وقوله تعالى لما خلقت بيدى ونحو ذلك من الاحاديث كحديث ينزل ربنا الى السماء الدنيا فالخلف على تأويل جميع ذلك كتأويل الاستواء بالاستيلاء والسلف على الايمان بذلك وعدم تكييفه اذ سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وهذا مذهب الأئمة الاربعة وغيرهم وهو أسلم وأعلم وأحكم ومن أراد زيادة الاطلاع على مفصل هذه الابحاث فعليه بكتابنا جلاء العينين والله تعالى أعلم بالصواب ولنرجع الى الكلام على بقية الحديث فنقول قوله عليه الصلاة والسلام (ورسله) أى وان تؤمن برسله أى تصدق بما جاؤا به عن الله تعالى قال عز وجل ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الآية وقدم ذكر الملائكة للترتيب الوجودى لانهم خلقوا قبل الانبياء أو لانهم واسطة بين الله وبين أنبيائه والانبياء عددهم مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومنهم المرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر وقيل وأربعة عشر وأولو العزم منهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام والانبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر والصغائر وأما ما وقع من بعضهم فهو محمول على ترك الافضل والعمل بالفاضل أو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ولولا خوف الاطالة لذكرنا مفصل ذلك ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أفضلهم وأمته أفضل الامم واختلفت المعتزلة مع أهل السنة فى تفضيل بعض الانبياء على بعض فقال أهل السنة بالتفضيل والمعتزلة بالمنع قال فى المواهب اللدنية قد بين قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض أن مراتب الرسل والانبياء متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لا فضل لبعضهم على بعض وفى هذه الآية رد عليهم وقال قوم آدم أفضل الخلق لابوته وتوقف بعضهم فقال السكوت أفضل والجمهور على أن الرسل أفضل من الانبياء والرسل بعضهم أفضل من بعض ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الجميع روى الترمذى أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى حديث أبى هريرة أنا سيد الناس يوم القيامة وعن ابن عباس أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب وأما قوله عليه السلام ما تقدم فليس عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه من ذلك بل لاظهار نعمة الله تعالى وتعليما للامة بقدر متبوعهم وقوله عليه الصلاة والسلام ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وقوله لا تفضلونى على الانبياء كان قبل أن يعلم أنه سيد الانبياء أوله أجوبة أخر ليس هذا محلها وأعظم دليل على أفضليته حديث الشفاعة وأخذ الميثاق على الانبياء فقد قال على كرم الله تعالى وجهه ما بعث الله تعالى نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى آخر الآية الكريمة وقوله عليه الصلاة والسلام (واليوم الآخر) أى أن تؤمن وتصدق بان الله سبحانه وتعالى يعيد الخلق بعد موتهم قال ابن القيم فى كتابه الروح ان منكر المعاد الجسمانى كافر وقد اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى وقال الجلال الدوانى هو باجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التأويل كقوله تعالى أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والاسماعيلى فى معجمه والحافظ وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم بال ففتته بيده فقال يا محمد يحيى الله هذا بعد ما رم قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات مع آخر سورة يس أولم ير الانسان الى آخر السورة وهذا نص صريح فى الحشر الجسمانى يقلع عرق التأويل بالكلية ولهذا قال الامام الرازى الانصاف أنه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبين نفى الحشر الجسمانى فانه قد ورد فى عدة مواضع من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل أصلا اه وقد سأل ابراهيم عليه السلام من البارى عز وجل أن يريه كيف يحيى الموتى فحكى ذلك عنه فى كتابه العزيز قال تعالى واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال

بلى

بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم قال المفسرون سبب السؤال منازعة النمروذ اياه فى الاحياء وتوعده بالقتل ان لم يحى الله تعالى الميت بحيث يشاهده فدعا فقال الرب جل جلاله خذ أربعة من الطير وهى الغرنوق والطاوس والديك والحمامة كما روى عن ابن عباس فصرهن اليك أى فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وهى أربعة جبال أو سبعة أو عشرة جعل عليها أجزاء الطيور المذكورة بعد أن خلطها وأبقى الرؤس بيده ثم نادى أيتها العظام المتمزقة واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة اجتمعى ليرد الله فيكن أرواحكن فوثب العظم الى العظم وطارت الريشة الى الريشة وجرى الدم الى الدم حتى رجع الى كل طائر دمه ولحمه وريشه حتى صارت جثثا ثم أقبلن الى رؤسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة الاولى وأخرج الطبرانى بسند حسن عن المقدام بن معديكرب قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يحشر ما بين السقط الى الشيخ الفانى يوم القيامة قال القرطبى هذا فى السقط الذى تم خلقه ونفخ فيه الروح بخلاف ما لم ينفخ فيه وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الله الخلائق الانس والجن والدواب والوحوش فاذا كان ذلك اليوم جعل الله تعالى القصاص بين الدواب حتى يقضى للشاة الجماء من القرناء بنطحتها فاذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها كونى ترابا فيراها الكافر فيقول ياليتنى كنت ترابا وأخرج النسائى عن شريك ابن سويد قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول يارب ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة وأخرج ابن حبان وغيره أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش ٢ الارض فهى اذا أقبلت تنهشها واذا أدبرت تنهشها وأخرج الطبرانى عن جنادة قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بابل قد وسمتها فى أنفها فقال ما وجدت عضوا تسمه الا فى الوجه أما ان أمامك القصاص وسنذكر ان شاء الله تعالى تتمة هذا البحث فى الدرس الثامن عشر فعليكم عباد الله بالاستعداد ليوم المحشر قبل أن تفقدوا اللسان والسمع والبصر فاذا أعيدت الاجسام البالية وجمعت الاوصال الفانية وسيقت النفوس العاتية وزفرت الجحيم الصالية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية عجبا أيها المنغمسون فى الذنوب والمرتدون فى أسمال المخازى والعيوب تستخفون عن الناس والله علام الغيوب فهل كذبتم أن يعيدكم كما بدأكم ثانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فياليت شعرى من للزانى اذا افتضح واشتهر أمره بين الخلائق واتضح ووزن عمل آكل الربا والمطفف فارجح وقال الكافر ياليتنى لم أدر ما حسابيه يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية أيها اللاهون عن البعث الراضون بالدون عن ذلك البحث لقد وعظنا فما أفاد الوعظ والحث فاستمعوا قول الله بأذن واعية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يجزى الناس بفعلهم يوم القيامة ويرى كل عامل عمله أمامه فيستبشر الصالح ولا تنفع الطالح الندامة ويؤمر بالمتقين الى دار لا تسمع فيها لاغية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية تبا لمن كفر وعصى رسوله وأنكر عرضه على الديان ووصوله ولما رأى نشره وحسابه وكبوله ومثوله نادى ولم ينفعه اذ ذاك هلك عنى سلطانيه يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ويحصى ما تصاغر من الذنوب ولو ذر ويجزى العبد بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا ينجو الا من آمن وتواصى بالصبر أو أسلف من صوم فى أيام خالية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وعليكم عباد الله بالتمسك بالكلام القديم والقرآن الذى هو الصراط المستقيم والاستعداد ليوم القيامة لتفوزوا بالنعيم وتخلصوا من الندامة والعذاب الاليم هذا هو الكتاب القديم هذا كلام السميع العليم هذا الذى منه الم تكلم به فى الازل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل هذا كلام الرحمن هذا المسموع بالآذان هذا الدليل والبرهان هذا الذى اذا سمعه الشيطان ولى واعتزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل هذا كلام ذى العزة والعلا هذا الذى أعجز جميع الفصحا هذا الذى تكلم به فى الازل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل

الخشاش مثلثة الخاء حشرات الارض والعصافير ونحوها اه منه

هذا الذى حير الالباب فلما قصد مسيلمة الكذاب معارضته ومناقضته خاب أتراه لعب أو هزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل يدفع غواة الناس والجنة ويصل تاليه الى الجنة ولقد والى أهل السنة وأهل البدعة عزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل اللهم انا عبادك وأبناء عبادك وأبناء امائك نواصينا بيدك اللهم انا نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أو علمته أحدا من خلقك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وذهاب أحزاننا ونور أبصارنا ونورا يوم القيامة بين أيدينا وعلمنا ما فيه واجعلنا من المؤمنين الممتثلين لظاهره وخافيه واجعله حجة لنا ولا تجعله حجة علينا اللهم انا قد أمسينا الآملك لا نفسنا دفعا ولا رفعا ولا ضرا ولا نفعا فأعطنا من الخير فوق ما نرجو واصرف عنا من السوء فوق ما نحذر فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد والآل والاصحاب

المجلس الرابع عشر

(فى الايمان بالقدر وفى الاحسان من حديث جبريل عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله العظيم فى قدره العزيز فى قهره العليم بحال العبد فى سره وجهره وما يجرى عليه فى دهره الجائد على المجاهد بنصره المنعم على العاصى بستره الحليم عن آمن مكره فهو يرزق الكافر على كفره يسمع صريف القلم عند خط سطره ونعيق الضفدع فى حافة بحره وأنين المذنب عند ضعف صبره ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره أحمده على القدر خيره وشره وأشكره على القضاء حلوه ومره وأشهد بوحدانيته شهادة من لا يجول التشبيه فى فكره وأن محمدا عبده ورسوله أرسله داعيا الى البر أهل بحره وبره صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه ابى بكر سابق الكل بشىء وقر فى صدره وعلى عمر معز الاسلام بغضاضته وقهره وعلى عثمان ذى النورين الصابر من أمره على مره وعلى على أخيه وابن عمه وصهره وعلى سائر آله وأصحابه ما جاد السحاب بقطره *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى فانه قال فى جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فأخبرنى عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قال صدقت قال فعجبنا منه يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الى آخره *(فنقول)* وبالله التوفيق ولطفه عز شأنه أقوى رفيق قد تقدم الكلام على مبدا هذا الحديث فى الدروس الماضية وبقى الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام وبالقدر أى وبان تؤمن وتصدق بان فعل العبد بقضائه تعالى وقدره ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله وقال تعالى قل كل من عند الله وأخرج البزار والطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الاسماء والصفات عن ابن عمر قال جاء فئام ٢ من الناس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله زعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد وقال عمر الحسنات والسيئات من الله فتابع هذا قوم وهذا قوم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاقضين بينكما بقضاء اسرافيل بين جبريل وميكائيل فانهما اختلفا كما تختلف أهل الارض فتحا كما الى اسرافيل فقضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره وحلوه ومره كله من الله ثم قال يا أبا بكر ان الله لو أراد أن لا يعصى لم يخلق ابليس فقال أبو بكر صدق الله ورسوله نقله فى الحبائك وقال ابن حجر فى كتابه الزواجر ان قوله تعالى انا كل شىء خلقناه بقدر أكثر المفسرين أنها نزلت فى القدرية ويؤيده ما أخرجه مسلم أن سبب نزولها أن كفار مكة أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخاصمون فى القدر فنزل ان المجرمين فى ضلال وسعر

٢ الفئام بالفاء المكسورة ككتاب الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه اه منه

يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر وصح كتب الله تعالى مقادير الخلائق كلها من قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعن على كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن عبد بالله حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وفى رواية خيره وشره ومذهب أهل السنة أن الافعال بخلق الله تعالى وكسب من العبد قال الامالى فى منظومته

مريد الخير والشر القبيح * ولكن ليس يرضى بالمحال

قال بعض الشارحين اعلم أن تقدير الخير والشر من الله تعالى وهو خالق الخير والشر ومريدهما وفعل الخير والشر من العبد والعبد مختار فى فعله اختيار تمييز وتحصيل لا اختيار مشيئة وقدرة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقوله ولكن ليس يرضى بالمحال يعنى بالكفر والقبائح والمعاصى مريدا لها ولا يكون الشىء بغير قضاء وما أحسن ما رواه الكورانى عن الامام الشافعى حيث يقول

ماشئت كان وان لم أشأ * وماشئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ماعلمت * ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن

وذهبت القدرية وهم المعتزلة ومن وافقهم من الامامية الى أن الانسان خالق لافعاله من خير وشر قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ولذلك سموا قدرية لانهم ينفون القدر ويثبتون القدرة وذهبت الجبرية الى أن الانسان مجبور على الفعل مطلقا كالسعفة فى الهواء وهذا مذهب باطل أيضا وأنشدوا له

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك أن تبتل بالماء

ومذهب أهل السنة والجماعة ولله تعالى الحمد مذهب وسط لا جبر ولا تفويض كهذه الامة المحمدية القائل فى وصفهم سبحانه وتعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وما أحسن ما قيل

تنكب عن طريق الجبر واحذر * وقوعك فى مهاوى الاعتزال
وخذ وسطا طريقا مستقيما * كما سار الامام أبو المعالى

وهذا البحث طويل الاذيال ومعترك الفحول من الرجال فاقنع الآن بما ذكرنا واعتصم بالملك المتعال ولنرجع الى الحديث قوله فعجبنا له يسأله ويصدقه قال الامام النووى عليه الرحمة سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل انما هذا كلام خبير بالمسؤل عنه ولم يكن فى ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك هذا من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله تعالى عليه وسلم لانا لو قدرنا أن أحدنا قام فى عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيأ مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها الا أتى به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اعبد الله فى جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان فان التتميم المذكور فى حال العيان انما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه فلا يقدر العبد على تقصير فى هذا الحال للاطلاع عليه وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغى أن يعمل بمقتضاه فمقصود الكلام الحث على الاخلاص فى العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى فى اتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك وقد ندب أهل الحقائق الى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشىء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه فى سره وعلانيته اه قال القسطلانى فى باب الخشوع فى الصلاة الصلاة صلة العبد بربه فمن تحقق بالصلة فى الصلاة لمعت له طوالع التجلى فيخشع وقد شهد القرآن بفلاح مصل خاشع قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون أى خائفون من الله متذللون له يلزمون أبصارهم مساجدهم

وعلامة ذلك أن لا يلتفت المصلي يمينا ولا شمالا ولا يجاوز بصره موضع سجوده صلى بعضهم في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس عليها ولم يشعر هو بها والفلاح أجمع اسم لسعادة الآخرة وفقد الخشوع بنفيه وقد قال تعالى وأقم الصلاة لذكري وظاهر الامر الوجوب فالغفلة ضد فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره تعالى فافهم واعمل فليقبل العبد على ربه ويستحضر بين يدي من هو واقف كان مكتوبا في محراب داود عليه السلام أيها المصلي من أنت ولمن أنت وبين يدي من أنت ومن تناجي ومن يسمع كلامك ومن ينظر اليك وقال الخراز ليكن اقبالك على الصلاة كاقبالك على الله يوم القيامة ووقوفك بين يديه وهو مقبل عليك وأنت تناجيه اه وقيل يجوز أن يكون الاحسان بمعنى اجادة العمل من أحسن في كذا والمشهور في الاحسان الاخلاص كما قال تعالى مخلصين له الدين وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة فارقها والله عنه راض وروى البيهقي عن الضحاك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معي شريكا فهو لشريكي يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم فان الله تعالى لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم وليس لله تعالى فيها شئ وروى الامام أحمد عن أبي كبشة الانصاري رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله تعالى عزا ولا فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله تعالى عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله تعالى مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه عز وجل ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله تعالى علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله عز وجل مالا ولم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه عز وجل ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله تعالى فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله تعالى مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء رواه أحمد والترمذي وصححه ولاجل ذلك كان الرياء في الاعمال من الكبائر وعمل صاحبه مردودا عليه فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء وروى الطبراني أن أدنى الرياء شرك وأحب العبيد الى الله الاتقياء الاخفياء الاخفياء أي المبالغين في ستر عباداتهم وتنزيهها عن شائبة الاغراض الفانية وروى الترمذي والحاكم ان الله اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد أي يتجلى لهم تجليا منزها عن الحركة والانتقال وسائر لوازم الجهات والاجسام أو نزولا لائقا به جل وعز ليقضي بينهم وكل أمة جاثية وأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله عز وجل له بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى له فيماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة له كذبت ويقول الله تعالى له بل أردت أن يقال فلان جرئ شجاع فقد قيل ذلك يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة وفي رواية أخرى ورجل تعلم العلم وعلمه فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته قال كذبت ولكنك تعلمته ليقال عالم فقد قيل ذلك ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار وروي أنه اذا كان يوم القيامة يجاء بالاعمال

في صحف محكمة فيقول الله عز وجل اقبلوا هذا وردوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا الا ما عمل فيقول ان عمله كان لغير وجهي واني لا أقبل اليوم الا ما كان لوجهي وروى الديلمي ان الارض لتعج الى الله من الذين يلبسون الصوف رياء وابن ماجه رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر والديلمي ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة والبيهقي من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ثم أساءها حيث يخلو فتلك استهانة أهان بها ربه قال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والذي يذهب الرياء ونحوه قولك كل يوم ثلاث مرات اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ذكر حجة الاسلام الغزالي في الاحياء أن رجلا عابدا بلغه أن قوما يعبدون شجرة فخرج لقطعها فقال له ابليس لعنه الله تعالى ان قطعتها عبدوا غيرها فارجع الى عبادتك فقال لا بد من قطعها فقاتله فصرعه العابد فقال أنت رجل فقير فارجع الى عبادتك وأجعل لك دينارين تحت رأسك كل ليلة ولو شاء الله تعالى لارسل رسولا يقطعها وما عليك اذا لم تعبدها أنت قال نعم فلما أصبح وجد دينارين وفي ثاني يوم لم يجد فخرج لقطعها فصرعه ابليس فقال له العابد كيف غلبتك أولا ثم غلبتني ثانيا فقال لان غضبك كان أولا لله وثانيا للدينارين فصرعتك وغلبتك * ثم اعلم أن الاحسان بالمعنى الذي ذكرناه وتكلمنا عليه هو المراد من الحديث الشريف وقد يأتي الاحسان بمعنى عام شامل لاحسان الانسان على نفسه وشامل للاحسان على غيره فلذلك يشمل الاحسان وجوها عديدة فلنذكر بعضها تكميلا لفائدة المقام اذ الاحسان كما قيل بالتمام فمنها الاحسان لليتيم قال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر قال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي بعثني بالحق نبيا لا يعذب الله تعالى يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له الكلام ورحم له يتمه وضعفه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله وكنت أنا وهو في الجنة اخوين كما ان هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أحب البيوت الى الله تعالى بيت فيه يتيم مكرم وفي رواية وشر بيت من بيوت المسلمين فيه يتيم يساء اليه وعن أبي هريرة قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أول من يفتح باب الجنة الا اني أرى امرأة تبادرني فأقول لها ما لك ومن أنت فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي وعن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له في كل شعرة مرت عليها يده حسنة وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله أو يكفيهما كانتا له سترا من النار ومنها ستر المسلم أخاه قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه الا أدخله الله تعالى بها الجنة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفتضح بها في بيته ومنها اكرام الجار وتحمل أذيته عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أتدرون ما حق الجوار ان استعان بك أعنه وان استقرضك أقرضه وان افتقر جد عليه وان مرض عده وان مات اتبع جنازته وان أصابه خير هنه وان أصابته مصيبة عزه ولا تستطل عليه البناء فتحجز عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها وان اشتريت فاكهة فاهد له منها فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها أولادك فيغيظوا بها ولده قال الحسن البصري ليس حسن الجوار كف الاذى عن الجار بل حسن الجوار الصبر على أذى الجار وكان للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما جار يهودي قد انخرق جداره وصارت القاذورات في دار الحسن واليهودي لم يعلم فدخلت زوجة اليهودي يوما فرأت ذلك فاخبرت زوجها فجاء معتذرا فقال الحسن أمرني جدي رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم باكرام الجار فعند ذلك قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فحسن اسلامه وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقلت أنا يارسول الله فاخذ بيدى فعد خمسا قال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه الترمذى وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض رواه فى الترهيب والترغيب ومنها طلاقة الوجه وطيب الكلام روى مسلم عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تلق أخاك بوجه طلق وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة وافراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة وعن أبى جرى الهجيمى رضى الله تعالى عنه قال أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يارسول الله انا قوم من أهل البادية فعلمنا شيأ ينفعنا الله تعالى به قال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى ولو أن تكلم أخاك ووجهك اليه منبسط واياك واسبال الازار فانه من المخيلة ولا يحبها الله تعالى وان امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فان أجره لك ووباله على من قاله ومنها أن لا يستمع الى كلام غيره ففى الحديث من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنه الآنك ٢ يوم القيامة ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ ومنها عدم التهاجر عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وروى كعب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله فيما ملكت أيمانكم ألبسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم والينوا لهم القول وعن أبى أمامة عنه عليه السلام أربعة يوفون أجورهم مرتين أزواج النبى ومن أسلم من أهل الكتاب ورجل كانت عنده أمة فاعجبته فاعتقها ثم تزوجها وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق ساداته وعن ابن عباس الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال ان شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ومنها شكر الاحسان فلذا كان كفر الاحسان من الكبائر قال فى الزواجر ومنها كفران نعمة المحسن قال عليه السلام لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر زوجها وهى لا تستغنى عنه ولذلك سماهن كافرات وقال عليه السلام لا يشكر الله من لا يشكر الناس روى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سألكم بالله فاعطوه ومن استجار بالله فاجيروه ومن اتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء ومنها عدم احتقار المسلم وأنه لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا وأشار الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ومنها أن لا يكون ذا السانين ولا وجهين عن أنس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كان ذا لسانين جعل الله تعالى له يوم القيامة لسانين من نار وعن سعد بن أبى وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيامة وله وجهان من نار رواه الطبرانى ومنها الاصلاح بين الناس

٢ قوله الآنك بالمد وضم النون الرصاص ونحوه اه منه

وقبول

وقبول اعتذار من اعتذر محقا كان أو مبطلا روى أبو هريرة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من أتاه أخوه متنصلا ٢ من ذنب فليقبل محقا ذلك أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض ومنها زيارة الاخوان والصالحين واكرام الزائر روى فى كشف الغمة قال قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول زار رجل أخا له فى قرية فأرسل الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لى فى هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير انى أحببته فى الله عز وجل قال فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من عاد مريضا أو زار أخا له فى قرية ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة وقال الله فى ملكوت عرشه عبدى زار فى وعلى قراه فلم يرض له بثواب دون الجنة وفى رواية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألا أخبركم برجالكم فى الجنة قلنا بلى يارسول الله قال النبى فى الجنة والصديق فى الجنة والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره الا لله فى الجنة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتباذلين فى وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان فى الجنة غرفا يرى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين فيه والمتزاورين فيه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يزور رجلا مكفوف البصر بالمدينة ويجلس عنده وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول زر غبا تزدد حبا فيا أيها المرائى كيف رضيت بفساد أمرك حتى ضيعت أيام عمرك ويا أيها الظالم كيف ركبت الضلال بعد علمك وخبرك فلم تعمل صالحا لقبرك وكيف آمنت بمعادك وحشرك ثم وافقت فى تركك العمل له المشرك ويحك اجتهد فى أيام بدرك وانتبه لاقامة عذرك واحذر أن ينادى عليك بغدرك فاندم على ما مضى واستدرك أين علامة الايمان يا من يدعيه أين تأثير الوعظ يا من يسمعه ويعيه أين اعتبارك بمن حوى الدنيا فأصبح اللحد يحويه يا مسؤلا عما يسره ويبديه من نفسه فى الحقيقة من أكبر أعاديه يا من أصمه الهوى ومنادى الهدى يناديه يا من لا يفيق حتى يحل الموت بناديه نبه هذه النفس النائمة أعلمها ما هى عليه قادمة قل لها الى متى يا ظالمة الى م هذه الآمال والناس كلهم على ارتحال أترضى بهذا الحال ولم تراقب الرحيم المتعال فيا كثير السيئات وغزير الرياء فى الصلوات ومن لم يخلص الاعمال فى النيات غدا والله ترى عملك ويا هاتك الحرمات الى متى تديم رياءك وزللك أما تعلم أن الله مطلع على قلبك أما تعلم أن الموت يسعى فى تبديد شملك أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعالك واعجبا لك من راحل تركت الزاد فى غير رحالك أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك أما بارزت بالقبيح فأين التوبة والحزن أما دريت أن الحق سبحانه يعلم السر والعلن فحقيق أيها الاخوان لمن علم ما بين يديه وتيقن أن العمل يكتبه الملكان عليه وأنه لا بد من الرحيل عما لديه الى موقف صعب يساق اليه أن يتجافى من مضجع البطالة بجنبيه وأن يتذكر يوما يقع فيه الفراق وتنفصم فيه العرى فتدبر أمرك أيها المرائى قبل أن تحضر وترى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تشيب فيه الاطفال يوم تسير فيه الجبال يوم يظهر فيه الوبال يوم تنطق فيه الاعضاء بما جرى من خيانة فى الافعال والاقوال يوم لا تقال فيه العثار وكم أعذار تقال فترى من قد افترى يقدم قدما ويؤخر أخرى الى ورا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ينصب الصراط فناج وواقع ويوضع الميزان فتكثر فيه الوضائع وتنشر الكتب وتسيل المدامع وتظهر القبائح بين تلك المجامع ويؤلم العتاب ويملأ المسامع ويخسر المرائى والعاصى ويربح المخلص والطائع وكم غنى قد عاد من الخير مقترا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اللهم اغفر لنا ذنوبنا وطهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء قبل أن تشهد علينا الجوارح ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله ونبهنا من رقدات الغفلات وسامحنا فأنت الحليم المسامح اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا يا من أظهر

٢ يقال تنصل اليه من الجناية أى خرج وتبرأ اه منه

الجميل وستر على القبائح اغفر لنا ولوالدينا وللجماعة الحاضرين وجميع المسلمين وانفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا بمنك الفضل والمنائح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

المجلس الخامس عشر

(فى أمارات الساعة من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ذى النعم الظاهرة والحكم الباهرة والدلالات الزاهرة والعقوبات القاهرة خلق الخلائق من أصول متنافرة وعم خلقه بالايادى المتكاثرة ثم عاد بالفناء على المستحكمات الناضرة فاذا هى بالبلى متناثرة ثم يجمعهم بنفخة الصور الى الدار الآخرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أحمده على النعم الغامرة حمدا يعمد قفار القلوب عامرة وأقر له بالتوحيد على عقيدة طاهرة وأصلى وأسلم على رسوله محمد صلاة تجلب لنا صلاة الى صلاة الى عاشرة وعلى صاحبه أبى بكر الناهض يوم الردة نهضة ظافرة وعلى عمر الذى قلقل الاكاسرة وعلى عثمان ذى المقلة الساهرة وعلى على قامع النفوس الكافرة *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام مسلم ابن الحجاج النيسابورى فانه قال فى جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال فاخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان قال ثم انطلق فلبث مليا ثم قال لى يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم *(فنقول)* وبالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام فى الدروس الماضية على هذا الحديث واختلاف رواياته وبقى الكلام فى هذا الدرس على ما يتعلق بقوله عليه الصلاة والسلام فى الساعة ما المسؤل عنها باعلم من السائل والكلام على أماراتها فقد قال العلماء عليهم الرحمة قوله فأخبرنى عن الساعة أى وقت القيامة وسميت ساعة لسرعة قيامها ووقوعها بغتة أو لانها عند الله تعالى كساعة من الساعات عند الخلق قال بعض الفضلاء ليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون بل لينزجروا عن السؤال عنها كما قال تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها الآية وقوله تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون والساعة صغرى وهى موت الشخص نفسه كما قيل من مات فقد قامت قيامته * ووسطى وهى موت أهل القرن كما ورد فى الجامع الصغير لا تأتى مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة وكبرى وهى المعنية فى هذا الحديث وانكارها كفر والعياذ بالله تعالى وبها وردت الآيات الكريمة والاحاديث العظيمة الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى هذا الدرس ولها أمارات وعلامات متقدمة عليها فمنها بعثة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو خاتم النبيين وعاقب المرسلين وقد ورد فى الاثر أنه عليه الصلاة والسلام قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعيه الشريفتين ومنها وفاته عليه

الصلاة والسلام ومنها فتح بيت المقدس ومنها قتل أمير المؤمنين عثمان ومنها وقعة الجمل ووقعة صفين فقد صح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ومنها وقعة النهروان ومنها وقعة كربلاء ووقعة الحرة وقتل ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق وما جرى فى ذلك مما لا يحسن ولا يليق ومنها نار الحجاز التى أضاءت منها أعناق الابل ببصرى ومنها خروج المبتدعة والكذابين الدجالين ومنها زوال ملك العرب كما رواه الترمذى ومنها كثرة المال وكثرة الزلازل والمسخ وغير ذلك مما أخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه من أمارات الساعة فظهر ومضى ومن أماراتها ما ورد فى هذا الحديث الشريف من قوله فأخبرنى عن أماراتها وهى بفتح الهمزة وبالتاء وهى والأمار بحذف الهاء العلامة وقوله عليه الصلاة والسلام ما المسؤل عنها باعلم من السائل فيه دلالة على أنه ينبغى للعالم والمفتى وغيرهما اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن ذلك لا ينقصه بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه كما اتفق لامامنا الاعظم وغيره من الأئمة الاعلام وقوله عليه الصلاة والسلام أن تلد الامة ربتها وفى الرواية الاخرى ربها على التذكير وفى الاخرى بعلها يعنى السرارى ومعنى ذلك سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها قال النووى عليه الرحمة قال الاكثرون من العلماء هو اخبار عن كثرة السرارى وأولادهن فان ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لان مال الانسان صائر الى ولده وقد يتصرف فيه فى الحال تصرف المالكين اما بتصريح أبيه له بالاذن واما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال وقيل معناه أن الاماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته وقيل معناه أنه تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الاولاد فى آخر الزمان فيكثر ترددها فى أيدى المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدرى وأما رواية بعلها فالصحيح فى معناه أن البعل هو المالك أو السيد فيكون بمعنى ربها على ما ذكرناه قال أهل اللغة بعل الشئ ربه ومالكه وقيل المراد به الزوج ومعناه نحو ما تقدم أنه يكثر بيع السرارى أى المملوكات حتى يتزوج الانسان أمه وهو لا يدرى فذلك من أمارات الساعة ومنها أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان والحفاة جمع حاف وهو ما لا نعل فى رجله والعراة جمع عار وهو الذى لا شئ على جسده والعالة جمع عائل وهو الفقير والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أى افتقر والرعاء بكسر الراء وبالمد ويقال فيهم رعاة بضم الراء وزيادة الهاء بلا مد ومعناه كما قال النووى ان أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا وتكثر أموالهم ويستولون على أهل الحاضرة فيتباهون فى البنيان بتشييده وارتفاعه قال العلماء ان ارتفاع البنيان وتشييده من غير حاجة ضرورية مذموم كما قيل بيت العنكبوت كثير على من يموت وقد ورد فى الاثر عن سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يؤجر ابن آدم فى نفقته كلها الا ما يضعه فى هذا التراب حتى قال العلماء ان زخرفة المساجد مذمومة شرعا حتى ان ذلك من جملة أمارات الساعة أيضا قال بعض العارفين ويعلم من ذلك حكم تزيين القبور وتذهيبها وما يوضع عليها من القناديل والفضة والستور فان ذلك أيضا من العلامات ومحرم كما نص عليه فى المذاهب الاربعة العلماء الثقات فانا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ومنها ما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتخذ الفئ دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور وفى رواية ولبس الحرير ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو زلزلة أو خسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع ومنها ما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال اذا مشت أمتى المطيطاء أى التبختر وخدمتهم أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط الله شرارهم على خيارهم وروى لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع ابن لكع ومنها ما رواه البخارى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا قال العلماء ليس المراد برفع العلم محوه من صدور الحفاظ وقلوب العلماء فان الله سبحانه وتعالى لا يهب العلم لخلقه ثم ينتزعه منهم بعد أن تفضل عليهم به تعالى الله أن يسترجع ما وهب من علمه

الذى يؤدى الى معرفته والايمان به وبرسله وانما يكون قبض العلم بموت العلماء وعدم المتعلمين فلا يوجد فيمن يبقى من يخلف من مضى قال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ثم موت العلماء نقص فى الدين كما قال عطاء وجماعة فى قوله تعالى أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء وقال ابن مسعود موت العالم ثلمة فى الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عمر رضى الله تعالى عنه موت ألف عابد صائم النهار قائم الليل أهون من موت عالم وقال سلمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر وفضائل العلم كثيرة لا يسع ذكرها هذا المجلس والمقصد الآن أن قلة العلم وفشو الجهل فى الاحكام الشرعية من أمارات الساعة كما فى زماننا هذا من ترك أكثر الناس تعلم أمور دينهم وحضورهم لسماع القصاصين فى الاماكن المذمومة وجلوسهم فى المحال الغير المشروعة وبذل دراهمهم للمحرمات الممنوعة وصرف نقد عمرهم فى الاحوال التى لا تفيد فى الحال والمآل ومنها شرب الخمور وكثرة المسكرات كما ورد فى بعض الاحاديث المتقدمة وهو من الكبائر روى أبو داود لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وفى رواية وآكل ثمنها وروى أيضا من باع الخمر فليشقص الخنزير أى لا فرق بينهما فى الحرمة وعنه عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر والنسائى كل مسكر حرام ومن يشرب الخمر فى الدنيا ولم يتب لم يشربها فى الآخرة وروى أن شراب شاربى الخمر فى جهنم من طينة الخبال وهى صديد أهل النار وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أخذ رجلا نخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسا أو يزنى أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وأنه لما شربها لم يمتنع من شئ أرادوه وفعل جميع ذلك ولله در ابن الوردى حيث يقول

واهجر الخمرة ان كنت فتى * كيف يسعى فى جنون من عقل

ومنها كما ورد فى الحديث قلة الرجال وكثرة النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ومنها ما روى عن حذيفة الغفارى رضى الله تعالى عنه قال اطلع علينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قلنا نذكر الساعة فقال عليه الصلاة والسلام انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر عليه الصلاة والسلام الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم اه قال العلامة السفارينى فى منظومته

وما أتى فى النص من أشراط * فكله حق بلا اشطاط
منها الامام الخاتم الفصيح * محمد المهدى والمسيح
وأنه يقتل للدجال * بباب لد خل عن جدال
وأمر يأجوج ومأجوج اثبت * فانه حق كهدم الكعبة
ودابة وآية الدخان * وأنه يذهب بالقرآن
طلوع شمس الافق من دبور * كذات أجياد على المشهور
فكلها صحت بها الاخبار * وسطرت آثارها الاخيار
وآخر الآيات حشر النار * كما أتى فى محكم الاخبار

اه ولنذكر مفصل ذلك فنقول ان هذه العلامات العشر هى الآيات الكبار القريبة لقيام الساعة فمنها خروج المهدى رضى الله تعالى عنه على القول الاصح عند أكثر العلماء ولا عبرة بمن أنكر مجيئه من الفضلاء وان استدل بما فى بعض الروايات الضعيفة لا مهدى الا عيسى حتى قال ابن حجر فى الصواعق ما نصه قوله تعالى وانه لعلم للساعة قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى المهدى اه وأقول أول الآية يشير بأنها فى

حق عيسى عليه السلام واشارة الى نزوله وأنه من أشراط الساعة قال تعالى ان هو الا عبد أنعمنا عليه ثم قال سبحانه وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها وفى مجئ المهدى أحاديث عديدة فقد روى عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى وفى رواية أبى هريرة لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وفى رواية يملك سبع سنين وفى أخرى ثمان أو تسع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون مع عيسى عليه السلام ويدفن فى بيت المقدس وفى رواية يحكم أربعين سنة قال فى الاشاعة وهو الذى تقتضيه بشارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وأن الله تعالى يعوضهم عن الظلم عدلا واللائق بكرمه تعالى أن تكون المدة بقدر ما ينسون فيها الظلم السابق مع أنه فى مدته تفتح الدنيا كما فتحها ذو القرنين وسليمان عليه السلام وهذا يقتضى مدة طويلة مع ما ورد أن الاعمار تطول فى زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ليست من الطول فى شئ اه واختلف فى نسبه فقيل من أولاد العباس بن عبد المطلب وقيل من أولاد الحسن والاصح أنه من أولاد الحسين قيل وأمه من أولاد العباس وفى شرح عقيدة السفارينى ما ملخصه ان المهدى هو خاتم الائمة فلا امام بعده واسمه محمد وفى بعض الاخبار أحمد واسم أبيه عبد الله واشتهر بالمهدى لانه يهدى الى أمر خفى ويستخرج التوراة والانجيل من أرض يقال لها انطاكية أو من جبال الشام ويدعو اليها اليهود فيسلم على تلك جماعة كثيرة وحليته كما فى الاحاديث أنه رجل ربعة مشرب بحمرة ووجهه كالكوكب الدرى ولونه لون عربى وجسمه جسم اسرائيلى يرضى عن خلافته أهل الارض وأهل السماء والطير فى الجو يملك عشرين سنة وروى ابن مسعود المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الانف وعن عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ليبعثن الله فى عترتى رجلا فرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الارض عدلا ويقبض المال قبضا وفى حديث آخر فى خده الايمن خال أسود ابن أربعين سنة وفى آخر يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك وعن أبى جعفر محمد الباقر قال سئل أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه عن صفته فقال هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه وفى أخرى عنه أنه كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا فى وجهه خال أقنى فى كتفه علامة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية لابى نعيم بكتفه اليمنى خال وفى رواية فى لسانه ثقل واذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الايسر بيده اليمنى قال العلماء المهدى يقاتل على السنة لا يترك سنة الا أقامها ولا بدعة الا رفعها يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد الى المسلمين الفتهم ونعمتهم ولظهوره علامات جاءت بها الآثار فمنها كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذى القعدة وظهور الخسف والفتن وأن معه قميص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيفه ورايته ويغرس قضيبا يابسا فى أرض يابسة فيخضر ويورق ويطلب منه آية فيومئ الى طير فى الهواء بيده فيسقط على يده وينادى مناد من السماء أيها الناس ان الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالحقوه بمكة فانه المهدى ويخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه فى سبيل الله تعالى وعن على كرم الله تعالى وجهه انه سيخرج تابوت السكينة من غار انطاكية أو من بحيرة طبرية فيوضع بين يديه ببيت المقدس فاذا نظر اليه اليهود أسلموا الا قليلا منهم وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه البيعة وينشق الفرات فينحسر عن جبل من ذهب وذكروا أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف ولعل ذلك خرق للعادة والا فانكساف القمر ليلة الابدار والشمس أيام الاسرار وقال كعب الاحبار ينكسف ثلاث ليال متواليات وروى عنه أنه يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضئ كما يضئ القمر ينعطف حتى يلتقى طرفاه أو يكاد وفى الديلمى تكون هدة فى رمضان هائلة ومن علاماته خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرستا كما قاله فى كتاب الاشاعة وفيه أنه اذا انحسر الفرات عن جبل ذهب يقتتلون عليه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال من حضر فلا يأخذ منه شيئا وروى أنه قال ان بين يدى الساعة كذابين فاحذروهم وفى أخرى انهم دجالون كذابون قريبا

من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه لا يظهر الا على خوف شديد من الناس وزلزال وفتنة وبلاء يصيب الناس والطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد فى الناس وتشتت فى دينهم وتغير فى حالهم حتى يتمنى الموت صباحا ومساء من عظيم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا فحينئذ يخرج فطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل لمن خالفه وقال محمد بن الصامت قلت للحسين بن على رضى الله تعالى عنهما أما من علامة لظهور المهدى قال بلى هلاك بنى العباس وخروج السفيانى والخسف بالبيداء قال السفارينى ومن أقوى العلامات خروج السفيانى والابقع والاصهب والاعرج والكندى أما السفيانى فاسمه عروة قيل وهو من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان ملعون فى السماء والارض يخرج من ناحية دمشق وعامة أتباعه من كلب ويخسف بهم والابقع يخرج من مصر أو من بلاد الجزيرة والجرهمى من الشام ويخرج القحطانى من بلاد اليمن ويتقاتلون فيقتلهم السفيانى ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد فى الارض ويدخل الزوراء ويقتل من أهلها ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحرث واجب على كل مؤمن نصره ويثور أهل خراسان بعساكر السفيانى وتكون بينهم وقعات ثم انه يقتل على يد المهدى وأما مولد المهدى وبيعته فقد أخرج نعيم بن حماد عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قال مولده بالمدينة ومهاجره بيت المقدس وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يخرج من قرية يقال لها كريمة وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء واذا هاجر المهدى من المدينة الى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتصير مأوى للوحش وقد وود أن عمار بيت المقدس خراب يثرب وفى حديث قتادة يخرج المهدى من المدينة الى مكة وفى خبر ان السفيانى يبعث جيشا الى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بنى هاشم فيقتلون ويهربون الى الجبال حتى يظهر المهدى فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون ألست فلانا فيقول بلى أنا رجل من الانصار ثم يلحق بالمدينة فيطلبونه فيرجع الى مكة وهكذا ثلاث مرات فيصيبونه بمكة فى الثالثة فيبايعونه بين الركن والمقام وقد أقبل عسكر السفيانى وأنصار المهدى من أهل الشام عدد أصحاب بدر ثم يتوجه الى المدينة ومعه المؤمنون ثم يسير الى جهة الكوفة ثم يعود منهزما من جيش السفيانى الى الشام فيخرج الله تعالى على السفيانى من أهل المشرق وزير المهدى فيهزم السفيانى الى الشام فيقصده المهدى فيذبحه عند عقبة بيت المقدس ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بنى كلب غنيمة عظيمة وفى حديث آخر لا تحشر أمتى حتى يخرج المهدى يمده الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ويخرج اليه الابدال من الشام والنجباء من مصر وعصائب أهل الشرق حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام ثم يتوجه الى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على يساره ومعه أهل الكهف أعوان له فيقدم الى الشام ويأخذ السفيانى فيذبحه تحت الشجرة التى أغصانها الى بحيرة طبرية ثم تمهد الارض له وتدخل فى طاعته ملوك الارض كلهم وقد اختلف فى مدته فقيل خمسا أو سبعا أو ثلاثين أو أربعين سنة ويفتح القسطنطينة ورومية المدائن وغيرهما ثم يستمر حتى يسلم الامر لسيدنا عيسى عليه السلام ويصلى المهدى رضى الله تعالى عنه بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهى صلاة الفجر ثم يستمر المهدى على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الامر اليه ويخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال عليه اللعنة بباب لد بارض فلسطين كما سنفصله ان شاء الله تعالى ثم يموت المهدى ويصلى عليه روح الله عيسى عليه السلام ويدفنه فى بيت المقدس اه وهذا الذى ذكرناه فى أمر المهدى هو الصحيح من اقوال أهل السنة والجماعة وأما عند الشيعة فقد اختلفوا فيه أيضا على أقوال شتى والمشهور من مذاهبهم مذهب الامامية الاثنى عشرية أن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى ابن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنهم ويعرف عندهم بالحجة والمنتظر والقائم وهو الذى غاب فى سرداب دار أبيه فى سامراء صغيرا وأمه تنظر اليه وذلك فى سنة خمس وستين ومائتين وهو حى الآن موجود فى الدنيا وهذا مع بعده فى العقل لا يؤيده صحيح نقل ولقد أنشد بعض الشعراء مخاطبا لمن يعتقد هذه العقيدة الشنعاء

ما آن للسرداب أن يلد الذى * ولدتموه بزعمكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء لانكم * ثلثتم العنقاء والغيلانا

والكلام فى هذه المباحث طويل ومن أراد تفصيلها فعليه بالكتب الجامعة لمتفرق الاقاويل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فانتبهوا أيها النيام فقد بقيت لكم قليلات الايام وتوالت أمارات الساعة فاتخذوا لكم التقوى بضاعة

هى الدنيا فلا يغررك منها * زخارف تستفز ذوى العقول
أقل قليلها يكفيك منها * ولكن لست تقنع بالقليل

فيا أيها الراحل وما له رواحل متى تسمع قول العاذل هذا العدو نصب الحبائل الى كم ترضى باسم الجاهل كم تعد بالتوبة وكم تماطل كم أسمعك الموت وعيدك فلم تنته حتى قطع وريدك ونقض منزلك وهدم مشيدك ومزق مالك وفرق عبيدك وأخلى دارك وملأ بيدك أما رأيت قرينك أما أبصرت فقيدك يا ميتا عن قليل مهد تمهيدك لقد أمرضك الهوى وفى عزمه أن يزيدك أف لعيش آخره الندامة آه من سفر بدايته القيامة هذا نذير الموت قد غدا يقول لكم الرحيل غدا كيف بكم اذا صاح اسرافيل فى الصور بالصور فخرجت تسعى من تحت المدر وقد رجت الارض وبست الجبال وشخصت الابصار لتلك الاهوال وطارت الصحائف وقلق الخائف وشاب الصغار وزفرت النار وأحاطت الاوزار ونصب الصراط وحضر الحساب وقرب العذاب وشهد الكتاب وقطعت الاسباب فكم من شيخ يقول واشيبتاه وكم من كهل ينادى واخيبتاه وكم من شاب يصيح واشباباه برزت النار فاحرقت وقطعت الافئدة وتفرقت والاحداق قد سالت والاعناق قد مالت والمحن قد توالت أين عدتك لذلك الزمان أين تصحيح اليقين والايمان أترضى يومئذ بالخسران أما تعلم أنك كما تدين تدان يا من قد ملأ كتابه بالقبيح وهو عن قليل رهن الضريح كم فى كتابك من زلل كم فى عملك من خلل هذا وقد قرب الاجل كم ضيعت واجبا وفرضا ونقضت عهدا محكما نقضا وأتيت حراما صريحا محضا يا أجسادا صحاحا فيها القلوب مرضى

انما الدنيا بلاء * ليس فى الدنيا ثبوت * انما الدنيا كبيت * نسجته العنكبوت
كل من فيها لعمرى * عن قريب سيموت * انما يكفيك منها * ايها الراغب قوت

فنسأله تعالى أن يوفقنا واياكم لمراضيه ويجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

المجلس السادس عشر

(فى امارات الساعة من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الواحد الماجد العظيم الدائم القائم القديم السميع البصير الحليم القوى العلى الغنى الحكيم قضى فاسقم الصحيح وعافى السقيم وقدر فاعان الضعيف وأوهى القويم وقسم عباده الى قسمين طائع وأثيم وجعل مآلهم الى دارين دار النعيم ودار الجحيم فمنهم من عصمه عن الخطايا فكأنه فى حريم ومنهم من قضى له أن يبقى على الذنوب ويقيم ومنهم من تردد بين الامرين والعمل بالخواتيم خرج موسى راعيا فعاد وهو الكليم وذهب ذو النون مغاضبا فالتقمه الحوت وهو مليم وكان محمد يتيما فصار الكون لذلك اليتيم وعصى آدم وابليس فهذا مرحوم وهذا رجيم أنعم علينا بالفضل الوافر العميم وهدانا بمنه الى الصراط القويم وحذرنا بلطفه من العذاب الاليم ومن علينا بالكتاب العزيز القديم فهو سبحانه مستوجب للتعظيم أحمده وكيف لا يحمد وأشهد أنه لم يلد ولم يولد وأن محمدا عبده الامجد ورسوله الاوحد أخذ له الميثاق على أقرب الانبياء والابعد وأقام عيسى يقول ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وبه توسل آدم وقد أسجد له من أسجد من كل ملك كريم صلى

الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الرفيق حين يسافر وحين يقيم وعلى عمر الفاروق الذى عمر من الدين ماغمر بأحسن تدبير وأكمل تقويم وعلى عثمان الشريف قدره الجليل صبره على ماأضيم وعلى على مقدم الشجعان فى حربهم والمؤمنون به من كربهم فى مقعد مقيم وعلى سائر آله وأصحابه ماسلك الطريق المستقيم * (أما بعد) * فقد قال عليه الصلاة والسلام فى امارات الساعة أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان الى آخر الحديث الذى قدمناه مرارا عديدة وقد تكلمنا عليه وذكرنا مايتعلق به من بعض أمارات الساعة وعلاماتها وبقى علامات أخر نذكر تفصيلها فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى ليعرفها المسلم اذ الايمان بها واجب فمن ذلك خروج الدجال عليه اللعنة والوبال (فنقول) هو منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والاوجال قد أنذرت به الانبياء قومها وحذرت منه أممها حتى كان النبى عليه الصلاة والسلام يدعو فى آخر صلاته بقوله اللهم انى أعوذ بك من فتنة المحيا ومن فتنة الممات ومن عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال فلذا ذهب بعض العلماء من الشافعية الى وجوب هذا الدعاء فى الصلاة وفى الحديث ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال ومامن نبى الا وحذر قومه الدجال رواه الحاكم وقال ابن ماجه سمعت المشايخ يقولون ينبغى أن يعطى حديث الدجال للمؤدبين حتى يعلموه الصبيان فى الكتاب وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر فينبغى لكل عالم ولاسيما فى زماننا التذكير به والتحذير من فتنته وفتنة أمثاله المتلاعبين فى الدين أجارنا الله تعالى واياكم من فتنتهم أجمعين وقد اختلف العلماء فى نسبه فقيل انه صاف بن صياد وأنه ولد بالمدينة وقيل هو شيطان موثوق فى بعض الجزائر وأنه من أولاد شق الكاهن او هو شق نفسه وأن أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها اياه وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا قول مردود وقال كعب الاحبار الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر وبين مولده وخروجه أربعون سنة وفى الترمذى يخرج من خراسان وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة وفى مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يخرج الدجال من يهودية اصبهان لم يخلق له عين والاخرى كأنها كوكب يشوى فى الشمس سمكا ويتناول الطير من حوله وله ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب ومن حليته أنه شاب وفى رواية شيخ جسيم أحمر وفى رواية أبيض أمهق وفى أخرى آدم أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية وفى رواية أخرى أعور العين اليسرى وفى رواية انه أعور العين مطموسة ومن أوصافه أنه قصير أفحج أى متباعد مابين الساقين عظيم اللحية والجبهة مكتوب بين عينيه ك ف ر حروفا مقطعة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها الكافر ولا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة وسبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم التيجان وكلهم ذو سيف محلى ومن صفاته أيضا أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه كثيرة اللحم عظيمة الثديين طويلة الشفتين وللدجال حمار أهلب وهو المشعر مابين أذنيه أربعون ذراعا يضع خطوته عند منتهى طرفه قيل وأول خروجه يدعى الايمان والصلاح حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويتبع ثم يدعى الالهية فيقول أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذناه ويكتب بين عينيه كافر فيفارقه المسلمون قال عليه الصلاة والسلام ان الدجال أعور والله عز وجل ليس بأعور قال العلماء واذا سمى مسيحا لان المسيح هو الممسوحة عينه وأما عيسى عليه السلام فسمى مسيحا لانه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ وقال كعب الاحبار يتوجه فينزل عند باب دمشق الشرقى ابتداء قبل خروجه ثم لا يدرى أين توجه ثم يظهر فى المشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعى النبوة فينصرف عنه المسلمون فيأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس ويبعث الله تعالى له شياطين فيقولون له استعن بنا على ماتريد فيقول لهم نعم اذهبوا الى الناس فقولوا أنا ربهم فيبعثهم فى الآفاق ويدعى الالهية ويقتل النفوس ويحييهم وقيل يخرج من كوثى بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والاعراب وفى الحديث ان السماء تمسك مافيها وان يهلك كل ذى ضرس وظلف سنة خروجه وهو يسير معه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء

والآخر

والآخر فيه دخان فيقول هذه الجنة وهذه النار وعن حذيفة أن معه رجالا يقتلهم ثم يحييهم وفى صحيح مسلم أن ناره جنة وجنته نار وفى حديث آخر فى صحيح مسلم أن الدجال معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج فاما ان أدرك ذلك أحد منكم فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب فانه ماء بارد وفى الحديث أن من أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وأن الصحابة قالوا يارسول الله ومالبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله ماإسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله تعالى المسيح بن مريم عليه السلام فينزل من المنارة البيضاء شرقى دمشق ثم يقتل الدجال كما سنفصله ان شاء الله تعالى فى بحث عيسى عليه السلام ومنها العلامة الثالثة وهى نزول عيسى عليه السلام من السماء وذلك ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة أما الكتاب فقوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابراهيم حنيفا مسلما قال بعض المفسرين ان الضمير فى قوله قبل موته راجع ليهود ويؤيده قراءة أبى رضى الله تعالى عنه قبل موتهم وأما السنة ففى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية الحديث وأخرج مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول ألا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة وأما الاجماع فقد أجمعت الامة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافهم وقد انعقد اجماع الامة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المطهرة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة وان كانت نبوته قائمة به وقول من زعم من العلماء أنه يرفع التكليف مردود ويتسلم الامر من المهدى ويكون المهدى من أصحابه وأتباعه حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدى ويسلم اليه تابوت بنى اسرائيل وكل مامعه من آلات الامر كما تقدم ولنذكر فوائد تتعلق بحليته وسيرته عليه السلام فعن البخارى من حديث عقيل بن خالد أنه أحمر أجعد عريض الصدر وفى رواية له لمة أى بكسر اللام وتشديد الميم قد رجلها أى سرحها وفى رواية لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس وفى حديث أبى هريرة كأنما خرج من ديماس يعنى الحمام وأما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير والقرد ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام ويتحد الدين فلا يعبد الا الله ويترك الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز فى زمنه ولا يرغب فى اقتناء المال ويرفع الشحناء والتباغض وينزع الله سم كل ذى سم حتى تلعب الاولاد بالحيات والعقارب ويرعى الذئب مع الشاة وينعدم القتال وتنبت الارض كعهد آدم عليه السلام حتى يجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لكثرة الحرث وأما نزوله من السماء ومايجرى على يديه من الملاحم فقد ورد فى الاحاديث الصحيحة ففى صحيح مسلم بينما الدجال كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين أو شقتين أو حلتين أو ثوبين صفراوين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ اه ويكون نزوله لست ساعات مضت من النهار حتى يأتى مسجد دمشق ويقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه ويأتى مؤذن

المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج الاسهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر وفي رواية بينما امامهم أي المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم للصبح فيرجع المهدي قهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام ويقال له يا روح الله تقدم أي يقول ذلك من لم يحرم بالصلاة اذن فيقول ليتقدم امامكم فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفي المهدي فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى افتح فيفتح وو راءه أي وراء الباب الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا فيدركه عند باب اللد وهي بلدة مشهورة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ فيقتله هنالك بحربته التي نزل بها من السماء وفي رواية يذبحه بالسكين فيهزم جنوده فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي الا أنطق الله تعالى ذلك الشيء من شجر وحجر ودابة الا قال يا عبد الله هذا يهودي وفي لفظ دجالي فتعال اقتله الا الغرقد ٢ فانه من شجر اليهود ثم ان عيسى عليه السلام بعد قتل الدجال يذهب الى المدينة فيزور قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويحج ويتوفى بالمدينة فيدفن هنالك وفي الحديث وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه وأخرج البخاري في تاريخه يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه رضي الله تعالى عنهما وفي المواهب بقي من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع وقد تقدم أن المهدي يتوفى قبله وروى أبو هريرة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة وعن الامام أحمد وأبي داود أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ونقل السفاريني عن ابن الجوزي أنه روى في كتابه المنتظم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد له ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمدا وان أمهما من البرد قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر جعلنا الله تعالى وايا كم من المؤمنين بهم المصدقين بمجيئهم والمحبين لهم والمحشورين معهم ووقانا واياكم من الفتن والاهواء ووفقنا على شريعة سيد الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ما مضت ساعة ومر يوم من الايام الى قيام الساعة وساعة القيام ومنها الامارة الرابعة وهي خروج يأجوج ومأجوج وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام كما قال مقاتل وقال الضحاك هم من الترك ٣ وقال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعا أو خمسون ومنهم من طوله وعرضه كذلك ومنهم من يلتحف باحدى أذنيه ويفترش الاخرى وقال علي رضي الله تعالى عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالب في موضع الاظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم واعلم أن خروجهم ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة قال الله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون وروى مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى يوحي الى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال اني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون الحديث وفي رواية لمسلم ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة ففاء وفي رواية دودا كالنغف في أعناقهم وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة أي قتلى ثم يبعث الله ريحا يمانية فتقذف

٢ العوسج اهـ منه   ٣ أي الذين هم في بلاد العجم اهـ منه

جيفهم في البحر ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة أي كالمرآة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله تعالى في اللبن حتى أن اللقحة من الابل لتكفي الجماعة من الناس وروى مسلم فبينما هم يعني عيسى وأصحابه في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة والله تعالى أعلم

فيا من قد أخذ الموت منه ولدا وعرسا وغرس بعضه في القبور غرسا كم رأيت مصحابا في الدنيا ما أمسى كم عاينت بطاشا كف الموت منه خمسا كأنك باليقين قد جاء فرفع شكا ولبسا وكأنك بمركب العمر على اللحد قد أرسى وسكنت بعد القصور العالية حفيرة ورمسا أرأيت في الحبوس مثل القبر حبسا وعلمت أن جميع مالك لا يساوي فلسا وتخلع ثيابك فتكسى من التراب لبسا وينساك من كان خدينا ورفيقا وأنسا تركوا والله ذكرك فوقعت في المنسى ولو بكوا ما انتفعت ولو ندبتك الخنسا ودرسك البلى بكلكله درسا ويحك الى متى تؤثر بخسا ورجسا متى تحصل تطهيرا بالتوبة وقدسا أف لقلب ما أصلبه وما أقسى أتؤثر ما يفنى على ما يبقى تعسا لرأيك تعسا ويحك خلص نفسك فيها نفسا أما هذا بين يديك ما أكثر ما تنسى ثم تقوم من قبرك وقد سكنت الالسن هيبة حتى كأنها خرسا وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يوم تنكدر النجوم وتنقلع الجبال من التخوم وتصعد القلوب الى الحلقوم وينشر الكتاب المطوي المختوم ويظهر من الهول ما لم يكن في الوهوم فتتحير العقول وتذهل الفهوم ويعم الازعاج الخصوص والعموم ويتمنى الموجود أنه معدوم هذا والنار حول العصاة تحوم فاذا أخذتهم لم يبق شحوم ولا لحوم والشراب الحميم والمأكول الزقوم يا بئس المشروب ويا بئس المطعوم لكل باب منهم جزء مقسوم تالله ان نسيان هذا جهل ولوم ألا ينتبه من رقدته هذا النوم جسده عندنا وقلبه في الروم متى ترى هذه الاهوال حين ينشق القبر وتقوم وعنت الوجوه للحي القيوم اللهم سلمنا من تلك الاهوال وآمنا من الفزع والزلزال وارزقنا الاستعداد لما وعدتنا وأدم لنا احسانك ومعروفك كما عودتنا وبارك لنا في كل ما أعطيتنا وأتمم علينا نعمتك وفضلك ومنتك واجعل في قلوبنا نورا نهتدي به اليك ووفقنا للاعمال الصالحة المقربة لديك واجعلنا يا مولانا ممن توكل في جميع أموره عليك ولا تفضحنا يا سيدنا يوم العرض والوقوف بين يديك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين

المجلس السابع عشر

(في بقية أمارات الساعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الملك القديم الواحد العزيز العظيم الشاهد سامع ذكر الذاكر وحمد الحامد وعالم ضمير المريد ونية القاصد لعظمته خضع الراكع وذل الساجد وبهداه اهتدى الطالب وأدرك الواجد ورفع السماء فعلاها ولم يحتج الى مساعد وألقى في الارض رواسي راسيات القواعد فتنزه عن شريك مشاقق أو ند معاند وعز عن ولد وجل عن والد وأحاط علما بالاسرار والعقائد وأبصر حتى دبيب النمل في الجلامد وسطا فسالت لهيبته صعاب الجوامد ويقول في الليل هل من سائل فانتبه يا راقد بنى بيتا أمر بقصده وتلقي الوافد وأقسم على وحدانيته وما ينكرها الا معاند والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد أحمده على الرخاء والشدائد وأقر بتوحيده اقرار عابد وأصلي على رسوله بيت القصائد صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبي بكر التقي النقي الزاهد وعلى عمر العادل فلا يراقب الولد ولا الوالد وعلى عثمان المقتول ظلما بكف الحاسد وعلى علي البحر الخضم والبطل المجاهد وعلى سائر آله وأصحابه الاقارب منهم والاباعد *(أما بعد)* فقد ذكرنا في

الدروس الماضية بعض أمارات الساعة المتعلقة بحديث جبريل عليه السلام وبقى منها علامات نذكرها فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى (فنقول) منها العلامة الخامسة وهى هدم الكعبة المكرمة زادها الله تعالى شرفا واخراج كنزها فقد أخرج البخارى ومسلم والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وأخرج الامام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر نحوه وزاد ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأنى أنظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله وفى رواية أخرى يحبس البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا الى الكعبة فيخربونها والذى نفسى بيده انى لكأنى أنظر الى صفته فى كتاب الله تعالى أفيحج أصيلع أفيدع وفى رواية أسود وفى أخرى حبشى أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الانف كبير البطن قائما يهدمها هو وأصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يطرحونها فى البحر وقوله عليه السلام أصيلع تصغير الاصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والافيدع من بيده اعوجاج من الرسغ حتى ينقلب الكف وكذلك الرجل أو هو المشى على ظهر القدم والافيحج المتباعد الفخذين فان قلت قد تقدم أن المهدى هو الذى يخرج كنز الكعبة قلت قد أجاب العلامة السفارينى الحنبلى عليه الرحمة بأن المهدى لعله لما يستخرجه يجتمع فيه بعد ذلك المال الكثير فى أيامه وأيام عيسى عليه السلام أو أن المهدى أخذ البعض وترك البعض ثم يستخرجه الحبشى واعلم أن العلماء اختلفوا اهل هذا الهدم فى أيام المسيح عيسى عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى فى الارض من يقول الله فعن كعب الاحبار أنه زمن عيسى وقيل بعد زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج وقيل بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام وبعد هبوب الريح التى يموت بها من فى قلبه ذرة من ايمان وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها فعند ذلك يرتفع القرآن الكريم وقال الشيخ مرعى الحنبلى يمكث الناس ماشاء الله فى الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة ثم يخرج الحبشة فيخربون مكة ثم لا تعمر أبدا ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشى بعباءة والله تعالى أعلم بالصواب ومنها العلامة السادسة وهى الدخان قال العلماء رحمهم الله تعالى آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الآية قال ابن عباس وابن عمر والحسن وزيد بن على رضى الله تعالى عنهم هو دخان قبل قيام الساعة يدخل فى أسماع الكفار والمنافقين ويعترى المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهذه العلامة لم تأت الى الآن وهى آتية وأما السنة فأخرج مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضى الله تعالى عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تتذاكرون قالوا الساعة يارسول الله قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر منها الدخان وفى حديث حذيفة بن اليمان ان من أشراط الساعة دخانا يملؤ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما فالمؤمن يصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه خمس قد مضين الدخان وهو القحط الذى صار فى زمنه عليه الصلاة والسلام لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا عليهم بقوله اللهم سبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة مجلة حتى أكلوا الميتة من الجوع فيرى أحدهم حينما ينظر الى السماء هيئة الدخان من الجوع واللزام وهو يوم بدر وكذا البطشة يوم بدر قال تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون والقمر قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والخامسة الروم قال العلامة الشيخ مرعى الحنبلى كلام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موافق لظاهر الآية والجمهور دليلهم السنة مع أنه ورد عن ابن مسعود أنهما دخانان مضى واحد والذى بقى لم يأت بعد والصحيح قول الجمهور وهو المروى عن باب مدينة العلم على كرم الله تعالى وجهه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب ومنها العلامة السابعة من العشر العظمى ذهاب القرآن العظيم وكلامه المنزل على نبيه الكريم من المصاحف والصدور وهى من أشد معضلات الامور أخرج الديلمى من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله تعالى عنهما يسرى على كتاب الله تعالى ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف فى جوف الا نسخت وفى

الحديث أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع وورد انهم ينسون أيضا قول لا اله الا الله وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الله عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى فلا يعمل بى وحكى شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة عن السلف من أن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود أى يسرى به حتى لا يبقى فى المصاحف منه حرف ولا فى القلوب منه آية ومنها العلامة الثامنة طلوع الشمس من مغربها وذلك ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة أما الكتاب فقال تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا قال جمهور المفسرين انها طلوع الشمس من مغربها وأما السنة فقد أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها الآية ونحوه عن ابن عباس وقال أيضا خلق الله تعالى بابا للتوبة فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله عز وجل الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما الى أن قال فاذا اغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك وهذا الحديث وان كان فى سنده ضعف الا أن له شواهد أخر وأخرج ابن مردويه عن حذيفة قال سألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها قال تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين وفى رواية أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون والليل كأنه لم ينقص حتى يتطاول عليهم الليل فيفزع الناس الى المساجد خائفين فبينما هم ينظرون طلوع الشمس من المشرق اذ هى طالعة من المغرب فيضج الناس حتى اذا صارت فى وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها وفى رواية فعند ذلك يصير فى هذه الامة قردة وخنازير وعن ابن عمر يمكث الناس بعد ذلك عشرين ومائة سنة لكنها عمر سريعا كمقدار مائة وعشرين شهرا وقيل أقل من ذلك والله تعالى أعلم بما هنالك ومنها العلامة التاسعة وهى خروج دابة الارض وهى المسماة بذات أجياد أى صاحبة أجياد وهو اسم أرض مكة أو جبل بها او يقال لها جياد بلا همز وخروجها ثابت بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وأما السنة فالاحاديث كثيرة منها ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا تخرج دابة الارض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليمانى ولم يخرج ذنبها بعد وهى دابة ذات قوائم وفى رواية تصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من فى الخافقين وقال السخاوى خروجها من مكة اما من صدع الصفا أو من المروة أو من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من مدينة قوم لوط وقيل من أقصى اليمن وقيل ان لها ثلاث خرجات فى الدهر أول خرجة من أقصى اليمن ثم تمكث زمانا ثم تخرج أخرى ثم تخرج ثالثة وترى فى ناحية المسجد من الركن الاسود وباب بنى مخزوم وقيل تخرج من أرض الطائف ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب وروى أنها تخرج ليلة جمع والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه وفى حديث حذيفة أول ما يبدو رأسها معلمة ذات وبر وريش وقال على كرم الله تعالى وجهه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وروى فلا يخرج الا رأسها فيبلغ عنان السماء ويبلغ السحاب وقال أبو هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير وفى حديث آخر تجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وقال ابن عباس ان لها عنقا مشرفا أى طويلا يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب وأنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سمة وسيماها من هذه الامة أنها تكلم الناس بلسان عربى مبين وفى رواية أنها تنادى بأعلى صوتها ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وتسم المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب درى ويكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر ثم تنطلق ويشترك الناس فى الاموال ويصطحبون فى الامصار وروى ابن مسعود

ان ابليس عليه اللعنة بين يدى ياجوج وماجوج يخر ساجدا وينادى الهى مرنى أسجد لمن شئت وتجتمع اليه الشياطين
تقول ياسيدنا الى من تفزع فيقول انما سألت ربى أن ينظرنى الى يوم البعث فانظرنى الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت
الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة فى الارض حتى يقول الرجل هذا قرينى الذى
كان يغوينى فالحمد لله الذى أخزاه ولا يزال ابليس ساجدا باكيا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد وهذا أصح من
قول كعب ان ابليس انما يذوق الموت يوم الحشر وقيل ان دابة الارض هى الجساسة التى حدث عنها تميم الدارى
وقصتها طويلة مذكورة فى كتب الاحاديث وملخصها ان الجساسة هى دابة كثيرة الشعر فى احدى جزائر بحر
القلزم تجس الاخبار قريبة الى المحل الذى فيه الدجال وقد قيد بالحديد وعن ابن عباس هى الثعبان الذى كان فى بئر
الكعبة فاختطفه العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام وألقاه بالحجون أو فى أجياد فالتقمتها الارض وهذه
كلها أقوال ضعيفة والاول هو الصحيح والاغرب والاعجب من هذه الاقوال ما قاله جابر الجعفى الكوفى ان دابة
الارض المذكورة فى القرآن هى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه فقد قال الحافظ الذهبى ان
جابرا شيعى يرى الرجعة أى يعتقد أن عليا يرجع الى الدنيا ويخلف ويحكم وقال أبو حنيفة ما لقيت أحدا أكذب
من جابر الجعفى وقال الشافعى أخبرنى سفيان بن عيينة قال كنا فى منزل جابر فتكلم بشئ فتركنا خوفا أن يقع علينا
السقف ومات سنة ثمان وعشرين ومائة (قلت) ولا يبعد ممن يعتقد الغيبة والرجعة بالوجه الذى يزعموه أن يجعل
أمير المؤمنين وولى الموحدين ويعسوب المسلمين الدابة الموعود بها فى الكتاب المبين فكم وكم لهم مثل هذا الهذيان
والترهات التى لا يقام عليها ساطع برهان فنسأله تعالى أن يتوفنا على كامل الايمان ويحشرنا مع الهداة المهديين
الى أعلى فراديس الجنان بشفاعة سيد ولد عدنان عليه وعلى آله الكرام أفضل الصلاة والسلام ومنها العلامة
العاشرة وهى خروج النار من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم وقد ثبت ذلك فى الاحاديث العديدة الصحيحة
كما تقدم ومنها ما أخرجه الامام أحمد فى مسنده والبخارى وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب ومنها ما رواه حذيفة
ابن أسيد الغفارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان
ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب قال وآخر ذلك نار
تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفى رواية تنزل معهم اذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا قال بعض
العلماء وفى هذا اشكال لان فى الحديث الاول أن النار أول أشراط الساعة وفى الحديث الثانى ان النار آخر
الامارات والجواب عنه أن النار ناران أحدهما تحشر الناس من المشرق الى المغرب والثانية تخرج من اليمن
فتطرد الناس الى المحشر الذى هو أرض الشام فلعل احدى النارين فى أول الآيات والاخرى فى آخرها وقال
السخاوى المراد من كونها أول الآيات التى لا شئ بعدها من أمور الدنيا أصلا لان بعدها النفخ فى الصور وهو جواب
ضعيف وأخرج الامام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ستخرج نار من حضرموت
قبل يوم القيامة تحشر الناس قالوا يارسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام وأخرج الطبرانى وابن عساكر عن
حذيفة بن اليمان مرفوعا لتقصدنكم نار هى اليوم خامدة فى واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم
تأكل الانفس والاموال تدور الدنيا كلها فى ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار
ولها بين السماء والارض دوى كدوى الرعد القاصف هى من رؤس الخلائق أدنى من العرش قيل يارسول الله
أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال عليه الصلاة والسلام وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ هم شر من الحمر
يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه أى اتركوا وفى حديث أبى هريرة مرفوعا ان الله
تعالى يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته وفى رواية ان الريح
تأتى من قبل الشام قال العلماء لا مضادة بين الحديثين لانهما ريحان شامية ويمانية واعلموا أن العلماء عليهم الرحمة
اختلفوا فى حشر النار من المشرق الى المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله فقال العلامة القرطبى المالكى والامام

الخطابى وصوبه القاضى عياض ان هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة وأما الحشر من القبور فهو على ما فى
حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا كما فى الصحيحين انكم تحشرون حفاة عراة غرلا ٢ وقال الحكيم
الترمذى وأبو حامد الغزالى عليهما الرحمة هو يوم القيامة عندما يحشرون وينشرون من قبورهم الى الموقف
للحساب والله تعالى أعلم بالصواب ثم انه بعد أن تمضى هذه الامارات المذكورة ينفخ اسرافيل فى الصور النفخة الاولى
لان النفخ فى الصور ثلاث نفخات فالاولى نفخة الفزع وهى التى يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهى المشار
اليها فى قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق أى من رجوع ومرد وقوله تعالى ونفخ فى الصور
ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت والنفخة
الثانية نفخة الصعق وفيها هلاك كل شئ قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء
الله وفسر الصعق بالموت فتموت الخلائق ثم النفخة الثالثة وهى نفخة البعث والنشور قال تعالى ونفخ فى الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقوله تعالى فانما هى
زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة والزجرة هى النفخ فى الصور والساهرة الارض وغير ذلك من الآيات والاحاديث
القاطعة باعادة الاموات وسنفصل ان شاء الله تعالى كيفية الحشر ببعض الدروس الآتيات فاستعدوا رحمكم
الله تعالى للحشر والحساب وتوبوا قبل أن يطوى الكتاب واخشوا يوما تعرض فيه الخلائق على رب الارباب
فما هذا السكون الى دار الدوائر وما هذا الانحراف الى حرف جرف هائر أما تلمحت أبصار البصائر ما اليه
الامر صائر كم آثرتم الرذائل على المفاخر ان عين اللبيب ترى الآخر فيا أيها الغافل أما أنت عن قريب راحل
وساكن بيتا أنت فيه غريب حائر ذاهل ويا أهل القصور العامرة عن قليل تعود غامرة يا معجبين بالنضارة
الظاهرة عن قريب ترجع العظام ناخرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أكل التراب تلك العظام
وصيرها كالرفات والرمام فلما نفخ فى الصور يوم القيام نهضت الاقدام الى القيامة متباردة فاذا هم بالساهرة
سالت فى القبور الحدق وجال البلى فيهم واحتدق فلما أمر بالاعادة من خلق عادت الابدان نافرة فاذا هم
بالساهرة ضمت أجسادهم اللحود وخلا بهم الدود تمزق الجلود وتفرقوا كما تتفرق الورود فاذا أراد اعادتهم
المعبود صاح اسرافيل صيحة نافرة فاذا هم بالساهرة حفرت قبورهم لغيرهم مرات ونقل تراب أبدانهم تارات
فاذا جاء الفصل والميقات جمع المتفرق بعد الشتات المؤمنة والكافرة فاذا هم بالساهرة عظم عندهم القلق
واشتد عليهم الخوف والفرق وسال منهم كالسيل العرق لقوة الهاجرة فاذا هم بالساهرة يذهبون ولا يدرون
الى أين ويهربون وهيهات عليهم دين ولا ينجو الا قائل الكلمتين ثم طوبى وطوبى للعين التى كانت ساهرة
تبرز النار باللهب والجمر فيبكى آكل الربا وشارب الخمر ويشتغل زيد بنفسه عن عمرو وقد عرفتم أول الامر
وآخره فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فنسألك اللهم أن تجيرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة
وتلبسنا فى جنات النعيم حلل رحمتك الفاخرة وتوفقنا لصالح الاعمال وتنجينا من جميع الاهوال وتحشرنا
وآباءنا مع الصحابة والعترة الطاهرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

المجلس الثامن عشر

(فى البعث بعد الموت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنفرد بالقدرة العظيم فلا يقدر أحد قدره أنعم فكم أقال عثرة ووعظ فكم أسال عبرة خلق الآدمى
وأحصى عمره وأراه قبل رحيله عن الدنيا قبره وأنه سيخلو فى بيداء وقفرة ثم يخرجه فيحضره الحضرة ويسأله
عن الكلمة والنظرة وأنذرهم يوم الحسرة أحمده حمدا دائما بلا فترة وأشكره على نعمه التى لا تحصى كثرة
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها نجاة من عذاب الحفرة وسلاحا من العدو فى العسرة

٢ أى غير مختونين اه منه

واليسرة وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وضمن له نصره صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق رفيقه فى الحفرة وعلى عمر بن الخطاب ثالثهما فى الحجرة وعلى عثمان مجهز جيش العسرة وعلى ابن عمه على بن أبى طالب الذى اشترى هل أتى بكسرة وعلى سائر آله وأصحابه ومن امتثل نهيه وأمره وسلم تسليما *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام الشهير أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة والرضوان قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بارزا يوما للناس فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال ما الايمان قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر الحديث (فنقول) وبالله التوفيق قد تقدم الكلام فى مبدا الدروس الماضية المتعلقة بهذا الحديث وتقدم ذكر الروايات المختلفة لهذا الحديث وأسلفنا الكلام على الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والاسلام والصلاة والزكاة والصوم والحج والاحسان وأمارات الساعة المتقدمة والمتأخرة وبقى الكلام الآن فيما يتعلق بلقاء الله تعالى والبعث بعد الموت والخمس التى لا يعلمهن الا الله وبيان جبريل عليه السلام فلنذكر لكم ذلك ان شاء الله تعالى فى هذا الدرس خاتمين به حديث جبريل وهو سبحانه الموفق الهادى الى أقوم سبيل فاعلموا أن قوله عليه الصلاة والسلام أن تؤمن بالله وبلقائه وتؤمن بالبعث الآخر أى بكسر الخاء المعجمة اختلف العلماء فى المراد بالجمع بين الايمان بلقاء الله تعالى والبعث قال الامام النووى قيل اللقاء يحصل بالانتقال الى دار الجزاء والبعث بعده عند قيام الساعة وقيل اللقاء ما يكون بعد البعث عند الحساب ثم ليس المراد باللقاء رؤية الله تعالى فان أحدا لا يقطع لنفسه برؤية الله تعالى لان الرؤية مختصة بالمؤمنين ولا يدرى الانسان بماذا يختم له وأما وصف البعث بالآخر فقيل هو مبالغة فى البيان والايضاح وذلك لشدة الاهتمام به وقيل سببه ان خروج الانسان الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر للحشر بعث من الارض فقيد البعث بالآخر ليتميز اه ثم اعلموا أن منكر البعث والحشر كافر مخلد للدلائل القطعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الامم الكتابية والاسلامية فقد وردت الكتب الالهية وبينت كافة الانبياء عليهم السلام لاممهم أن الله سبحانه وتعالى يميت المخلوقات كافة ثم يعيد المكلفين بعد موتهم عند قيام الساعة اعادة جسمانية ويحشرهم ويسألهم ويجازيهم ويدخل بعضهم النار وبعضهم الجنة دار القرار والعقل أيضا مطابق لذلك لان هذا العالم لا بدله من صانع وان صانعه لا بد أن يكون واحدا وهو الله سبحانه فاذا اسلمنا ذلك علمنا أن الله سبحانه أوجدنا من العدم ولم نك شيأ فالاعادة أهون من الايجاد وان الله عز وجل حاكم عادل فلا بد أن يجازى العباد الظالم بظلمه والمحسن على احسانه ويجعل الدار الآخرة دار الجزاء والحساب ويعامل بعضا بعدله وبعضا بغفرانه وامتنانه ولنذكر ما ورد فى ذلك من الآيات والاخبار مبينين لما يتعلق بالبعث بأصح الآثار فقد ورد ان اسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصور وهو قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق النفخة الاولى وهى نفخة الفزع كما تقدمت الاشارة الى ذلك فى أحد الدروس الماضية فيختل نظام العالم ويفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله وهم الشهداء فيمدها ويطيلها وهى التى يقول الله تعالى فيها وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة فى البحر تضربها الامواج فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله تعالى فيه يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وروى البغوى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال ست أيام قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت

واذا

واذا العشار عطلت أهملت واذا البحار سجرت قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أوقدت فصارت نارا تضطرم قال أبى قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى وانشقت السماء انشقاقة واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم اه ثم ينفخ النفخة الثانية وهى نفخة الصعق أى الموت وفيها هلاك كل شئ الا من لم يخلق للفناء فانه لم يفن كالجنة وما فيها من الحور والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب والخزان قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول ملك الموت قد مات أهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقى فيقول أى رب بقيت أنت الحى القيوم وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله فليمت جبريل وميكائيل فيموتا ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله العرش أن يقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم فمن بقى فيقول بقيت أنت الحى القيوم الذى لا يموت وبقيت أنا فيقول أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والارض كطى السجل للكتب وقال أنا الجبار لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار وتبدل الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا الحديث وأخرج أبو الشيخ قال هؤلاء الاربعة أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم وهم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين الملوك وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ٢ ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم ينفخ اسرافيل النفخة الثالثة فى الصور وهى نفخة البعث والنشور وبين هاتين النفختين أربعون عاما على ما فى بعض الروايات وقد جاءت فى الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير اليها كقوله تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقوله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقوله تعالى واستمع يوم يناد المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق الآية قال المفسرون المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل ينفخ اسرافيل وينادى جبريل وفى تفسير الثعلبى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى تفسير سورة الزمر مرفوعا أن الله يرسل مطرا على الارض فينزل عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثنا عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد أن تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحى حملة العرش ليحى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الارواح فيأتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورا والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها فى الصور ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزتى وجلالى لترجعن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح من الخياشيم ثم تمشى مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الارض عنهم سراعا فأنا أول من تنشق عنه الارض فتخرجون منها الى ربكم تنسلون وفى حديث

٢ قد قدمنا لك ان مثل هذه الاحاديث مؤولة عند الخلف كاليد بالقدرة وعند السلف بالايمان بها وجهل الكيفية لانه سبحانه ليس كمثله شىء فلا تغفل اه منه

آخر ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب
منه يركب الخلق يوم القيامة وفى رواية لمسلم ان فى الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم
القيامة قالوا أى عظم هو يارسول الله قال عجب الذنب وفى رواية منه خلق وفيه يركب وهو مثل حبة خردل وهو
بفتح العين المهملة واسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم وفى تفسير الثعلبى فى سورة الاعراف وتفسير ابن عطية
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا مات الناس كلهم أمطر عليهم أربعين عاما كمنى الرجال من ماء تحت العرش
يدعى ماء الحياة فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم
الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم فى
أعينهم كما يجده النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وأخرج مسلم فى صحيحه
من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم أول من ينشق
عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وفى صحيح البخارى أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا بموسى عليه
السلام متعلق بالعرش فلا أدرى أكذلك كان أم بعد النفخة وفى بعض ألفاظ البخارى فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة
من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور وأخرج الحكيم الترمذى عن ابن عمر رضى الله
تعالى عنهما قال خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويمينه الى أبى بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة
وفى الصحيحين من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن رجلا قال يارسول الله قال الله تعالى الذين يحشرون على
وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أليس الذى أمشاه على
الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وروى النسائى والترمذى
وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم
القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس ٢ تعلوهم نار
الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال وروى البزار من حديث جابر رضى الله تعالى عنه مرفوعا يبعث
الله يوم القيامة ناسا فى صور الذر يطؤهم الناس باقدامهم فيقال ما هؤلاء الذين فى صورة الذر فيقال هؤلاء المتكبرون
فى الدنيا وروى الجلال السيوطى عليه الرحمة فى كتابه البدور السافرة عن ابن عباس فى قوله تعالى واذا الوحوش
حشرت قال يحشر كل شئ حتى ان الذباب ليحشر قال العلماء ثم ان الله تعالى يقول للوحوش كونوا ترابا فعند ذلك
يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا قال وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن عكرمة قال ان الذين يغرقون فى البحر فتقسم
لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شئ الا العظام تلوح فتلقيها الامواج على البر فتمكث العظام حينا ثم تصير حائلا نخرة
فتمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعره ثم يجئ بعدهم قوم فينزلون منزلا فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد
تلك النار فتجئ ريح فتلقى ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة خرج أولئك وأهل القبور سواء وأخرج
الطبرانى فى الاوسط عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يحشر
الناس يوم القيامة حفاة عراة وفى رواية مشاة غرلا أى غير مختونين قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت
يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس قلت ما شغلهم قال نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر وفى
رواية فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال السيوطى عليه الرحمة فى البدور السافرة أخرج الخطيب
يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا بعضهم على صورة القردة وهم النمامون وبعضهم على صورة الخنازير وهم أهل
السحت والحرام والمكس وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وهم أكلة الربا
وبعضهم عمى يترددون وهم من يجور فى الحكم وبعضهم صم بكم لا يعقلون وهم الذين يعجبون بأعمالهم وبعضهم
يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وهم العلماء والقصاص الذين
يخالف قولهم فعلهم وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وهم الذين يؤذون الجيران وبعضهم مصلبين على جذوع من

٢ بولس بضم الباء وفتح اللام سجن بجهنم منها قاله فى القاموس اه منه

النار وهم السعاة بالناس الى السلطان وبعضهم أشد نتنا من الجيف وهم الذين يتمتعون بالشهوات واللذات
ويمنعون حق الله من أموالهم وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران وهم أهل الكبر والفخر والخيلاء
• ولنرجع الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث جبريل المذكور آنفا فى خمس لا يعلمهن الا الله تعالى ثم تلا النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب
غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير قال والدنا عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى أخرج ابن
المنذر عن عكرمة أن رجلا يقال له الوارث بن عمرو جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد متى قيام الساعة
وقد أجدبت بلادنا فمتى تخصب وقد تركت امرأتى حبلى فما تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا أكسب غدا وقد
علمت بأى أرض ولدت فبأى أرض أموت فنزلت هذه الآية ٢ وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة أى علم وقت
القيامة مختص به عز وجل حتى روى الشعبى أن عيسى عليه السلام سأل جبريل عليه السلام عن الساعة فانتفض
بأجنحته وقال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل والمراد التساوى فى العلم لان الله تعالى استأثر بعلمها على الوجه
الاكمل قيل ويجوز أن يكون الله تعالى قد أطلع حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام على وقت قيامها وأوجب
عليه كتمه لحكمة ويكون ذلك من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى وينزل الغيث أى ويعلم هو لا غيره
زمان نزوله من غير تقديم ولا تأخير ومكانه ومقداره ويعلم ما فى الارحام أى أذكرا أم أنثى أتاما أم ناقصا وكذلك
ما سوى ذلك من الاحوال وما تدرى نفس أى كل نفس برة كانت أو فاجرة ماذا تكسب غدا أى فى الزمان المستقبل
من خير أو شر وما تدرى نفس بأى أرض تموت أى لا يدرى أحد أين مضجعه أفى بر أم فى بحر فى سهل أم فى جبل وهذا
يستلزم أن لا يعلم الانسان وقت موته أيضا من باب اولى قال على كرم الله تعالى وجهه لم يعم على نبيكم الا الخمس
من سائر الغيب وقال ابن مسعود أوتى نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيح كل شئ غير الخمس وهى ما فى هذه
الآية والذى ينبغى أن يعلم أن كل غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وليس المغيبات محصورة بهذه الخمس وانما
خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها كما أشار اليه القسطلانى (قلت) ولذا قال الفقهاء ان من قال ان الجن يعلمون
الغيب أو أن أرواح المشايخ حاضرة تعلم الغيب يكفرون وان قول القائل مطرنا بنوء كذا أشرك ولذا قال عليه
الصلاة والسلام من أتى كاهنا أو منجما فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد لكن قال المناوى فى شرحه الكبير فى
الكلام على حديث خمس لا يعلمهن الا الله أى على وجه الاحاطة والشمول كليا وجزئيا فلا ينافيه اطلاع الله تعالى
بعض خواصه على بعض المغيبات حتى من هذه الخمس لانها جزئيات معدودة وانكار المعتزلة لذلك مكابرة اه مع
زيادة وتلخيص ولنرجع الى قوله عليه الصلاة والسلام هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم فجبريل اسمه عبد الله كما
روى عن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما فقد أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن على بن الحسين قال اسم جبريل
عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسرافيل عبد الرحمن وكل شئ يرجع الى ايل فهو معبد لله عز وجل وقال عبد العزيز
ابن عمير اسم جبريل فى الملائكة خادم ربه عز وجل وقال موسى بن عائشة بلغنى أن جبريل امام أهل السماء وقال
ابن عباس قال صلى الله تعالى عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل الملائكة جبريل وسئل وهب بن منبه عن خلق جبريل
فذكر أن ما بين منكبيه خفق الطير سبعمائة عام وقال ابن مسعود ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم ير
جبريل فى صورته الا مرتين اما الاولى فانه سأله أن يريه نفسه فسد الافق وأما الاخرى فليلة الاسراء عند سدرة
المنتهى وعن ابن عباس مرفوعا قال جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس وعن
قتادة وغيره لجبريل جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان
وهو كاللؤلؤ كأنه الثلج وقدماه الى الخضرة وأخرج أبو الشيخ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله

٢ أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر
اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى بالهند أى حتى يخلص منه
ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك اه منه

صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال ان بينى وبينه لسبعين حجابا من نار أو نور لو رأيت أدناها لاحترقت ذكر ذلك السيوطى كله فى كتابه الحبائك وقد وصفه سبحانه بالقوة فى قوله عز وجل علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى أى هو صاحب استحكام فى العقل أو ذو منظر حسن قال الوالد عليه الرحمة وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف اه هذا وقد تبين لكم من هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يبعث من فى القبور ويجازى على العمل الصالح والفجور فاستعدوا رحمكم الله تعالى لصالح الاعمال لتكون ذخيرة لكم عند الزلزلة والاهوال فهى زلزلة توجل لها القلوب زلزلة تظهر عندها العيوب زلزلة تشتد فيها الكروب زلزلة فيها أفئدة العصاة تذوب فالعذاب شديد والعقاب أليم ان زلزلة الساعة شئ عظيم زلزلة يشيب فيها المولود زلزلة تشهد فيها الجلود زلزلة تخد فيها الدموع الخدود زلزلة يتمنى العدم عندها الموجود زلزلة يظهر عندها التقاطع والصدود ويفر الوالد عن الوالد والحميم عن الحميم ان زلزلة الساعة شئ عظيم انظر لنفسك قبل أن لا يمكن النظر وتفكر فى أمرك قبل أن لا ينفع الفكر ومثل يوم الحشر اذا بدا الهول وظهر وتزود للرحيل وتأهب للسفر وخذ عدتك لنقلتك فلست بمقيم ان زلزلة الساعة شئ عظيم اللهم يا سامع الصوت ويا كاسى العظام لحما بعد الموت نسألك باسمك الاعظم وبأسمائك الحسنى ما نعلم منها وما لم نعلم وبجاه نبيك الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم أن توفقنا لطاعتك وتجنبنا عن معصيتك وتعمنا فى الدنيا والآخرة برحمتك وتثبت قلوبنا على دينك وتحفظنا فى جميع أحوالنا وتوفقنا فى أقوالنا وأفعالنا وتغفر ما سلف من ذنوبنا وتستر ما بدا من عيوبنا واعصمنا فيما بقى من أعمارنا قبل أن يشتمل الهدم على البناء والكدر على الصفاء وينقطع من الحياة حبل الرجاء وتصير المنازل تحت أطباق الثرى وقبل أن يصير الصبح ليلا ويسحب الموت على أهل الارض والسماء ذيلا فيقول الشيخ الكبير واشيبتاه ويقول الكهل الخطير واخجلتاه ويقول المذنب المسيء واخيبتاه ويقول الحدث الصغير واحسرتاه وخلوا من عملهم وأشفقوا وعاينوا من الاهوال ما ودوا معه انهم لم يخلقوا وارحم اللهم أهل القبور فانهم رهائن ذنوب لا يطلقون أسراء وحشة لا يفكون محت دارسات الثرى محاسن وجوههم وجاورتهم الهوام فى ملاحد قبورهم فهم خمود لا يتكلمون وسكان لحد الى الحشر لا يظعنون وفيهم محسنون ومسيئون ومقصرون ومجتهدون اللهم فمن كان منهم مسرورا فزده كرامة وحبورا ومن كان منهم ملهوفا فبدل حزنه فرحا وسرورا اللهم وتعطف على كافة أموات المسلمين وارحمهم وارحمنا اذا عدنا اليهم برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين لاسيما الآباء والامهات والاعمام والاخوة والاخوات وجميع الاقربين واموات الجماعة الحاضرين ومشايخنا ومن له حق علينا من المسلمين اللهم اجعل قبورهم مفائض صلاتك ومقار هباتك وطرق احسانك ومجارى عفوك وغفرانك اللهم لا تدع لنا ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا كربا الا كشفته ولا مبتلى الا عافيته ولا غائبا الا بالخير رددته ولا عاصيا الا هديته ولا حقا الا استخلصته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاح الا يسرتها وقضيتها بمنك وانصر سلطاننا ومن نصر الدين واحفظ المجاهدين وعساكر الموحدين وصلى الله على محمد وآله أجمعين

المجلس التاسع عشر

(فى اطاعة السلطان والجهاد وما يتعلق بذلك)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب الارباب ومنزل الكتاب حفظ الارض بالجبال من الاضطراب وقهر الجبابرين الصعاب وسمع خفى النطق ومهموس الخطاب وأبصر فلم يستر ناظره حجاب أنزل القرآن يحث فيه على الجهاد واكتساب الثواب

وزجر عن الفرار وأسباب العقاب كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب احمده على رفع الشك والارتياب وأشكره على ستر الخطايا والعاب وأقر له بالتوحيد اقرارا نافعا يوم الحساب وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذى رفع له الحجاب وعلى صاحبه أبى بكر خير الاصحاب وعلى عمر الذى اذا ذكر فى المجلس طاب وعلى عثمان جامع القرآن وشهيد المحراب وعلى على البدر يوم بدر والصدر يوم الاحزاب *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام الهمام محيى الدين أبى زكريا يحيى النواوى عليه رحمة الملك العلام فانه روى فى كتابه الاربعين عن الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن أمر عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع ٢ ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق هذا الحديث من أعظم الاحاديث النبوية المفصلة فيه الاحكام الدينية بل والدنيوية وقد تكلمنا فيما سبق من الدروس على عبادة الله تعالى وأنها اظهار العبودية له من تصديق به وعدم اشراك به عز وجل والايمان بما أنزل وذكرنا بحث الصوم والصلاة والحج والزكاة ولنذكر الآن ان شاء الله تعالى ما يتعلق بالجهاد واطاعة السلطان لانه له أقوى عماد ونورد الآيات الكريمة والاحاديث العظيمة المتعلقة بالجهاد واطاعة السلطان والرباط والانفاق فى سبيل الله تعالى من تجهيز الغزاة والهجرة من دار الكفار ونحو ذلك مما أتى فى صحيح الاخبار فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى قال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أولوا الامر هم الامراء وفى لفظ هم أمراء السرايا وقال ابن عباس هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وقال مالك والضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال العلماء والمراد من اطاعة الله تعالى اتباع كتابه ومن اطاعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتباع أوامره وسنته ومن اطاعة السلاطين والائمة والقضاة والولاة اطاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال شيخ الاسلام فى كتابه السياسة الشرعية ما نصه ويجب أن يعرف أن ولاية أمور الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين ولا الدنيا الا بها فان بنى آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم رواه أبو داود من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وروى الامام أحمد فى المسند عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمروا عليهم أحدهم فأوجب صلى الله تعالى عليه وسلم تأمير الواحد فى الجمع القليل العارض فى السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتهاد ولان الله تعالى أوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل واقامة الحج والجمع والاعياد ونصر المظلوم واقامة الحدود لا يتم الا بالقوة والامارة ولهذا روى أن السلطان ظل الله فى الارض ويقال ستون سنة من امام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان والتجربة تبين ذلك ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم رواه مسلم اه وروى العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موعظة وجلت منها

٢ تمامها يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حتى بلغ يعملون

القلوب وذرفت منها العيون قلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وفى التبيان فى اطاعة السلطان لوالدنا المبرور أخرج الحاكم فى المستدرك عن عبادة بن الصامت أنه قال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسمع وأطع خليفة زمانك فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك وان أكلوا مالك وضربوا ظهرك الا أن يكون معصية لله بواحا أى جهارا ظاهرا وأخرج الطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى بكرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلطان ظل الله فى الارض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله وروى البخارى فى تاريخه عن ابى ذر الغفارى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون بعدى سلطان فأعزوه فانه من أراد ذله ثغر ثغرة اى ثلم ثلمة فى الاسلام وليست له توبة الا ان سدها وليس بسادها الى يوم القيامة وأخرج أبو داود فى سننه عن عامر بن مسمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تمسكوا بطاعة أئمتكم ولا تخالفوهم فان طاعتهم طاعة الله وان معصيتهم معصية الله وان الله تعالى انما بعثنى أدعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كما أخرجه الديلمى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وكان على الرعية الشكر وان جار أو ظلم أو خان كان عليه الوزر وكان على الرعية الصبر وفى هذا الحديث ضعف لكن له متابعات فقد روى البيهقى فى شعب الايمان عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر وان جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وكان على الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء وأخرج الديلمى قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام والسلطان أخوان لا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فالاسلام أس أى أساس والسلطان حارس وما لا أس له يهدم وما لا حارس له ضائع وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم الامام العادل المتواضع ظل الله ورمحه فى الارض ويرفع للوالى العادل المتواضع فى كل يوم وليلة عمل ستين وفى رواية سبعين صديقا كلهم عابد مجتهد وأخرج الغزالى فى كتابه نصيحة الملوك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال والذى نفس محمد بيده انه يرفع للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل رعيته وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل أحدكم بلدا ليس فيه سلطان فلا يقيمن به أى لانه لا يكاد يأمن على نفسه وماله ودينه اذ لا يحصل ذلك الا بالامان المنوط بوجود السلطان ولهذا صار اتخاذ الامام واجبا فى كل زمان ونص بعضهم ان البلدة التى ليس فيها حجام أو طبيب مسلم مثلا لا يجوز السكنى فيها فاذا لم تجز الاقامة فى بلدة خلت عن طبيب وحجام فكيف حال الاقامة فى بلدة اذا خلت عن امام وعن ابن عمر من أكرم سلطان الله فى الدنيا أكرمه الله تعالى يوم القيامة وعن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا الائمة وادعوا لهم بالصلاح فان صلاحهم لكم أحد صلاح وفى بعض الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيها بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وكان من دعاء نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من خرج من الطاعة أى طاعة الامام وفارق الجماعة أى جماعة المسلمين فمات مات ميتة جاهلية أى على الضلالة وعن أبى هريرة واللفظ للبخارى أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف له لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له ولقد أحسن السلفى حيث يقول

عليك بطاعة الحكام سرا * وجهرا ما حييت مدى الزمان
ولا تعبا بذى سفه وطيش * رقيع قد يمنيك الامانى
فطاعة من له أمر ونهى * أمان فى أمان فى أمان

والاحاديث فى ذلك كثيرة مشحونة بها الكتب الحديثية وصادحة بمثل أحكامها القوانين الشرعية ونقل فى البرهان أن الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر صرح بأن السلطان ان كان صالحا فمن الاقطاب وان كان غير صالح فمن الابدال فنحمده تعالى على أن جعل سلطاننا الاعظم والخليفة على الخليقة فى هذا العالم عبده الخاضع لسلطانه وأمير المؤمنين فى زمانه حضرة مولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان ابن الخاقان المرحوم عبد المجيد خان ابن المبرور الخاقان السلطان محمود خان شيد الله تعالى دولته بالشرع الاقوم ونصره على سائر الامم ووفقه للخير الاتم وأذل له الطاغين الباغين وأعلا به كلمة الدين المبين وجعل فى حوزته جميع الاقطار وسدد أركان دولته ما تعاقب الليل والنهار كيف لا وهو والحمد لله تعالى بدر سماء السلطنة العثمانية وشمس أوج سلطنتها السنية التى قال فيها الشيخ عبد الغنى النابلسى عليه الرحمة انها المشار اليها فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ونقل أيضا صاحب كتاب البرهان عن بعض أهل العرفان أن الدولة العلية من بنى عثمان تمتد الى آخر الزمان حتى يظهر المهدى من ذرية سيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام ما تعاقب الملوان وليعلم أنه كما يجب على الناس اطاعة السلطان يجب عليه العدل بين رعيته وتولية الامور لاحسن من فى دولته فقد ورد فى الحديث الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته يوم القيامة حتى ان الرجل راع فى أهل بيته وروى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ما من أمير ولا وال الا ويؤتى به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره وعن على كرم الله تعالى وجهه الايمان على أربعة دعائم الصبر واليقين والعدل والجهاد وفى كتاب هداية الولاة عن صعصعة بن صوحان قال خطبنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعلى رأسه عمامة سوداء فقال أيها الناس انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انه ليس من قاض ولا وال الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله تعالى على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته أى صحيفته مع رعيته أعدل أم جار فيقرؤها على رأس الخلائق فان كان عدلا أنجاه الله بعدله وان كان غير عدل انتفض الصراط به انتفاضة وصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة مائة سنة ثم ينخرق به الصراط فما يتلقى قعر جهنم الا بوجهه وحر جبينه وروى الحاكم فى صحيحه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمؤمنين اهـ ولنشرع فى سرد أحاديث وآيات تدل على فضل الرباط والجهاد وما يتعلق بذلك على وجه الاقتصار والاقتصاد فمنها قوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم وقال تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ومنها ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى العمل أفضل قال الايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ومنها عن أبى هريرة ورواه الترمذى أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه ومنها عن المقداد بن معديكرب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين

و يشفع فى سبعين من أقربائه رواه الترمذى وابن ماجه ومنها عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشهيد لا يجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم ألم القرصة رواه الترمذى والنسائى والدارمى ومنها عن معاذ رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغزو غزوان فامامن ابتغى وجه الله وأطاع الامام وأنفق الكريمة وأيسر الشريك واجتنب الفساد فان نومه ونبهه أجركله وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الامام وأفسد فى الارض فانه لم يرجع بالكفاف رواه مالك وأبوداود والنسائى ومنها عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية فمر رجل بغار فيه شىء من ماء و بقل فحدث نفسه بأن يقيم فيه و يتخلى من الدنيا فاستأذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها ولمقام احدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة رواه أحمد ومنها عن على وأبى الدرداء وأبى هريرة وأبى أمامة وعبدالله بن عمر و جابر بن عبدالله وعمران بن حصين رضى الله تعالى عنهم كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من أنفق نفقة فى سبيل الله وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وأنفق فى وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا الآية والله يضاعف لمن يشاء رواه ابن ماجه ومنها عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله متفق عليه ومنها عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا ايمان بى وتصديق برسلى أن ارجعه بما نال من اجر أو غنيمة أو أدخله الجنة متفق عليه ومنها عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لم يغز أو لم يجهز غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة رواه أبوداود والنسائى والدارمى وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها متفق عليه وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان رواه مسلم وقال عليه الصلاة والسلام من جهز غازيا كان له مثل أجره ومن جهز غازيا فقد غزا و روى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حبس فرسا فى سبيل الله كتب له بكل شعرة حسنة وحط عنه سيئة و رفع له درجة وعن عبدالله بن عمرو غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الاودية كلها والمائد فيه كالمتشحط فى دمه رواه الطبرانى واذا كان الفرار يوم الزحف من الكبائر فقد روى الطبرانى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله تعالى وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وكذا الغلول فى الجهاد من الكبائر وهو أخذ شىء من الغنيمة فقد روى ثوبان أيضا من جاء يوم القيامة بريئا من ثلاث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وعن سمرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول من يكتم غالا فانه مثله وليعلم أيضا أن الهجرة من بلاد الكفر الى دار الاسلام وردت فيها أيضا آيات وأحاديث عظام فمنها قوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ومنها مارواه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه فتبين من هذه الآيات والاحاديث أن اطاعة أولى الامر والجهاد واجبان على كافة العباد ولنذكر بعض الحكايات الصحيحة لتكون فى ذلك عبرة لذوى العقول الرجيحة فمنها على مانقله الوالد عليه الرحمة فى كتابه التبيان عن معاذ النسفى قال كان شاب مراهق لا يصلى الصلاة فلما مات حضر الناس جنازته ولم يحضر أبوه فعوتب بذلك فقال انه كان عاصيا لله ولرسوله فرآه فى منامه وهو يقول أبت ان لم تحضر جنازتى فقد حضر من هو خير منك أتانى جبريل

عليه

عليه السلام مع سبعين ألف ملك فصلى على وبشرنى من الله تعالى بالمغفرة فقال له أبوه يابنى من أين لك هذه الكرامة وقد كنت عاصيا لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا أبت بلغنى أن المسلمين قد رجعوا من غزوتهم سالمين فكنت مسرورا بذلك فأكرمنى الله تعالى بهذه الكرامة فهذا حال من استبشر بسلامة الغزاة وليس معهم فكيف حال من هو من جملتهم وذكر الامام ناصر السنة ابن الجوزى فى عيون الحكايات بسنده عن أبى على وهو أول من سكن طرسوس حتى بناها أبو سليم قال ان ثلاثة اخوة من الشام كانوا يغزون وكانوا فرسانا شجعانا فأسرهم الروم مرة فقال الملك انى أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتى وتدخلون فى النصرانية فأبوا وقالوا يامحمداه فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت ثم أوقد تحتها ثلاثة أيام يعرضون فى كل يوم على تلك القدور ويدعون الى النصرانية فيأبون فألقى الاكبر فى القدر ثم الثانى ثم أدنى الاصغر فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر فقام اليه علج فقال أيها الملك أنا أفتنه عن دينه قال بماذا قال لقد علمت أن العرب أسرع شىء الى النساء وليس فى الروم أجمل من بنتى فادفعه الى حتى أخليه معها فانها ستفتنه فضرب له أجلا أربعين يوما ودفعه اليه فجاء به فأدخله مع ابنته وأخبرها بالامر فقالت له دعه فقد كفيتك أمره فقام معها نهاره صائم وليله قائم حتى مضى أكثر الاجل فقال العلج لابنته ماصنعت قالت ماصنعت شيأ هذا الرجل فقد أخويه فى هذه البلدة فأخاف أن يكون امتناعه من أجلهما كلما رأى آثارهما ولكن استزد الملك فى الاجل وانقلنى أنا واياه الى بلد آخر غير هذا فزاده أياما وأخرجهما الى بلد آخر فمكث على ذلك أياما صائم النهار قائم الليل حتى اذا بقى من الاجل أيام قالت له الجارية ليلة ياهذا انى أراك تقدس ربا عظيما وانى قد دخلت فى دينك وتركت دين آبائى قال لها كيف تكون الحيلة فى أمر الهرب قالت أنا أحتال لك فجاءته بدواب فركبا فكانا يسيران بالليل ويكمنان بالنهار فبينما هما يسيران ليلة اذ سمع وقع خيل فاذا هو بأخويه ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا ما كانت الا الغطسة التى رأيت حتى خرجنا فى الفردوس وان الله أرسلنا اليك لنشهد اتزويجك بهذه الفتاة فزوجاه اياها وخرج من بلاد الروم فأقام معها وكانوا مشهورين بذلك معروفين بالشام فى الزمن الاول وقال فيهما الشعراء أبياتا منها

سيعطى الصادقون بفضل صدق ✻ نجاة فى الحياة وفى الممات

اه قلت بحسب الظاهر فى هذه الحكاية بعد غير أنه لا يبعد من كرم الله تعالى أن يرسل ملائكة على صورة أخويه المذكورين كما كان جبريل عليه السلام يتصور أحيانا بصورة دحية رضى الله تعالى عنه ومع هذا فعالم البرزخ ماوراء طور العقول وقد ثبتت حياة الشهداء حياة برزخية بأصح المنقول ويروى أن عبدالله بن المبارك كتب للفضيل بن عياض بمكة المكرمة يحثه على الجهاد وكان الفضيل قد اعتزل الناس ولازم العزلة والعبادة وترك الجهاد فقال

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ✻ لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ✻ فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل ✻ فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ✻ وهج السنابك ٢ والغبار الاطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ✻ قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى وغبار ٣ خيل الله فى ✻ أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ✻ ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلما قرأها الفضيل بكى وقال نصحنا جزاه الله تعالى خيرا فيا اخوانى أقبل المجاهدون ولازم المرابطون على خدمة الحق اقبال عالم وماسلكوا قط الا الطريق السالم بلغوا من الجهاد فوق مايروم الرائم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم تذكروا ذنوبهم العظائم وخافوا من أن تكون جرت منهم مظالم فحزنهم عليها دائم الحزين

٢ السنبك من السيف طرف حليته اه منه ٣ نسخه لا يجمعن غبار

مطرق والخائف واجم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم أرباب اجتهاد وجهاد وعزائم وأهل اقدام قد أمنوا الهزائم الشوق حاديهم والصدق خادم ولا يخافون لومة لائم يعدون التقصير من العظائم ولتأييد دينهم يبذلون المهج الكرائم فاذا جن الليل فساجد وقائم واذا حار بواقعوا كل كافر وظالم ولا يخافون لومة لائم أين أنت وهم ماساهر كنائم كلا والله ولا مفطر كصائم أنت وقت الغنائم نائم وقلبك فى شهوات البهائم هائم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى * كما غر باللذات فى النوم حالم
وتشغل فيما سوف يكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

فنسألك اللهم أن تجعلنا من أوليائك المجاهدين وعبادك المطيعين ولأوامر أولى الامر ممتثلين وأحينا فى الدنيا مؤمنين وتوفنا مسلمين تائبين واجعلنا عند السؤال ثابتين واجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين واجعلنا يوم الفزع الاكبر آمنين اللهم ثبت المسلمين أى ثبات وشتت الكافرين أى شتات وانصر اللهم سلطاننا أمير المؤمنين وأعل كلمته وشيد دولته وكثر فرقته وأيده بتأييدك وسدده بتسديدك واحفظ عساكره وكثر جنوده وأعطهم من الخير فوق ما يرجون واصرف عنهم من السوء فوق ما يحذرون فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وارحم اللهم كافة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المجلس العشرون

(فى التوبة النصوح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أوضح سبيل هدايته لارباب ولايته وأبهج وحرك أهل عبادته الى التوبة النصوح وأزعج وأبدى بدائع قدرته فى محكم صنعته وأخرج وأوقد نيران محبته فى أفئدة أحبته وأجج من عرف لطفه ثنى عطفه اليه وأدلج ومن خاف عتبه ترك ذنبه وتحرج يحب الاخلاص فى الاعمال ولا يخفى عليه البهرج حليم فان غضب مكر بالعبد واستدرج لا تغتر بحلمه فكم عقاب فى الحلم أدرج لا يخفى عليه ضمير القلب فى سواد الليل ولا طرف أدعج يبصر جرى اللبن يسرى فى العروق نحو المخرج وينزل الى السماء فأين الذى بالمناجاة والاستغفار يلهج فيستعرض الحوائج الى أن يلوح الفجر ويتبلج وما النقل ومن عقل رأى الحق أبلج هذا مذهب من القرآن القديم والنقل القويم مستخرج وهو المنهاج السليم فلا تعرج عن المنهج أحمده على ما أسر وما أزعج وأشهد بوحدانيته شهادة موقن ما تلجلج وأن محمدا عبده ورسوله الذى محاسن الشرائع فى شريعته تدرج صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر أول من أنفق ماله وأخرج وعلى عمر الذى اضطر كسرى الى الهرب وأحوج وعلى عثمان المظلوم وقد عدل وما عذل ولا عرج وعلى على مبيد الطغاة فلم يكن لهم منه مهرب ولا مخرج وعلى سائر آله وأصحابه الذين نصر الله بهم الدين وأبهج *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير (فنقول) وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق لما كان البارى سبحانه وتعالى رؤفا بعباده لاسيما هذه الامة التى هى من أهل وداده وان نبيها حبيبه وصفيه أمرها سبحانه وتعالى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآيات الكريمة ووعدهم بالعفو والمغفرة بعد التوبة والاستغفار من كل جريمة وقال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون وليعلم أنه قرأ الجمهور نصوحا بالفتح وقرأ الحسن وعاصم نصوحا بالضم وهو مصدر نصح

فان النصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أى ذات نصح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له والتوبة لغة الرجوع وشرعا هى الرجوع عن المعاصى والتوبة النصوح أى مبالغة فى النصح فهو من أمثلة المبالغة كضروب وصفت التوبة به على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقتها وقيل نصوح من نصاحة الثوب أى خياطته أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع وجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى مثلها الظهور أثرها فى صاحبها وفى المراد بها فى الآية الكريمة أقوال كثيرة أوصلها بعضهم الى نيف وعشرين قولا ستسمع أكثرها ان شاء الله تعالى أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال قال معاذ رضى الله تعالى عنهم يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذى أصابه فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال العلماء الندم تحزن وتوجع على ان فعل وتمنى كونه لم يفعل ولذا قال عليه الصلاة والسلام الندم توبة وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى التوبة النصوح وهى الندم بالقلب والاستغفار باللسان والترك بالجوارح والاضمار أن لا يعود وقال غير واحد من العلماء يشترط مع ذلك رد ظلامة آدمى ان تعلقت به فان ظلمه بأخذ ماله ومات وجب رده الى وارثه لانه المطالب به فى الآخرة فلو أعسر وانتظر الوارث يساره وتاب صحت توبته قال الماوردى فان مات معسرا أوفى الله تعالى عنه ويشترط لصحة التوبة أن يكون قادرا على المعصية فلو تاب عن الذنب مثلا لعجزه عنه بهرم أو غيره فلا ويشترط أن تكون التوبة لله تعالى فلو كان يعصى بماله فترك المعصية لبخله مثلا فلا تقبل توبته قاله الاسنوى ولا يشترط لصحة التوبة أن يفضح نفسه عند الحاكم بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ولا أن يقيم الحد على نفسه لان العفو فى حقوق الله تعالى قريب من التائبين وأما مظالم العباد فيجب اظهارها والتمكن من استيفائها وأما غيرها من المعاصى كالنظر الى غير محرم وسماع الملاهى والقعود فى المسجد مع الجنابة ومس المصحف بغير وضوء وشرب الخمر فيستحب عند التوبة أن يكفر كل معصية بحسنة من جنسها فيكفر سماع الملاهى مثلا بسماع القرآن وأذى المسلمين بالاحسان اليهم وكذا الباقى ولذا قال بعضهم التوبة النصوح لا تحصل الا بثمانية أشياء وهى الندم على ما سلف من الذنب وقضاء الفرائض ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على أن لا تعود وأن تربى نفسك فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى واصلاح المأكل والمشارب من الحلال وليعلم أن تأخير التوبة أو تركها عده بعضهم من الكبائر روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلك المسوفون والمسوف من يقول سوف أتوب وهو هالك لانه بنى الامر على البقاء الذى ليس مفوضا اليه فلعله لا يبقى وان بقى فانه كما لا يقدر على ترك الذنب اليوم لا يقدر على تركه غدا لان عجزه عن الترك فى الحال ليس الا لغلبة الشهوة عليه والشهوة لا تفارقه غدا بل تتضاعف وتتأكد بالاعتياد وروى ابن ماجه يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى قبل أن تموتوا وبادروا بالاعمال قبل أن تشتغلوا وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا وروى الحاكم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك أى فينبغى للانسان أن يتوب ويعمل الصالحات مادام صحيحا فى قيد الحياة لانه يخاف أن يفجأه الموت قبل التوبة أو يتوب عند الغرغرة وقد قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وقوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال حجة الاسلام الغزالى عليه الرحمة الاجل القريب معناه أنه يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرنى يوما أعتذر فيه الى ربى وأتوب وأتزود صالحا لنفسى فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول فأخرنى ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد أنفاسه فى حلقومه وضلوعه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فان خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله تعالى

خرجت روحه على الشك وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن اه هذا وحيث كانت التوبة أهم الاوامر الاسلامية وأول المقامات الايمانية ومبدأ طريق السالكين ومفتاح باب الواصلين فلنذكر أيضا ما يتعلق بها من الاحاديث التى فاقت روضا روى الامام مسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب عليكم وعنه رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب انى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال له ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ما شاء رواه البخارى وقوله فليعمل ما شاء معناه والله تعالى أعلم على ما قال المنذرى أنه ما دام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب عنه ولم يعد اليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليفعل اذا كان هذا دأبه ما شاء لانه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لانه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير اقلاع ثم يعاوده فانها توبة الكذابين ولذا قالت رابعة العدوية رحمها الله تعالى ان استغفارنا يحتاج له استغفار وروى مسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله عز وجل فيغفر لهم وروى ما علم الله تعالى من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفر منه وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومعنى يغرغر بغينين معجمتين أى ما لم تبلغ روحه حلقومه وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وانما الاعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فاحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فان الجنة والنار أقرب الى أحدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كان الكفل من بنى اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملنى عليه الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلته قط اذهبى فهى لك وقال لا والله لا أعصى الله بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابه ان الله قد غفر للكفل قال وسمعته من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من عشرين مرة وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كانت قريتان احداهما صالحة والاخرى ظالمة فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله واختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصانى قط فقال الملك انه قد خرج يريد التوبة فقضى بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة رواه الطبرانى وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه

قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة انسان فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدى والى هذه أن تقربى وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من تقرب الى الله شبرا تقرب اليه ذراعا ومن تقرب اليه ذراعا تقرب اليه باعا ومن أقبل الى الله عز وجل ماشيا أقبل اليه مهرولا والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل رواه الامام أحمد وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة وفى رواية لمسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وروى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال أخذ بيدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصى اماما عادلا وان تفسد فى الارض واذا أسأت فاحسن يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية واتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذى وقال العلامة عبد الرحمن بن الجوزى فى التبصرة واعلم أن التائب الصادق كلما اشتد ندمه زاد مقته لنفسه على قبح زلته فمنهم من قوى مقته لها ورأى تعريضها للقتل كما فعل ماعز والغامدية روى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ جاءه رجل يقال له ماعز بن مالك فقال يا نبى الله انى قد زنيت وأنا أريد أن تطهرنى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجع فلما كان من الغد أتاه أيضا فاعترف عنده بالزنا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجع ثم أرسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قومه فسألهم عنه فقال لهم ما تعلمون من ماعز بن مالك الاسلمى هل ترون به بأسا أو تنكرون من عقله شيأ فقالوا ما نرى به بأسا ولا ننكر من عقله شيأ ثم عاد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الثالثة فاعترف عنده بالزنا وقال يا نبى الله طهرنى فأرسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قومه أيضا فسألهم عنه فقالوا كما قالوا فى المرة الاولى ما نرى به بأسا وما ننكر من عقله شيأ ثم رجع الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترف عنده بالزنا فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحفر له حفيرة فجعل فيها الى صدره ثم أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الناس أن يرجموه وقال بريدة وكنت جالسا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءته امرأة من غامد فقالت يا نبى الله انى قد زنيت وأنا أريد أن تطهرنى فقال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجعى فلما كان الغد أتته فاعترفت عنده بالزنا وقالت يا نبى الله طهرنى فلعلك أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك فوالله انى لحبلى يا نبى الله فقال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجعى حتى تلدين فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله فقالت يا نبى الله هذا ولدته قال اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته جاءت بالصبى فى يده كسرة خبز فقالت يا نبى الله هذا قد فطمته فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالصبى فدفع الى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفيرة فجعلت فيها الى صدرها ثم أمر الناس أن يرجموها فأقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجنة خالد فسبها فسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا يا خالد لا تسبها فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها

صاحب مكس لغفر له فامر بها فصلى عليها ودفنت فانظر الى مقت هؤلاء أنفسهم حتى أسلموها الى الهلاك غضبا عليها لما فعلت ومن الناس من لم يجز له التعرض لقتلها فكان ينغص عيشها قال بعض السلف رأيت ضيغما العابد قد أخذ كوزا من ماء بارد فصبه فى الحب وأكثر غيره فقلت له فى ذلك فقال نظرت نظرة وأنا شاب فجعلت على نفسى أن لا أذيقها الماء البارد انغص عليها أيام الحياة لهج بعض العباد بالبكاء فعوتب على كثرته فقال شعرا

بكيت على الذنوب لعظم جرمى * وحق لكل من يعصى البكاء
فلو كان البكاء يرد همى * لاسعدت الدموع معا دماء

فعليكم اخوانى بالتوبة والاستغفار فى آناء الليل والنهار فقد وردا يضا فيه أحاديث كثيرة وآيات عزيزة فلنذكر لكم بعضها التمسوا وردها فقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن رب العزة جل جلاله أنه قال يا بنى آدم كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قال ابليس وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ألا أدلكم على دوائكم من الذنوب قالوا بلى يارسول الله قال دواؤكم الاستغفار وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا فمن أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله تعالى له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وفى رواية من استغفر للمؤمنين والمؤمنات فى كل يوم سبعا وعشرين مرة أو خمسا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الارض ومن استغفر الله عند الغروب سبعين مرة كل يوم لم يكتب من الكاذبين ومن استغفر الله فى ليلة سبعين مرة لم يكتب من الغافلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما من مسلم يعمل ذنبا الا وقف الملك ثلاث ساعات فان استغفر من ذنوبه لم يوقفه عليه ولم يعذبه يوم القيامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر صقلت فان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه فذلك الران الذى ذكره الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفر له وان كان قد فر من الزحف ومن قالها فى دبر كل صلاة غفرت له ذنوبه كلها ومن استغفر الله تعالى سبعين مرة فى دبر كل صلاة غفر الله له ما اكتسب من الذنوب ولم يخرج من الدنيا حتى يرى أزواجه ومساكنه من الجنة وجاء رجل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال واذنوباه فقال له عليه الصلاة والسلام قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى فقالها فقال له قم فقد غفر الله لك وأخرج البيهقى وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى ثلث الليل الآخر فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له الحديث وقال ابن مسعود كان بنو اسرائيل اذا أذنبوا أصبح مكتوبا على باب أحدهم الذنب وكفارته فيفتضح فأعطينا خيرا من ذلك وهو الاستغفار وذكر الله عز وجل ويقرأ قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فعليكم اخوانى بالتوبة والاستغفار والابتهال الى ذى الجلال والافضال واغسلوا بالدمع درن الذنوب قبل أن تفتضحوا بالعيوب فيا هذا ماء العين فى الارض حياة الزرع وماء العين فى الخد حياة القلب يا طالب الجنة بذنب واحد أبوك أخرج منها أفتريد دخولها بذنوب ما تبت عنها وان امرءا تنقضى بالجهل ساعاته وتذهب فى المعاصى أوقاته لخليق أن يجرى دما دموعه وحقيق أن يقل فى الدجى هجوعه يا من ذهب عمره فى الخلاف وصار قلبه فى الخطايا فى غلاف الى كم تعصى وتتمرد وأقبح من قبحك انك تتعمد يا ردىء العزم يا سيئ المقصد يا نقى الثوب والقلب

أسود ما هذا الامل واستبعد أما تخاف من أوعد وهدد يا مولعا عن القبيح أتقر أم تجحد يا من شاب وما تاب هذا الداب مذ أنت أمرد ميز ما يبقى مما يفنى ثم اطلب الاجود أسفا للنفس لا تعقل أمرها مضت أيامها فى الذنوب وجهلت قدرها ولم تزل فى المعاصى تضيع عمرها يا نادما على الذنوب أين أثر ندمك أين بكاؤك على زلة قدمك أين حذرك من أليم العقاب أين قلقك من خوف العتاب أتعتقد أن التوبة قول باللسان انما التوبة نار تحرق الجنان جرد الاقرار ثم ألبسه الاعتذار ثم حله بحلية الانكسار ثم أقمه على باب الدار أكتب قصة الرجوع بقلم النزوع بمداد الدموع واسع بها على قدم الخضوع الى باب الخشوع واتبعها بالعطش والجوع وسل رفعها فرب سؤال مسموع مناجاتك نجاتك وصلاتك صلاتك نادى نادى الاسحار والناس نائمون يا أكرم من أمله الآملون ان طردتنى فالى من أذهب وان أبعدتنى فاليك أنتسب علمت ذنبى وخلقتنى ورأيت زللى ورزقتنى

لئن جل ذنبى وارتكبت المآثما * وأصبحت فى بحر الخطيئة عائما
فها أنا ذا يارب أقررت بالذى * جنيت على نفسى وأصبحت نادما
أجل ذنوبى عند عفوك سيدى * حقير وان كانت ذنوبى عظائما

لو رأيت التائب رأيت جفنا مقروحا تراه فى الاسحار على باب الاعتذار مطروحا سمع قول الاله توبوا الى الله توبة نصوحا مطعمه يسير وحزنه كثير ومزعجه منير كأنه أسير قد رمى مجروحا توبوا الى الله توبة نصوحا أنحل بدنه الصيام وأتعب قدمه القيام فبذل بدنا وروحا توبوا الى الله توبة نصوحا الذل قد علاه والحزن قد وهاه يذم نفسه على هواه وبهذا صار ممدوحا توبوا الى الله توبة نصوحا أين من يبكى جنايات الشباب التى بها قد اسود الكتاب أين من أتى الباب يجد الباب مفتوحا توبوا الى الله توبة نصوحا اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها وارحمنا بقبولك توبتنا وستر عيوبنا يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

المجلس الحادى والعشرون

(فى ليلة القدر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله عالم السر والجهر وقاصم الجبابرة بالعز والقهر محصى قطرات الماء وهو يجرى فى النهر موفر الثواب للاحباب ومكمل الاجر وباعث ظلام الليل ينسخه نور الفجر يعلم خائنة الاعين وخافية الصدر المولى رزقه فلم ينس النمل فى الرمل والفرخ فى الوكر جل أن تناله أيدى الحوادث على مرور الدهر أحصى عدد الرمل فى الفيافى والنمل فى القفر أغنى وأفقر فبارادته وقوع الغنى والفقر وفضل بعض المخلوقات على بعض حتى أوقات الدهر ليلة القدر خير من ألف شهر أحمده حمدا لا منتهى لعدده وأشهد بتوحيده شهادة مخلص فى معتقده وأن محمدا عبده ورسوله الذى نبع الماء من بين أصابع يده صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر رفيقه فى شدائده وعلى عمر كهف الاسلام وعضده وعلى عثمان جامع القرآن فى رقه بعد تبدده وعلى على كافى الحروب وشجعانها بمفرده وعلى سائر آله وأصحابه المحسن كل منهم فى مقصده *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بسم الله الرحمن الرحيم انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر (ونقول) وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق ان البسملة المذكورة فى أوائل السور من القرآن الكريم اختلف العلماء فى كونها من السورة أم لا ومن القرآن أم لا على أقوال كثيرة ليس هذا موضع ذكرها لكنا نذكر المهم منها

وهو أن البسملة هل هى آية من الفاتحة أم آية برأسها مستقلة ذكرت للفصل بين السور فالذى ذهبت اليه أئمتنا الحنفية أنها ليست من الفاتحة فلا يجب قراءتها معها فتصح الصلاة وان لم يقرأ البسملة أو الفاتحة لان الفرض قراءة بعض القرآن والذى ذهبت اليه ساداتنا الشافعية فرضية قراءة الفاتحة فى الصلاة والبسملة آية منها ودليل كل واحد فى موضعه ولنرجع الى قوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر فالهاء عائد الى القرآن كما قال جمهور المفسرين وهو وان لم يتقدم ذكره غير أنه فى قوة المذكور لعلو شأنه فكأنه حاضر عند كل أحد والمراد بانزاله فيها انزال كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فقد صح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال أنزل القرآن فى ليلة القدر جملة واحدة الى السماء الدنيا وفى رواية ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة وفى رواية أخرى عنه أيضا أنزل جملة واحدة حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا ونزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منجما بجواب كلام العباد وأعمالهم وفى أخرى أنه أنزل فى رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا فى الشهور والايام قال الوالد عليه الرحمة وقال بعضهم وهو الاشهر فى ثلاث وعشرين وقال آخر فى خمس وعشرين وهذا الخلاف فى مدة اقامته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد البعث والمراد بالانزال اظهار القرآن من عالم الغيب الى عالم الشهادة أو اثباته لدى السفرة هناك أو نحو ذلك مما لا يشكل نسبته الى القرآن واختلف العلماء فى سبب نزول هذه السورة على أقوال فنها كما أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى سننه عن مجاهد أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأنزل الله تعالى السورة وأخرج ابن أبى حاتم عن على بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما أربعة من بنى اسرائيل عبدوا الله تعالى ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع بن نون فعجب أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة فقد أنزل الله تعالى عليك خيرا من ذلك فقرأ عليه انا أنزلناه ثم قال هذا أفضل ما عجبت أنت وأمتك منه فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فاعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقال أبو بكر الوراق كان ملك كل من سليمان وذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وفى هذا نظر وقيل أرى عليه الصلاة والسلام أعمار الامم فاستقصر أعمار أمته فخاف عليه الصلاة والسلام أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الامم وذكره الامام مالك فى الموطأ وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت سورة الكوثر وسورة القدر قال القاسم بن الفضل قد عددنا مدة ملكهم فاذا هى ألف شهر وروى هذا عن الحسن بن على وابن عباس وسعيد بن المسيب قال المزى هو حديث منكر وبعض رواته مطعون فيهم ونقل السفيرى عن ثعلب عن وهب بن منبه أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يقال له شمسون كان يجاهد قومه فيقتل منهم ويأخذ من أموالهم وكان لا يوثقه الحديد فلما عجزوا عنه قالوا لزوجته ان أوثقيه لنا أعطيناك مالا كثيرا فلما نام أوثقته بحبل فلما استيقظ وقع من يديه ورجليه فسألها عن ذلك فقالت لارى قوتك ثم أوثقته بحديد فلما استيقظ سقط عنه الحديد فسألها عن ذلك فقالت لارى قوتك فى الحديد أيضا ثم قالت له أما فى الدنيا شىء يوثقك قال شعرى فلما نام أوثقته بشعره وبعثت الى قومه فقطعوا أنفه وأذنيه وقلعوا عينيه فخسف الله تعالى بهم الارض وأرسل على المرأة صاعقة ورد الله تعالى ذلك النبى الى أحسن حال وكان قد جاهدهم ألف شهر فتعجب أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه السورة وقيل غير ذلك مما فيه ضعف أيضا قال الوالد عليه الرحمة وخيريتها من ألف شهر باعتبار العبادة عند الاكثرين على معنى ان العبادة فيها خير من العبادة فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ولا يعلم مقدار خيريتها منها الا هو سبحانه وتعالى وهذا تفضل منه عز وجل واختلف فى أن تلك الليلة هل تستتبع يومها أم لا فقال الشعبى نعم يومها مثلها قال الزهرى

واغا

وانما سميت ليلة القدر لعظمها وشرفها من قولهم رجل له قدر عند فلان أى منزلة وشرف أو سميت بذلك لان من أتى بفعل الطاعات فيها صار ذا قدر وشرف عند الله عز وجل أو لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه نزل فيها كتاب ذو قدر بواسطة ملك ذى قدر على رسول ذى قدر لامة ذات قدر وقال الخليل بن أحمد سميت ليلة القدر لان الارض تضيق فيها بالملائكة عليهم السلام كقوله ومن قدر عليه رزقه أى ضيق وقال غير واحد من العلماء سميت ليلة القدر لان الله سبحانه يقدر فيها ما شاء من أمره الى السنة القابلة من أمر الموت والاجل وغير ذلك قلت وهو الراجح عندى بدليل قوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق أى يفصل كل أمر حكيم قال ابن الجوزى فى الليلة المباركة قولان أحدهما أنها ليلة القدر والثانى ليلة النصف من شعبان كما سنفصل ذلك فى محله ان شاء الله تعالى فقد روى أصحاب السنن عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى فبات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عندى فلما كان فى جوف الليل فقدته فاخذنى عليه ما يأخذ النساء من الغيرة فتلفعت بمرطى أما والله ما كان مرطى خزا ولا قزا ولا حريرا ولا ديباجا ولا قطنا ولا كتانا قيل مم كان قالت سداه كان شعرا ولحمته أوبار الابل فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده فانصرفت الى حجرتى فاذا به كالثوب الساقط على وجه الارض ساجدا وهو يقول فى سجوده سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى هذه يدى وما جنيت بها على نفسى يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم أقول كما قال داود أعفر وجهى بالتراب لسيدى وحق له أن يسجد سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم ارزقنى قلبا نقيا تقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم سجد وقال أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من معاقبتك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك قالت ثم انصرف ودخل معى فى الخميلة ولى نفس عال فقال ما هذا النفس يا حميراء فأخبرته فطفق يمسح بيده على ركبتى ويقول ويس ١ هاتين الركبتين ماذا لقيتا فى هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيغفر لعباده الا المشرك أو مشاحن وفى رواية أخرى ان الله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب ٢ لا أقول فيهم ستة مدمن خمر ولا عاق والديه ولا مصر على ربا أو زنا ولا ٣ مصارم ولا مصور ولا قتات ٤ وعن على كرم الله تعالى وجهه أنه قال اذا كان ليلة النصف من شعبان قال الله تعالى هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من مسترزق فأرزقه حتى ينفجر الفجر فأمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقيام ليلها وصيام نهارها وعن عكرمة فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة النصف من شعبان يدبر الله تعالى أمر السنة وينسخ الاحياء من الاموات ويكتب حاج بيت الله تعالى فلا يزيد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد اه وفى روح المعانى ومعنى ليلة القدر ليلة التقدير وسميت بذلك لما روى عن ابن عباس وغيره أنه يقدر فيها ويقضى ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء وامانة الى السنة القابلة والمراد اظهار تقديره تعالى ذلك للملائكة عليهم السلام المأمورين بالحوادث الكونية والا فتقديره تعالى جميع الاشياء أزلى قبل خلق السموات والارض لكن قال بعض الاجلة كون التقدير فى هذه الليلة يشكل عليه قول كثير انه ليلة النصف من شعبان وهى المراد بالليلة المباركة التى قال الله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وأجاب بان ههنا ثلاثة أشياء الاول نفس تقدير الامور أى تعيين مقاديرها وأوقاتها وذلك فى الازل والثانى اظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام بأن تكتب فى اللوح المحفوظ وذلك فى ليلة النصف من شعبان والثالث اثبات تلك المقادير فى نسخ وتسليمها الى أربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل عليه السلام ونسخة الاعمال الى اسرافيل عليه السلام ونسخة المصائب الى ملك الموت وذلك فى ليلة القدر وقيل يقدر

١ قال فى القاموس ويس كلمة تستعمل فى موضع رأفة واستملاح للصبى اه منه

٢ قوله لا أقول فيهم ستة الخ هكذا بالاصل الذى بايدينا ولنحرر لفظ الحديث اه مصححه

٣ المصارم المقاطع لاخيه المسلم اه منه ٤ القتات النمام اه منه

فى ليلة النصف الآجال والارزاق وفى ليلة القدر الامور التى فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر فى هذه ما يتعلق به اعزاز الدين ومافيه النفع العظيم للمسلمين وفى ليلة النصف يكتب أسماء من يموت و يسلم الى ملك الموت والله تعالى أعلم بحقيقة الحال واعلم أن العلماء اختلفوا فى ليلة القدر فقيل رفعت وهو قول مردود وعن عكرمة أنها ليلة النصف من شعبان وهو قول شاذ لقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وعن ابن مسعود أنها تنتقل فتكون فى كل سنة فى ليلة والاكثرون على أنها فى شهر رمضان فعن ابن رزين أنها الليلة الاولى منه وعن الحسن البصرى السابعة عشر لأن وقعة بدر كانت فى صبيحتها وحكى عن زيد بن أرقم وعن أنس مرفوعا التاسعة عشر وحكى موقوفا على ابن مسعود أيضا وعن محمد بن اسحق الحادية والعشرون لما فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى أنه عليه الصلاة والسلام قال قد رأيت هذه الليلة يعنى ليلة القدر ثم نسيتها وقد رأيتنى أسجد من صبيحتها فى ماء وطين قال أبو سعيد فمطرت السماء من تلك الليلة فوكف المسجد فأبصرت عيناى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وفى مسلم من صبيحة ثلاث وعشرين ومنه مع ماقبله مال الشافعى عليه الرحمة الى أنها الليلة الحادية أو الثالثة والعشرون وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر فقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول التمسوها الليلة وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن جرير وغيرهم عن بلال قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة القدر ليلة أربع وعشرين وفى الاتقان وغيره أنها الليلة التى أنزل فيها القرآن وأخرج ابن أبى شيبة عن أبى ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين وأخرج ابن نصر وابن جرير فى تهذيبه عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التمسوا ليلة القدر فى آخر ليلة من رمضان وفى رواية أحمد عن أبى هريرة مرفوعا أنها آخر ليلة وقيل هى فى العشر الاوسط تنتقل فيه وقيل فى أوتاره وقيل فى أشفاعه وأخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر فى شهر رمضان وبالجملة الاقوال فيها مختلفة جدا الا ان الاكثرين على انها فى العشر الاواخر لكثرة الاحاديث الصحيحة فى ذلك وأكثرهم على أنها فى أوتارها لذلك أيضا وكثير منهم ذهب الى أنها الليلة السابعة من تلك الاوتار وصح من رواية الامام أحمد ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن حبان وغيرهم أن رزين بن حبيش سأل أبى بن كعب عنها فحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين فقال له بم تقول ذلك يا أبا المنذر فقال بالآية والعلامة التى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تصبح من ذلك اليوم تطلع الشمس ليس لها شعاع وبعض الاخبار عن ابن عباس ظاهر فى ذلك وفى بعضها الاستئناس له بما يدل على جلالة شأن السبعة التى قالوا فيها انها عدد تام من كون السموات سبعا والارضين سبعا والايام سبعا والجمار سبعا والطواف بالبيت سبعا والسجود على سبع الى غير ذلك مما ذكر لما علمت من الاخبار الصحيحة المتظافرة وهو زمان ضعف البدن وفيه يزيد أجر العمل ووقت قوة الاستعداد للتجليات لمزيد التصفية وأنها فى الاوتار أرجى للاحاديث أيضا مع ان الله تعالى وتر يحب الوتر وقال ابن حجر الهيتمى اختار جمع أنها لا تلزم ليلة بعينها من العشر الاواخر بل تنتقل فى لياليه فعاما أو أعواما تكون وترا احدى أو ثلاثا أو غيرهما وعاما أو أعواما تكون شفعا اثنتين أو أربعا أو غيرهما قالوا ولا تجتمع الاحاديث المتعارضة فيها الا بذلك وكلام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الجمع بين الاحاديث يقتضيه اه ولا يخفى أن الجمع بذلك بين الاحاديث المتعارضة فيها مطلقا لا يستثنى وانما يستثنى الجمع بذلك بين الاحاديث المتعارضة فيها بالنظر الى العشر وقيل فى الجمع مطلقا أنها تنتقل وما صح من التعيين فى الجملة أو على التحقيق محمول على ليلة قدر فى شهر رمضان مخصوص وعلم عليه الصلاة والسلام أنها فى شهر رمضان بعده ليلة كذا وفى هذا نظر وفى بعض الاخبار ذكر علامات لها ففى حديث الامام أحمد عن عبادة بن الصامت من أماراتها أنها ليلة بلجة صافية ساكنة لا حارة ولا باردة وكأن فيها قمرا ساطعا لا يرمى فيها بنجم حتى الصباح وقيل ان ماء البحر يعذب وقيل ان الشمس تكون صبيحتها

غير مضيئة ٣ جدا وقيل ان الاشجار كلها تخر ساجدة قال العلماء والحكمة فى اخفائها أن يجتهد من يطلبها فى العبادة فى غيرها ليصادفها كان يحيى ليالى شهر رمضان كلها كما كان دأب السلف قالوا ولذلك أيضا لم تعين ساعة الاجابة يوم الجمعة والله تعالى أعلم وليعلم أن ظاهر الآية تدل على أن ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعة والمسئلة خلافية وأكثر الائمة على أنها أفضل منها للآية ولان الله تعالى أنزل فيها القرآن وهو هو ولم ينزله فى غيرها ولانه سبحانه أمر بطلبها فعن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم ليلة القدر ولانه عز وجل جعلها ليلة الفرق والحكم فقال جل شأنه فيها يفرق كل أمر حكيم وسماها جل وعلا ليلة القدر أى التقدير ولما روى عن كعب أنه قال ان الله تعالى اختار الساعات فاختار ساعات أوقات الصلاة واختار الايام فاختار يوم الجمعة واختار الشهور فاختار رمضان واختار الليالى فاختار ليلة القدر فهى أفضل ليلة فى أفضل شهر ولان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حث على العمل فيها فقد صح من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفى رواية وما تأخر ونهى عليه الصلاة والسلام أن يخص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصيام ولانه سبحانه وتعالى أخفاها ولم يبينها كما أخفى سبحانه أعظم أسمائه عز وجل وكما أخفى جل شأنه أفضل الصلاة وهى الصلاة الوسطى الى غير ذلك وذهب أكثر الحنابلة كأبى حسن الجرزى وعبد الله بن بطة وأبى حفص البرمكى وغيرهم الى أن ليلة الجمعة أفضل لما أخرج مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يغفر الله تعالى ليلة الجمعة لاهل الاسلام أجمعين وهذه فضيلة لم تجئ لغيرها ونحوه ما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من ليلة جمعة الا وينظر الله تعالى الى خلقه ثلاث مرات فيغفر لمن لم يشرك بالله تعالى شيأ ولانه روى ابن بشكوال فى كتابه الغربة الى رب العالمين بسنده الى عمر رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أكثروا الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة والغرة من الشئ خياره ولانه قد روى كثيرون منهم الامام أحمد أن يومها سيد الايام وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الاضحى وصحح ابن حبان خبر لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة فهى لذلك سيدة الليالى وأعظمها وأفضلها ولانها متعينة مشهودة يشهدها الخاص والعام من ذكر وأنثى وصغير وكبير وبصير وضرير وتصل بركتها الى الاحياء والاموات وليلة القدر غير معينة فلا ينتفع بها الا القليل الى غير ذلك وأجوبة الطرفين فى روح المعانى قال الوالد عليه الرحمة وههنا قول متوسط بين القولين حكى القاضى أبو يعلى أن أبا الحسن التميمى من الحنابلة أيضا كان يقول ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن أفضل من ليلة الجمعة لما حصل فيها من الخير الكثير الذى لم يحصل فى غيرها فاما أمثالها من ليالى القدر فليلة الجمعة أفضل منها وقيل نظيره فى ليلة المعراج مع ليلة الجمعة ونحوها ثم ان ظاهر كلام بعض الحنفية كصاحب الجوهرة أن ليلة النحر أفضل من ليلة القدر وسائر ليالى السنة ويرد عليه ظاهر الآية أيضا ونقل الطحطاوى عليه الرحمة فى حواشى الدر المختار عن بعض الشافعية أن أفضل الليالى ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ولقد أحسن البوصيرى حيث قال

ليلة المولد الذى كان للدين * سرور بيومه وازدهاء
وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء

ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء والمعراج ثم ليلة عرفة ثم ليلة الجمعة ثم ليلة النصف من شعبان ثم ليلة العيد وليلة القدر عند السادة الصوفية قدست أسرارهم الزكية ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة الى محبوبه وهى وقت ابتداء وصول السالك الى عين الجمع ومقام البالغين فى المعرفة وما ألطف قول الشيخ عمر بن الفارض قدس سره

وكل الليالى ليلة القدر ان دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة

(فائدة) فى ليلة القدر يلزم التنبيه عليها لبعض العلماء الاعلام وان لم يلزم قراءتها للعوام فى المجلس العام وهى

---

٣ أى لنزول الملائكة وصعودهم اه منه

ملخص ماذكره العلامة الوالد عليه الرحمة أنه على قول المعتبرين لاختلاف المطالع يلزم القول بتعدد ليلة القدر فى رمضان وكونها وترا من لياليه عند قوم شفعا عند آخرين فلا يصح القول بأحدهما بل لا يصح اطلاق القول بأن وقت التقدير وتنزل الملائكة ليل فالليلة عند قوم نهار فى الجهة المسامتة لاقدامهم وهى قد تكون مسكونة ولو بواسطة سفينة وربما يكون زمان الليل عند قوم بعضه ليلا وبعضه نهارا عند آخرين ٢ وأجاب بعض بالتزام ان ما أطلق من القول فيها ليس على اطلاقه فيكون القول بوتريتها بالنسبة الى قوم وبشفعيتها بالنسبة الى آخرين وهكذا القول بأنها ليلة كذا من الشهر وأن التعبير بالليلة لرعاية مكان المنزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام وغالب المؤمنين به وفيه نظر وأجيب أيضا بانه ربما يقال انها لكل قوم ليلتهم وان اختلفت دخولا وخروجا بالنسبة الى آفاقهم كسائر لياليهم فكأن الليلة راكب يسير الى جهة فيصل الى كل منزل فى وقت ويلتزم أن تنزل الملائكة حسب سيرها ولا يبعد أن يتنزل عند كل قوم ماشاء الله تعالى منهم عند أول دخولها عندهم ويعرجون عند مطلع فجرها عندهم أو يبقى التنزل منهم هنالك الى أن تنقضى الليلة فى جميع المعمورة فيعرجون معا عند انقضائها ويلتزم القول بتعدد التقدير حسب السير أيضا ومثل ليلة القدر فيما ذكر وقت نزوله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا وساعة الاجابة وارتضاه الوالد والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها أى تهبط الملائكة من السموات الى الارض قرأ الجمهور تنزل بفتح التاء وقرئ بضمها والروح عند الجمهور هو جبريل عليه السلام وخص بالذكر لزيادة شرفه مع أنه النازل بالذكر وقيل حفظة على الملائكة كالملائكة الحفظة علينا وقيل خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس وتحقيق مالا تعلمون ومايعلم جنود ربك الا هو ولعلهم على ماقيل خدم أهل الجنة وقيل هو عيسى عليه السلام ينزل لمطالعة هذه الامة وليزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل أرواح المؤمنين ينزلون لعيادة أهليهم وقيل الرحمة كما قرئ لاتيأسوا من روح الله بالضم قال الوالد على الاول المعول والظاهر الذى تشهد له الاخبار أن التنزل الى الارض لاجل ماذكر الله تعالى من قوله من كل أمر أى تنزل من أجل الامور التى قضى الله تعالى بها فى تلك السنة وقد تم الكلام عند قوله تعالى من كل أمر ثم ابتدأ بفضلها أيضا فقال سلام هى أى ماهى الا سلامة وخير كلها لاشر فيها ولا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ وقيل ينزلون فيها للتسليم على المؤمنين وقيل لان الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة فى الاشتغال بطاعته فى الارض فهم ينزلون اليها لتصير طاعاتهم أكثر ثوابا كما أن من راح الى مكة ليكثر ثوابنا وقيل غير ذلك وقال القطب الربانى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره النورانى فى كتابه الغنية مانصه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال اذا كان ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينزل الى الارض ومعه سكان سدرة المنتهى سبعون ألف ملك ومعهم ألوية من نور فاذا هبطوا الى الارض ركز جبريل لواءه والملائكة ألويتهم فى أربعة مواطن عند الكعبة وقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء ثم يقول جبريل عليه السلام تفرقوا فيتفرقون فلا تبقى دار ولا حجرة ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة الا دخلت الملائكة فيها الا بيتا فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة تماثيل فيسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كان وقت الفجر صعدوا الى السماء فيستقبلهم أهل سكان سماء الدنيا فيقولون لهم من أين أقبلتم فيقولون كنا فى الدنيا الان الليلة ليلة القدر لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول سكان سماء الدنيا مافعل الله بحوائج أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول جبريل عليه السلام ان الله تعالى غفر لصالحيهم وشفعهم فى طالحيهم فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى الله عزوجل هذه الامة من المغفرة والرضوان ثم تشيعهم ملائكة سماء الدنيا الى الثانية كذلك ثم كذلك الى سماء الى السابعة ثم يقول

٢ أقول وشبيه بهذه المسئلة من وجه مسئلة طلوع الفجر فى بلاد البرغال قبل غيبوبة الشفق ودخول وقت العشاء فوقته عند بعضهم بقدرله وعند بعضهم تسقط الصلاة والاول أصح كما نبه عليه الفقهاء اه منه

جبريل ياسكان السموات ارجعوا فيرجع ملائكة كل سماء الى مواضعهم فاذا وصلوا الى سدرة المنتهى يقولون لهم أين كنتم فيجيبونهم مثل ماأجابوا أهل السموات فترجع سكان سدرة المنتهى أصواتهم بالتسبيح والتهليل والثناء فتسمع جنة المأوى ثم جنة النعيم وجنة عدن والفردوس ويسمع عرش الرحمن فيرفع العرش صوته بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى هذه الامة فيقول الهى بلغنى عنك انك غفرت البارحة لصالحى أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشفعت صالحيها فى طالحيها فيقول الله عزوجل صدقت ياعرشى ولامة محمد عندى من الكرامة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر اه وليعلم أن فى قيام ليلة القدر ثوابا عظيما وأجرا جزيلا لاحاديث كثيرة وردت فى ذلك كما تقدم بعضها من قوله عليه الصلاة والسلام من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا أى مصدقا غير مراء فى عمله غفر له ماتقدم من ذنبه وفى رواية وما تأخر ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر مالا يجتهد فى غيرها فقد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد المئزر أى اجتهد فى أنواع العبادات من صلاة وغيرها وكانت تقول له يارسول الله ان وافقت ليلة القدر فما أقول قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى وقال سفيان الثورى الدعاء فى تلك الليلة أحب من الصلاة ثم أفاد انه اذا قرأ ودعا كان حسنا وذكر ابن رجب عليه الرحمة أن الاكمل الجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر ويحصل قيامها على ماقال بعض العلماء بصلاة التراويح وأخرج البيهقى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى المغرب والعشاء فى جماعة حتى ينقضى شهر رمضان فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر وأخرج البيهقى عن سعيد بن المسيب قال من شهد العشاء ليلة القدر فى جماعة فقد أخذ بحظه منها ولذا قال الشافعى كما نقل عنه انه تحصل فضيلة الاحياء بساعة ولهذه الاحاديث ونحوها تأكدت سنية الاعتكاف فى العشر الاواخر ولنذكر لكم ماورد فى الاعتكاف مطلقا ولاسيما فى العشر ومايتعلق بالاعتكاف على مذاهب الائمة الاربعة الاشراف فأقول قال الله تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود وروى الشعرانى فى كشف الغمة عن الامام أبى عبد الله الحسين بن على عن على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اعتكف عشرا فى رمضان كان كحجتين وعمرتين وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اعتكف ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة وقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرا فى الجنة اه وروى عنه عليه الصلاة والسلام من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق رقبة والفواق هو الزمان الذى بين الحلبتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان له خيرا من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال فى المعتكف هو يعتكف عن الذنوب ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات كلها واعلم ان الائمة اتفقوا على أن الاعتكاف مشروع وانه قربة الى الله تعالى وانه مستحب كل وقت وفى العشر الاواخر من رمضان أفضل لطالب ليلة القدر واتفقوا أنه لا يصح اعتكاف الا بالنية وأجمعوا على أن خروج المعتكف لما لابد منه كقضاء الحاجة وغسل الجنابة جائز وعلى أنه اذا اعتكف بغير المسجد الجامع وحضرت الجمعة وجب عليه الخروج لها وعلى أنه اذا باشر المعتكف فى الفرج عمدا بطل اعتكافه ولا كفارة عليه وقال الحسن البصرى والزهرى ٢ يلزمه كفارة يمين وكذلك أجمعوا على أن الصمت الى الليل مكروه قال الشافعى ولو نذر الصمت فى اعتكافه تكلم ولا كفارة عليه وكذلك أجمعوا على استحباب الصلاة والقراءة والذكر للمعتكف وأجمعوا على أنه ليس للمعتكف أن يتجر ولا يكتسب بالصنعة على الاطلاق قال فى كتاب اختلاف المذاهب واختلفوا هل يصح الاعتكاف بغير صوم فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد فى احدى

٢ كفارة اليمين عتق رقبة وان شاء كسا عشرة مساكين كل واحد منهم ثوبا فما زاد وأدناه مايجزى فيه الصلاة وان شاء أطعم عشرة مساكين وان لم يقدر على أحد الثلاثة صام ثلاثة أيام متتابعات اه منه

روايتيه لايصح بغير صوم وقال الشافعى وأحمد فى الرواية المشهورة يصح بغيره وأجمعوا على أنه يصح الاعتكاف فى كل مسجد الا أحمد فانه قال لايصح الا فى مسجد تقام فيه الجماعة وأجمعوا على أنه لايصح اعتكاف المرأة فى بيتها الا أبا حنيفة فانه قال يجوز اعتكافها فى مسجد بيتها واتفقوا على أن الوطء عامدا يبطل الاعتكاف المنذور والمسنون معا واختلفوا فى وجوب الكفارة فيه فقالوا لاتجب الا أحمد فعنه روايتان أظهرهما وجوب الكفارة وهى كفارة يمين واختلفوا فى القبلة واللمس بشهوة فقال أبو حنيفة وأحمد قد أساء لانه قد أتى مايحرم عليه ولايفسد اعتكافه وقال مالك يفسد اعتكافه وعن الشافعى قولان واتفقوا على أنه يجوز للمعتكف الخروج الى مالابد منه كحاجة الانسان وغسل الجنابة وخوف الفتنة ولقضاء عدة المتوفى عنها زوجها والحيض والنفاس واتفقوا على أنه اذا نذر اعتكاف شهر ثم مات قبل انقضائه فانه لايقضى عنه الا أحمد فانه قال يجب أن يقضى ذلك عنه وليه واختلفوا فيمن أذن لزوجته فى الاعتكاف فدخلت فيه هل له منعها من اتمامه فقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه والامام مالك ليس له منعها وقال الشافعى وأحمد له منعها وأجمعوا على أن العبد ليس له أن يعتكف الا باذن مولاه واتفقوا على أنه يكره للمعتكف الصمت الى الليل الا أنه لايتكلم الا بخير وأجمعوا على أنه يستحب للمعتكف ذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن ثم اختلفوا فى اقرائه القرآن أو الحديث أو الفقه فقال مالك وأحمد رحمهم الله تعالى لايستحب له ذلك ولا ينبغى له اقراؤه غيره وعن مالك رواية أخرى أنه لابأس أن يكتب ويقرئ غيره القرآن وقال ابو حنيفة والشافعى يستحب له ذلك وروى عن أحمد فى الرجل يقرئ فى المسجد ويريد أن يعتكف فقال يقرئ أحب الى واختلفوا فى جواز البيع فقال أبو حنيفة له أن يبيع ويبتاع وهو فى المسجد من غير أن يحضر السلع وقال الشافعى له أن يأمر بالامر الخفيف فى ماله ويبيع ويشترى من غير اكثار وقال مالك له أن يفعل ذلك اذا كان الاعتكاف تطوعا وكان يسيرا وعنه رواية أخرى بالمنع من ذلك على الاطلاق وقال أحمد لايجوز له البيع والشراء على الاطلاق ولايجوز له فعل الخياطة فيه ولو كان محتاجا اه ولنختم البحث بعبارة ملخصة من كتب أئمتنا الحنفية رحمهم رب البرية فقد قال فى الدر المختار الاعتكاف لغة اللبث وشرعا لبث فى مسجد جماعة وأفضله ما كان فى المسجد الحرام ثم فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم ثم فى المسجد الاقصى ثم فى الجامع الاقصى ثم فى الجامع ويتعين بالشروع فيه فليس له أن ينتقل الى مسجد آخر من غير عذر وعند الصاحبين يصح فى كل مسجد والامرأة فى مسجد بيتها ويكره لها فى المسجد الا أنه جائز وشرطه النية من مسلم عاقل طاهر وهو ثلاثة اقسام واجب بالنذر وسنة مؤكدة فى العشر وسنة فى غيرها وشرط للنذر الصوم وأقله نفلا ساعة من ليل أو نهار عند محمد وهو ظاهر الرواية عن الامام والساعة عند الفقهاء جزء من الزمان ونظم ذلك بعضهم فقال

ثم أقل الاعتكاف النفل * يوم لدى استاذنا الاجل
وأكثر النهار عند الثانى * وساعة فى مذهب الشيبانى

وحرم عليه أى المعتكف واجبا الخروج الا لحاجة الانسان طبيعية كانت كبول وغائط وغسل لو احتلم ولايمكنه الاغتسال فى المسجد أو شرعية كعيد وأذان وجمعة وقت الزوال اه ممزوجا من الحاشية فعليكم عباد الله بالاعتكاف واحياء ليلة القدر فانه من أعظم موجبات القبول والاجر فان العمر يمضى كساعة من الدهر فيامن أمله الى أجله يقوده ما أنت على يقين من نيل ماتريده كم من غصن كسر عوده كم من ملك غاب تفرقت جنوده اخوانى تأملوا حق هذه الايام مهما أمكنكم واشكروا الذى وهب لكم السلامة ومكنكم فكم من مؤمل لم يبلغ ما أمل وان شككت فتلمح جيرانك وتأمل كم من أناس صلوا معكم فى أول الشهر التراويح وأوقدوا فى المساجد طلبا للاجر المصابيح اقتنصهم قبل تمامه الصائد فقهر واوأسرتهم المصائد فأسروا ولم ينفعهم المال والآمال لما قبروا أدارت عليهم المنون رحاها وأحلت وجوههم بالثرى فمحاها فأعدمتهم صوما وفطرا وزودتهم من الحنوط عطرا وهذا حالك يامن لايعقل أمرا

وفى الشيب ماينهى الحليم عن الصبا * اذا استوقدت نيرانه فى عذاره

وأى امرئ يرجو من العيش غبطة * اذا اصفر منه العود بعد اخضراره
ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

اخوانى ليلة القدر ليلة يفتح فيها الباب ويقرب فيها الاحباب ويسمع الخطاب ويرد الجواب ويرجى للعاملين عظيم الاجر سلام هى حتى مطلع الفجر ليلة تتلقى فيها الوفود ويحصل لهم المقصود أترى مايؤملك أيها المطرود هذا الهجر سلام هى حتى مطلع الفجر أخلصوا وما أخلصت قصدك وبلغوا المراد وما بلغت رشدك أما يؤثر عندك تشريدك هذا الزجر سلام هى حتى مطلع الفجر أيقظ نفسك لما بين يديها وانتظر ماسيأتى عن قليل اليها وأسمعها المواعظ فقد حضرت لديها واقبل نصحى وخذ عليها ضرب الحجر سلام هى حتى مطلع الفجر هذه أوقات يربح فيها من فهم ودرى ويصل الى مراده كل من جد وسرى ويفك منه الجانى وتطلق منه الاسرا تقدم القوم وأنت راجع الى ورا أليس هذا كله قد جرى وكأنه لم يجر سلام هى حتى مطلع الفجر اللهم يامن خلق الانسان وبناه واللسان وأجراه يامن لايخيب من دعاه هب لكل منا فى هذه الليلة مارجاه وبلغه من خير الدارين مناه ياأكرم من كل كريم اللهم واذا اطلعت فى ليلتنا هذه على خلقك فعد علينا بعتقك وعتقك وقدر لنا من الحلال واسع رزقك واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك وارحمنا برحمتك ياأرحم الراحمين اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك برحمتك ومن قدرت طول حياته فاجعل فى ذلك نعمتك واسبل على الجميع سترك ومغفرتك وعاملنا بعفوك ياحليم اللهم اشف فى هذه الليلة مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه أجمعين

المجلس الثانى والعشرون

(فى صلاة الجمعة ومتعلقاتها)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ٢

الحمد لله الذى يغفر الزلل ويصفح ويعفو عن الخطل ويسمح كل من لاذ به أنجح وكل من عامله ربح تشبيهه قبيح وجحده أقبح ورفع السماء بغير عمد فتأمل والمح وأنزل القطر فاذا الزرع فى الماء يسبح والمواشى بعد الجدوب الغواشى فى الخصب تسرح وأقام الورق على الورق تشكر وتمدح أغنى وأفقر والفقر فى الاغلب أصلح كم من غنى طرحه البطر والاشر أقبح مطرح هذا قارون ملك الكثير وبالقليل لم يسمح نبه فلم يزل نومه وليم فلم ينفع لومه اذ قال له قومه لاتفرح أحمده ما أمسى المساء وأصبح وأصلى على رسوله محمد الذى أنزل عليه ألم نشرح صلى الله عليه وعلى أبى بكر صاحبه فى الدار والغار لم يبرح وعلى عمر الذى لم يزل فى اعزاز الدين يكدح وعلى عثمان ولاأذكر ماجرى ولاأشرح وعلى على الذى كان يغسل قدمه فى الوضوء ولايمسح وعلى جميع آله وأصحابه صلاة دائمة لاتبرح *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل

٢ (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الملك الحق المبين القدير القوى المتين الفاطر البارئ فتبارك الله أحسن الخالقين خلق آدم من سلالة من طين فكمل خلقه يوم الجمعة وجعله عيد المسلمين واصطفى من ذريته الاولياء والنبيين واختار من جميع الخلائق أجمعين محمدا سيد الاولين والآخرين ورفع أمته على سائر الآدميين وشرفهم بيوم الجمعة على العالمين وجعله بفضله ورحمته حج المساكين وصلى الله تعالى على ذلك النبى الامين وعلى أصحابه الاكرمين خصوصا على أبى بكر الصديق أمير المؤمنين وعلى عمر بن الخطاب الذى تأيد به الاسلام والدين وعلى عثمان بن عفان المخصوص بشرف الابنتين من جميع المسلمين وعلى ابن عمه على قاتل الكفرة والمبتدعين وعلى بقية الصحابة والقرابة والتابعين أجمعين اه منه

ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (فنقول) ومن الله تعالى التوفيق قال العلماء سبب نزول هذه الآيات أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة فأقبلت عير من الشام وضرب لقدومها الطبل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وسبع نسوة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو خرج كلهم لاضطرم عليهم المسجد نارا قال قتادة بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة قال العلامة في فتح البيان والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب انهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم أول الاسلام يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة اه باختصار ولنذكر ما يتعلق بتفسير هذه الآية على وجه الاجمال ثم ما يتعلق بالجمعة ومافيها على سنن الكمال فليعلم أن قوله تعالى يا أيها الذين الآية أى وقع النداء لها والمراد به الاذان الثاني وهو عند قعود الامام على المنبر للخطبة فعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني على داره المسماة زوراء وجعل للجمعة مؤذنين وقوله تعالى من يوم الجمعة أى فيه كقوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الارض أى فيها والجمعة بضم الميم وبه قرأ الجمهور وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي بسكونها وجاء فتحها ولم يقرأ به ونقل بعضهم الكسر أيضا قال أبو البقاء الجمعة بالضم مصدر بمعنى الاجتماع وكانت العرب تسمي يوم الجمعة عروبة وفي كتاب المعربات أن عروبة هو يوم الجمعة اسم سرياني قال السهيلي ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغنا عن بعض أهل العلم اه وأول من سماه جمعة قيل كعب بن لؤي أخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم المدينة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل أن تنزل الجمعة فقالت الانصار لليهود يوم يجمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونشكره فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة وكانوا يسمون يوم الجمعة بذلك فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا منها وذلك لقلتهم فأنزل الله تعالى في ذلك بعد يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة الآية وفي هذه المسئلة أقوال أخر مذكورة في روح المعاني وقال بعضهم انما سمي يوم الجمعة لان آدم عليه السلام اجتمع فيه مع حواء في الارض وقيل لان خلق آدم عليه السلام جمع فيه ويسميه الملائكة يوم المزيد لان الله تعالى يتجلى فيه لاهل الجنة فيعطيهم مالم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر وفي حديث آخر يوم الجمعة سيد الايام وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر والاضحى وفيه خلق آدم واهباطه الى الارض وموته وساعة الاجابة مالم يكن سؤال حرام وقيام الساعة ولذلك قال كثير من الحنابلة بأفضليته على سائر الايام كما تقدم في بحث ليلة القدر وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله أى امشوا اليه وليس المراد من السعي الاسراع وقد كان يقرأ بعض الصحابة فامضوا الى ذكر الله قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الاقدام والسرعة فيها ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن السعي بالنية والخشوع بالقلب واختلف في المراد بذكر الله فقيل الصلاة والخطبة وقيل موعظة القرآن وقال سعيد بن المسيب الخطبة وهو موعظة الامام وقوله تعالى وذروا البيع أى اتركوا المعاملة من بيع وشراء واجارة وغيرها وقد صرحوا بكراهة التحريم في ذلك بل بالحرمة أخرج عبد بن حميد عن عبد الرحمن بن القاسم أن القاسم دخل على أهله يوم الجمعة وعندهم عطار يبايعونه فاشتروا منه وخرج القاسم الى الجمعة فوجد الامام قد خرج فلما رجع أمرهم أن يناقضوا البيع وظاهره حرمة البيع اذا نودي للصلاة على غير من تجب عليه أيضا والشراء كالبيع وحرمة البيع والشراء حالة السعي وصرح في السراج الوهاج بعدمها اذا لم يشغله ذلك وقوله تعالى وابتغوا من فضل الله أى الربح على ما قيل وقال الحسن وابن المسيب المأمور بابتغائه هو العلم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا انما هي عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله تعالى قال الوالد رحمه الله تعالى وعندي نزله والامر

للاباحة على الاصح فيباح بعد قضاء الصلاة الجلوس في المسجد وحكى الكرماني الاتفاق على ذلك وفيه نظر وقد حكى السرخسي القول بأنه للوجوب وقيل هو للندب وأخرج أبو عبيد عن عبد الله بن بسر الحراني قال رأيت عبد الله المازني صاحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فصلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فقيل له لاى شيء تصنع هذا قال اني رأيت سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا يصنع وتلى فاذا قضيت الصلاة الآية وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال اذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج الى باب المسجد فساوم بالشيء وان لم تشتره ونقل عنه القول بالندبية وهو الاقرب اه ولنرجع الى بيان شروطها وأحكامها وفضائلها والوعيد على تركها وما يتعلق بها وفيها فمن ذلك الترغيب في قراءة سورة الكهف فيها قال المنذري في الترغيب والترهيب روى النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين وفي رواية عن ابن عمر يسطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين وكذلك ورد في سورة الدخان عن أبي هريرة من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له وفي رواية في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله تعالى له بيتا في الجنة وروى الاصبهاني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غفر له وقد ورد في فضل يس أحاديث كثيرة منها ما رواه الامام أحمد عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرؤها على موتاكم وفي رواية من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له اه وفي الجامع الصغير عن أنس عنه عليه الصلاة والسلام قال اغتسلوا يوم الجمعة ولو كأسا بدينار وعن أبي أمامة اغتسلوا يوم الجمعة فانه من اغتسل يوم الجمعة أى ولو مع الجنابة فله كفارة ما بين الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام وزاد مسلم ما لم تغش الكبائر وعنه أن الغسل يوم الجمعة ليسل الخطايا من أصول الشعر استلالا وفي حديث كان عليه الصلاة والسلام يغتسل يوم الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عرفة روى عمار ان من الفطرة المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط والاستحداد بالحديد أى حلق العانة وغسل البراجم وهي العقد بظهر الاصابع والانتضاح بالماء أى الاستنجاء والاختتان وعن عائشة عنه عليه الصلاة والسلام الاسلام نظيف فتنظفوا فانه لا يدخل الجنة الا نظيف ولذا روى في حديث آخر نظفوا أفنيتكم فان اليهود لا ينظفون أفنيتهم وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره في كتابه الغنية عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اغتسل في كل يوم جمعة أخرجه الله تعالى من ذنوبه ثم قيل له استأنف العمل وقال من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الامام ولم يلغ كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها قال الشيخ وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غسل بالتشديد أى غسل أهله كناية عن الجماع ولهذا يستحب عند أهل العلم اتيان الزوجة في يوم الجمعة ويفعلونه اتباعا لهذا الحديث ويشتغل فيه بالذكر والتسبيح واستماع العلم والدعاء ولا يستحب له حضور القاص لان القصص بدعة قال الشيخ وكان ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم يخرجون القصاص من الجامع اللهم الا أن يكون عالما بالله تعالى من أهل المعرفة واليقين فيكون حضور مجلسه أفضل من صلاة ألف ركعة واذا أتى الجامع لا يتخطى رقاب الناس الا أن يكون اماما أو مؤذنا لما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لرجل رآه يتخطى رقاب الناس يا فلان ما منعك أن تصلي معنا الجمعة فقال أولم ترني يا رسول الله قال صلى الله تعالى عليه وسلم رأيتك تلبست وآذيت أى تأخرت عن البكور وآذيت بالحضور وقد قيل ان من فعل ذلك جعل جسرا يوم القيامة على ظهر جهنم يتخطاه الناس قال الشيخ ولا تمر بين يدي المصلي ففي خبر لان يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي ولا يقيمن أحدا من موضعه ويجلس مكانه لما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه وكان ابن عمر اذا أقام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وان رأى بين يديه فرجة فهل يجوز له أن يتخطى الرقاب فيجلس على روايتين عند امامنا أحمد وان بسط له شيء فهل لغيره أن يرفعه ويجلس هنالك على وجهين عند أصحابنا اه ومن ذلك

الاحاديث الواردة فى فضلها وردفى الصحاح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الاول فالاول ومثل المبكر كمثل الذى يهدى بدنة ثم كالذى يهدى بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فاذا خرج الامام طووا صحفهم و يستمعون الذكر وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه و بين الجمعة و زيادة ثلاثة أيام وذلك لان من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ١ ومن مس الحصا فقد لغا وعنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة و رمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر وعن أبى سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خمس من عملهن فى يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة وأعتق رقبة وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع ما بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت حتى يصلى كان كفارة لما بينه و بين الجمعة الاخرى و روى عن عتيق أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وغيره قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فاذا أخذ فى المشى كتب له بكل خطوة عشرون حسنة فاذا انصرف من الصلاة أجيز بعمل مائتى سنة وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال عرضت الجمعة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء جبريل عليه السلام فى كفه كالمرآة البيضاء فى وسطها كالنكتة السوداء فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك ولكم فيها خير تكون أنت الاول وتكون اليهود والنصارى من بعدك وعن أنس رضى الله تعالى عنه ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحدا من المسلمين يوم الجمعة الا غفر له وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحشر الايام على هيئاتها وتحشر الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى خدرها تضئ لهم يمشون فى ضوئها ألوانهم كالثلج بياضا وريحهم كالمسك يخوضون فى جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان لا يطرقون تعجبا ٢ حتى يدخلون الجنة لا يخالطهم أحد الا المؤذنون المحتسبون ومنها الترهيب على ترك الجمعة من غير عذر شرعى وان ذلك من الكبائر كما قال العلامة ابن حجر فى الزواجر فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم رواه مسلم وعن أسامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا أيها الناس توبوا الى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا وصلوا الذى بينكم و بين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا واعلموا أن الله تعالى افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى يومى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا الى يوم القيامة فمن تركها فى حياتى أو بعدى وله امام عادل او جائر استخفافا بها او جحودا بها فلا جمع الله له شمله ولا بارك له فى أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا زكاة له ولا حج له ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الاسلام وراء ظهره أقول قد تبين للمنصف من هذه الآية الكريمة والاحاديث العظيمة خطأ الامامية التاركين لصلاة الجمعة فى الامصار الاسلامية فليت شعرى كيف يكون جوابهم اذا سألهم عن تركها عالم الاسرار الخفية فان قالوا يا ربنا عندنا من شروطها حضور الامام وهو قد غاب فى السرداب منذ ألف عام فالظاهر أن يكون لهم الجواب ان وجوده ليس مشروطا فى آى الكتاب ومع ذا لم أخذتم أيها العلماء من الناس أموالا وأعلمتموهم بزعمكم انكم فى ذلك عن الامام وكلاء أمناء فالمقتضى انكم لما ادعيتم عنه الوكالة فاللازم أن تكون عامة فى أخذ الدراهم من حق الامام ورد

١ أى لانهم كانوا يصلون على الارض والتراب والحصا الصغار اهـ منه

٢ من أطراف رأسه وتعجبا الظاهر أنه مفعول لاجله اهـ منه

المظالم وصلاة الجمعة التامة ومتى فرقتم بين الاثنتين فقد أرحتم أنفسكم من تعب الجمعة وقبضتم زيف الدرهم والعين ولعبتم بالمسئلة مرتين فنسأله تعالى أن يجعلنا واياكم من خالصى أهل السنة والجمعة والجماعة ولا يجعلنا واياكم ممن اتخذ الهوى بعد العلم بضاعة ومن ذلك الاحكام الفقهية المتعلقة بها نذكرها على اختلاف المذاهب سالكين الاختصار على كثير منها فقد قال فى الميزان اتفقوا على أن صلاة الجمعة فرض عين وغلطوا من قال هى فرض كفاية وعلى أنها تجب على المقيم دون المسافر الا فى قول الزهرى والنخعى اذا سمع النداء واتفقوا على أنهم اذا فاتتهم الجمعة صلوها ظهرا واما ما اختلفوا فيه فمنه قول الائمة الثلاثة ان الاعمى لا تجب عليه الا اذا وجد قائدا خلافا لابى حنيفة رحمه الله ومنه قول الائمة ان الجمعة لا تجب على صبى ولا عبد ولا مسافر ولا امرأة الا فى رواية عن أحمد فى العبد خاصة وقال داود بن على الظاهرى تجب قلت واذا صلوها هؤلاء صحت ومنه قول الائمة الثلاثة انها تجب على كل من سمع النداء وهو ساكن بموضع خارج عن المصر خلافا لابى حنيفة ومنه قول الائمة الثلاثة انه لا تكره الجماعة فى صلاة الظهر فى حق من لم يمكنه اتيان مكان الجمعة بل قال الشافعى باستحبابها مع قول أبى حنيفة بكراهة الجماعة فيها ومنه اذا وافق يوم عيد يوم الجمعة فلا تسقط الجمعة بصلاة العيد عن أهل البلد بخلاف أهل القرى اذا حضروا فانها تسقط عنهم ويجوز لهم ترك الجمعة والانصراف عند الشافعى مع قول أبى حنيفة بوجوب الجمعة على أهل البلد والقرى معا ومع قول أحمد يسقط عن الجميع فرض الجمعة بصلاة العيد و يصلون الظهر ومع قول عطاء تسقط الجمعة والظهر معا فى ذلك اليوم فلا صلاة بعد العيد الا العصر ومنه قول أبى حنيفة ومالك انه يجوز لمن لزمته الجمعة السفر قبل الزوال مع قول الشافعى وأحمد بعدم جواز ذلك الا أن يكون سفر جهاد ومنه قول أبى حنيفة والشافعى يحرم البيع بعد الاذان الثانى لكنه صحيح مع قول مالك وأحمد انه لا يصح ومنه قول الشافعى وأحمد بجواز الكلام حال الخطبة لمن لا يسمعها ولكن يستحب الانصات مع قول أبى حنيفة بتحريم الكلام حال الخطبة على من سمع ومن لم يسمع ومع قول مالك الانصات واجب قرب أم بعد قلت والمشهور أن من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وبه يعلم خطأ كثير من الناس ومنه قول أبى حنيفة ومالك والشافعى فى القديم انه يحرم الكلام لمن يسمع الخطبة حتى الخطيب الا أن مالكا أجاز الكلام للخطيب خاصة بما فيه مصلحة للصلاة كنحو زجر الداخلين عن تخطى الرقاب وان خاطب انسانا بعينه جاز لذلك الانسان أن يجيبه وقال الشافعى فى الام لا يحرم عليهما بل يكره وعن أحمد نحوه والرواية المشهورة عن أحمد أنه يحرم على المستمع دون الخطيب ومنه قول الشافعى لا تصح الجمعة الا فى أبنية يستوطنها من تنعقد بهم الجمعة من بلدة أو قرية مع قول أبى حنيفة انها لا تصح الا فى مصر جامع لهم سلطان ومنه قول الشافعى وأحمد ان الجمعة لا تنعقد الا بأربعين مع قول أبى حنيفة انها تنعقد بأربعة ومع قول مالك انها تصح بما دون الاربعين غير أنها لا تجب على الثلاثة والاربعة ومع قول الاوزاعى وأبى يوسف انها تنعقد بثلاثة ومع قول أبى ثور انها كسائر الصلوات ومنه قول الائمة الثلاثة انها لا تصح الا فى وقت الظهر مع قول أحمد بصحة فعلها قبل الزوال ومنه اتفاق الائمة الاربعة على أن الخطبتين قبل الصلاة شرط فى صحة انعقاد الجمعة مع قول الحسن البصرى هما سنة ومنه قول الشافعى ومالك فى أرجح روايتيه انه لا بد من الاتيان فى خطبة الجمعة بحمدلة وتصلية ووصية بتقوى الله وقراءة آية مفهمة والدعاء للمؤمنين والمؤمنات مع قول أبى حنيفة ومالك فى احدى روايتيه انه لو سبح أو هلل أو قال الحمد لله ونزل كفاه خلافا لابى يوسف ومحمد فقالا لا بد من كلام يسمى خطبة فى العادة ومنه قول مالك والشافعى بوجوب القيام على القادر فيهما مع قول أبى حنيفة وأحمد بعدم وجوبه ومنه قول الشافعى بوجوب الجلوس بين الخطبتين مع قول غيره بعدم الوجوب ومنه قول الشافعى وأحمد يستحب للخطيب اذا صعد المنبر أن يسلم على الحاضرين مع قول أبى حنيفة ومالك ان ذلك مكروه ومنه قول أبى حنيفة ومالك فى أرجح روايتيه لا يجوز أن يصلى بالناس فى الجمعة الا من خطب الا لعذر فيجوز مع قول مالك فى الرواية الاخرى انه لا يصلى الا من خطب ومع قول الشافعى فى أرجح قوليه بجواز ذلك وهو احدى الروايتين عن أحمد ومنه أن الجنب لو اغتسل بنية غسل الجنابة والجمعة معا أجزأه مع قول مالك انه لا يجزئه عن واحد منهما ومنه قول

الائمة الاربعة انه لا يجوز تعدد الجمعة فى بلد الا اذا كثروا وعسر اجتماعهم فى مكان واحد قال مالك واذا أقيمت فى جوامع فالقديم أولى وليس للامام أبى حنيفة فى المسئلة شىء ولكن قال أبو يوسف اذا كان للبلد جانبان جاز فيه اقامة جمعتين وان كان لها جانب واحد فلا تجوز وعبارة الامام أحمد واذا عظم البلد وكثر أهله كبغداد جاز فيه جمعتان وان لم يكن لهم حاجة الى أكثر من جمعة لم يجز وقال الطحاوى يجوز تعدد الجمعة فى البلد الواحد بحسب الحاجة ولو أكثر من جمعتين وقال داود الجمعة كسائر الصلوات يجوز لاهل البلد أن يصلوها فى مساجدهم اه

(خاتمة) قال الحصكفى فى الدر المختار وتؤدى فى مصر واحد بمواضع كثيرة مطلقا أى سواء كان المصر كبيرا أولا وسواء فصل بين جانبيه نهر كبير كبغداد أولا وسواء قطع الجسر أو بقى متصلا على المذهب وعليه الفتوى وعلى القول المرجوح من عدم الجواز فى أكثر من موضعين فالجمعة لمن سبق وتفسد بالمعية والاشتباه فيصلى بعدها آخر ظهر وكل ذلك خلاف المذهب قال فى البحر وقد أفتيت مرارا بعدم صلاة الاربع بعدها بنية آخر الظهر خوف اعتقاد عدم فرضية الجمعة وهو الاحتياط فى زماننا وأما من لا يخاف عليه مفسدة منها فالاولى أن تكون فى بيته خفية وقال العلامة ابن عابدين نقل المقدسى عن المحيط كل موضع وقع الشك فى كونه مصرا ينبغى لهم أن يصلوا بعد الجمعة أربعا بنية الظهر احتياطا حتى انه لو لم تقع الجمعة موقعها يخرجون عن عهدة فرض الوقت باداء الظهر ومثله فى الكافى اه باقتصار فاختر لنفسك من هذين القولين ما يحلو لديك وسلام الله علينا وعليك وليعلم أن من أعظم القرب يوم الجمعة التصلية والتسليم على نبينا وشفيعنا الذى هو بالمؤمنين رؤف رحيم قال كثير من العلماء انها عليه فيه أفضل من قراءة القرآن العظيم والصلاة عليه واجبة لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى ابن ماجه ٢ وغيره عن أوس بن أوس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بليت فقال ان الله تعالى حرم على الارض أن تأكل أجسامنا وعن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى وعن عمار ابن ياسر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وكل بقبرى ملكا أعطاه اسماع الخلائق فلا يصلى على أحد الى يوم القيامة الا بلغنى باسمه واسم أبيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك وعن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكثروا على من الصلاة فى يوم الجمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى على فى يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وعن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فخطئ الصلاة على خطئ طريق الجنة وعن على كرم الله تعالى وجهه كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وروى فى الحديث الصحيح أنه قيل له عليه الصلاة والسلام كيف نصلى عليك يا رسول الله قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد فعليكم عباد الله باقامة الجمعة والصلاة والتسليم على رسول الله لتنالوا الاجر العظيم فما أشرف من أكرمه المولى الكريم وما أعلى من مدحه فى الكلام القديم وما أسعد من خصه بالتشريف والتكريم وما أقرب من أهله للفوز والتقديم وما أجل من أثنى عليه العزيز الرحيم ان الابرار لفى نعيم نعموا فى الدنيا بالاخلاص والطاعة وفازوا يوم القيامة بالربح فى البضاعة ولبسوا ثياب التقى وارتدوا بالقناعة وداوموا فى الدنيا على السهر والجماعة

٢ ماجه بسكون الهاء فلا تغفل اه منه

فبا فخرهم اذا قامت الساعة وقد قربت لهم مطايا التكريم ان الابرار لفى نعيم نعموا فى الدنيا بالوحدة والخلوة واعتذروا فى الاسحار من زلة وهفوة وحذروا من موجبات الابعاد والجفوة أولئك هم المختارون الصفوة الصدق قرينهم والصبر نديم ان الابرار لفى نعيم طالما تعبت أبدانهم بين الجوع والسهر وكفت جوارحهم عن اللهو والاشر وحبسوا أغراضهم عن الكلام والنظر وانتهوا عما نهاهم وامتثلوا ما أمر وتقبلوا مفروضاته بالسمع والبصر واستعدوا من الزاد ما يصلح للسفر فالخوف يقلقهم فيمنعهم قضاء الوطر والعبرة تجرى والقلب قد اعتبر فيا حسنهم فى جوف الليل وقت السحر السر صاف والحال مستقيم ان الابرار لفى نعيم جن الظلام قربت مطاياهم وجاء السحر فوفرت عطاياهم فسبحان من اختارهم من الكل واصطفاهم فليس المقصود بالمحبة من الخلق سواهم أزعجتهم عواصف المخافة فتداركهم من الرجاء نسيم ان الابرار لفى نعيم قصورهم فى الجنان عالية وعيشتهم فى القصور صافية وهم فى عفو ممزوج بعافية وقطوف الاشجار من القوم دانية وأقدامهم على أرض من المسك ساعية وأبدانهم من السندس والاستبرق كاسية والعيش لذيذ والملك عظيم ان الابرار لفى نعيم رضى عنهم جبارهم وأشرقت برضاه دارهم وارتفعت من كل وجه أكدارهم ووردت فى الجنان أشجارهم واطردت تحت القصور انهارهم فرغت على الورق أطيارهم فالملائكة تخصهم بالتسليم والعيون تجرى من رحيق وتسنيم والملك قد وصفهم فى كلامه القديم ان الابرار لفى نعيم

المجلس الثالث والعشرون

(فى الصلاة على الميت وما يتعلق به)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الحى القيوم الباقى وغيره لا يدوم رفع السماء مزينة بالنجوم وأمسك الارض بجبال فى التخوم بنى بحكمته هذه الجسوم ثم أماتها ومحا الرسوم ثم ينفخ فى الصور فاذا الهالك يقوم فالمؤمن الى جنة لذيذة المطعوم والمشموم والكافر الى نار يلقى منها عذاب السموم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم أحمده حمدا يبلغ أقصى المروم وأقر بوحدانيته لا كاعتقاد المحروم وأصلى على رسوله محمد عدد قطرات الغيوم وعلى أبى بكر الذى ذكره للمبغض شجا فى الحلقوم وعلى عمر الذى عم بعدله الخصوص والعموم وعلى عثمان التقى الشهيد المظلوم وعلى أخيه وابن عمه على باب مدينة العلوم وعلى بقية الصحابة الذين كل منهم مأموم *(أما بعد)* فنروى بسندنا الى الامام الهمام أبى عبد الله محمد بن اسمعيل بن بردزبه الجعفى البخارى فانه قال فى كتابه الصحيح الحرى بالترجيح باب اتباع الجنائز من الايمان حدثنا أحمد بن عبد الله المنجوفى قال حدثنا روح قال حدثنا عوف عن الحسن ومحمد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من تبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فانه يرجع بقيراط (فنقول) وبالله تعالى التوفيق فى هذا الحديث فوائد *(الاولى)* الحث على الصلاة على الميت واتباع جنازته وحضور دفنه قال السفيرى حض الشارع على التواصل فى الحياة بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك وحض على التواصل بعد الموت بالصلاة والتشييع الى القبر والدعاء له والتشييع الى القبر من حق المسلم على المسلم وقد وردت الاخبار ودلت الآثار على أن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب والاوزار لمن تبع جنازة المؤمن الى قبره قال فى البرزخ أخرج ابن أبى الدنيا عن أبى عاصم حديثا مرفوعا ان أول ما يتحف به المؤمن فى قبره أن يقال له أبشر فقد غفر لمن تبع جنازتك وأخرج عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن خرج فى جنازته وأخرج البزار وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبعه وأما الاحاديث الواردة فى أن التشييع من حق المسلم على المسلم فكثيرة منها ما فى كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى قال روى الامام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المسلم أخو

المسلم لايظلمه ولايخذله والذى نفسى بيده ماتوادّ اثنان فيفرق بينهما الابذنب يحدثه أحدهما وللمسلم على المسلم ست يشمته اذا عطس و يعوده اذا مرض و ينصحه اذا غاب أوشهد و يسلم عليه اذا لقيه و يجيبه اذا دعاه و يتبعه اذا مات وفى رواية ان هذه الست واجبة فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا وروى الامام أحمد عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة ومما حض عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة المصلين فقد روت عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الاشفعوا فيه وفى رواية ابن عمر مامن رجل يصلى عليه مائة الاغفر الله تعالى له وفى رواية أمة من الناس قال بعضهم هى أربعون وكذلك رغب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الثناء على الميت ان كان أهلا فقد روى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم واسألوا الله بالتثبيت فانه الآن يسئل وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مامن مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الادنين أنهم لايعلمون الاخيرا الاقال الله تعالى قد قبلت علمكم فيه وغفرت له مالاتعلمون وروى البزار عن عامر بن ربيعة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مات العبد والله تعالى يعلم منه شرا ويقول الناس خيرا قال الله عزوجل لملائكته قد قبلت شهادة عبادى وعفوت له على فيه وروى أبوداود عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم *(الفائدة الثانية)* قال الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السفيرى الحلبى فى شرحه لهذا الحديث ان القيراط الذى يحصل بالصلاة على الميت احتسابا لوجه الله وطلبا للثواب و بحضور دفنه اسم لمقدر من الثواب يقع على القليل والكثير بين فى هذا الحديث أنه مثل أحد وفى رواية الحاكم القيراط أعظم من أحد وفى أخرى له فى الميزان أثقل من أحد والمقصود من قوله عليه الصلاة والسلام فانه يرجع من الاجر بقيراطين أنه يرجع بحصتين من جنس الاجر وأحد جبل بجنب المدينة على نحو ميلين منها وانما خصه بالذكر لانه أعظم جبالها وكان يحبه عليه الصلاة والسلام و يقول جبل أحد يحبنا ونحبه والذى يستفاد من الحديث أن من شهد جنازتين من مكانهما الى المصلى وصلى عليهما صلاة واحدة فان تعدد مكانهما حصل له بكل واحدة قيراط بلاشك وان اتحد مكانهما ومشى معهما حتى صلى عليهما صلاة واحدة فالظاهر أنه يحصل له قيراط بكل ميت نظرا الى التعدد وذهب بعض العلماء الى أنه قد يحصل للمشيع أربعة قراريط لحديث من أوذن أى أخبر بجنازة فأتى أهلها فعزاهم كتب الله تعالى له قيراطا فان شيعها كتب الله تعالى له قيراطين فان صلى عليها كتب الله له ثلاثة قراريط فان شهد دفنها كتب الله له أربعة قراريط القيراط مثل احد والمعنى أن ذلك يكون فى ميزان عمله يوم القيامة واعلم أن ظاهر الحديث يدل على أن لمن حضر الدفن أن ينصرف بغير اذن أهل الميت وحكى عن مالك عدم الانصراف الا بالاذن *(الفائدة الثالثة)* اختلفوا اهل المشى خلف الجنازة أفضل أم أمامها فالامام الاعظم قال ان المشى خلفها أفضل لانها متبوعة ففى صحيح البخارى عن البراء بن عازب أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع الجنازة وعن على كرم الله تعالى وجهه قدمها بين يديك واجعلها نصب عينيك فانما هى موعظة وتذكرة وعبرة الا أن يكون خلفها نساء فالمشى أمامها أحسن و يكره خروجهن تحريما وقال الائمة الثلاثة المشى قدامها أفضل لما روى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والشيخين كانوا يمشون أمامها ولأنهم كالشافعين لها قال الحصكفى الحنفى فى الدر المختار واذا حمل الجنازة وضع ندبا مقدمها على يمينه عشر خطوات لحديث من حمل جنازة أربعين خطوة كفرت عنه أربعين كبيرة ثم وضع مؤخرها على يمينه كذلك ثم مقدمها على يساره ثم مؤخرها كذلك فيقع الفراغ خلف الجنازة فيمشى خلفها (مسائل منثورة) استفيد من الاحاديث المتقدمة فرضية الصلاة على الميت كفاية فيأثم أهل البلدة جميعهم بتركها ولذا قيل ان فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأن فى أداء فرض الكفاية يرتفع الاثم عن جميع الناس ومنها أن اللغط والكلام يكرهان خلف الجنازة ومنها أن الغاسل ومن

حضر اذا رأوا ما يكره ذكره من حال الميت لم يجز أن يذكروه الا اذا كان صاحب بدعة لينزجر غيره ومنها الترغيب فى تغسيله وتكفينه وحفر قبره فقد روى الطبرانى وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من حفر قبرا بنى الله له بيتا فى الجنة ومن كفن ميتا كساه الله تعالى من حلل الجنة حلتين لاتقوم لهما الدنيا ومن كفل يتيما أو أرملة أظله الله تعالى فى ظله وأدخله الجنة وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى يتعرض لكل خير ومنها أن من رأى جنازة فلا يقم فالقيام منسوخ وليقل مارواه الطبرانى عن ابن عمر هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله اللهم زدنا ايمانا وتسليما فاذا قال ذلك كتب له عشرون حسنة وفى رواية يقول سبحان الحى الذى لايموت ومنها كما نقله السفيرى أنه يكره أن تتبع الجنازة بنار فى مجمرة أوغيرها ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع عليه وكذا يكره أن يكون عند القبر مجمرة ولذا قال ابن حجر ايقاد السرج والشموع فى المقابر حرام ٢ بل عد ذلك بعضهم من الكبائر (قلت) ولعل لنا عودة الى هذا البحث فى الدروس الآتية ان شاء الله تعالى ومنها أن تعزية أهل المصيبة أمر مسنون فقد روى ابن ماجه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله تعالى من حلل الكرامة يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من عزى مصابا فله مثل أجره والتعزية أن يقول أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك ولابأس بل يستحب باتخاذ طعام لهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم مايشغلهم لانه بر ومعروف وليلح على أهل المصيبة بالاكل لان الحزن مانعهم ويكره اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت لانه شرع فى السرور وفى البزازية ويكره اتخاذ الطعام فى اليوم الاول والثالث وبعد الاسبوع ونقل الطعام الى القبر فى المواسم واتخاذ الدعوة لقراءة القرآن مكروه والحاصل أن اتخاذ الطعام عند قراءة القرآن لاجل الاكل مكروه وان اتخذ طعاما للفقراء كان حسنا قال فى المعراج وهذه الافعال كلها للسمعة والرياء فيحترز عنها لانهم لايريدون بها وجه الله تعالى ولابأس بالجلوس للتعزية للرجال لاللنساء قطعا وبزيارة القبور للرجال قيل وللنساء قال الخير الرملى ان كان لتجديد الحزن والبكاء فلا لحديث لعن الله زائرات القبور ومن علق التمائم والخرز وان كان للاعتبار والترحم فلا باس اذا كن عجائز قال فى الدر المختار ولابأس بزيارة القبور ولو للنساء لحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين انا ان شاء الله بكم لاحقون ويقرأ يس وفى الحديث من قرأ الاخلاص احدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للاموات أعطى من الاجر بعدد الاموات اهـ قال العلامة شيخ مشايخنا السيد محمد أمين بن عابدين فى حاشيته تندب زيارة القبور وتزار فى كل أسبوع ونقل عن شرح لباب المناسك أن الافضل يوم الجمعة والسبت والاثنين والخميس فقد قال محمد بن واسع الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده فتحصل أن يوم الجمعة أفضل ثم هل تندب الرحلة للزيارة كما اعتيد من الرحلة الى زيارة خليل الرحمن وأهله واولاده وزيارة السيد البدوى وغيره من الاكابر لم أر من صرح به من أئمتنا ومنع منه بعض أئمة الشافعية الالزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاث يعنى الوارد فيها قوله عليه الصلاة والسلام لاتشد الرحال الا الى ثلاث المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا خلافا للغزالى اهـ والبحث فى هذه المسألة طويل وقد حققناه فى كتابنا جلاء العينين بمازيل الغين والرين ومنها أنه يجب على المسلم أن يعتقد سؤال القبر قال فى الامالية

وفى الاجداث عن توحيد ربى * سيبلى كل شخص بالسؤال

لحديث البخارى عن أنس مرفوعا قال العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقول انظر الى

٢ أى لان ذلك اسراف وتفاؤل بالنار اهـ منه

مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت فيضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين قال الوالد عليه الرحمة وفيه ما يدل على عمومه المؤمن والكافر وبه قال القرطبى وابن القيم وعبد الحق والجمهور وقالوا بدخول الجنى فى العموم وقال ابن عبد البر فى التمهيد ان الكافر لا يسئل وانما يسئل المؤمن والمنافق قال الحافظ بن حجر الروايات مجتمعة معنى على ان كلا من الثلاثة يسئل وهل هو من خواص هذه الامة أم لا قولان وجزم ابن عبد البر والترمذى فى النوادر بالاختصاص وقال ابن القيم كل نبى مع أمته كذلك وتوقف ابن الفاكهانى فى أهل الفترة والمجانين والبله قال الجلال ومقتضى كلام الروضة أنه لا يسئل الا المكلفون أى من الانس والجن والا فالملك وان عد مكلفا لا يسئل كما استظهره الحافظ بن حجر وفى دعوى الاختصاص بالمكلفين نظر فقد جزم القرطبى وجماعة بسؤال الاطفال وهو أحد قولى الحنابلة والحنفية والآخر أنهم لا يسئلون واختاره الجلال تبعا لشيخه وقيد ابن حجر الطفل المختلف فيه بغير المميز وتوقف الامام أبو حنيفة فى سؤال الاطفال المشركين كدخولهم الجنة والحق أن الانبياء عليهم السلام لا يسئلون بل لا ينبغى أن يكونوا محل خلاف وكذا لا يسئل المرابط والملازم قراءة تبارك كل ليلة والميت ليلة الجمعة أو يومها والميت بالطاعون والشهيد الى آخرين لاحاديث خصصت أحاديث العموم والسؤال عن العقائد فقط يقول الملك للميت من ربك وما دينك وما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم وفى رواية زيادة ومن أبوك وما قبلتك وفى أخرى الاقتصار على بعض المذكورات وجمع باختلاف أحوال المسؤلين وبان بعض الروايات اقتصر وبعضا أتم وهو للروح والبدن على الصحيح وفى حديث أسماء ان العبد يسئل ثلاثا وجزم الجلال فى رسالة مفردة فى المسئلة بان المؤمن يسئل سبعة أيام والكافر أربعين صباحا ووقت السؤال أول يوم بعد تمام الدفن فيمن يدفن وعند انصراف الناس ويتولى السؤال ملكان على المشهور وجزم الجلال بانهما يأتيان معا ولا يتولاه الا أحدهما وهما منكر ونكير للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح وقيل للكافر والعاصى وللطائع مبشر وبشير ومعهما آخر يقال له ناكور قيل ويجىء قبلهما ملك يقال له رومان وحديثه قيل موضوع وقيل فيه لين ولم يثبت حضور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند السؤال نعم ثبت حضور ابليس عليه اللعنة فى زاوية من القبر يشير الى نفسه عند قول الملك للميت من ربك والحكمة فى السؤال هتك ستر المنافق ونوع تعذيب للكافر وتذكرة للمؤمن المكلف ومباهاة بالطفل الى أمور يعلمها الله تعالى وبقيت أبحاث أخر طوينا على غرها واذا وقع البحث عنها نشرناها اه وذكر بعض العلماء أن الشهداء الذين لا يسئلون كثيرون ومنهم المطعون بالرمح والمطعون والمبطون والنفساء والحرق والغرق وذات الجنب والسل والهدم وسادن بيت المقدس أى خادمه والقارئ فى مرض موته قل هو الله أحد اه ومنها التلقين قال فى الدر المختار ويلقن ندبا وقيل وجوبا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانه ليس مسلم يقولها عند الموت الا أنجته من النار بذكر الشهادتين عند المحتضر أى يجب على اخوانه وأصدقائه أن يلقنوه ذلك من غير أمره بها لئلا يضجر أى ويردها والعياذ بالله تعالى ويندب قراءة يس والرعد ولا يلقن بعد تلحيده وان فعل لا ينهى عنه وفى الجوهرة انه مشروع عند أهل السنة وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه امر بالتلقين بعد الدفن فيقول يا فلان بن فلان اذكر دينك الذى كنت عليه من شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن الجنة حق والنار حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وأنك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا اه مزادا من الحاشية وليعلم أن العلامة ابن حجر قد عد جملة مما يتعلق بهذا البحث من الكبائر فمنها كسر عظم الميت والجلوس على قبره أخرج أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال كسر عظم الميت ككسره حيا وروى الامام مسلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر وروى ابن ماجه لأن أمشى على جمرة أو سيف أو أخصف نعلى برجلى أحب الى

من أن أمشى على قبر ومنها النياحة وشق الجيوب ونحو ذلك فعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه قال بعض العلماء أى اذا أوصى بذلك يعذب وأخرج الشيخان ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وفى رواية برئ من النائحة والحالقة لرأسها عند المصيبة روى ابن ماجه النائحة اذا ماتت ولم تتب قطع الله تعالى لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار والطبرانى أن هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين فى جهنم صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب وعن أبى سعيد الخدرى لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النائحة والمستمعة وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سمع صوت بكاء رجل فدخل ومعه غيره فمال عليهم ضربا حتى بلغ الى النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال اضرب فانها نائحة ولا حرمة لها انها لا تبكى بشجوكم انها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم وانها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياءكم فى دورهم لانها تنهى عن الصبر وقد أمر الله تعالى به وتأمر بالجزع وقد نهى الله تعالى عنه قال العلماء أما البكاء على الميت بلا رفع أصوات فليس فيه بأس فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم بهذا وأشار الى لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرج الشيخان أنه رفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ابن لابنته وهو فى الموت ففاضت عيناه فقال سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده وانما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء وروى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون وليعلم أنه ينبغى لمن ابتلى بمصيبة بميت أو غيره وان خفت أن يكثر من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها لخبر مسلم ان من قال ذلك آجره الله وأخلف له خيرا منها ولانه تعالى وعد من قال ذلك بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وانهم لمهتدون أى للترجيع أو الجنة أو الثواب وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ان من حمد الله واسترجع عند موت ولده أمر الله تعالى ملائكته أن يبنوا له بيتا فى الجنة يسمونه بيت الحمد وفى حديث آخر ان الولد الصغير اذا مات كان حصنا لأبويه من النار وفى حديث آخر يفتح لهما باب الجنة اه فيا من يظن أنه بالمنى ظافر وقد علقت به من المنون أظافر يا من نقصه على الدوام وافر أين زادك قل لى يا مسافر ويحك اذكر الغاسل ولا تنس الحافر واعجبا لك أمؤمن أنت أم كافر يا ساكن الدنيا أتعمر منزلا لم يبق فيه مع المنية ساكن

الموت شئ أنت تعلم أنه * حق وأنت بذكره متهاون
ان المنية لا تؤامر من أتت * فى نفسه يوما ولا تستاذن

فانظروا اخوانى الى المقابر فاللبيب يرى الآخر فأى صحيح من الدنيا لم يمرض وأى بناء شيد فلم ينقض يا عجبا لمصاب فيها بالملمات انزعج أما تعلم أن من دخل دار غيره خرج فتفكروا فى الراحلين واعتبروا بالسالفين وتاملوا بالبصائر حال الدفين وتأهبوا فأنتم والله فى أثر الماضين أين الاخلاء وأين الاخوان أين الرفقاء والاقرباء وأين الاقران رحلوا عنا الى أبعد الاوطان وبنوا فى القلوب بيوت الاحزان وقد مضت الاعمار فى الذنوب وامتلأت عيب القلوب بالعيوب وما راقبتم عالم الغيوب وأعظم المصائب فقد الطبيب وأعظم العظائم غفلة المطلوب فهل فيكم من يغسل درن ذنوبه بدمعه هل منكم معتذر من قبيح صنعه أين المذكر حلول الموت بربعه أين من يزرع فهذا أوان زرعه تالله لو حضرت القلوب لطابت غير أنها غائبة ولو صدقت اليوم لقبلت لكنها كاذبة كيف بكم اذا فاز الأبرار وخبتم وحضر المتقون وغبتم كم ضيعتم الاوقات النفيسة ولعبتم ولو سمعتم وصفكم من غيركم لعبتم أما الموت عن قليل يأتيكم أما اللحود بعد أيام مثاويكم أما يوم القيامة غدا يجمعكم كم بارزتم خالقكم بذنب وما استحييتم كم خوفتم من العذاب وما ارعويتم أنسيتم أن الله يعلم

ما أخفيتم فاحذروا من الدنيا فان حسن الدنيا زور وانها التودع من أول ما تزور انما هى قنطرة للعبور وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اللهم أيقظ قلوبنا من رقدات الآمال وذكرنا قرب الرحيل ودنو الآجال وصبرنا على أقوم الامور وأشرف الخصال وثبت قلوبنا على الايمان وتوفنا جميعا على الاسلام ووفقنا لصالح الاعمال ونجنا من جميع الاهوال وآمنا من الفزع الاكبر يوم الرجف والزلزال وبارك لنا فى الاعمار والاولاد والاموال ولا تقطع منا فى الحياة والممات صالح الاعمال واشف بلطفك مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا وأصلح شأننا كله وارحم كافة المسلمين والمسلمات برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المجلس الرابع والعشرون

(فى الاستعداد للموت وما يتعلق بذلك)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل الدنيا معبرا اعتبار يفتقر ملاح سفينتها الى حذق واصطبار ولم يرضها الاولياؤه فبنى لهم دارا غير هذه الدار وبالغ فى ذمها ويكفى ما فيها من الآثام والاكدار غير أنه زينها بالدول والاموال للمالك والنظار فبيناهى فى صعود الزيادة اذ صاحبها الى القبر فى انحدار وغربان البين قامت تندب الآثار ذلك متاع الحياة الدنيا وهل المتاع الاعارية تعار أما سمعتم عيوب العاجلة اذ بينما تجرى براكبها عثرت به أى عثار قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار أحمده عدد الرمل فى القفار وأقر بوحدانيته أصح اقرار وأصلى وأسلم على رسوله محمد الذى مذ أقبل وقع الكفر فى ادبار وعلى جليسه وانيسه فى الدار والغار وعلى عمر الذى فتح بهيبته الاقطار وعلى عثمان قائم الليل والدموع غزار وعلى على معشوقنا وما على عاشق على من عار وعلى عمه العباس آخذ البيعة له على الانصار وعلى بقية الصحابة والتابعين الاخيار *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه ومبين خطابه حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت الآية (فنقول) وبالله تعالى التوفيق هذا يقوله من يسأل الرجعة للملائكة الذين يقبضون الارواح والمعنى ارجعون الى الدنيا لعلى أعمل صالحا فيما تركت من العمل الذى مضى وقوله تعالى كلا أى لا يرجع الى الدنيا انها يعنى مسئلة الرجعة كلمة هو قائلها أى هى كلام يقوله لا فائدة فيه ولا نفع وقوله تعالى ومن ورائهم أى أمامهم وبين أيديهم فالوراء بمعنى القدام برزخ الى يوم يبعثون قال الزجاج البرزخ فى اللغة الحاجز وهو ههنا ما بين موت الميت وبعثه واعلموا أنه جدير بمن بين يديه الموت أن يكثر ذكره كما قال عليه الصلاة والسلام أكثروا ذكر هاذم اللذات ٢ وأن يعد نفسه من الموتى لأن كل آت قريب قال العلامة ابن الجوزى فى التبصرة ثم ان الناس فى ذكر الموت على ضربين أحدهما أهل الغفلة فمنهم من لا يذكره فان عرض له ذكره صرف ذلك عن قلبه ومنهم من اذا عرض له ذكره حزن لفراق الدنيا ونقض البنية فهذان داخلان فى حزب الغافلين الجاهلين والثانى أهل اليقظة وهم منقسمون الى خائف منه اما بالطبع واما لانه لا يرضى عمله واما لأنه باب الجزاء على الاعمال فان آدم عليه السلام كره الموت والخليل عليه السلام كره الموت وموسى عليه السلام لطم عين ملك الموت لكراهية الموت وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وكان ابن سيرين اذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته وكان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله وانتفض انتفاض الطير وقد كان فى الصالحين من يغلب شوقه الى ربه على خوفه من الموت فيؤثر الموت لانه موعد لقاء الحبيب قال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وفيهم من يكره الموت ليصحح العمل وفيهم من تخايل شدائد الموت فقوى حذره فالشدة الاولى تقوى فى حق الغافلين وهى مفارقة المال والولد

٢ بالذال المعجمة أى قاطع وآكل بسرعة اهـ منه

وهى خفيفة عند المتيقظين لاشتغالهم عما هو أهم والشدة الثانية رؤية الاعمال قال أبو جعفر محمد بن على ليس من ميت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة فيشخص الى حسناته ويطرق عند سيآته وقال مجاهد ما من ميت الا عرض عليه جلساؤه ان كانوا أهل ذكر وان كانوا أهل لهو والشدة الثالثة حسرات الفوت حين لا يمكن الاستدراك وهذه أشد شدة على المتيقظين ويقال ان الميت يقول لملك الموت أخرنى يوما فيقول ذهبت الايام فيقول أخرنى ساعة فيقول ذهبت الساعات قال قتادة والله ما يتمنى أن يرجع الى أهل ولا عشيرة ولكن يتمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله والشدة الرابعة معاينة ملك الموت وهى حالة عظيمة قال ابراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت أرنى كيف تقبض أرواح الكفار قال لا تطيق قال بلى قال فاعرض فأعرض ثم نظر فاذا هو برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة فى جسده الا فى صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهيب النار فغشى على ابراهيم فلما أفاق قال لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن الا صورتك لا كفى فأرنى كيف تقبض أرواح المؤمنين قال اعرض فأعرض ثم التفت فاذا برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فى ثياب بيض كما قدمنا هذا فى بعض الدروس والشدة الخامسة ألم الموت روى أن موسى عليه السلام لما توفى قيل له كيف وجدت طعم الموت قال كسفود ١ أدخل فى جزة صوف فانسل وفى صحيح البخارى من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات وعن أبى حسين البرجمى مرفوعا قال احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحكيم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع وان ابليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد فى ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الاحبة ولا تعظوهم فان الكرب شديد والامر عظيم والذى نفس محمد بيده لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وما من ميت يموت الا وكل عرق منه يألم على حدته وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه والذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش وقال شداد بن أوس لو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وقال وهب لو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الارض لاوسعهم ألما وسئل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت وابن آدم يضطرب من القرصة فقال ان الملائكة توثقه والشدة السادسة رؤية المجرمين مواضعهم من النار وخوف هذا كان يقلق الصالحين عند النزع فيندبون كل شدة فى جانبه قال على رضى الله تعالى عنه ما تخرج نفس ابن آدم حتى يعلم أن مصيره الى جنة أم الى نار وبكى ابراهيم النخعى عند الموت فقيل له ما يبكيك قال أنتظر رسل ربى اما الى الجنة واما الى النار والشدة السابعة أم الشدائد وهى سوء الخاتمة أعاذنا الله تعالى واياكم منها وأماتنا على الايمان الكامل بمنه وكرمه وقد فسروها بشيئين أحدهما أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أحوالها اما الشك واما الجحود فتخرج الروح فى حالة غلبة تلك الآفة فيلقى الله تعالى فى حزب الكفار نعوذ بالله تعالى من ذلك والثانى أن يغلب على القلب حينئذ حب الدنيا وشهواتها فتخرج الروح فى حالة استغراق تلك الحالة فيعمى بذلك عن تدارك زلة أو تأهب للقاء الحق وذلك حجاب يوجب الطرد عن التقريب بعد الممات وفى الحشر لان كل ميت يحشر على ما مات عليه ولله تعالى در القائل

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس * ولو تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت نافذة * فى كل مدرع منا ومترس
ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وثوب جسمك محفوظ من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

فاستعدوا اخوانى للممات قبل الفوات فقد روى أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قالوا وكيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل موته وعن البراء بن عازب

١ بالفاء والدال على وزن تنور وهو الحديد الذى يشوى به اللحم اهـ منه

رضى الله تعالى عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما
يلحد فجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكت به الارض
فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع من الدنيا
واقبال على الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة
وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس
المطمئنة اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فاذا أخذها
لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة
مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح
الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا
فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى الى السماء السابعة فيقول
الله تبارك وتعالى اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الارض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها
أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله
فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له
وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة
والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه
رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من
أنت فوجهك الذى يجىء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى
ومالى قال وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود
الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة
اخرجى الى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها
فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه
الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان
بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فيقول الله عز وجل
اكتبوا كتاب عبدى فى سجين فى الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من
السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له
من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولون ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولون له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم
فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد أن كذب عبدى فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها
وسمومها ويضيق قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى
يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الذى يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب
لا تقم الساعة وفى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار
فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة وقال كعب اذا وضع العبد الصالح فى قبره
احتوشته أعماله الصالحة فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد
أطال القيام لله عز وجل فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا
فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله تعالى لا سبيل

لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت
فى يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه فيقال له نم هنيأ طبت حيا وميتا قال ويأتيه ملائكة الرحمة
فيفرشونه فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى
يوم يبعثه الله عز وجل من قبره اه باختصار ولنذكر من الكبائر التى ذكرت فى الزواجر والابحاث الفقهية المتعلقة
بهذه الابحاث فمنها كراهة لقاء الله تعالى أخرج الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقلت يا نبى الله أما كراهة الموت فكلنا نكره الموت
فقال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله تعالى ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وأن الكافر
اذا بشر بعذاب الله تعالى وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه وفى أخرى ليس ذلك كراهة ولكن المؤمن اذا حضر جاءه
المبشر من الله فليس شئ أحب اليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه وأن الكافر أو الفاجر اذا حضر جاءه
ما هو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله تعالى لقاءه والطبرانى اللهم من آمن بك وشهد أنى رسولك فحبب
اليه لقاءك وسهل عليه قضاءك واقلل له من الدنيا ومن لم يؤمن بك ولم يشهد انى رسولك فلا تحبب اليه لقاءك
ولا تسهل عليه قضاءك وكثر له الدنيا ومنها الفرار من الموت والطاعون فقد روى عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم أنه قال الفار من الطاعون كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد وفى حديث آخر فناء أمتى
بالطعن والطاعون وهو وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة وروى أنه لما خرج عمر رضى الله تعالى عنه الى
الشام وبلغ سرغ ١ بلغه ان الوباء قد وقع بالشام فاستشار كبار الصحابة فلم يجدوا عند أحد منهم علما حتى جاء عبد الرحمن
ابن عوف رضى الله تعالى عنه فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا
وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر فقال له أبو عبيدة أفرارا من قدر الله فقال لو غيرك قالها يا أبا
عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله يعنى أمرنا الله تعالى بالتحرز من المهالك واستفراغ الوسع فى التوقى من
المكروهات وقال أكثر المفسرين فى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم هى قرية قرب واسط وقع بها الطاعون فخرج عامة أهلها وبقيت طائفة فلم
يبق منهم الا قليل مرضى فلما ارتفع الطاعون رجع الهاربون سالمين فقال المرضى هؤلاء أحزم منا نجوا لو صنعنا
كما صنعوا لنجونا ولئن وقع الطاعون ثانيا لنخرجن الى أرض لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها
وهم بضع وثلاثون ألفا حتى نزلوا واديا فظنوا النجاة فناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه أن
موتوا فماتوا جميعا وبليت أجسامهم فمر بهم حزقيل فوقع متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه تريد أن أريك
آية قال نعم فقيل له ناد أيتها العظام ان الله تعالى يأمرك أن تجتمعى فتطاير بعضها الى بعض حتى التأمت ثم أوحى
الله تعالى اليه أن نادها أيتها العظام ان الله تعالى يأمرك أن تكتسى لحما ودما ثم نادها ان الله تعالى يأمرك
أن تقومين فقاموا أحياء قائلين سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت ثم رجعوا الى قومهم وأمارات الموتى ظاهرة
عليهم فى وجوههم وأبدانهم الى أن ماتوا بعد متفرقين بحسب آجالهم ومنها تبديل الوصية روى الشيخان من
مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له وقال عليه الصلاة والسلام ترك
الوصية عار فى الدنيا وشنار فى الآخرة وروى ابن الجوزى فى التبصرة قال أبو بكر القرشى ان رجلا كان يحفر
القبور بالبصرة قال حفرت قبرا ووضعت رأسى قريبا منه فأتتنى امرأتان فى منامى فقالت احداهما انشدتك
الله الا صرفت عنا هذه المرأة ولم تجاورنا بها فاستيقظت فزعا فاذا جنازة امرأة قد جىء بها فصرفتهم الى غير ذلك
القبر فلما كان الليل اذا أنا بالمرأتين فى منامى تقول لى احداهما جزاك الله خيرا صرفت عنا شرا طويلا فقلت
ما بال صاحبتك لا تكلمنى كما تكلمينى أنت قالت ان هذه ماتت عن غير وصية وحق لمن ماتت عن غير وصية
أن لا تتكلم الى يوم القيامة اه قال العلماء والصدقة فى الحياة أفضل فقد روى لأن يتصدق المرء فى حياته

١ سرغ اسم موضع اه منه

وصحته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة درهم عند موته ومنها الاضرار فى الوصية و يقع على وجوه منها
أن يوصى بأكثر من الثلث أو يقر بكل ماله أو بعضه لاجنبى أو يقر على نفسه بدين لاحقيقة له أو يقبض دينا له على
الغير و يبيع شئ بأرخص أو يوصى بالثلث لا لوجه الله تعالى بل للاضرار للورثة روى عكرمة عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فيعدل فى الوصية فيختم له بخير
عمله فيدخل الجنة وقال عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله تعالى قطع الله ميراثه فى الجنة ومن الاضرار أن يوصى
على نحو أطفاله من يعلم من حاله أن يأكل مالهم أو يكون سببا لضياعه والاكبر من ذلك أن يجعل القاضى وصيا غير
أهل لقوله عليه السلام من ولى رجلا وفى رعيته من هو خير منه فقد خان الله ورسوله وعامة المسلمين اه وأما
المسائل الفقهية المتعلقة بالجنائز فنذكرها لكم على اختلاف المذاهب لتعرفوا الواجب والسنة والجائز قال
الشعرانى فى الميزان أجمع العلماء على أن الوصية مستحبة حال الصحة لكل من له مال أو عنده لاحد مال وعلى تأكدها
فى المرض وعلى انه اذا تيقن الموت وجه الميت للقبلة واتفقوا على أن غسل الميت فرض كفاية وعلى ان للزوجة أن
تغسل زوجها وعلى أن السقط اذا لم يبلغ أربعة أشهر لا يغسل ولا يصلى عليه وعلى أنه اذا استهل و بكى يكون حكمه
حكم الكبير وعن سعيد بن جبير أنه لا يصلى على الصبى مالم يبلغ وأجمعوا على أنه ان مات غير مختون لا يختن وعلى
أن الشهيد الذى مات فى قتال الكفار لا يغسل وعلى أن النفساء تغسل و يصلى عليها واتفقوا على أن الواجب
من الغسل ما تحصل به الطهارة وأن يكون الغسل وترا وأن يكون ندبا بسدر وفى الاخيرة كافور وعلى أن التكفين
مقدم على الدين والورثة واتفقوا على أن المحرم لا يطيب ولا يلبس المخيط ولا يخمر رأسه الا فى رواية لابى حنيفة
أن احرامه يبطل بموته فيفعل به ما يفعل بجميع الموتى واتفقوا على أن تكبيرات الجنازة أربع وعلى أن قاتل
نفسه يصلى عليه وانما الخلاف فى صلاة الامام عليه يعنى الاعظم واتفقوا على أنه لا يجوز حفر قبر الميت ليدفن
آخر الا اذا مضى زمان يبلى فى مثله واتفقوا على أن الدفن فى التابوت لا يستحب وأجمعوا على استحباب اللبن
والقصب فى القبر وعلى كراهة الآجر والخشب واتفقوا على أن السنة اللحد وأن الشق ليس بسنة واتفقوا على
أن الاستغفار للميت والدعاء له والصدقة والعتق والحج عنه ينفعه واتفقوا على أن من دفن بغير صلاة عليه يصلى
على قبره وعلى عدم كراهة الدفن ليلا مع قول الحسن البصرى بكراهته والله تعالى أعلم وأما ما اختلفوا فيه فمن
ذلك ان الاولى عند الشافعى أن يكون غسل الميت تحت السماء وقيل الاولى أن يكون تحت سقف ومن ذلك قول
الائمة أن غسل الميت بالماء البارد أولى الا لضرورة كبرد شديد ووسخ مع قول أبى حنيفة أن الماء المسخن أولى
بكل حال ولعل وجه الاول التفاؤل بالنعيم بقرينة نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن اتباع الجنازة بنار ومن ذلك
قول الثلاثة للزوج أن يغسل زوجته خلافا لابى حنيفة واذا ماتت امرأة لا زوج لها ولا غاسل يممت عند أبى
حنيفة ومالك وعلى الراجح من مذهب الشافعى وأحمد والرواية الاخرى عنهما أن الغاسل يلف على يده خرقة
و يغسلها قال الاوزاعى تدفن من غير غسل ولا تيمم ومن ذلك قول الثلاثة أنه يجوز للمسلم تغسيل قريبه الكافر
خلافا لمالك ومن ذلك قول الثلاثة أنه يستحب للغاسل أن يوضئ الميت كالحى و يسوك أسنانه و يدخل أصبعه
فى منخريه و يغسلهما مع قول أبى حنيفة أن ذلك لا يستحب وكذلك قالوا باستحباب ضفر شعر المرأة ثلاث ضفائر ثم
تلقى خلفها اذا غسلت مع قول أبى حنيفة أن الشعر يترك على حاله من غير ضفر ومن ذلك قول أبى حنيفة
والشافعى أن الحامل اذا ماتت وفى بطنها جنين حى يشق بطنها مع قول مالك فى احدى روايتيه وأحمد أنه لا يشق
ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد فى احدى روايتيه أنه يصلى على الشهيد مع قول مالك والشافعى أنه لا يصلى عليه
لاستغنائه عن شافع ومن ذلك قول الشافعى أن الصلاة لا تكره فى شئ من الاوقات المنهى عن الصلاة فيها مع
قول أبى حنيفة وأحمد أنها تكره فيها ومع قول مالك أنها تكره عند طلوع الشمس وعند غروبها فقط ومن ذلك
قول الشافعى وأحمد بعدم كراهة الصلاة على الميت فى المسجد مع قول أبى حنيفة ومالك بكراهة ذلك ١ ومن ذلك

فاذا أوصى جاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة
صح

١ أى لخوف نزول شئ منه فى المسجد اه منه

قول

قول الائمة الاربعة أن الطهارة شرط فى صحة الصلاة عليه مع قول الشعبى ومحمد بن جرير الطبرى أنها تجوز بغير
طهارة أقول وعند الحنفية يجوز التيمم وان وجد الماء اذا لم ينتظر ومن ذلك قول أبى حنيفة ومالك أنه لا يرفع
يديه فى التكبيرات الا فى الاولى مع قول الشافعى يرفع فى الجميع ومن ذلك قول الشافعى وأحمد أن قراءة الفاتحة
بعد التكبيرة الاولى فرض مع قول أبى حنيفة ومالك أنه لا يقرأ فيها شئ من القرآن (قلت) وعن بعض الحنفية أنه
يقرؤها خروجا من الخلاف وكذا يقرؤها خلف الامام فى سائر الصلوات لكن ذلك خلاف المفتى به ومن ذلك قول
الائمة الثلاثة أنه يسلم من صلاة الجنازة تسليمتين مع قول أحمد وهو المشهور عن مالك أنه يسلم واحدة عن يمينه
ومن ذلك قول أحمد أن من فاتته الصلاة على الميت يصلى على قبره الى شهر وهو مذهب جماعة من الشافعية مع قول
بعضهم أنه يصلى عليه مالم يبل وقيل ابدا وشرط أبو حنيفة ومالك فى صحة الصلاة على القبر أن يكون قد دفن قبل أن
يصلى عليه ومن ذلك قول الشافعى وأحمد بصحة الصلاة على الغائب مع قول أبى حنيفة ومالك بعدم صحتها ومن
ذلك قول الشافعى وأحمد اذا وجد عضو ميت غسل وصلى عليه مع قول أبى حنيفة ومالك أنه لا يصلى الا ان وجد أكثر
الميت ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى ان الامام يصلى على قاتل نفسه مع قول مالك وأحمد من قتل نفسه أو قتل
فى حد فان الامام لا يصلى عليه ومع قول أحمد لا يصلى الامام على ١ الغال ولا على قاتل نفسه ومع قول الزهرى لا يصلى
على من قتل فى رجم أو قصاص وكره عمر بن عبد العزيز الصلاة على من قتل نفسه وقال الاوزاعى لا يصلى عليه وعن
قتادة أنه لا يصلى على ولد الزنا وعن الحسن أنه لا يصلى على النفساء ومن ذلك قول مالك والشافعى فى أرجح قوليه
أن المقتول من أهل العدل فى قتال البغاة غير شهيد فيغسل و يصلى عليه مع قول أبى حنيفة أنه لا يغسل ٢ ولا يصلى
عليه وعن أحمد روايتان ومن ذلك قول الثلاثة أن من قتل ظلما فى غير حرب يغسل و يصلى عليه مع قول أبى حنيفة
انه ان قتل بحديدة لم يغسل وان بمثقل غسل وصلى عليه ومن ذلك قول الثلاثة ان من مات بالبحر ولم يكن بقربه ساحل
جعل بين لوحين وألقى فى البحر ان كان فى الساحل مسلمون وان كان فيه كفار ثقل وألقى فى البحر ليجعل بقراره مع
قول أحمد أنه يثقل و يرمى فى البحر بكل حال اذا تعذر دفنه ومن ذلك قول الثلاثة أن التسنيم للقبر أولى لان التسطيح
قد صار من شعار غير أهل السنة مع قول الشافعى فى أرجح القولين أن التسطيح أولى ومن ذلك قول الثلاثة بعدم
كراهة المشى بالنعال بين القبور مع قول أحمد بكراهته ومن ذلك قول أبى حنيفة ان التعزية سنة قبل الدفن لا بعده
و به قال الثورى مع قول الشافعى وأحمد أنها تسن قبله و بعده الى ثلاثة أيام ومن ذلك قول الثلاثة بكراهة
الجلوس للتعزية مع قول أبى حنيفة بعدم الكراهة ومن ذلك قول الائمة الثلاثة أن القبر لا يبنى ولا يجصص مع
قول أبى حنيفة بجواز ذلك ومن ذلك قول الائمة الثلاثة باستحباب القراءة للقرآن عند القبر مع قول أبى حنيفة
بكراهتها اه باختصار فيا أيها الاخوان تذكروا ما لا ينساكم وتفكروا فيما لابد أن يلقاكم واعمروا القبور فانها
مأواكم واحذروا الغرور فكم غرت دنياكم واعتبروا وافقدوا وعظكم من سوّاكم بسواكم

شغلتنا الدنيا بهاك وهات * ونسينا مصارع الاموات
نحن موتى وانما بين من يمـ * ـضى و يبقى تفاوت الاوقات

اخوانى أكثر أهل القبور فى تجاراتهم قد خسروا فمرّوا على القبور واعتبروا وتفكروا فى أحوالهم وانتظروا
يتمنون العود وهيهات ويسألون الرجوع وقد فات فيا مطلقا اذكر قيودهم ويا متحركا قد عرفت همودهم
خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب فانك بالغيبة والنميمة مطلوب وتذكر بقلبك يوم تقلب القلوب قبل أن
يمسك اللسان ويتحير الانسان ويزول العرفان وتنشر الاكفان وتزار الحفرة وتطول السفرة ويأتى منكر
ونكير ويقوى الشهيق والزفير ويلحق المذنب سلفه وينسى من خلفه ويبقى هنالك أسيرا الى أن يقوم
عريانا حسيرا فحينئذ تنتثر الكواكب وتنتشر المصائب وتنسد المذاهب وتتبين العجائب وتسود وجوه
ويفوت العاصى ما يرجوه وتثقل على الظهور الاوزار ويؤخذ الكتاب باليمين أو باليسار وليس هنالك لاحد

١ اى الآخذ السارق من الغنيمة اه منه ٢ فى نقله مخالفة بحسب الظاهر فليراجع اه منه

قرار الا الجنة أو النار فاعتبروا بالسابقين من الآباء والامهات والاقربين وتفكروا فى الراحلين فلعل القلب القاسى يلين وابكوا على أنفسكم قبل الحلول فى رمسكم فواعجبا لمن رأى فعل الموت بصحبه وسكن الايمان فى قلبه كيف بات غافلا على جنبه وذاهلا عن عيبه وناسيا جزاءه على جرمه وذنبه ومعرضا عن ربه الى أربه وكأنى به قد سقى كأس حمام بضج من شربه وأفرده الموت عن أهله وسربه ونقله الى قبر بعيد عن خليله وصحبه فيا ذا اللب جز على قبره واتعظ به فيا أيها الناس لادافع عنكم من الموت يقيكم وانه الذى فى هوة الهلاك يلقيكم وانما تندمون اذا غصت تراقيكم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم يالها من صرعة عجيبة ومصيبة فوق كل مصيبة مرت سهام الموت لكم مصيبة فهل يردها بوقيكم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم أقبل التلف وحد فردم باب السلامة وسد وجاوز الالم الحد وماردراقيكم بلغ الروح التراقى وبادر بالجد الراقى ووقع اليأس من التلاقى فحير الساقى الذى يسقيكم سبحان من حكم وقضى بسكنى الثرى بعد الفضا ليس لنا الا الرضا كما ذهب من مضى يذهب باقيكم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم اللهم ياحى ياقيوم برحمتك نستغيث اللهم لاتكلنا الى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله اللهم انا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة اللهم استرنا بسترك الجميل فى الدارين اللهم اجعل قبور آبائنا وأمهاتنا وأقاربنا من رياض جنتك ومحل مغفرتك وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وألحقنا بأوليائك الاخيار وأسكنا معهم بشفاعة نبيك الجنة دار القرار وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه السادة الابرار

المجلس الخامس والعشرون

(فى الظهار والايلاء والطلاق)

١ *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

الحمد لله الذى لامانع لما وهب ولا واهب لما سلب طاعته أفضل مكتسب وتقواه للمتق أعلا نسب والمعاصى من خوفه تجتنب والمصائب فى جنب أجره تحتسب والعطايا من فضله ترتقب وهو المرجو لكشف الكرب هيأ قلوب أحبائه للايمان وكتب فتقربوا اليه بالتقوى والورع والادب وحلى لهم فى طاعته النصب ولم يجدوا الحبه من تعب وقاموا بأعباء التكلف على أكمل الادب وقدر الشقاء للاشقياء فغلب وأعرض عنهم فوقعوا فى العطب لايعرفون السبب فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب أحمده أذوهب خيرا من الذهب وأشهد بوحدانيته شهادة تقضى ماوجب وأن محمدا عبده ورسوله الذى اختاره وانتخب صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق العالى على أعلا الرتب الذى كان ليلة الغار بين يديه خوف الرصد وخلفه خوف الطلب وعلى عمر الفاروق الذى لم يعلق الشيطان منه بسبب وكان يفرق من حسه فيطلب له طريقا للهرب وعلى عثمان ذى النورين الزكى العرض النقى الحسب وعلى على بن أبى طالب الوافى وحده لجميع أبطال العرب

١ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتعالى عن الانداد المقدس عن الاضداد المنزه عن الصاحبة والاولاد خالق المائع والجماد ومبدع المطلوب والمراد المطلع على سر القلب وضمير الفؤاد مقدر ما كان ويكون من الضلال والرشاد والصلاح والفساد والوفاق والنفاق والبغض والوداد رأى حتى دبيب النمل الأسود فى السواد وسمع صوت المذنب الضعيف المجهود غاية الاجهاد وعلم مافى سويداء السر وباطن الاعتقاد وجاد على السائلين فزادهم من الزاد وألف الأجساد وليس يشبه الاجساد وخلق من كل شئ زوجين وتوحد بالانفراد أحمده حمدا يفوق الاعداد وأشهد أنه الواحد لا كالآحاد وأصلى على رسوله محمد المبعوث الى جميع العباد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر رأس العباد وعلى عمر الذى فتح أقصى البلاد وعلى عثمان هاجر الوساد وعلى ابن عمه على أول الاسلام والزهاد وعلى آله وصحبه صلاة دائمة مستمرة بلا انفاد وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين اهـ منه

الراغب فى الاخرى فماله فى الدنيا من أرب وعلى عمه العباس أقرب الخلق فى النسب ثم اكتسب بالدين شرفا فنعم المكتسب *(أما بعد)* فقد قال الله فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال العلماء رحمهم الله تعالى نزلت هذه الآيات الجليلة فى خولة بنت ثعلبة وكانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ماقال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك الا قد حرمت على فقالت والله ماذاك طلاق وأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعائشة رضى الله تعالى عنها تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى اذا أكل مالى وأفنى شبابى وتفرق أهلى وكبرت سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ يجمعنى واياه تنعشنى به فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ماذكر طلاقا وانه أبو ولدى وأحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى ووحدتى قد طالت صحبتى ونفضت له بطنى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أراك الا وقد حرمت عليه ولم أومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت عليه هتفت قائلة أشكو الى الله فاقتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى أمرى جعلنى الله فداك يارسول الله فقالت عائشة اقصرى حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السبات فلما قضى الوحى قال ادع زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآيات قالت عائشة تبارك الذى وسع سمعه الاصوات كلها ان المرأة لتحاور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا فى ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى على بعضه اذ أنزل الله قد سمع الله الآيات وأخرج البخارى فى تاريخه عن ثمامة قالت بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يسير على حماره لقيته امرأة فقالت قف ياعمر فوقف فأغلظت له القول فقال رجل يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم فقال وما يمنعنى أن أستمع اليها وهى التى سمع الله لها أنزل فيها ما أنزل قد سمع الله قول التى تجادلك الآية وأخرج سعيد بن منصور لما نزل والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فقال لامرأته مريه فليعتق فقالت يارسول الله والذى أعطاك ما أعطاك ماجئت الا رحمة له ان له فى منافع والله ما عنده رقبة ولا يملكها قالت فنزل القرآن وهى عنده فى البيت فقال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت والذى أعطاك ما أعطاك ما يقدر عليه قال مريه فليتصدق على ستين مسكينا فقالت يارسول الله ما عنده ما يتصدق به فقال اذهبى الى فلان الانصارى فان عنده شطر وسق تمرا أخبرنى أنه يريد أن يتصدق به فليأخذه منه ثم ليصرف على ستين مسكينا ولنذكر ماذكره الفقهاء رحمهم الله تعالى من أحكام الظهار فانها كثيرة الوقوع والناس عنها غافلون كغفلتهم عن الايلاء وحرمة المصاهرة وسنذكر شامع مايتعلق ويقرب بهذه المباحث ان شاء الله تعالى أيضا (فنقول) قالت الأئمة الحنفية فى كتبهم الظهار تشبيه المسلم زوجته ولو صغيرة أو كتابية أو تشبيه مايعبر به عنها من أعضائها كالرأس والرقبة أو تشبيه جزء شائع منها كنصفك بمحرم عليه تأبيدا ولو قال أنت على كالدم والخمر والخنزير والغيبة والنميمة والزنا والربا والرشوة وقتل المسلم ان نوى طلاقا فطلاقا وظهارا يكون ظهارا ولا يكون ظهارا على مافى الخانية وقيل ان نوى الظهار يكون ظهارا كأنت على كأمى وظهار الزوجة منه لغو وقيل روى عن أبى يوسف عليها كفارة

ظهار وقيل كفارة يمين والظهار كأنت على كظهر أمى أو أمك أو رأسك ونحوه أو نصفك كظهر أمى أو كبطنها أو أختى أو عمتى ويصير به مظاهرا بلا نية لانه صريح فيحرم عليه وطؤها ودواعيه من القبلة والمس بشهوة لقوله تعالى من قبل أن يتماسا حتى يكفر فان وطئ قبله تاب واستغفر وكفر للظهار فقط وقال سعيد بن جبير والزهرى كفارتين وقال الحسن البصرى ثلاث كفارات وللمرأة أن تطالبه بالوطء وان تمنعه منه حتى يكفر وعلى القاضى الزامه بالتكفير ولو بحبس أو يطلق وان نوى بأنت كأمى برا أو ظهارا أو طلاقا فاصحت نيته والا ينوى شيأ لغا لانه كناية ولا ظهار من أمته ولو ظاهر من نسائه كفر لكل واحدة بخلاف لو آلى منهن وقال مالك وأحمد يكفيه واحدة أيضا ولو ظاهر من امرأته مرارا فعليه لكل ظهار كفارة واعلم أن الكفارة لغة من كفر الله عنه الذنب أى ستره وشرعا تحرير رقبة ولو كافرة قبل التماس أى قبل العزم على الوطء فان لم يجد صام شهرين متتابعين قبل المسيس ليس فيهما رمضان والايام المنهية فان أفطر فيهما استأنف الصوم فان عجز المظاهر عن الصوم لمرض لا يرجى برؤه أو كبر أطعم أى ملك ستين مسكينا أو فقيرا ولا يجزئ غير المراهق كالفطرة قدرا وهى نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو قيمة ذلك وان غداهم وعشاهم جاز كما لو أطعم واحدا ستين يوما فانه جائز هذا ملخص ما ذكره أئمتنا الحنفية وفى الميزان اتفق الائمة على أن المسلم متى قال لزوجته أنت على كظهر أمى كان مظاهرا منها لا يحل له وطؤها حتى يقدم الكفارة وهى عتق رقبة ان وجدها فان لم يجدها فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا مسلما وكذلك اتفقوا على أن المرأة اذا قالت لزوجها ذلك فلا كفارة عليها الا فى رواية اختارها الخرقى وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول أبى حنيفة انه لو قال لزوجته حرة كانت أو أمة أنت على حرام فان نوى الطلاق بذلك كان طلاقا وان نوى الطلاق ثلاثا كان ثلاثا وان نوى ثنتين أو واحدة فواحدة فان نوى التحريم ولم ينو الطلاق ولم يكن له نية فهو يمين وهو مول ان تركها أربعة أشهر وقعت عليه طلقة بائنة وان نوى الظهار كان مظاهرا وان نوى اليمين كانت يمينا ويرجع الى نيته كم أراد بها واحدة أو أكثر سواء المدخول بها وغيرها مع قول مالك ان ذلك طلاق ثلاث ان كانت مدخولا بها وواحدة ان كانت غير مدخول بها ومع قول الشافعى ان نوى بذلك الطلاق أو الظهار كان ما نواه وان نوى اليمين لم يكن يمينا ولكن عليه كفارة يمين ١ وان لم ينو شيأ فالارجح من قوليه أنه لا شئ عليه والثانى أن عليه كفارة يمين ومع قول أحمد فى أظهر روايتيه ان ذلك صريح فى الظهار نواه أو لم ينوه وفيه كفارة الظهار والثانى انه طلاق ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد ان من حرم طعامه أو شرابه أو أمته كان حالفا وعليه كفارة يمين بالحنث من غير أن يحرم ذلك ويحصل الحنث عندهما بأكل جزء منه مع قول الشافعى ان من حرم طعامه أو شرابه أو لباسه فلا كفارة عليه وليس بشئ وان حرم أمته فالراجح أنها لا تحرم ولكن عليه كفارة يمين ومع قول مالك انه لا يحرم عليه شئ من ذلك على الاطلاق ولا كفارة عليه اهـ ما فى الميزان باقتصار ولنذكر لكم من أحكام الايلاء شيأ لان الناس فى غفلة عنه أيضا (فنقول) قال الله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قال أئمتنا الحنفية رحمهم رب البرية الايلاء من آلى يولى ايلاء وهو لغة اليمين وجمعه ألايا وشرعا الحلف على ترك قربان زوجته ولو قبل الزواج أربعة أشهر أو أكثر للحرة وشهران للامة أو أكثر وحكمه وقوع طلقة بائنة ان بر بيمينه ولزوم الكفارة أو الجزاء كالحج مثلا ان حنث بالقربان وأقل المدة للحرة أربعة كما ذكرنا فلو حلف على أقل فعليه الكفارة فقط ولا ايلاء ولو عجز عن وطئها لسفر أو مرض أو صغر أو لحبسه ففيؤه نحو قوله بلسانه فئت اليها أو راجعتك أو أبطلت الايلاء أو رجعت عما قلت فلا يقع الطلاق اذا مضت المدة غير أن اليمين باقية فلو وطئها بعد الفئ باللسان فى مدة الايلاء لزمه كفارة لتحقق الحنث اهـ وقال فى الميزان اتفقت الائمة على انه اذا حلف بالله عز وجل على أن لا يجامع زوجته مدة تزيد على أربعة أشهر كان موليا وان حلف على أقل من ذلك لم يكن موليا وعلى أن المولى اذا فاء لزمته

١ وقد ذكرنا لكم فى بعض الدروس أن كفارة اليمين عتق رقبة وان شاء كسا عشرة مساكين كل واحد منهم ثوبا فما زاد وأدناه ما تجزى فيه الصلاة وان شاء أطعم عشرة مساكين وان لم يقدر على أحد الثلاثة صام ثلاثة أيام متتابعات اهـ منه

كفارة يمين بالله تعالى الا فى قول قديم للشافعى وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول أبى حنيفة ان لا يطأ زوجته أربعة أشهر ايلاء ويروى مثل ذلك عن أحمد مع قول مالك والشافعى فى المشهور عنه انه ليس بايلاء ومن ذلك قول الائمة الثلاثة انه اذا مضت الاربعة أشهر لا يقع بمضيها طلاق بل يوقف الامر ليفئ أو يطلق مع قول أبى حنيفة انه متى مضت المدة وقع الطلاق ومن ذلك قول مالك وأحمد ان المولى اذا امتنع من الطلاق على قول الوقف يطلق عليه الحاكم وهو الاظهر من قولى الشافعى مع قول أحمد فى الرواية الاخرى والشافعى فى القول الآخر عنه ان الحاكم يضيق عليه حتى يطلق ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى فى أصح قوليه ان من آلى بغير اليمين بالله تعالى كالعتاق والحج يكون موليا سواء قصد الاضرار بها أو رفعه عنها كالمرضع والمريضة أو عن نفسه مع قول مالك انه لا يكون موليا الا أن يحلف حال الغضب أو يقصد الاضرار بها قيل قال الامام أحمد لا يكون موليا اذا قصد دفع الضرر عنها فان قصد الاضرار بها فانه يكون موليا ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى انه لو ترك وطء زوجته للاضرار بها من غير يمين أكثر من أربعة أشهر لا يكون موليا مع قول مالك وأحمد فى احدى روايتيه انه يكون موليا ومن ذلك قول مالك ان مدة ايلاء العبد شهران حرة كانت زوجته أو أمة مع قول الشافعى انها أربعة مطلقا ومع قول أبى حنيفة ان الاعتبار فى المدة بالنساء فمن كان تحته أمة فشهران حرا كان أو عبدا وعن أحمد روايتان كمذهب مالك وكمذهب الشافعى اهـ باقتصار وليعلم أيضا أن مسئلة حرمة المصاهرة على مذهب أئمتنا الحنفية من أعظم المسائل الدينية فيلزم التنبيه عليها بطريق الاجمال لان كثيرا من الناس عنها غافلون وفى ورطتها يقعون ولا يعلمون قال فى الدر المختار وأسباب التحريم أنواع قرابة أى كفروعه وأصوله ومصاهرة أى كفروع نسائه وأصولهن ورضاع فيحرم به ما يحرم من النسب الا ما استثنى وجمع أى بين المحارم كأختين ونحوهما أو بين الاجنبيات زيادة على الاربع وملك كنكاح السيدة مملوكها وشرك أى كالمجوسية والمرتدة وادخال أمة على حرة والتطليق ثلاثا وتعلق حق الغير اهـ قال محشيه العلامة ابن عابدين قوله مصاهرة كفروع نسائه المدخول بهن وان نزلن وأمهات الزوجات وجداتهن بعقد صحيح وان علون وان لم يدخل بالزوجات وتحرم موطوآت آبائه وأجداده وان علوا ولو بزنا والمعقودات لهم عليهن بعقد صحيح وموطوآت أبنائه وأبناء أولاده وان سفلوا ولو بزنا والمعقودات لهم عليهن بعقد صحيح فتح وكذا المقبلات أو الملموسات بشهوة لاصوله أو فروعه أو من قبل أو لمس أصولهن أو فروعهن اهـ ونقل فى الدر عن الكشاف أن اللمس ونحوه كالدخول عند أبى حنيفة وقال فى الفتح ولا فرق بين عمد ونسيان فلو أيقظ زوجته أو أيقظته هى لجماعها فمست يده بنتها المشتهاة أو يدها ابنه حرمت الام أبدا اهـ وقال فى الميزان ان من جملة المحرمات أيضا نكاح الزانية قبل التوبة عند أحمد خلافا للثلاثة قال ومن المسائل المختلف فيها قول مالك والشافعى ان من زنا بامرأة لم يحرم عليه نكاحها ولا نكاح أمها وبنتها مع قول أبى حنيفة وأحمد يتعلق تحريم المصاهرة بالزنا وزاد عليه أحمد فقال اذا لاط بغلام حرمت عليه أمه وبنته اهـ وليعلم أن العلامة ابن حجر قد عد فى الزواجر أن من جملة الكبائر الظهار لقوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور وكذا الايلاء لان فيه مضارة للزوجة لان صبرها عن الرجل يفنى بعد الاربعة أشهر كما قالت حفصة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها لابيها عمر رضى الله تعالى عنه لما سألها عن مقدار صبر المرأة عن زوجها حينما سمع امرأة من نساء المجاهدين الغائبين تقول

فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لزحزح من هذا السرير جوانبه

فأمر عمر رضى الله تعالى عنه حينئذ أن لا يغيب أحد عن زوجته أكثر من ذلك وكذا أيضا أمرت الزوجة بعدم اضرار زوجها وعدم نشوزها وعدم سؤالها الطلاق وكان كل ذلك من الكبائر أيضا على ما قال فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أول ما تسئل المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها وقال عليه الصلاة والسلام اذا دعا الرجل زوجته لفراشه فامتنعت باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح وقال عليه الصلاة والسلام اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وأطاعت بعلها فتدخل من أى أبواب الجنة شاءت وأخرج الترمذى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وورد أبغض الحلال الى الله الطلاق ولذا قسمه أئمتنا الحنفية الى ثلاثة أقسام الاول حسن

والثانى أحسن والثالث بدعى يأثم به فالاحسن أى بالنسبة الى غيره لا انه فى نفسه حسن طلقة رجعية فقط فى طهر لا وطء فيه وتركها حتى تمضى عدتها والحسن هو أن يطلقها أى الموطوأة ثلاثا متفرقة فى ثلاثة اطهار لا وطء فيها والبدعى ثلاث متفرقة أو بكلمة واحدة أو ثنتان بمرة أو مرتين فى طهر واحد لا رجعة فيه أو واحدة فى طهر وطئت فيه أو واحدة فى حيض مدخول بها وتجب رجعتها فى الحيض دفعا للمعصية فاذا طهرت طلقها ان شاء أو أمسكها والخلع فى الحيض والنفاس لا يكره اهـ وليعلم أنه مما ينبغى التنبيه عليه أيضا ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد أى اذا قال زيد لزوجته المدخول بها أنت كذا ثلاثا يقع ثلاثا ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره كما هو مذهب الائمة الاربعة ولا يشترط لوقوعه تكرير أنت طالق ثلاث مرات كما ذهب اليه بعض أجلة الحنابلة ونسبه أيضا لابن عباس وغيره وبعض الحنفية والشافعية لان ذلك خلاف قول جمهور الصحابة وخلاف ما عليه الائمة الاربعة ولا يجوز لاحد العمل به فلا يعمل بهذا القول ولا أدين الله تعالى به ويد الله على الجماعة فاذا طلق الرجل ثلاثا ولو بلفظ واحد فلا يحل له الرجوع الا بعد التحليل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وسنذكر تكملة أبحاث الزوج والزوجة والنساء فى بعض الدروس الآتية ان شاء الله تعالى فعليكم عباد الله بتحصيل ما ينفعكم وتعلم ما ينجيكم فى آخرتكم والتجنب عن المحرمات والتورع عن المكروهات فيا اخوانى الايام سفن ومراحل وما يحس بسيرها الراحل حتى يبلغ البلد أو الساحل ماهذه الغفلة والفتور أما المآل الى اللحود والقبور أما علمتم منتهى السرور اما الاجداث المنازل الى النشور أيها الشاب ضيعت الشباب فى جهلك أيها الكهل بعض فعلك تمهلك أيها الشيخ آن الرحيل عن أهلك أيها الغافل أما تذكر من كان قبلك لقد نطقت العبر فأين سامعها واستنارت طريق الهدى فأين تابعها وتجلت الحقائق فأين مطالعها أما المنية قد دنت واقتربت فما بال النفوس قد غفلت ولعبت يامن اذا دعى لنفعه وتعليمه تولى وفر يامن على ما يضره قد استمر يامن أعلن المعاصى وأسر أما تعتبر بمن رحل من القرناء ومر أما تعلم أن من حالف الذنوب استضر أما الموت اذا أتى حمل وكر كأنى بك اذا برق البصر تطلب المفر الى متى تؤثر الفساد على السداد وتسرع فى جواد الهوى اسراع الجواد متى يتيقظ القلب ويصحو الفؤاد كيف بك اذا حشرت يوم المعاد

يسرك أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زاد

فيا أيها الضال عن طريق الهدى أما تسمع صوت الحادى قد حدا من لك اذا ظهر الجزاء وبدا وربما كان فيه أن تشقى أبدا أيحسب الانسان أن يترك سدى يامن تكتب لحظاته وتجمع لفظاته وتعلم عزماته وتحسب عليه حركاته ان راح أو غدا أيحسب الانسان أن يترك سدى ويحك الرقيب حاضر يرعى عليك اللسان والناظر وهو الى جميع أفعالك ناظر انما الدنيا مراحل الى المقابر وسينقضى هذا المدى أيحسب الانسان أن يترك سدى مالى أراك فى الذنوب تعجل واذا زجرت عنها لا تقبل ويحك انتبه لقبيح ما تفعل ان الايام فى الاجل تعمل مثل عمل المدى أيحسب الانسان أن يترك سدى كأنك ببساط العمر قد انطوى وبعود الصحة بعد قد ذوى وبسلك الامهال قد قطع فهوى انتبه لنفسك فقد أشمت والله العدا أيحسب الانسان أن يترك سدى فبادر زمنك واحذر الفوت واصغ للزواجر فقد رفعت لك الصوت واتبع الشرع وتنبه فطال ما قد سهوت واعلم قطعا ويقينا أن الموت لا يقبل الفدى أيحسب الانسان أن يترك سدى انهض الى التقى بقريحة وابك الذنوب بعين قريحة وازعج للتهجد فى الليل أعضاءك المستريحة تالله لئن لم تقبل مناهذه النصيحة لتندمن غدا أيحسب الانسان أن يترك سدى اللهم وفقنا القول الحق واتباعه وخلصنا من وساوس قلبنا وابتداعه وكن لنا يا الهى مؤيدا واجعل ايماننا محمديا ثابتا راسخا دائما قويا ولا تجعل لفاجر علينا يدا وارزقنا فى محبتك علما نافعا ورزقا حلالا واسعا ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا وارزقنا ذرية علماء عاملين وألحقنا بأوليائك الصالحين واجعل عيشنا فى الدارين عيشا رغدا وارحمنا وجميع المؤمنين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين امين

(تم الجزء الاول من كتاب غالية المواعظ ويليه الجزء الثانى أوله المجلس السادس والعشرون فى الزنا واللواطة)

(فهرسة الجزء الثانى من عالية المواعظ)

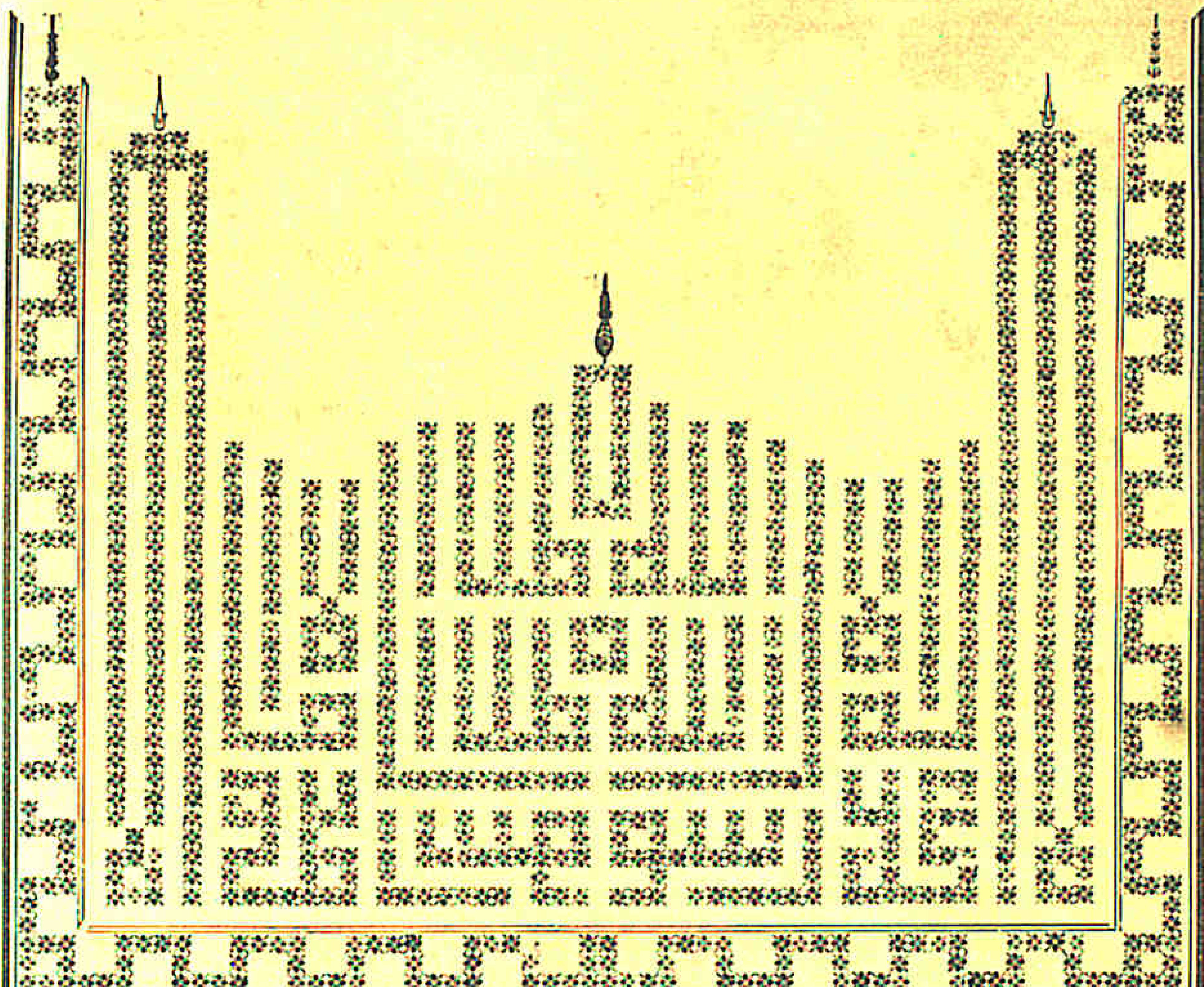
صحيفة

(تمت)

(٧) قوله يقرأ فى جمادى فى صحيفة ١٢٩ وكذا يقرأ فى رجب فى صحيفة ١٣٧ وقع خطأ رسمه بالواو والصواب بالالف

الجزء الثانى من كتاب غالية المواعظ للعالم الفاضل
السيد نعمان خير الدين افندى الحسينى
القادرى البغدادى المعروف بابن
المفتى الآلوسى حفه مولاه
سبحانه بلطفه
القدسى
آمين

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠١ هجرية



المجلس السادس والعشرون

(فى الزنا واللواطة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أحكم الاشياء كلها صنعا وتصرف كما شاء اعطاء ومنعا أنشأ الآدمى من فطرة فاذا هو يسعى وخلق له عينين ليبصر المسعى ووالى لديه النعم وترا وشفعا وضم اليه زوجة تدبر أمر البيت وترعى وأباح محل الزرع وقد فهم مقصود المرعى فتعدى قوم الى الفاحشة الشنعا وعدوا استما وسبعا فرجموا بالحجارة فلو رأيتهم صرعى (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا) أحمده ما أرسل سحابا وأنبت زرعا وأصلى وأسلم على رسوله محمد أفضل نبى علمه الله شرعا وعلى صاحبه أبى بكر الذى كانت نفقته للاسلام نفعا وعلى عمر ضيف الاسلام بدعوة الرسول المستدعى وعلى عثمان الذى ارتكب منه الفجار بدعا وعلى علىّ الذى يحبه أهل السنة طبعا وعلى بقية الصحابة والآل الذين قطع الله بهم الكفر قطعا وسلم تسليما *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى القرآن العظيم والكتاب الكريم (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) فنقول وبالله تعالى التوفيق قد تعددت الآيات الكريمة فى تحريم الزنا أعاذنا الله تعالى واياكم منه ومن غيره من المعاصى بمنه وكرمه منها هذه الآية ومنها قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب الآية) وغير ذلك واما الاحاديث فى تحريمه وتقبيحه فكثيرة جدا وأما حكمه فى الدنيا فالرجم بالحجارة للمحصن وهو المتزوج حتى يموت وجلد مائة سوط لغير المتزوج ولا بد لاجراء الحد الشرعى من شهادة أربعة شهود أو يقر الزانى فى أربعة مجالس عند أبى حنيفة وأحمد وعند الامام الشافعى باقراره مرة واحدة كما هو مفصل فى الكتب الفقهية ولنذكر بعض الاحاديث الواردة فيه فمنها ما أخرجه الشيخان وأحمد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنهم قال

سالت

سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أىّ الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم قلت ثم أىّ قال أن تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم أىّ قال أن تزانى حليلة جارك وتلا هذه الآية (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) الآية وورد أن فى الزبور مكتوبا ان الزناة يعلقون بفروجهم فى النار ويضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الملائكة الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى نقله فى الزواجر وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة أما التى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التى فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار وروى النسائى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل أى فقير مستكبر وفى حديث آخر هم الشيخ الزانى والفقير المختال والغنىّ الظلوم وروى أبو يعلى بسند حسن ما ظهر فى قوم الزنا والربا الا أحلوا بانفسهم عذاب الله وروى الامام أحمد لا تزال أمتى بخير متماسك أمرها ما لم يظهر فيهم ولد الزنا وروى مسلم حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم الا وقف يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى وفى رواية قيل له هذا خلفك فى أهلك فخذ من حسناته ما شئت أترون يدع له من حسناته شيأ وروى الامام أحمد لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره وروى الطبرانى من قعد على فراش مغيبة أى التى غاب عنها زوجها قيض الله تعالى له ثعبانا يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من زنى بامرأة مزوجة كان عليه وعليها فى القبر نصف عذاب هذه الامة فاذا كان يوم القيامة يحكم الله زوجها فى حسناته هذا اذا كان بغير علمه فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لان الله كتب على بابها أنت حرام على الديوث وهو الذى يسكت ولا يغار وروى أنه من وقع على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فان كان قد قبلها قرضت شفتاه فى النار فان زنى بها قطعت فخذه وشهدت عليه وقالت أنا للحرام ركبت فينظر اليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول ما فعلت فيشهد عليه لسانه ويقول انا بما لا يحل لى نطقت وتقول يداه أنا للحرام تناولت وتقول عينه أنا للحرام نظرت وتقول رجله انا لما لا يحل لى مشيت ويقول فرجه انا فعلت ومصداق ذلك من القرآن قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) قال المفسرون أى لفروجهم ويقول الحافظ من الملائكة وأنا سمعت ويقول الملك الآخر وأنا كتبت ويقول الله تعالى وأنا اطلعت وسترت ثم يقول الله عز وجل يا ملائكتى خذوه ومن عذابى أذيقوه فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه وتصديق ذلك من كتاب الله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وأعظم الزنا على الاطلاق الزنا بالمحارم فقد صحح الحاكم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من وقع على ذات محرم فاقتلوه وروى الطبرانى واللفظ له تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة الا استجاب الله عز وجل له الا زانية تسعى بفرجها أو عشار ٧ وروى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وروى الحاكم من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه وفى رواية فاذا تاب رد عليه وعن أبى امامة من بعض حديثه الطويل قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول بينا انا نائم أتانى رجلان فاخذا بضبعى فأتيا بى جبلا فاذا أنا باصوات شديدة فقلت ما هذه الاصوات فقالوا هذا عواء أهل النار فانطلقوا بى فاذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة اشداقهم تسيل دما قال قلت من هؤلاء قال الذين يفطرون قبل أن يحل فطرهم من صومهم ثم انطلقا بى فاذا أنا بقوم أشد شىء انتفاخا وأنتنه

---

٧ قوله عشار هو قابض عشر الاموال وذلك هو المتعدى حق الشرع بأخذ زيادة وأما من يأخذ من الناس حق الامام على وجه الحق فلا يدخل فى هذا الوعيد اه منه

ريحا وأسوأه منظرا فقلت من هؤلاء قال قتلى الكفار ثم انطلقابى فاذا أنا بقوم أشد شئ انتفاخا وأنتنه ريحا كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء قال هؤلاء الزانون والزوانى ثم انطلقابى فاذا أنا بنساء ينهشن ثديهن الحيات قلت مابال هؤلاء قال يمنعن أولادهن ألبانهن ثم انطلقابى واذا أنا بغلمان يلعبون بين نهرين قلت من هؤلاء قيل هؤلاء ذرارى المؤمنين وعن على كرم الله تعالى وجهه أن الناس يرسل عليهم يوم القيامة ريح منتنة حتى يتأذى منها كل بر وفاجر حتى اذا بلغت منهم كل مبلغ ناداهم مناد يسمعهم الصوت ويقول لهم هل تدرون هذه الريح التى آذتكم فيقولون لاندرى فيقال ألا انها ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بزناهم ولم يتوبوا منه ثم ينصرف بهم واعلم أنه قد جاء فى حفظ الفرج أحاديث عظيمة منها مارواه البيهقى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ياشباب قريش احفظوا فروجكم لاتزنوا ألا من حفظ فرجه فله الجنة وروى البخارى من يضمن لى مابين لحييه أى لسانه ومابين رجليه أى فرجه ضمنت له الجنة وروى أحمد اضمنوا الى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل معلق قلبه بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه وقد تبين لكم ان الزنا من الكبائر وهو بعد الشرك بالله تعالى وقال كثير من العلماء ان الذى يلى الشرك هو القتل ثم الزنا واختلف العلماء فى الزنا واللواطة أيهما أعظم فقال جمع ان اللواطة أعظم للتشديد الآتى ذكره وقال فى الاحياء الزنا أكبر من اللواطة لأن الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم الضرر لكثرته أى ولأنه يترتب عليه اختلاط الأنساب قال ابن حجر فى الزواجر اختلف أهل العلم فى حد اللوطى فذهب قوم الى ان حد الفاعل حد الزنا ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مائة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن والنخعى وبه قال الثورى والاوزاعى وهو أظهر قولى الشافعى وحكى أيضا عن أبى يوسف ومحمد بن الحسن وعلى المفعول به عند الشافعى على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا أو غير محصن وذهب قوم الى ان اللوطى يرجم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وبه قال الزهرى والشعبى وهو قول مالك وأحمد واسحق وروى عن حماد بن ابراهيم والقول الآخر للشافعى انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء فى الحديث وقال الحافظ المنذرى حرق اللوطية بالنار أربعة من الخلفاء أبو بكر وعلى وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهم وهشام بن عبد الملك وروى ابن أبى الدنيا ان خالد بن الوليد كتب الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه انه وجد رجلا فى بعض ضواحى العرب ينكح كما تنكح المرأة فجمع لذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه أصحاب رسول الله وفيهم على كرم الله تعالى وجهه فقال ان هذا ذنب لم يعمل به الا أمة واحدة ففعل الله بهم ماقد علمتم أرى ان تحرقوه بالنار فاجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يحرقوه بالنار فأمر به أبو بكر ان يحرق بالنار فأحرقه خالد اه وفى الميزان ان حد اللواط عند مالك والشافعى فى أحد قوليه وأحمد فى أظهر روايتيه الرجم بكل حال ثيبا كان أو بكرا وعن الشافعى فى أرجح قوليه وأحمد فى احدى روايتيه ان حده كحد الزنا وأما عند أبى حنيفة فانه يعزر فى أول مرة فان تكرر منه قتل وجوز بعض الحنفية أن يعزر بالقائه من شاهق وان أدى الى موته ولعلم ان مما اختلفوا فى حده أيضا اتيان البهيمة قال أبو حنيفة ومالك والشافعى فى الراجح من أقواله انه يعزر وهى الرواية التى اختارها الخرقى من أقوال أحمد وعن مالك فى الرواية الاخرى عنه والشافعى فى أحد أقواله انه يحد ويختلف بالبكارة والثيوبة والقول الثالث للشافعى أنه يقتل بكرا كان أو ثيبا وأما البهيمة فقال أبو حنيفة ٧ ان كانت مما تؤكل ذبحت والا فلا وهو الراجح عند أصحاب الشافعى من عدة أوجه مع قول مالك انها لاتذبح بحال ومع قول أحمد انها تذبح سواء كانت له أو لغيره وسواء كانت

٧ قوله فقال أبو حنيفة الخ والذى يخطر بالبال ان فى كتب أئمتنا الحنفية أنه لو أتى بهيمة تذبح وتحرق حتى لايبقى العار فليراجع اه منه

مما

مما يؤكل لحمها أم لايؤكل وعلى الواطئ قيمتها لصاحبها وأما الاستمناء بالكف فهو حرام وليس فيه حد وعن بعض العلماء انه يباح اذا خيف الزنا وقد ذكر بعض الاطباء انه أيضا يورث الخوف فى الانسان وامراضا عظيمة فى بدنه وأما المتعة فانها حرام لأنها منسوخة وليس على فاعلها حد شرعى لكن اثمها قريب من الزنا لقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وهذه ليست بزوجة ولا ملك يمين لانها لو كانت زوجة لورثت مع ان الامامية لايقولون بوراثتها أيضا فهى حرام باجماع الائمة الاربعة عليهم الرحمة والرضوان ولنذكر من الآيات والاحاديث المتعلقة باللواطة ونحوها مما تقدم ذكره وما يلتحق به ان شاء الله تعالى فقد قال فى الزواجر أخرج ابن ماجه والترمذى والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط والحاكم مانقض قوم العهد الا كان القتل بينهم ولاظهرت الفاحشة فى قوم الا فشا فيهم الطاعون ولامنع قوم الزكاة الاحبس عنهم القطر وروى الطبرانى اذا ظلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدو واذا كثر الزنا كثر السبى واذا كثر اللواط رفع الله عز وجل يده عن الخلق فلا يبالى فى أى واد هلكوا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات ورد اللعنة على واحد منهم ثلاثا ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه قال ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيأ من البهائم ملعون من عق والديه ملعون من جمع بين امرأة وأختها ملعون من غير حدود الله ملعون من ادعى الى غير مواليه وروى ابن حبان فى صحيحه والبيهقى لعن الله من غير تخوم الارض ١ ولعن الله من كمه أعمى عن السبيل ولعن الله من سب والديه ولعن الله من تولى غير مواليه ولعن الله من عمل عمل قوم لوط قالها ثلاثا فى من عمل عمل قوم لوط وروى الطبرانى والبيهقى أربعة يصبحون فى غضب الله تعالى ويمسون فى سخط الله قلت من هم يارسول الله قال المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الرجال وروى ابن ماجه من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وقال ابن عباس ان اللوطى اذا مات من غير توبة مسخ فى قبره خنزيرا وفى رواية أنس أنه يحشر مع قوم لوط وروى الطبرانى ثلاثة لايقبل لهم شهادة أن لا اله الا الله الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والامام الجائر وروى ابن ماجه من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأما الآيات فمنها قوله تعالى فى حق قوم لوط (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وقوله تعالى (ونجيناه) أى لوطا (من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين) قال العلماء فأعظم خبائثهم اتيان الذكور بحضرة بعضهم ومنها انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم ويمشون ويجلسون كاشفى عوراتهم وكانوا يتخنثون ويتزينون كالنساء وذكر عن ابن عباس من خبائثهم عشر تصفيف الشعر ورمى البندق والحذف بالحصا واللعب بالحمام الطيارة وقد ورد من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر والصفير بالاصابع وفرقعة العلك واسبال الازار وادمان شرب الخمر واتيان الذكور وستزيد عليها هذه الامة مساحقة النساء وروى أيضا من أعمالهم اللعب بالنرد والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بالكباش والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص المكيال والميزان (ولنذكر لكم) قصة اهلاك قوم لوط عليه السلام لتزدادوا عبرة واتعاظا فنقول قال فى التبصرة قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا) لوط عليه السلام ابن هاران بن تارخ فهو ابن أخى ابراهيم الخليل عليه السلام وكان قد آمن به وهاجر معه الى الشام بعد نجاته من النار فنزل ابراهيم فلسطين ٢ ونزل لوط الاردن ٣ فارسل الله تعالى لوطا الى أهل

١ قوله تخوم الأرض هى الحدود التى بينك وبين جارك اه منه

٢ قوله فلسطين هى كورة بالشام وبلد بالعراق كما فى القاموس اه منه

٣ قوله الأردن هى كورة بالشام اه منه

سذوم ١ وكانوا مع كفرهم بالله عز وجل يرتكبون الفاحشة فدعاهم الى عبادة الله تعالى ونهاهم عن الفاحشة فلم يزدهم ذلك الا عتوا فدعا الله تعالى أن ينصره عليهم فبعث تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فاقبلوا مشاة فى صورة رجال شبان فنزلوا على ابراهيم عليه السلام فقام يخدمهم وقدم اليهم الطعام فلم يأكلوا فقالوا انا لا نأكل طعاما الا بثمنه قال فان له ثمنا قالوا وما هو قال تذكرون اسم الله عز وجل على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا ان يتخذه الله خليلا (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم) أى خاف أن يكونوا لصوصا فقالوا لا تخف (انا أرسلنا الى قوم لوط) فضحكت سارة تعجبا وقالت نخدمهم بأنفسنا ولا يأكلون طعامنا فقال جبريل أيتها الضاحكة أبشرى باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وكانت بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة فلما سكن روع ابراهيم وعلم أنهم ملائكة أخذ يناظرهم وقال اتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أربعون قالوا لا قال أربعة عشر قالوا لا وكان يعدهم أربعة عشر مع امرأة لوط (قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها) فسكن واطمأنت نفسه ثم خرجوا من عنده فجاؤا الى لوط وهو فى أرض له يعمل فيها فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم والتفت اليهم فى بعض الطريق فقال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية والله ما أعلم على ظهر الارض أخبث منهم فلما دخلوا منزله انطلقت امرأته فأخبرت بهم قومها قوله تعالى (سيء بهم) أى أساءه مجيء الرسل لانه لم يعرفهم فخاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) أى شديد (وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل) مجيء الاضياف (كانوا يعملون السيآت قال) لوط (ياقوم هؤلاء بناتى) يعنى النساء ولكونهن من أمته صار كالاب لهم (هن أطهر لكم) أى أحل (فاتقوا الله) أى احذروا عقوبته (ولا تخزون فى ضيفى) أى لا تفعلوا بهم فعلا يوجب حيائى (أليس منكم رجل رشيد) فيأمر بمعروف وينهى عن منكر (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى من حاجة (وانك لتعلم ما نريد) أى ما نريد الا الرجال لا النساء (قال لو أن لى بكم قوة) أى جماعة أقوى بها عليكم (أو آوى الى ركن شديد) اى الى عشيرة منيعة وانما قال هذا لانه كان أغلق بابه وهم يعالجون الباب ويرومون تسور الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا واستأذن جبريل ربه فى عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فاعماهم فانصرفوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وجعلوا يقولون كما أنت حتى تصبح يوعدونه فقال لهم لوط متى موعد هلاككم قالوا الصبح قال لو أهلكتموهم الآن فقالوا (أليس الصبح بقريب) ثم قالت الملائكة له (فاسر باهلك) فخرج بامرأته وابنتيه وغنمه وبقره (بقطع من الليل) أى ببقية تبقى من آخره وأوحى الله عز وجل الى جبريل تول هلاكهم فلما طلع الصبح عدا عليهم جبريل واحتمل بلادهم على جناحه وكانت خمس قرى أعظمها سذوم فى كل قرية مائة ألف فلم ينكسر فى وقت رفعهم اناء ثم صعد بها حتى خرج الطير فى الهوى أين يذهب وسمعت الملائكة نباح كلابهم ثم كفأها عليهم وسمعوا وجبة شديدة فالتفتت امرأة لوط فرماها جبريل بحجر فقتلها ثم صعد حتى أشرف على الارض فجعل يتتبع مسافرهم ورعاتهم ومن تحول عن القرية فرماهم بالحجارة حتى قتلهم وكانت الحجارة من سجيل * قال أبو عبيد هو الشديد الصلب من الحجارة (مسومة) أى معلمة قال ابن عباس كان الحجر أسود وفيه نقطة بيضاء وقال الربيع كان على كل حجر منها اسم صاحبه (وماهى من الظالمين ببعيد) تخويفا للمخالفين (خاتمة مهمة) قال فى الزواجر فى هذه الامة قوم يقال لهم اللوطية وهم ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث ولذا قال بعضهم النظر الى المرأة والامرد زنا لما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش أى اللمس وزنا الرجل الخطا والنفس تمنى وتشتهى وروى ان وفد عبد القيس لما قدموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان فيهم أمرد حسن فاجلسه النبى صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر وكان يقال النظر بريد الزنا وفى الحديث الذى رواه المنذرى يقول الرب جل جلاله النظرة سهم من سهام ابليس من

٤ قوله سذوم فى القاموس سذوم اسم لقرية قوم لوط فاغلط فيه الجوهرى والصواب بالذال المعجمة سذوم اهـ منه

تركها من مخافتى أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه ولقد أحسن من قال

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره * لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

ولاجل ذلك بالغ الصالحون فى الاعراض عن المرد والنظر اليهم ومجالستهم قال الحسن بن ذكوان لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء ولذا حرم كثير من العلماء الخلوة بالامرد كالنساء بل الفتنة به أعظم لانه يمكن فى حقه من الشر ما لا يمكن فى حق النساء فهو بالتحريم أولى (أقول) ولذا روى عن الامام مالك وكذا الامام أحمد ان لمسه بشهوة ناقض كالمرأة وسواء فى كل ما ذكر النظر من الصالح والطالح ومن خالف هذا فقد زين له الشيطان عمله قال ابن حجر دخل سفيان الثورى وناهيك به علما وزهدا الى الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه فقال أخرجوه عنى فانى أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل صبى بضعة عشر شيطانا وجاء رجل الى الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ومعه صبى حسن الوجه فقال له الامام من هذا منك قال ابن أختى قال لا تجىء به الينا مرة أخرى ولا تمش معه فى الطريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا تعرفه سوأ وقد نبه القرآن العظيم على ان النظر سبب للفعل الوخيم المستوجب للعذاب الاليم فى قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) قال ناصر السنة ابن الجوزى فى تبصرته وقد كان بعض السلف رحمة الله عليهم يبالغون فى الاحتراز من النظر حذرا من فتنته وخوفا من عقوبته فاما فتنته فكم من عابد خرج من صومعته بعد تعبده بسبب نظره وأما عقوبته فقد روى ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشلشل دما فقال له مالك قال مرت بى امرأة فنظرت اليها فلم أزل أتبعها ببصرى فاستقبلنى جدار فضربنى فصنع بى ما ترى فقال ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا وعن أبى الاديان قال كنت مع أستاذى أبى بكر الدقاق فرحدث فنظرت اليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابنى لتجدن غبها ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى ذلك الغب فنمت ليلة وأنا أتفكر فيه فاصبحت وقد نسيت القرآن كله وعن أبى عبد الله الزراد أنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به الا واحدا استحييت ان أقر به فوافقنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى قيل ما الذنب قال نظرت الى شخص جميل وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت فى سبيل الله وعين يخرج منها مثل الذباب يعنى الدموع من خشية الله ١ فيا اخوانى تذكروا مصير الصور وتفكروا فى نزول الحفر واعلموا أن المصير الى القبور وان الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ان الدنيا سموم قاتلة والنفوس عن مكايدها غافلة فكم نظرة تحلو فى العاجلة ومرارتها لا تطاق فى الآجلة فالى متى عينك مطلقة فى الحرام وقلبك لا يخشى الملك العلام فيا عجبا للمشغولين باوطارهم عن ذكر أخطارهم لو تفكروا فى حال صفائهم فى اكدارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) الدنيا دار الآفات والمحن كم غرت غرا وما فطن أرته ظاهرها والظاهر حسن فلما فتح عين الفكر من رقاد الوسن قال رب ارجعون ولن ويح المقتولين بسيف اغترارهم والشرع ينهاهم عن أوزارهم (قل للمؤمنين يغضوا من

١ تنبيه فيه فائدتان يكثر وقوعهما والناس عنهما غافلون الاولى ان نظر الكافرات الى عورات المسلمات حرام كالرجال عند امامنا الاعظم وكذا رؤية النساء وتلذذهن برؤية الرجال الثانية قال أبو الوفا ابن عقيل الحنبلى يحرم خلوة النساء بالخصيان والمجبوبين اذ غاية ما تجد فيهم عدم العضو أو ضعفه ولا يمنع ذلك لامكان الاستمتاع بجسهم ولمسهم واعتناقهم والخصى يقرع قرع الفحل والمجبوب يساحق انتهى وسنذكر بعض هذا فى الدرس الآتى ان شاء الله تعالى فلا تغفل اهـ منه

أبصارهم) أين أرباب الهوى والشهوات ذهبت والله اللذات دون التبعات وندموا اذقدموا على مافات وتمنوا بعد يبس العود وهيهات فتلح فى الآثار سوأذكارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) نازلهم الموت على الذنوب وأسروا فى قيود الجهل والعيوب فرحلت لذات خلت من الافواه والقلوب وحزنوا على الفائت ولاحزن يعقوب حين أخرجوا من ديارهم فى ثياب ادبارهم وعصا التوبيخ فى أدبارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) اللهم وفقنا للهدى واعصمنا من أسباب الجهل والردى وسلمنا من آفات النفوس فانها شر العدا واجعلنا من المنتفعين بوعظ خيارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) اللهم اجعل أبصارنا مصروفة الى طاعتك وجوارحنا مشغولة بعبادتك وأذهب ظلمة قلوبنا بنور مغفرتك اللهم انا ان عصيناك بجوارحنا فقلوبنا بتوحيدك طائعة وافئدتنا عند الشدائد اليك راجعة فندعوك اللهم اضطرارا بذل العبودية ووثوقا بكرم الربوبية متبرئين من حولنا وقوتنا راجعين الى حولك وقوتك أن تغفر ذنوبنا وتحسن فى الدارين عواقبنا وترحمنا ووالدينا والمسلمين وتصلى وتسلم على محمد واخوانه النبيين والمرسلين وعبادك الصالحين وآله أجمعين

المجلس السابع والعشرون

(فى التزوج وما يتعلق باحكام النساء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا مثل له يوجد ولا اله سواه يعبد ولا كريم غيره يقصد قدرته تجمع ما انتشر وتبدد ومشيئته تظهر ما تكون وتجدد وارادته نافذة بمن ألحد ووحد وحلمه يسع من عتى وتمرد ولا يعزب عن سمعه صوت الحمام اذا غرد ولا أنين المذنب اذا قام يتهجد ولا يغيب عن نظره سواد النمل فى الليل الاسود ذاب لهيبته الصخر والجلمد وأحاط علمه بمجال الفكر كلما جال وتردد وتنزه عن الشريك وتعالى عن المعين والصاحبة والولد (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) أحمده وهو أحق من يحمد وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقبل وتصعد وأشهد ان سيدنا وسندنا وذخرنا وملاذنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله المزمل المدثر الحامد الاحمد وأصلى وأسلم عليه وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه لا سيما على أبى بكر الصديق أول من أنفق وأسعد وعلى عمر بن الخطاب المحدث ١ الموفق الارشد وعلى عثمان بن عفان الكريم الامجد وعلى على بن أبى طالب بحر العلم الزاخر الذى لا ينفد صلاة وسلاما دائمين باقيين ماغنى حمام على غصن وغرد (أما بعد) فقد روى الامام مسلم والامام البخارى عليهما رحمة الملك البارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ٢ (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم ان الزنا ودواعيه من الكبائر وان صاحبه ممقوت فى الدنيا وهالك فى اليوم الآخر ومن أعظم أسبابه الداعية لذلك من المرأة والرجل عدم الزواج اذ بالعزوبة يكون له رواج فلذلك ولأجل بقاء نوع بنى آدم الى ماشاء الله تعالى أمر الله تعالى فى كتابه الكريم بالنكاح وحض عليه رسوله الرؤف الرحيم وأباح لنا منه ما أباح فلنبين لكم فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى ما يتعلق بذلك لتسلكوا منه أحسن المسالك فاسمعوا وعوا واقبلوا ما روته العلماء واتبعوا قال الشعرانى فى الميزان أجمع الامة على ان النكاح من العقود الشرعية المسنونة باصل الشرع واتفق الائمة على استحبابه لمن تاقت نفسه اليه وخاف الزنا ويكون فى حقه أفضل له من الحج والجهاد والصلاة والصوم التطوع واتفقوا على أنه اذا قصد نكاح امرأة سن له نظره الى وجهها وكفيها خلافا لداود فانه قال يجوز النظر الى سائر جسدها

١ قوله محدث كمحمد الصادق قاله فى القاموس اه منه

٢ قوله فى القاموس وجئ دق عروق خصيبه بين حجرين ولم يخرجهما والمراد من الحديث ان الصوم بمنزلة الخصاء له اه منه

خلا السوأتين وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول مالك والشافعى ان النكاح مستحب لمحتاج اليه يجد أهبته مع قول أحمد انه متى تاقت نفسه اليه وخشى العنت وجب ومع قول أبى حنيفة انه يستحب مطلقا بكل حال ومع قول داود الظاهرى بوجوبه مطلقا على الرجل والمرأة لكن مرة فى العمر (قلت) لكن فى الدر المختار للحصكفى الحنفى والنكاح يكون واجبا عند التوقان فان تيقن الزنا الا به فرض أو تسرى جارية وهذا ان ملك المهر والنفقة وسنة حال الاعتدال أى القدرة على وطئ ومهر ونفقة ومكروها لخوف الجور فان تيقنه حرم ذلك وينبغى النظر اليها قبله ومن ذلك قول الشافعى وأحمد انه لا يصح العقد الا بولى ذكر فان عقدت المرأة النكاح فهو باطل مع قول أبى حنيفة ان للمرأة أن تتزوج بنفسها وان توكل فى نكاحها اذا كانت من أهل التصرف فى مالها ولا اعتراض عليها الا أن تضع نفسها فى غير كفء فهنالك يعترض الولى عليها ومع قول مالك ان كانت ذا شرف ومال يرغب فى مثلها لم يصح نكاحها الا بولى وان كانت بخلاف ذلك جاز أن يتولى نكاحها أجنبى برضاها ومع قول داود ان كانت بكرا لم يصح نكاحها بغير ولى وان كانت ثيبا صح ومن ذلك قول الشافعى ان للجد والاب تزويج البكر بغير رضاها صغيرة كانت أو كبيرة وبذلك قال مالك فى الجد وهو أشهر الروايتين عن أحمد فى الجد مع قول أبى حنيفة ان تزويج البكر البالغة العاقلة بغير رضاها لا يصح لاحد ومع قول مالك وأحمد فى احدى الروايتين انه لا يثبت للجد ولاية الاجبار بخلاف الاب ومن ذلك قول الثلاثة انه لا يجوز لغير الاب تزويج الصغيرة حتى تبلغ وتأذن مع قول أبى حنيفة ان ذلك يجوز لسائر العصبات غير انها يثبت لها الخيار اذا بلغت ومن ذلك قول الشافعى وأحمد انه لا يثبت النكاح الا بشاهدين عدلين ذكرين مع قول أبى حنيفة انه ينعقد برجل وامرأتين وبشهادة فاسقين ومن ذلك قول الثلاثة انه يجوز للمسلم أن يتزوج كتابية من وليها الكتابى خلافا لاحمد ومن ذلك اذا تزوجها لأجل أن تحل للاول فعند أبى حنيفة النكاح صحيح وعن مالك وأحمد انه لا يصح وعن الشافعى انه مكروه والبحث فى ذلك طويل ومن ذلك قول أبى حنيفة انه لا يفسخ النكاح بشئ من العيوب وانما للمرأة الخيار فى الجب والعنة فقط مع قول مالك والشافعى انه يثبت فى ذلك كله الخيار الا فى الفتق ومع قول أحمد بثبوته فى الكل والعيوب تسعة وهى الجنون والجذام والبرص والجب والعنة والقرن وهو عظم فى الفرج والرتق وهو انسداده والفتق وهو انخراقه والعفل وهو لحم يكون فى الفرج ومن ذلك ان أقل الصداق عند أبى حنيفة ما تقطع به يد السارق وهو عشرة دراهم أو دينار وعند مالك ثلاثة دراهم وقال الشافعى وأحمد لا حد لاقله ومن ذلك قول الشافعى ان العزل ١ عن الحرة ولو بغير اذنها جائز مع الكراهة مع قول الثلاثة انه لا يجوز الا باذنها انتهى باقتصار ولنذكر لكم الاحاديث والآثار قال فى كشف الغمة كان صلى الله عليه وسلم يقول اذا أفاد أحدكم امرأة أو خادما أو دابة فليأخذ بناصيتها وليقل اللهم انى أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أراد أن يلقى الله عز وجل طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر رواه فى الترغيب وروى أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص الدنيا متاع وخير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة مسكين مسكين رجل لا امرأة له مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لا تبغيه حوبا ٢ فى نفسها وماله وعن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة من السعادة المرأة تراها تعجبك وتغيب تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون طيبة فتلحقك باصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق وثلاثة من الشقاوة المرأة تراها تسوءك وتحمل لسانها عليك وان غبت لم تأمنها والدابة تكون قطوفا فان ضربتها أتعبتك وان تركتها لم تلحقك باصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق رواه الحاكم وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله تعالى فى الشطر الآخر رواه الطبرانى وعن أنس

١ قوله العزل هو أن يخرج ذكره عند ارادة الانزال اه منه ٢ الحوب الاثم وله معان أخر اه منه

رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله تعالى الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله تعالى الا فقرا ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله تعالى الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله تعالى له فيها وبارك لها فيه وقال تزوجوا الولود فانى مكاثر بكم الامم وقال ان من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه ولذلك ورد أيضا فى حديث آخر لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها وفى حديث آخر اذا دعى رجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح وفى حديث آخر اذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك فى السماء وكل ملك فى الارض وقد أمر الرجال أيضا بالاحسان اليهن ومداراتهن فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت رواه أبو داود وروى الشيخان كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالامام راع ومسؤل عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسؤل عن رعيته فكلكم راع ومسؤل عن رعيته وروى مسلم والترمذى أفضل دينار أنفقه الرجل دينار على عياله ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله تعالى ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله وروى الطبرانى من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهى صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهى صدقة وروى أيضا أول ما يوضع فى ميزان العبد نفقته على أهله وفى حديث آخر ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن الا كن له حجابا من النار وفى رواية فأدبهن وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة وأخرج الطبرانى ما من ذى محرم يأتى ذو رحمه اليه فيسأله فضلا أعطاه الله تعالى اياه فيبخل عليه الا أخرج الله تعالى من جهنم حية يقال لها شجاع تتلمظ فتطوق به وقال صلى الله تعالى عليه وسلم استوصوا بالنساء ١ فان المرأة خلقت من ضلع أى خلقت حواء من ضلع آدم اليسرى وان أعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج وفى رواية فدارها تعش بها ولذلك أمر الرجال بالعدل بين النساء فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط حتى عد ذلك ابن حجر من الكبائر وعد منها أيضا افشاء أحدهما سر صاحبه فقد أخرج مسلم وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه وروى أبو داود ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله يغلق بابا ثم يرخى سترا ثم يقضى حاجته ثم اذا خرج حدث أصحابه بذلك ألا عسى احداكن ان تغلق بابها وترخى سترها فاذا قضت حاجتها حدثت صواحبها فقالت امرأة يا رسول الله انهن ليفعلن وانهم ليفعلون قال فلا تفعلوا فان ذلك مثل شيطان لقى شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته ثم انصرف وتركها وكذلك من الكبائر أن يجامع الرجل حليلته بحضرة امرأة أجنبية او رجل وكذا من الكبائر لبس المرأة ثوبا رقيقا يصف بشرتها وميلها وامالتها فقد أخرج مسلم وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا والمراد كاسيات صورة عاريات معنى بان يلبسن ثوبا رقيقا روى ابن حبان يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤسهم كأسنمة البخت العجاف العنوهن فانهن ملعونات عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أختها اسماء دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت زمن الحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وأشار الى وجهها وكفيها

١ وعلى ذلك قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة اه منه

ومن

• ومن الكبائر أيضا ما تستعمله النساء من الرقى ١ وتعليق التمائم والخرز فقد روى عن عقبة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له وعن أبى مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك والتولة شئ تصنعه النساء يتحببن الى أزواجهن فاعتقاد ذلك حرام لانه من السحر ويعتقدون انها تجلب نفعا أو تدفع ضررا لكن تعليق الآيات القرآنية جائز وكذلك جعلها رقية لمريض أو لديغ لانها شفاء ورحمة بخلاف الالفاظ التى لا يعرف معناها من غير اللغات العربية فانه لا تجوز قراءته ولا التعوذ به كما هو مفصل فى الكتب الشرعية ومن الكبائر أيضا الوشم وايصال الشعر ونحو ذلك فقد روى عن اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما انها قالت جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان لى ابنة عروسا وانه أصابها حصبا فتمزق شعرها وسقط أفأصله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة والمتفلجة للحسن المغيرة خلق الله قال العلماء والنامصة ناتفة الشعر من الوجه والواشرة التى تنشر الاسنان حتى تكون محدودة رقيقة تفعله المرأة الكبيرة تشبها بالحديثة السن والواشمة التى تغرز اليد أو نحوها بابرة ثم تحشى بالكحل أو بدخان الشحم حتى يخضر لكن لا بأس بالخضاب فقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول للنساء ليس عليكن بأس فى الخضاب بالحناء بين كل حيضتين أو عند كل حيضة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الرجلة من النساء ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أظفارها بيض فأمرها ان تخضبهم بالحناء وقالت عائشة دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا امرأة فى خباء فأخرجت يدها من تحت الستارة تسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال كأن كفها كف سبع اختضب احداكن يديها ولا تتشبه بالرجال وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أهل العروس باصلاح أمرها للدخول وأن يكثروا عليها من الطيب بعد غسل رأسها وبدنها وان يلبسوها الحلى وكذلك كان يأمر أهل الزوج لكن ينبغى للمرأة ان لا تظهر زينتها للاجانب فقد اخرج أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام قال كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى زانية وروى ابن ماجه بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل فى زينة لها فى المسجد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد فان بنى اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا فى المساجد وكما يستحب تزين المرأة لزوجها يستحب له ايضا التزين لها فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلوا ذلك فزنت نساؤهم وكان عطاء رضى الله تعالى عنه يقول سمعت ابن عباس يقول انى احب ان أتزين لزوجتى كما أحب أن تتزين لى واعلموا أن السيوطى قد روى فى كتابه الاجر الجزل فى الغزل عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وقد ورد فى فضل الغزل أحاديث كثيرة منها عن عبد الله بن ربيع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أبناءكم السباحة والرماية ونعم لهو المؤمنة فى بيتها الغزل وعن ابن عباس مرفوعا لا تعلموا نساءكم الكتابة

(١) وليعلم ان الرقى بالآيات القرآنية والآيات الشرعية واردة فى الاحاديث النبوية ومنها على ما فى زاد المعاد ما هو لعسر الولادة قال عبد الله بن الامام أحمد رأيت أبى يكتب للمرأة اذا عسر عليها ولادتها فى جام أبيض أو شئ نظيف حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها ويروى انه كان يكتبه أيضا بزعفران وعن ابن عباس قال مر عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا كلمة الله ادع لى أن يخلصنى الله مما أنا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هى قائمة تشمه قال فاذا عسر على المرأة ولدها فاكتبه لها اه وقد ذكرنا رواية أخرى فى هذا الكتاب فتذكر اه منه

ولاتسكنوهن العالى وقال خيرلهوالمؤمن السباحة وخيرلهوالمرأة المغزل وعن سهل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم زينوا مجالس نساءكم بالمغزل وقال زياد دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وبيدها مغزل تغزل به فقلت كلما أتيتك وجدت فى يدك مغزلا فقالت انه يطرد الشيطان ويذهب حديث النفس واذبلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اعظمكن أجرا أطولكن طاقة والاحاديث كثيرة *(تنبيه يلزم بيانه)* لماذكرنا ان المرأة عورة ويقتضى ان لاتبدى زينتها للاجانب (فنقول) اختلفوا فى حدود العورة فى الصلاة للرجل فقال أبو حنيفة ومالك والشافعى واحمد فى احدى الروايتين عنه هى مابين السرة والركبة وقال احمد فى الاخرى وهى ايضا رواية عن مالك القبل والدبر فى الرجل ١ واختلفوا فى ركبته فقال ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعى عورة وأحمد ومالك ليست بعورة والسرة بالاجماع ليست بعورة واختلفوا فى عورة الحرة فقال أبو حنيفة كلها عورة الاالوجه والكفين والقدمين وقدروى عنه ان القدمين منها عورة ومالك والشافعى كلها عورة الاوجهها وكفيها وعن أحمد روايات منها انها كلها عورة الاوجهها خاصة واختلفوا فى عورة الامة فقال مالك والشافعى هى كعورة الرجل وعن أبى هريرة كعورة الحرة وعن أحمد روايتان احداهما مابين السرة والركبة والاخرى القبل والدبر وقال أبو حنيفة عورة الامة كعورة الرجل الاانه زاد فقال جميع بطنها وظهرها عورة وهذا بالنسبة الى الصلاة وأما بالنسبة الى الحرمة فمدارها الشهوة سواء كان ذكرا أم أنثى ويجوز النظر الى العورة لامور منها لاجل تحمل الشهادة على الزنا لاللتلذذ وكذا نظر القابلة ٢ والخافضة والختان والطبيب والاحتقان والبكارة فى العنة والرد بالعيب وليعلم ان كشف العورة لغير ضرورة حرام بل عده كثير من العلماء من الكبائر للاحاديث الواردة بذلك روى البيهقى احفظ عورتك الامن زوجتك أو ماملكت يمينك قيل فاذا كان أحدنا خاليا قال الله أحق ان يستحى منه من الناس وروى الامام أحمد ان الله تعالى حى ستير يحب الحياء والستر فاذا اغتسل أحدكم فليستتر وروى الديلمى لاتدخلوا الماء الابمئزر فان للماء عينين وروى عبد الرزاق وابن جريج قال بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج فاذا هو باجيرله يغتسل عاريا فقال لاأراك تستحيى من ربك خذ اجارتك لاحاجة لنا بك قال ابن حجر وأخرج النسائى والترمذى وصححه الحاكم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدخل الحمام الابمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدخل حليلته الحمام وروى ابن ماجه وأبو داود ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلايدخلنها الرجال الابالازر وامنعوها النساء الامريضة أونفساء وفى رواية من دخله فليستتر وفى رواية لاتدخله وان بازار ودرع وخمار ومامن امرأة تنزع خمارها فى غير بيت زوجها الاكشفت الستر فيما بينها وبين ربها وروى الشيرازى من دخل الحمام بغير مئزر لعنه الملكان وروى الطبرانى شر البيت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله فلايدخله الامستترا وروى ابن السنى وابن عساكر نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام وذلك انه اذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ بالله من النار وبئس البيت يدخله الرجل المسلم بيت العروس وذلك انه يرغبه فى الدنيا وينسيه الآخرة وروى البيهقى أول من دخل الحمامات وصنعت له النورة سليمان بن داود فلما دخله قال أوه ٣ من عذاب الله قبل ان لايكون أوه وروى ابن عساكر اذا كان آخر الزمان حرم دخول الحمام على ذكور أمتى بمئازرها قالوا لم ذاك يارسول الله قال لانهم يدخلون على قوم عراة ألا وقد لعن الله الناظر والمنظور اليه وقال زكريا الساجى لاتجوز شهادة من دخل الحمام بغير مئزر أووقع فى نهر بغير مئزر وفى كتاب نصاب الاحتساب للشيخ عمر الحنفى ان المرأة يجوز لها ان تنظر الى المرأة الاماتحت السرة الى الركبة وانه لايحل لامرأة

١ قوله قال بعضهم وهذا عند مالك فى الصلاة فقط وأما خارجها وبالنظر الى النظر فغير القبل والدبر من الفخذين ونحوهما أيضا عورة عنده ويحرم نظره فلاتغفل اه منه

٢ قوله والخافضة أى التى تختن المرأة اه منه

٣ قوله أوه فيها لغات كثيرة كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع اه منه

مسلمة ان تتجرد بين يدى امرأة مشركة الاأن تكون المشركة أمة لها اه وفى كتب الائمة الحنفية رواية عن الامام الاعظم ان الكافرة بالنسبة الى النساء المسلمات كالرجل فلا يجوز أن يطلعنها على مالايحل للرجال رؤيته منهن وصرح ابن عقيل الحنبلى والحنفية ان خلوة الخصى والمجبوب بالنساء حرام وكذا الخصائه والناس عن جميع هذه المسائل غافلون فانا لله وانا اليه راجعون (فعليكم عباد الله) بتحصين فروجكم وستر عوراتكم وغض أبصاركم واصلاح أنفسكم والعدل بين أزواجكم والتعليم لاولادكم والتزود لآخرتكم وتفكروا فى صحيفة قد اسودت وفى نفس كلما نصحت صدت وفى كف المنايا فقد امتدت وفى ذنوب ماتحصى لوعدت فياذا هبا فى شططه يامتعرضا لعقوبة الله وسخطه أما تعلم ان الزمان يهدم الاعمار ويكفى علمك بان الموت لايبقى أحدا فى هذه الدار فلينتبه الحى قبل ان يموت وليستدرك عمرا فى كل آن يفوت فأموالكم بعدكم مواريث وأنتم عن قليل أحاديث فياهذا تعمر من الحرام قصرك والايام تخرب عمرك فهلا عرفت ان عمرك فى مدة حياتك معدود وان جسمك بعد مماتك ياكله الدود فتهيأ للموت فكأن قد لاح وطلع ومن أحاطت به أشراك الهوى (١) لابد ان يقع فاين النفوس التى كانت فى طلب المعاصى هائمه أقعدتها محن البلايا بعد أن كانت قائمه أين عاد وثمود والامم المتقادمه بيناهم فى خطاياهم اذا بلاياهم قادمه هجموا على المخالفات فاذا الآفات هاجمه أخذوا على ذنوبهم وأسروا بعيوبهم المتراكمه ذهب الفرح وجاء الترح فاذا النفوس واجمه أصبحت دموعهم اذ ترقت جموعهم على خدودهم ساجمه وأما الصالحون الذين هم لهواهم زاجرون فهم فى الجنان (على الارائك ينظرون) اذ كانوا فى دياجى الليالى يسهرون ويصومون وهم على الطعام يقدرون ويسارعون الى مايرضى مولاهم ويبادرون فقد أبدلهم بتعب تلك الطاعات لذة السكون (على الارائك ينظرون) ياحسنهم والولدان بهم يحفون والملائكة لهم يزفون والخدام بين أيديهم يقفون وقد أمنوا ما كانوا يخافون (على الارائك ينظرون) وبالحور الحسان هم وأزواجهم يخدمون وفى خيام اللؤلؤ يتنعمون وعلى أسرة الذهب والفضة يتزاورون وبالوجوه الناضرة يتقابلون (على الارائك ينظرون) فنسألك يامن يقول للشئ كن فيكون أن تهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وأن تجعلنا للمتقين اماما وممن الى الخيرات يسارعون وعلى الارائك ينظرون ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ولاتجعلنا من الذين لاوزارهم يحملون بل اجعلنا يا الهنا من عبادك الذين يرثون الفردوس وهم فيها خالدون على الارائك ينظرون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

المجلس الثامن والعشرون
فى التطفيف والربا والبيع والشراء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القديم ولايقال متى كان العظيم فلايحويه مكان أنشأ آدم وأخرج ذريته بنعمان ٢ ورفع ادريس الى أعالى الجنان ونجى نوحا وأهلك كنعان وسلم الخليل بلطفه يوم النيران ويوسف من الفاحشة حين البرهان وبعث شعيبا الى مدين فنهى عن البخس والعدوان ويناديهم فى ناديهم ولكن صمت الآذان وقد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان أحمده حمدا يملأ الميزان وأصلى على رسوله محمد الذى فاق دينه الاديان وعلى صاحبه أبى بكر أول من جمع القرآن وعلى الفاروق الذى كان يفرق منه الشيطان وعلى زوج الابنتين عثمان وعلى على بحر العلوم ومبيد الشجعان وعلى بقية آله وأصحابه وذريته وأزواجه ماسمع صوت أذان (أمابعد) فقد قال تعالى فى كتابه الكريم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أووزنوهم يخسرون الايظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين الآيات (فنقول) وبالله تعالى التوفيق

(١) نسخة الهلاك اه منه (٢) قوله نعمان وادوراء عرفة وهو نعمان الاراك اه منه

اختلف العلماء فى هذه السورة فقيل مكية وقيل مدنية وقيل نزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى أمر أهل المدينة قبل ورود رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج النسائى والبيهقى فى شعب الايمان انه لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك وقال السدى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى هذه الآية وأما ويل فاختلف فيه العلماء فقيل الويل شدة الشر وقيل الحزن والهلاك وقيل العذاب الاليم وقيل جبل فى جهنم وذهب كثير الى أنه واد فى جهنم لان فيها أودية وجبالا ونحو ذلك من النار أعاذنا الله تعالى واياكم منها فنها على ما فى البحور الزاخرة ويل فقد أخرج الامام أحمد عن أبى سعيد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ويل واد فى جهنم يهوى به الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ومنها الغى فهو واد فى جهنم خبيث الطعم بعيد القعر يقذف به الذين يتبعون الشهوات ومنها آثام وهو واد فيه حيات وعقارب العقرب مثل البغل ومنها الفلق وان جهنم لتتأذى منه ومنها جب الحزن فقد روى أبو هريرة نعوذ بالله من جب الحزن قالوا وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤن بأعمالهم ومنها هبهب ففى الخبر عن أبى بردة عن أبيه مرفوعا ان فى جهنم واديا ولذلك الوادى بئر يقال له هبهب حقا على الله أن يسكنها كل جبار متكبر وأخرج الامام أحمد يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس يعلوهم كل شئ من الصغار حتى يدخلوا سجنا فى جهنم يقال له بولس ١ فتعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار وأخرج ابن أبى الدنيا عن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلى أحد من أمر الناس شيأ الا أوقفه الله تعالى على جسر جهنم فزلزل به الجسر زلزلة فناج أو غير ناج لا يبقى منه عظم الا فارق صاحبه فان هو لم ينج ذهب به فى جب مظلم كالقصر فى جهنم لا يبلغ قعره سبعين خريفا وأخرج أبو نعيم ان طارقا قال لسليمان بن عبد الملك يا أمير المؤمنين ان صخرة كانت على شفير جب فى جهنم هوت فيها سبعين خريفا حتى استقرت أتدرى لمن أعدها الله تعالى قال لا قال ويلك لمن أعدها الله تعالى قال لمن أشركه الله تعالى فى حكمه فجار قال فبكى لها ومن جبالها صعود قال تعالى (سأرهقه صعودا) قال ابن عباس هو جبل فى النار يزلق الكافر (٢) فيه كلما صعده وقال ابن السائب هو جبل من صخرة ملساء فى النار يكلف أن يصعدها حتى اذا بلغ أعلاها انحدر الى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها فذلك دأبه أبدا يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها فى أربعين سنة ومنها العقبة كما قال تعالى فلا اقتحم العقبة هو جبل زلزال فى جهنم وأخرج البخارى فى تاريخه عن نشير بن مجيب قال ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت سبعون ألف بئر فى كل بئر سبعون ألف ثعبان فى شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله قال المنذرى فيه سعيد الحمصى ضعفه ابن معين وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم وقال الضحاك جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فنعوذ بالله تعالى من جميع ذلك ونسأله السلامة فى الدنيا والآخرة من كافة المهالك فقد تبين ان ويل واد فى جهنم وهو معدود للمطففين (والتطفيف) لغة التقليل فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل أو وزن قال الزجاج انما قيل له مطفف لانه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان الا الشئ اليسير الطفيف وروى ان أهل المدينة كانوا تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما

١ قوله بولس بضم الباء الموحدة وفتح اللام اهـ منه (٢) فى نسخة الفاجر اهـ منه

حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر ولولا البهائم لم يمطروا وأخرج سعيد بن منصور عن سلمان رضى الله تعالى عنه قال انما الصلاة والمكيال فمن أوفى وفى له ومن طفف فقد سمعتم ما قال الله تعالى فى المطففين وعن أبى بن كعب لا تلتمسوا الحوائج ممن رزقه فى رؤس المكاييل وألسن الموازين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها الا الامانة قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وان قتل فى سبيل الله فيقال أد أمانتك فيقول أى رب كيف وقد ذهبت الدنيا قال فيقال انطلقوا به الى الهاوية فينطلق به الى الهاوية ويمثل له امانته كهيئتها يوم دفعت اليه فيراها فيعرفها فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى اذا نظر ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشياء عددها وأشد ذلك الودائع قال ابن حجر رحمه الله تعالى قال مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه دخلت على جار لى وقد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار جبلين من نار قال فقلت ما تقول قال يا أبا يحيى كان لى مكيالان كنت أكيل باحدهما وأكتال بالآخر قال يا مالك فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر فكلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الامر عظما وشدة فمات فى مرضه قال وقال بعض السلف أشهد على كل كيال بالنار لانه لا يكاد يسلم الا من عصمه الله تعالى وقال بعضهم دخلت على مريض قد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له يا أخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها قال يا أخى لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها فقلت له بالله أكنت تزن ناقصا قال لا والله ولكنى كنت أقف مدة لا أعتبر صنجة ميزانى فاذا كان هذا حال من لا يعتبر صنجة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصا قال ابن حجر كالكيالين والوزانين التجار اذا شددوا أيديهم فى الذرع وقت البيع وأرخوها وقت الشراء وهذا من تطفيف فسقة البزازين والتجار وان العرق يوم القيامة يلجمهم الى انصاف آذانهم ثم بعد ذلك اما الى الجنة واما الى النار ونحو هذا بل أشد منه تغيير حدود الارض والسرقة من أرض جارك فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين وروى الامام أحمد أيما رجل ظلم شبرا كلفه الله تعالى أن يحفره حتى يبلغ سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس وروى الطبرانى من أخذ من طريق المسلمين شبرا جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين نقله فى الترغيب ويقرب من هذا كراء نحو من الشوارع والطرق وأخذ أجرته وان كان حريم ملكه أو دكانه حتى عده بعضهم من الكبائر قال العلامة ابن حجر ومن ثم قال الاوزاعى فيما يفعله وكلاء بيت المال فى الشوارع من نحو أخذ أجرة من الجالسين لا أدرى بأى وجه يلقى الله عز وجل من يفعل ذلك ونحو ذلك بل أضر منه انفاق الفلوس الزيف وغير الخالصة وضربها يعنى سكها واعطائها الناس ولو علم الآخذ ذلك حتى قال فى كتاب نصاب الحسبة ناقلا عن العلماء ان انفاق درهم مزيف أشد من سرقة مائة درهم جياد لان سرقتها معصية واحدة منقضية وأما انفاق الزيف وهى القلب سيئة يعمل بها ما بقى ذلك الدرهم يدور فى أيدى الناس ويكون الاثم على فاعله ومعطيه الى آخر فنائه ومن ألقاه فى البحر أو أذابه فى النار فهو أفضل له من ان يتصدق بمثله وأفضل من كثرة الصلاة والصوم النافلتين انتهى ومثل ذلك فى الاشتراك بالاثم من اشترى مالا مسروقا فقد روى أبو هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة لقد اشترك فى عارها واثمها رواه البيهقى وكما ان التطفيف حرام فكذا الغش فى البيع حرام فقد روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا وروى الامام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطعام وقد حسنه صاحبه فادخل يده فيه فاذا طعام ردىء فقال بع هذا على حدة وهذا على حدة فمن غشنا فليس منا وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تشوبوا اللبن للبيع ألا وان

رجلا ممن كان قبلكم جلب خمرا الى قرية فشابها بالماء فاضعف اضعافا فاشترى قردا فركب البحر حتى اذا لجج فيه ألهم الله تعالى القرد صرة الدنانير فاخذها فصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فاخذ دينارا فرمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين رواه فى الترغيب وغيره عن البيهقى وروى الامام أحمد المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم اذا باع من أخيه بيعا فيه عيب ان لا يبينه وقال صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وكذا الاحتكار من الكبائر روى عبد الله بن فضالة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر طعاما فهو خاطئ وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله و برئ الله منه وايما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى رواه أحمد وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجالب مرزوق والمحتكر ملعون من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد المحتكر ان أرخص الله الاسعار حزن وان أغلاها فرح وقال صلى الله عليه وسلم من دخل فى شئ من اسعار المسلمين يغلى عليهم كان حقا على الله أن يقذفه فى النار رأسه أسفله رواه الحسن وكذا كره النجش وهو أن يزيد فى ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها أو يمدحها ليروجها والبيع على بيع الغير والشراء على شرائه وتلقى الجلب لشراء الطعام من خارج البلدة وبيع العبد المسلم للكافر وكذا المصحف وكتب العلم الشرعى له وعد بعضهم جميع ذلك من الكبائر (قلت) ويلحق به بيع الاسلحة والخيل للحربيين وعد منها بيع الأمة ووطؤها قبل استبرائها وكذلك عد منها أيضا منع ماء الفحل فقد روى البزار عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل ١ وكذا كره التفرقة بين الوالدة وولدها بالبيع عن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة وروى أبو موسى لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فرق بين الوالدة وولدها وبين الاخ وأخيه وكذا يحرم مطل الغنى عن على كرم الله تعالى وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يحب الله الغنى الظلوم وهو الذى يمطل دائنه ولا الشيخ الجهول ولا الفقير المختال وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بى ٢ ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره رواه البخارى وكذا يحرم انفاق السلعة بالحلف الكاذب أخرج مسلم والاربعة عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ثلاث مرات قلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل ازاره والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفى رواية ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة أشيمط ٣ زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشترى الا بيمينه ولا يبيع الا بيمينه وروى الشيخان ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر ٤ فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها ما يريد وفى له وان لم يعطه لم يوف له وفى رواية ورجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب فاليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ويقال لها الغموس لانها تغمس صاحبها فى النار عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين

---

١ قوله منع الفحل بأن يكون عنده مثلا فرس أو حمار فيأخذ لنزوانه للانثى دراهم والا منعه فذلك حرام اه منه

٢ أى عاهد بالله عز وجل ثم غدر ونقض عهده اه منه

٣ قوله اشيمط مصغر اشمط والشمط محركة بياض شعر الرأس يخالط سواده اه منه

٤ لانه بعد العصر تختم صحيفة أعمال النهار اه منه

واليمين الغموس وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار قيل وان يسيرا قال وان سواكا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى الله لا يشرك به شيأ وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع وأطاع فله الجنة وخمس ليس لهن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت مؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق رواه الامام أحمد * وليعلم أن كفارة اليمين اذا حنث الحالف اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة بالاتفاق والحالف مخير فى فعل ايها شاء فان لم يجد انتقل الى صيام ثلاثة أيام والرقبة شرطها أن تكون مؤمنة خلافا للامام أبى حنيفة * واعلم ان الائمة اختلفوا فى اليمين الغموس وهى الحلف بالله تعالى على أمر ماض متعمدا للكذب فيه فعند أبى حنيفة ومالك وأحمد فى احدى روايتيه انها لا كفارة لها لانها أعظم من أن تكفر لانها تغمس صاحبها فى النار وعند الشافعى وأحمد فى الرواية الاخرى أنها تكفر أى يلزم فيها الكفارة المذكورة وأما اليمين اللغو فعند أبى حنيفة ومالك وأحمد فى احدى روايتيه هو أن يحلف على أمر يظنه على ما حلف عليه ثم يتبين أنه بخلافه سواء قصده ام لم يقصده فسبق على لسانه سواء كان فى الماضى أم فى الحال وقال احمد انه فى الماضى فقط وقال الشافعى لغو اليمين ما لم يعتقده كقوله لا والله وبلى والله عند المحاورة والغضب واللجاج من غير قصد سواء كان على ماض أم مستقبل وهى رواية عن مالك وأحمد أيضا واختلفوا فيها فقالت الائمة الثلاثة لا اثم فى لغو اليمين ولا كفارة لقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم وقال أحمد ان فيه الاثم ولذلك كان الامام الشافعى يقول ما حلفت بالله تعالى صادقا ولا كاذبا فتبين ان الايمان ثلاثة منعقدة وهى التى فيها الكفارة بالاتفاق وهى أن يحلف على شئ أن يفعله أو لا يفعله فيحنث فتلزمه الكفارة المذكورة وغموس ولغو قال العلماء واليمين التى تلزم فيها الكفارة هى ما كانت بالله تعالى أو بصفاته أو بالقرآن العظيم وعند الامام أحمد فى رواية عنه لو حلف بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انعقد يمينه فان حنث لزمته الكفارة وأما ما عدا ذلك فلا يجوز به الحلف ولا تجب كفارة قال الائمة وكما ان الحلف بالله تعالى كاذبا حرام كذلك الحلف بغير الله حرام سواء كان صادقا أم كاذبا فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ومن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يحلف بأبيه فقال لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له فليرض ومن لم يرض بالله فليس من الله وعن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا تحلف بغير الله فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك وعن عبد الله بن مسعود قال لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره وأنا صادق قال على القارى أخاف على من يقول بحياتى وحياتك الكفر ولنرجع الى ما نحن بصدده ومن الكبائر العظيمة الربا فى البيع والشراء وهو بضع وسبعون بابا وأدناها كمن يقع على أمه كما رواه البزار ولنذكر ماية ما يتعلق ببعضه من الآيات والاحاديث والاحكام قال الله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين) فتأمل هذه الآيات التى اشتملت على عقوبة آكل الربا وينكشف ذلك بالاحاديث الواردة أيضا فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه وقال عليه الصلاة والسلام اذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله تعالى وروى الامام أحمد ما من

قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة ١ وما من قوم يظهر فيهم الرشا ٢ الا أخذوا بالرعب ٣ وقال عليه الصلاة والسلام ان آكل الربا يعذب من حين يموت الى يوم القيامة بالسباحة فى نهر أحمر مثل الدم وانه يلقم الحجارة كلما ألقم حجرا سبح به ثم عاد فاغرا فاه فيلقم حجرا آخر وهكذا الى البعث وتلك الحجارة هى نظير المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا ولذلك قال سبحانه (يمحق الله الربا) أى يصير عاقبته الى الفقر (ويربى الصدقات) أى يزيدها فى الدنيا بسؤال الملك له أن يعطيه الله عزوجل خلفا كما جاء فى الاحاديث انه ما من يوم الا وفيه ملك ينادى اللهم أعط منفقا خلفا وبأنه يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وميل القلوب اليه والدعاء الخالص له من قلوب الفقراء وروى البيهقى خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله تعالى من ستة وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربا الربا عرض الرجل المسلم ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به وروى أربعة حق على الله ان لا يدخلهم الجنة مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم والعاق لوالديه وروى البخارى لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آكل الربا وموكله والمصورين ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغى وهى الفاجرة وروى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتباه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ٤ ولاوى الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقال قتادة آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا قالوا والدليل على ذلك قوله تعالى فى أكلة الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس أى من أجل مسه له أو من جهة الجنون فانهم يوم القيامة كلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم كالمصروعين وسر ذلك أن السحت ربا فى بطونهم حتى أثقلها وزاد عذابهم اه ومن جملة أبواب الربا ما اعتاده كثير من التجار والمتمولين والدائنين من الدراهم التى يأخذونها ويسمونها نزول الوعدة من المديونين وكذا انتفاع المرتهن بما ملك الراهنين وكذا اعطاء دراهم وأخذ غيرها فى غير بلد لسلامة خطر الطريق وكذا اعطاء دراهم معروفة ٥ عند أربابها لسلامة المال الموضوع فى السفن من غرق وحريق وكذا البيوع الفاسدة والعقود الكاسدة فانه يجب على العاقدين فسخها رعاية وامتثالا لشريعة سيد المرسلين عليه وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين ومن المحرمات أيضا على ما قال بعضهم الحيلة فى التخلص من الربا كما يفعله كثير من الربويين من بيع شئ بثمن وغير للمديون فقد أباحه الامامان أبو حنيفة والشافعى وقال الامام مالك والامام أحمد بالتحريم ونقل ابن حجر فى الزواجر عن بعضهم أن آكله بالحيلة يحشر فى صورة الكلب والخنزير من أجل تحيلهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا فى اصطياد الحيتان التى نهاهم الله تعالى عن اصطيادها يوم السبت فحفروا لها حياضا تقع فيها يوم السبت حتى يأخذوها يوم الاحد فلما فعلوا ذلك مسخوا قردة وخنازير نعوذ بالله تعالى من ذلك ٦ *(تنبيه)* أجمعوا على أن الاعيان المنصوص على تحريم الربا فيها سبعة الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والزبيب والملح وأجمعوا على أنه لا يجوز بيع الذهب بالذهب منفردا والورق بالورق

---

١ قوله بالسنة أى بالقحط اه منه ٢ قوله الرشا جمع الرشوة اه منه

٣ قوله بالرعب أى بالخوف من الاعداء اه منه ٤ قوله ولاوى الصدقة أى المماطل فيها اه منه

٥ وتسمى الآن سكوستر وهى لفظة افرنجية اه منه

٦ ومن أخبث أنواع الربا ما يقامر عليه فى النرد ونحوه فقد روى انه عليه الصلاة والسلام قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير ولحمه قال العلماء سر هذا التشبيه والله أعلم ان اللاعب لما كان مقصوده أكل المال بالباطل الذى هو حرام كحرمة لحم الخنزير وتوصل اليه بالقمار وظن انه يفيده حل المال كان كالمتوصل الى أكل لحم الخنزير بذكاته اه باختصار من كلامهم وسيأتى فى بعض الدروس اه منه

منفرد

منفردا تبرها ومضروبها وحليها الا مثلا بمثل وزنا بوزن يدا بيد ويحرم نسيئة واتفقوا على أنه لا يجوز بيع الحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح اذا كان بعيار الامثلا بمثل ويدا بيد ويجوز بيع التمر بالملح والملح بالتمر متفاضلين يدا بيد قاله فى الميزان وفى كتب أئمتنا الحنفية الربا هو فضل مال خال عن عوض شرط لاحد العاقدين فى معاوضة مال بمال وعلة القدر والجنس والمراد من القدر الكيل فى المكيلات والوزن فى الموزونات فحرم بيع الكيلى أو الوزنى بجنسه متفاضلا أو نسيئة ولو غير مطعوم كالجص والحديد وحل متماثلا مع التقابض فان وجد الوصفان حرم الفضل والنساء وان عدما حلا وان وجد أحدهما فقط حل التفاضل لا النساء وتفصيل مسائله والاختلاف فى بعضها فى الكتب الفقهية من أرادها فليرجع اليها * ولنذكر لكم الترغيب فى حسن البيع والشراء وشبه ذلك مما يوجب الثواب فى دار الجزاء فمنه المسامحة فيهما روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله عبدا سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى سمحا اذا اقتضى وعن عثمان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدخل الله عزوجل رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا ٣ وقاضيا ومقتضيا وروى من كان هينا لينا قريبا حرمه الله على النار رواه مسلم ومنه انظار المعسر عن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتى الله بعبد من عباده آتاه مالا فقال له ماذا عملت فى الدنيا قال ولا يكتمون الله حديثا قال يا رب آتيتنى مالا فكنت أبايع الناس وكان من خلقى الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر فقال الله تعالى أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى ولذا كان فى بيع السلم الشرعى بركة فقد روى ابن عباس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة فيهن البركة البيع الى أجل والمقاوضة وخلط البر بالشعير للأكل لا للبيع ومنه اقالة النادم وهى من خصال أهل الجنة فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أقال مسلما بيعته أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة وفى رواية من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة وفى رواية من أقال أخاه بيعا أقال الله عثرته يوم القيامة ومنه صدق التجار موجب للنجاة من النار فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التاجر الصدوق تحت ظل العرش وروى عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان التاجر اذا كان فيه أربع خصال طاب كسبه اذا اشترى لم يذم واذا باع لم يمدح ولم يدلس فى البيع ولم يحلف فيما بين ذلك وعن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا وان كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا وقال ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق رواه الترمذى لانهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون ومنه عدم خيانة الشريكين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما وفى رواية وجاء الشيطان فعليكم عباد الله بعدم تطفيف الموازين والتجنب عن الربا فانه منقصة للدين وذلة للقاسطين فالويل كل الويل لمن لم يسمع كلام رب العالمين (ويل للمطففين) فالأسف لمن باع دينه بحبة طعام وواها لمن طفف الكيل ولم يراقب الملك العلام واشترى النار بكسرة لما تحمل من الاوزار والآثام ألم يعلم أن الله لا يهدى كيد الخائنين (ويل للمطففين) ليت شعرى هلا اتعظ آكل الربا بأمثاله وتفكر بعاقبة أحواله وأبصر نمو الصدقة ومحق الربا لماله ونظر الى قول من كتب رزقه وهو جنين (ويل للمطففين) ان آكل الربا كمن جاء أمه كما أخبر الصادق نبى الامه وان الكاذب فى بيعه يسقيه الشجاع الاقرع سمه ويحشر يوم القيامة مع المنافقين (ويل للمطففين) يقف لسان الميزان بلسانه عند الممات فيقول رب ارجعون وهيهات

---

٣ قوله وقاضيا ومقتضيا أى اذا أعطى دينه واذا طلب من الناس اه منه

فلو كان يعلم هذا حال الحبات لما فات منه ما فات ولأعطى بدل الحبة حبات للمشترين (ويل للمطففين)
١ أيها الخائن تذكر يوم القيامة يوم لا تنفع الاموال والندامه واسلك الآن طريق السلامه قبل أن يؤخذ بالوتين (ويل للمطففين) ويل واد تستغيث منه النار ولا يتقر للعاصين فيه القرار ولا يستطيعون الفرار من أبواب غلقت على المعذبين (ويل للمطففين) فتبا للمحتكرين والمقامرين وسحقا لمن يقوم فى المحشر كالمجانين وخسرانا لمن مسته الشياطين ولم يخف ديان يوم الدين يوم هم بارزون لرب العالمين وبعدا لمن تلقى الجلاب ولم يتق النار التى أعدت للكافرين (ويل للمطففين) لقد جعلوا البيع مثل الربا ولم يتقوا بالصدقة لهيبا وقد أورثهم عز المال ذلا ونصبا وقد خاطبهم فى كتابه المبين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين (ويل للمطففين) أيها الناس لا تخسروا الميزان واشتروا الجنة بحبة من الديان ولا تجعلوا الله عرضة للايمان وسامحوا فى البيع والشراء فقد سمعتم ما قيل فى المسامحين ان الله يجزى المتصدقين (ويل للمطففين) وتجنبوا الغش والاحتكار فهما سبب الهلاك والبوار والافلاس والجذام فى هذه الدار ولهم فى العقبى خزى وعار ونار وقد رأيتم أموال غيركم كيف قسمت على الوارثين (ويل للمطففين) وانظروا الى ما جمعوا من حلال وحرام كيف تنعم بها غيرهم من الانام وكتبت عليهم تبعاته والآثام وبقوا بذلك السحت للغرماء مطلوبين (ويل للمطففين) أما يذكر العاصى ان مأواه اللحود وأن جسمه مأكلة للدود أما يرى المحتكر قبور الأحبة والآباء والجدود فهلا عدل فى الموازين (ويل للمطففين) فليندم آكل السحت على ما أسلف وليرجع المطفف الى المشترى ما طفف وليتب عما أجرم وأسرف قبل ان تؤخذ حسناته فتعطى للطالبين (ويل للمطففين) وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما

المجلس التاسع والعشرون

(فى الصيد والذبائح وما ناسب ذلك)

٣ *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

الحمد لله الذى خلق آدم ومامسه وقر الكون وشمسه واليوم وأمسه عرفه الموحد فنزه قدسه وجهل المشبه فاستفتى حسه فقاس الخالق بالاشياء المحسه كم عثر مبتدع والسنة تصيح به تعسه وسيحضر يوم الحساب ويرى جزاء ما افترى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه أحمده حق حمده وأنى وليت وأقر بأنه يخرج الحى من الميت وبكثر لسانى الصلاة على نبيه وأنا دى ما وفيت وعلى صاحبه أبى بكر المقدم وان أبيت وعلى عمر الذى كسر كسرى وقد رأيت وعلى عثمان ذى النورين وان تعاميت وعلى على الذى لا يبغضه الا منافق خرب البيت وعلى بقية الآل والصحابة وأهل البيت (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه المبين حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

بهامش نسخة المؤلف خطبة أخرى وهى
٣ (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى لم يزل عظيما عليا يخذل عدوا وينصر وليا أنشأ الآدمى خلقا سويا ثم قسمهم رشيدا وغويا رفع السماء سقفا مبنيا وسطح المهاد بساطا مدحيا ورزق الخلائق بريا وبحريا ثم أجرى لعباده سريا أخرج منه لحما طريا كم أعطى ضعيفا ما لم يعط قويا فبلغه على الضعف ضعف المراد ووهب له على الكبر الاولاد كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا أحمده اذ أفضل وأعطى شبعا وريا وأصلى على رسوله محمد أفضل من امتطى سريا وعلى أبى بكر الذى أنفق وما قلل حتى تخلل وبكى زيا وعلى عمر الذى كان مقدما فى الجد جريا وعلى عثمان الذى لم يزل عفيفا حييا وعلى على أشجع من حمل خطيا ومن خص بالاخوة فهنيا مريا اهـ منه

عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن الآية (ونقول) وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق هذه الآيات الجليلة من سورة المائدة وهى مدنية بالاجماع على ما قاله القرطبى وعن محمد بن كعب أنها نزلت فى حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وأخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المائدة من آخر القرآن تنزيلا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال ميسرة ان الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها من سور القرآن قلت ولعله لهذا افتتحت هذه السورة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود والمراد بها على ما قال غير واحد ما عقده الله تعالى على عباده وألزمهم به من الاحكام ونحن ان شاء الله تعالى سنبين لكم فى هذا الدرس بعض تلك الاحكام لتعرفوا الحلال منها والحرام فمنها حرمة أكل الميتة قال العلماء وانما حرمها الله تعالى الا حالة الاضطرار لان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان احتبس الدم وتعفن فيحصل منه مضار ويستثنى من ذلك السمك والجراد لقوله عليه الصلاة والسلام أحلت لكم ميتتان ودمان أما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال وكذا يستثنى الجنين لان ذكاته ذكاة أمه عند الامام الشافعى ومنها الدم وسبب تحريمه نجاسته وكانوا يلؤن المعى منه ويشوونه ويطعمونه الضيف فحرم الله تعالى ذلك واتفق العلماء على تحريمه ونجاسته قال ابن حجر نعم يعفى عما يبقى فى العروق وعلى اللحم على انه خرج بالمسفوح فى الآية الاخرى كالكبد والطحال ومنها الخنزير وسبب تحريمه نجاسته أيضا قال العلماء ولأن غذاء الحيوان يصير جوهرا من بدنه ويورثه اخلاقا وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذاء والخنزير مطبوع على أخلاق ذميمة جدا منها الحرص الفاحش والرغبة الشديدة فى المنهيات وعدم الغيرة فحرم أكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفيات ألا ترى من واظب على أكله كيف أورثه حرصا عظيما على المنهيات وعدم غيرة فانه يرى الذكر من جنسه ينزو على انثاه ولا يمنعه بخلاف الغنم وسائر الحيوانات قال ابن حجر وجملة الخنزير محرمة الاشعره فيجوز الخرز به وخنزير الماء مأكول عندنا انتهى ومنها ما أهل به لغير الله أى ذبح على اسم الصنم اذ الاهلال رفع الصوت ومنه فلان أهل بالحج اذا لبى وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فحرم عليهم فعنى وما أهل لغير الله به ما ذبح للطواغيت والاصنام قاله الجمع وقال آخرون يعنى ما ذكر عليه غير اسم الله ونقل ابن حجر فى الزواجر عن العلماء أنه لو ذبح مسلم ذبيحة للتقرب ١ بها الى غير الله عز وجل صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد لا تؤكل ونقل ابن عطية عن بعضهم انه استفتى عن امرأة مترفة نحرت جزورا للكعبة فأفتى بأنه لا يحل أكلها لانها ذبحت لصنم قلت ونحو ذلك ما يفعله الآن كثير من الجاهلين عند قبور الاولياء المتقين من النذور وتعليق الرايات وشبه هذا من البدع السيآت التى هى للساعة من أعظم الامارات فانا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ومنها المنخنقة وهى التى تموت خنقا بأن يحبس نفسها بفعل آدمى أو غيره الى أن تموت وكانت الجاهلية يخنقون الحيوان فاذا مات أكلوه ومنها الموقوذة وهى التى وقذت أى ضربت حتى استرخت وماتت ونحوها المقتولة بالبندق فهى فى معنى الميتة والمنخنقة لانها ماتت ولم يسل دمها ومنها المتردية وهى الساقطة من علو كجبل أو شجر أو فى بئر فهلكت وماتت ومنها النطيحة وهى التى نطحتها أخرى فهى أيضا ميتة لانقداس سيلان الدم ومنها ما أكل السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقى ففى الآية حذف والتقدير وما أكل منه السبع وقوله تعالى الا ما ذكيتم أى الا ما وجدتم فيه الحياة من المنخنقة وما بعدها أو مما أكل السبع فقط فذكيتموه فهو حلال والا فلا وقيل انه استثناء منقطع من

١ ومما يقرب من ذلك الذبح للقادم عند قدومه كما صرح به الفقهاء فينبغى التحرى عند الذبح وان ينوى أنه لله سبحانه وتعالى وصدقة للفقراء والناس عنه غافلون كما سيأتى تفصيله اهـ منه

المحرمات المذكورة كأنه قيل لكن ماذكيتم من غيرهذا فحلال ومنها وهو عاشرها ماذبح على النصب أى تذبح للاصنام على اعتقاد تعظيمها أو على حجر منصوب حول الكعبة يذبحون عليها للاصنام و يلطخونها بدمها قال مجاهد وقتادة كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة يعبدها أهل الجاهلية و يعظمونها و يذبحون لها وليست باصنام وانما الاصنام هى المصورة المنقوشة وكانوا يلطخونها بتلك الادمة و يضعون اللحم عليها فقال المسلمون يارسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق ان نعظمه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه قوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ومعنى قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام النهى عما كان يفعله الجاهلية من ان من أراد منهم سفرا أو حاجة أى حاجة كانت جاء الى سادن الكعبة وكان عنده سبعة قداح أى عيدان مستوية من شوحط وسميت بالازلام لانها زلمت أى سويت وكان مكتوبا على واحد منها نعم وعلى الآخر لا وقيل مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وتركوا بعضها غفلا أى خاليا فاذا أرادوا أمرا أو اختلفوا فى نسب جاؤا الى هبل وهو عظيم أصنامهم بدراهم و جزور أو نحوه لصاحب القداح حتى يجيلها لهم فمعنى الاستقسام طلب معرفة الخير والشر بواسطة القداح ووجه ذكرها مع هذه المطاعم أنها كانت ترفع عند البيت معها قال العلماء ونظير هذا الذى حرمه الله تعالى قول المنجم للمسافر لا تخرج من أجل اقتران نجم كذا بكذا مثلا ونحوه من اخباره بالمغيبات حتى ورد قوله عليه الصلاة والسلام من أتى كاهنا أو منجما وصدقه فقد كفر ونحو ذلك ما يفعله كثير من الجهلة من الاستقسام بالحصى الصغار وحبات السبحة ونعيق الغراب أو أخذه عند طيرانه ميمنة أو ميسرة واذا ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب الفأل و يكره الطيرة ولقد أحسن من قال

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال جماعة من المفسرين المراد بالآية القمار وقال ابن جبير الازلام حصى كانوا يضربون بها وقال مجاهد هى كعاب فارس والروم التى يتقامرون بها وقال الشعبى الازلام للعرب والكعاب للعجم * واعلموا ان القمار أيضا من جملة الكبائر قالوا والدليل على ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله عليه الصلاة والسلام ان رجالا يخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار وروى البخارى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق قال العلماء فما ظنك اذا باشر القمار الذى هو الميسر قال العلماء ولا قمار بالمسابقة بالخيل ونحوها كما قال فى المنهاج و يجوز شرط المال من غيرهما و يجوز شرطه من أحدهما فيقول ان سبقتنى فلك على كذا أو سبقتك فلا شئ لى عليك اذ لا قمار فان شرط ان من سبق منهما فله على الآخر كذا لم يصح لتردد كل بين أن يغنم أو يغرم وهو القمار المحرم انتهى واعلم أن من جملة أنواع الميسر والقمار اللعب بالشطرنج والنرد حتى عدا من الكبائر أيضا فقد روى أبو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وروى مسلم من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه وروى الامام أحمد أنه عليه الصلاة والسلام قال مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم و يصلى أى فلا تقبل له صلاة وأخرج الديلمى اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أى وما شابه ذلك من لهو محرم فلا تسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلا تردوا عليهم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الازلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم وقال عليه الصلاة والسلام أشد الناس عذابا يوم القيامة صاحب الشاه يعنى صاحب الشطرنج ومر على كرم الله تعالى وجهه على قوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمرا خيرا من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم وقال

أيضا رضى الله تعالى عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول قتلت وما قتل ومات وما مات وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب وقال سفيان فى قوله تعالى وأن تستقسموا بالازلام هى الشطرنج وقال مجاهد رضى الله تعالى عنه ما من ميت يموت الا مثل له جلساؤه الذين يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له قل لا اله الا الله فقال شاه ثم مات وهذا مصداق الحديث يموت كل انسان على ما عاش عليه و يبعث على ما مات عليه ونقل ابن حجر عن فتاوى النووى الشطرنج حرام عند أكثر العلماء وكذا عندنا ان فوت به الصلاة عن وقتها أو لعب به على عوض فان انتفى ذلك كره عند الشافعى وحرم عند غيره وقال أيضا فى الزواجر قال الشافعى رضى الله تعالى عنه وأكره اللعب بالحزة والقرق انتهى والحزة بحاء مهملة وزاى مشددة قطعة من خشب يحفر فيها حفر ثلاثة أسطر و يجعل فيها حصيات صغار يلعب بها قد تسمى الاربعة عشر وهى المسماة فى مصر بالمنقلة وفسرها سليم فى تقريبه بأنها خشبة يحفر فيها ثمانية وعشرون حفرة أربعة عشر من جانب وأربعة عشر من الجانب الآخر و يلعب بها فلعلها نوعان والقرق بكسر القاف وسكون الراء وحكى الرافعى عن خط القاضى الرويانى فتحها و يسمى شطرنج المغاربة بأن يخط على الارض خط مربع و يجعل فى وسطه خطان كالصليب و يجعل على رأس الخطوط حصى صغار يلعب بها قال الرافعى هو كالنرد وعن الشيخ أبى حامد أنه كالشطرنج وأما اللعب بالخاتم فكلام الرافعى يقتضى جوازه انتهى وفى نصاب الاحتساب قال عطاء رحمه الله الميسر كل قمار حتى لعب الصبيان بالكعاب قلت ومنه المقامرة بالبيض والجوز والبيع الذى يسمونه بالنصيب وشبه ذلك فلا تغفل وبقى فى البحث تفصيلات واختلافات من أرادها فليرجع الى الكتب المفصلات ولنرجع الى ما نحن بصدده من بيان أحكام الذبائح والاطعمة والصيد فلنعلم انه لا يحل أكل شئ من الحيوانات التى تؤكل الا بالذبح أو بجرح الكلب المعلم له كما سنفصله ان شاء الله تعالى فى كتاب الاطعمة والصيد والذبائح من الميزان ما ملخصه أجمعوا على ان الذبائح المعتد بها ذبيحة المسلم العاقل الذى يتأتى منه الذبح سواء الذكر والانثى وأجمعوا على تحريم ذبائح الكفار غير أهل الكتاب وعلى أن الذكاة تصح بكل ما أنهر الدم وحصل به قطع الحلقوم والمرىء من سكين وسيف وزجاج وحجر وقصب له حد يقطع كما يقطع السلاح المحدد واتفقوا على أنه لو أبان الرأس لم يحرم ذلك المذبوح خلافا لسعيد بن المسيب واتفقوا على ان السنة ان تنحر الابل قائمة معقولة وعلى أن تذبح البقر والغنم مضطجعة واتفقوا على جواز الاصطياد بالجوارح المعلمة كالكلب والفهد والصقر والشاهين والبازى الا الكلب الاسود عند الامام أحمد رضى الله تعالى عنه وعن ابن عمر ومجاهد انه لا يجوز الا بالكلب فقط واتفق الاربعة انه لو رمى [١] طائرا فجرحه فسقط الى الارض فوجده ميتا حل وأما ما أجمعوا عليه فى الاطعمة فقد أجمعوا على أن لحوم النعم حلال واتفقوا على أن كل طير لا مخلب له فهو حلال واتفقوا على أن الارنب حلال وعلى أن الحلال من حيوان البحر هو السمك واتفقوا على أن الجلالة اذا حبست وعلفت طاهرا حتى زالت رائحة النجاسة حلت عند أحمد وزالت الكراهة عند من لا يقول بتحريمها كالائمة الثلاثة قالوا و يحبس البعير والبقرة أربعين يوما والشاة سبعة أيام والدجاجة ثلاثة أيام وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول الائمة الثلاثة انه لا تجوز الذكاة بالسن والظفر مع قول أبى حنيفة تصح اذا كانا منفصلين يعنى عن الذابح ومن ذلك قول مالك يجب قطع هذه الاربعة وهى الحلقوم وهو مجرى النفس والمرىء بالهمز كأمير وهو مجرى الطعام والشراب والودجان تثنية ودج بفتحتين عرقان عظيمان فى جانبى قدام العنق بينهما الحلقوم والمرىء مع قول الشافعى انه يجب قطع الحلقوم والمرىء فقط ومع قول أبى حنيفة انه يجب قطع ثلاثة من الحلقوم والمرىء والودجين ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى انه لو ذبح الحيوان من قفاه وبقى فيه حياة مستقرة عند قطع الحلقوم حل والا فلا وتعرف الحياة المستقرة بالحركة الشديدة مع خروج الدم وقال مالك وأحمد لا تحل بحال ومن ذلك قول الائمة الثلاثة انه لو نحر ما يذبح أو ذبح ما ينحر حل مع الكراهة مع قول مالك انه لو ذبح بعيرا أو نحر شاة من غير ضرورة لم

[١] قوله لو رمى أى بآلة جارحة اه منه

يؤكل وحمله بعض أصحابه على الكراهة ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه لو ذبح حيوانا مأكولا فوجد في جوفه جنينا ميتا حل أكله مع قول أبي حنيفة انه لا يحل ومن ذلك قول الشافعي باستحباب التسمية عند ارسال الكلب المعلم أو نحوه على الصيد وانه لو تركها ولو عامدا لم يحرم مع قول أبي حنيفة انها شرط في حال كونه ذاكرا فان تركها ناسيا حل أو عامدا فلا ومع قول مالك انه ان تعمد تركها لم يحل وان نسي ففيه روايتان ومع قول أحمد في أظهر رواياته انه ان تركها عند ارسال الكلب أو الرمي لم يحل الاكل من ذلك الصيد على الاطلاق عمدا كان الترك أو سهوا ومن ذلك قول أبي حنيفة والشافعي في أرجح قوليه وأحمد ان الكلب المعلم لو أكل من الصيد حرم وكذا ما صاده قبل ذلك مما لم يأكل منه مع قول مالك والشافعي في القول الآخر انه يحل ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه لو نصب احبولة فوقع فيها صيد ومات لم يحل مع قول أبي حنيفة انه ان كان فيها سلاح فقتله بحده حل ومن ذلك قول الثلاثة انه لو توحش انسي فلم يقدر عليه فذكاته حيث قدر عليه كذكاة الوحشي مع قول مالك ١ ان ذكاته في الحلق واللبة ومن ذلك قول الامام الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد يحل أكل لحم الخيل مع قول مالك بكراهته وقول أصحابه بحرمته وهو قول أبي حنيفة ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة بتحريم أكل لحم البغال والحمير الاهلية مع قول مالك بكراهته كراهة مطلقة وقال محققو أصحابه انه حرام ومع قول الحسن يحل أكل لحم البغال وقال ابن عباس يحل أكل لحوم الحمر الاهلية ومن ذلك اتفاق الأئمة الثلاثة على تحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير يعدو به على غيره كالعقاب والصقر والبازي والشاهين وكذا ما لا مخلب له اذا كان يأكل الجيف كالنسر والرخم والغراب الابقع والاسود غير غراب الزرع مع قول مالك باباحة ذلك كله على الاطلاق فالاول مشدد وقول مالك فيه تخفيف فرجع الامر الى مرتبتي الميزان ووجه الاول انه غير مستطاب لاهل الطباع السليمة ولأن فيه قسوة من حيث انه يقسر غيره ويقهره من غير رحمة بذلك الحيوان المقهور فيسري نظير تلك القسوة في قلب الآكل له واذا قسا قلب العبد صار لا يحن قلبه الى موعظة وصار كالحمار ومن هنا ورد النهي عن الجلوس على جلود النمار والسباع لانه يورث القسوة في القلب كما جرب ووجه تحريم ما يأكل الجيف أنه مستخبث ووجه قول مالك ان بعض الناس يستطيبه فيباح له أكله فان العلة في تحريم غير المستطاب انما هي من جهة الطب وذلك لان أكل كل ما لا تشتهيه النفس يكون بطيء الهضم فيورث الامراض عكس أكل الانسان ما تشتهيه نفسه فانه يكون سريع الهضم وكلما اشتدت الشهوة اليه كان أسرع فافهم ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة في المشهور عنهم انه لا كراهة فيما نهي عن قتله كالخطاف والهدهد والخفاش والبوم والببغاء والطاوس مع قول الشافعي في أرجح القولين انه حرام ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة بتحريم أكل كل ذي ناب من السباع يعدو به على غيره كالاسد والنمر والذئب والفيل والدب والهرة الا مالكا فانه أباح أكل ذلك مع الكراهة ومن ذلك قول صاحب التعجيز بتحريم أكل الزرافة مع قول السبكي في الفتاوى الحلبية ان المختار حل أكلها ومن ذلك قول الشافعي وأحمد بحل الثعلب والضبع مع قول مالك بكراهة أكل لحمهما ومع قول أبي حنيفة بتحريمهما ومن ذلك قول مالك والشافعي باباحة لحم الضب واليربوع مع قول أبي حنيفة بالكراهة ومع قول أحمد باباحة لحم الضب وفي اليربوع روايتان ومن ذلك

١ وفي شرح الدردير على مختصر خليل المالكي ان المباح البحري بأنواعه ولو آدميه وخنزيره وان ميتا وطير بجميع أنواعه ولو ذا مخلب وهو للطائر والسبع بمنزلة الظفر للانسان كالباز والعقاب والرخم الا الوطواط فيكره أكله على الراجح وكذا من المباح اليربوع والخلد وهو فار أعمى لا يصل للنجاسة وكذا الفار المعهود مباح حيث لا يصل للنجاسة وما يصل اليها كفار البيوت يكره على المشهور وكذا من المباح الارنب والقنفذ والحية ان ذكيت وأمن من سمها وكذا خشاش الارض وهو كعقرب وخنفساء وبنات وردان وجندب ونمل ودود وسوس الى ان قال والمكروه أكله سبع وضبع وثعلب وذئب وهر وان وحشيا وفيل وفهد ودب ونمر وكلب ماء وخنزيره والمعتمد انهما من المباح والمعتمد أيضا ان الكلب الانسي مكروه وقيل حرام ولم يرد قول باباحته وفي كره القرد قولان أرجحهما الكراهة وقيل بل مباح انتهى باختصار ويعرف منه ما في الميزان فلا تغفل اهـ منه

قول الثلاثة بتحريم أكل جميع حشرات الارض كالفار والذباب والدود مع قول مالك بكراهته ومن ذلك قول الثلاثة ان الجراد يؤكل ميتا على كل حال مع قول مالك أنه لا يؤكل منه ما مات حتف أنفه من غير سبب يصنع به ومن ذلك قول مالك والشافعي بحل أكل القنفذ مع قول أبي حنيفة وأحمد بتحريمه ومع قول مالك لا بأس بأكل الخلد والحيات اذا ذكيت والخلد دابة عمياء تشبه الفار ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد والشافعي في أصح قوليه أنه يحرم أكل ابن آوى مع قول مالك انه مكروه ومن ذلك قول أبي حنيفة والشافعي في أصح قوليه ان الهرة الوحشية حرام مع قول مالك انها مكروهة فقط وعن أحمد روايتان الاباحة والحرمة ومن ذلك قول أبي حنيفة لا يؤكل من حيوان البحر الا السمك وما كان من جنسه خاصة مع قول مالك انه يجوز أكل غير السمك من السرطان وكلب الماء والضفدع وخنزيره لكن الخنزير مكروه عنده وروي انه توقف فيه ومع قول أحمد يؤكل جميع ما في البحر الا التمساح والضفدع والكوسج ويفتقر غير السمك عنده الى الذكاة كخنزير البحر وكلبه وانسانه ومع قول بعض أصحاب الشافعي وهو الاصح عندهم انه يؤكل جميع ما في البحر وقال بعضهم لا يؤكل الا السمك وقال بعضهم لا يؤكل كلب الماء ولا خنزيره ولا فأرته ولا عقربه ولا حيته وكل ما له شبه في البر لا يؤكل ورجح بعض الشافعية ان كل ما في البحر حلال الا التمساح والضفدع والحية والسرطان والسلحفاة ومن ذلك قول الثلاثة بكراهة أكل لحم الجلالة من بقر وشاة وغيرهما مع قول أحمد بتحريم أكل لحمها ولبنها وبيضها ومن ذلك اتفاق الأئمة الاربعة على تعذر تطهير الدهن المائع اذا تنجس وان ثمنه حرام مع قول بعضهم ان الدهن يطهر بغسله قلت وقد صرح أئمتنا الحنفية بأنه يغلى مع الماء ثلاث مرات فيطهر وكذلك اتفقوا على جواز الاستصباح به مع قول الشافعي انه لا يجوز الاستصباح به قلت والذي يخطر ببالي انهم خصوه في غير المسجد وأما فيه فلا يجوز ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة باستحباب ضيافة المسلم للمسلم اذا مر على قريته ولم تكن ذات سوق ولم يكن به ضرورة دون الوجوب مع قول أحمد بوجوب الضيافة المذكورة لكن الوجوب ليلة واحدة والثلاث مستحبة ومتى امتنع من الواجب صار عليه دينا ومن ذلك قول أبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه انه لا يجوز للمضطر الى أكل الميتة ونحوها الشبع وانما يأكل ما يسد الرمق مع قول مالك وأحمد في احدى روايتيه انه يشبع اهـ باختصار ولنذكر من كلام أئمتنا الحنفية في بحث الذبائح تتميما للفائدة فأقول قال في الدر وحاشيته حرم حيوان من شأنه الذبح ما لم يذك وذكاة الضرورة جرح اصيد غير مستأنس في أي موضع وقع من البدن وذكاة الاختيار ذبح بين الحلق واللبة وعروقه الحلقوم وسطه أو أعلاه أو أسفله والمريء والودجان وحل بقطع أي ثلاث منها وبكل ما أفرى الاوداج وأنهر الدم ولو بنار أو ليطة أو مروة الا السن والظفر القائمين ولو كانا منزوعين حل مع الكراهة لما فيه من الضرر بالحيوان كذبحه بشفرة كليلة وندب احداد شفرته قبل الاضجاع وكره بعده كالجر برجلها الى المذبح لانها تعرف ما يراد بها كما جاء في الخبر أبهمت البهائم الا عن أربعة خالقها ورازقها وحتفها وسفادها وكره ذبحها من قفاها ان بقيت حية حتى تقطع العروق والا لم تحل لموتها بلا ذكاة ويكره النخع وهو ابلاغ السكين النخاع وهو عرق أبيض في جوف عظم الرقبة ويكره أن يمد رأسه حتى يظهر مذبحه وكره كسر عنقه قبل أن يسكن عن الاضطراب وكره أيضا كل تعذيب بلا فائدة مثل قطع الرأس والسلخ قبل أن تبرد وكره ترك التوجه الى القبلة لمخالفته السنة وشرط كون الذابح مسلما أو كتابيا ذميا أو حربيا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح وذبح الشاة يجوز من محرم وغيره ولو في الحرم ولا تحل ذبيحة وثني ومجوسي ومرتد قيل وجهمي ونحوه وهو قول ضعيف مردود ولا تحل ذبيحة من تعمد ترك التسمية ١ مسلما أو كتابيا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه خلافا للشافعي وهو خلاف

١ وفي الميزان ان الذبيحة ان ترك التسمية عليها عمدا لم يجز أكلها عند الامام أحمد وان ناسيا ففيه روايتان وبذلك قال مالك وقال الشافعي بالجواز مطلقا والامام أبو حنيفة بالنسيان وتمام البحث فيه وأما الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح فقال الشافعي باستحبابها وأحمد بعدم مشروعيتها وأبو حنيفة ومالك رضي الله تعالى عنهما بكراهتها اذ ذاك فلا تغفل اهـ منه

الاجماع وأما ما استدل به من قوله عليه الصلاة والسلام المسلم يذبح على اسم الله سمى أولم يسم فمحمول على حالة النسيان وتشترط التسمية من الذابح حال الذبح أو الرمى لصيد أو الارسال لكلب أونحوه وكفى جرح بقر وغنم توحش فيجرح كصيد أو تعذر ذبحه كان تردى فى بئر أوند أى نفر أو صال حتى لو قتله المصول عليه مريدا ذكاته حل اذا كان سمى عند جرحه مريدا ذكاته والجنين لابد من تذكيته ولو ذبح شاة مريضة فتحركت أو خرج الدم حلت والا لا ان لم تدر حياته عند الذبح وان علم حياته حلت مطلقا أى وان لم يتحرك ولم يخرج الدم ولو ذبح لقدوم الامير ونحوه يحرم وان ذكر اسم الله تعالى عليها ولو ذبح للضيف لا يحرم وان قصد التعظيم لغير الله تعالى قيل يكفر والعضو المنفصل من الحى حكمه كميتته الا من مذبوح قبل موته فيحل أكله أو من الحيوان المأكول لكنه مكروه اه وفى كتاب الزواجر ان من جملة الكبائر المثلة بالحيوان بقطع شئ منه وأنفه أو أذنه أو وسمه فى وجهه أو اتخاذه غرضا أو قتله لغير الاكل أو عدم احسان ذبحه فقد أخرج أحمد بن حنبل أنه صلى الله عليه وسلم قال من مثل بذى روح ثم لم يتب مثل الله به يوم القيامة وأخرج مسلم انه صلى الله عليه وسلم مر بحمار وقد أشعر فى وجهه فقال لعن الله الذى وسمه وصح نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فيه وروى ابن عمر لعن الله من اتخذ شيأ فيه الروح غرضا وهو بالغين المعجمة ما ينصبه الرماة يقصدون اصابته وأخرج النسائى وابن حبان من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة وروى الحاكم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مر على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ اليه ببصرها قال أفلا قبل هذا تريد أن تميتها موتات هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها وفى الصحيحين ان امرأة دخلت النار بهرة حبستها وقال عليه الصلاة والسلام من لا يرحم الناس لا يرحمه الله لن تؤمنوا حتى تراحموا ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ومن الكبائر أيضا الذبح لغير الله تعالى لا على وجه التعظيم والعبادة فان كانت على وجههما فذلك كفر قال ابن حجر وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول باسم الله واسم محمد أو ومحمد رسول الله أو أن يذبح كتابى الكنيسة او للصليب أو لموسى أو لعيسى أو ذبح مسلم للكعبة أو لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو تقربا للسلطان أو غيره أو للجن فهذا كله ميتة بخلاف ما لو قصد الفرح بقدومه أو شكر الله تعالى عليه أو لله تعالى ليدفع عنه شر الجن ومن الكبائر أيضا تسييب السوائب كما قال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وذلك ان الجاهلية كانوا اذا ولدت الناقة عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبونها فلا تركب ولا يحمل عليها وهى البحيرة وأما السائبة فهى التى تركت حيث شاءت وقيل كان الرجل اذا مرض أو قدم من سفر سيب بعيره شكرا وقال ابن عباس هى التى تسيب للاصنام وأما الوصيلة فهى اذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واما الحام فيقال حام يحمى ظهره اذا حفظه قال السدى هو الفحل الذى يضرب فى الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى حتى يموت ثم قال وقال أصحابنا من ملك صيدا ثم سيبه أثم فيا اخوانى عليكم بالطيبات والرحمة على كافة المخلوقات وامتثال ما أمر به سيد الرسل الكرام والاجتناب عما نهى من الآثام فقد اعذرت اليكم الايام بمن سلبت من الانام وأيقظت الخطوب من غفل ونام أما علمتم ان هذه الدنيا غداره أما برد لذاتها ينقلب حراره أما ربحها على التحقيق خساره أما ينقص الدين كلما ازدادت العماره رحل الاخوان ومروا على جدد هذه ديارهم سلوها ما بقى أحد مضت والله الخيل بفرسانها وتهدمت الحصون على سكانها فجز عليها واعتبر بشانها فتنبه لنفسك أيها الظلوم وتيقظ من رقادك الى كم يا نؤوم نوم وحصل شيأ ترضى به الخصوم فتلك هموم الدنيا وبئس السموم أتلعب بالزنابير ولم تشرب درياق السموم قد بقى القليل فبادر تحصيل المروم وهذا هاجم الموت قد تهيأ للهجوم أين الذين كانوا فى اللذات يتقلبون ويتجبرون على الخلق ولا يغلبون مزجت لهم كؤس المنايا فباتوا يتجرعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) مدوا أيديهم الى الحرام وأكثروا من الزلل والآثام وكم وعظوا بمنثور ومنظوم من الكلام لو أنهم يسمعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) حمل كل منهم الى كفن

الى بيت البلا والعفن وما صحبهم غيره من الوطن من كل ما كانوا يجمعون ضمهم والله التراب وسد عليهم فى ثراهم الباب وتقطعت بهم الاسباب والاحباب يرجعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أين أموالهم والذخائر أين أصحابهم والعشائر دارت على القوم الدوائر ففيم انتم تطمعون شغلوا عن الاهل والاولاد وافتقروا الى يسير من الزاد وباتوا من الندم على أخشن مهاد وانما هذا من حصار ما كانوا يزرعون أين الجنود والخدم أين الحرم والحرم أين النعم والنعم بعدما كانوا يرتعون فيما يرتعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لو رأيتهم فى حال من الندامة اذ برزوا يوم القيامة وعليهم للعقاب علامة يساقون الى الذل لا بالكرامة الى النار فهم يوزعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) يا معشر العاصين قد بقى القليل والايام تنادى دنا الرحيل وقد صاح بكم الى الهدى الدليل ان كنتم تسمعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) اللهم يا من فاز بطاعته المفلحون ورجا مغفرته العاصون اجعلنا ممن بالمواعظ يتعظون وجد علينا يا رب بأفضل ما سألك السائلون وكن لنا يا رب فى الحركة والسكون وارحمنا اذا نزلت بنا المنون وأنلنا ما ناله عبادك الصالحون انك على كل شئ قدير

المجلس الثلاثون

(فى زكاة الفطر وتفسير سورة الاعلى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنزه عن الاشباه فى الاسماء والاوصاف المقدس عن الجوارح والآلات والاطراف خضعت لعزته الاكوان وأقرت عن اعتراف وانقادت له القلوب وهى فى انقيادها تخاف أنزل القطر فمنه الدر تحويه الاصداف ومنه قوت البذر ويربى الضعاف كشف للمتقين اليقين فتمهدوا وأقامهم فى الليل فسهروا فأراهم عيب الدنيا فرفضوا وزهدوا وقالوا نحن أضياف وقضى على المخالفين بالبعاد فأفاتهم التوفيق والاسعاد فكلهم هام فى الضلال وما عاد واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف أحمده على ستر الخطايا والاقتراف وأصلى على رسوله محمد الذى أنزل عليه ق وعلى صاحبه أبى بكر مقدم الاشراف وعلى عمر صاحب العدل والانصاف وعلى عثمان الصابر على الشهادة صبر النظاف وعلى على محبوب أهل السنة الظراف وعلى بقية آله وأصحابه وزوجاته المتصفين بالعفاف وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تبارك وتعالى (بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) ونقول وبالله تعالى التوفيق تسمى هذه السورة سورة الاعلى وسورة سبح والجمهور على انها مكية وقيل انها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها فقد أخرج الامام أحمد بن حنبل عن على كرم الله تعالى وجهه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وجاء فى حديث أخرجه أبو عبيدة أنه عليه الصلاة والسلام سماها أفضل المسبحات وأخرج أبو داود والترمذى والنسائى عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى الوتر فى الركعة الاولى سبح وفى الثانية قل يا أيها الكافرون وفى الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين وأخرج الامام أحمد ومسلم وابن أبى شيبة عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم جمعة قرأهما جميعا وأخرج الطبرانى عن عبد الله بن الحرث قال آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فقرأ فى الركعة الاولى بسبح اسم ربك الأعلى وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون وقوله تعالى سبح اسم ربك الأعلى كما قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى أى نزه أسماءه تعالى عما لا يليق فلا

تؤول مماورد منها اسما من غير مقتض ولا تبقه على ظاهره اذا كان ماوضع له مما لا يصح له تعالى ولا تطلقه على غيره سبحانه أصلا اذا كان مختصا كالاسم الجليل أو على وجه يشعر بأنه تعالى والغير فيه سواء اذا لم يكن مختصا فلا تقل لمن أعطاك شيأ مثلا هذا رازق على وجه يشعر بذلك وصنه عن الابتذال والتلفظ به فى محل لا يليق به كالخلاء وحالة التغوط وذكره لا على وجه الخشوع والتعظيم وربما يعد مما لا يليق ذكره عند من يكره سماعه من غير ضرورة اليه وعن الامام مالك رضى الله تعالى عنه انه كان اذا لم يجد ما يعطى السائل يقول ما عندى ما أعطيك أو ائتنى فى وقت آخر أو نحو ذلك ولا يقول نحو ما يقول الناس يرزقك الله تعالى أو يبعث الله تعالى لك أو يعطيك الله تعالى أو نحوه فسئل عن ذلك فقال ان السائل أثقل شئ على سمعه وأبغضه اليه قول المسؤل له ما يفيد رده وحرمانه فأنا أجل اسم الله سبحانه من أن أذكره لمن يكره سماعه ولو فى ضمن جملة وهذا منه رضى الله تعالى عنه غاية فى الورع وما ذكر من التفسير مبنى على الظاهر من ان لفظ اسم غير مقحم وذهب كثير الى أنه مقحم اى زائد اضرب من التعظيم على سبيل الكناية ومنه قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما فالمعنى نزه ربك عما لا يليق به من الاوصاف واستدل لهذا بما أخرجه الامام أحمد عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم ومن المعلوم ان المجعول فيهما سبحان ربى العظيم وسبحان ربى الأعلى وبما أخرج الامام أحمد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربى الأعلى وروى عبد بن حميد وجماعة ان عليا كرم الله تعالى وجهه قرأ ذلك فقال سبحان ربى الاعلى وهو فى الصلاة فقيل له أتزيد فى القرآن قال لا انما أمرنا بشئ ففعلته والاعلى صفة للرب وأريد بالعلو العلو بالقهر والاقتدار لا بالمكان لاستحالته عليه سبحانه والسلف وان لم يؤولوه بذلك لكنهم أيضا يقولون باستحالة العلو المكانى عليه عز وجل وقوله تعالى الذى خلق فسوى أى خلق كل شئ فجعله متساويا أى كما تقتضيه حكمته سبحانه وقيل أى فجعل الاشياء سواء فى باب الاحكام والاتقان لا انه سبحانه أتقن بعضا دون بعض وقال الزجاج خلق الانسان مستويا ولم يجعله منكوسا كالبهائم وقال الكلبى خلق كل ذى روح فسوى بين يديه وعينيه ورجليه وقيل خلق الاجساد فسوى الافهام وقيل خلق الانسان وهيأه للتكليف والقيام بأداء العبادات وقيل خلق فى أصلاب الآباء وسوى فى أرحام الامهات وقيل غير ذلك وقوله تعالى (والذى قدر فهدى) صفة أخرى للرب قرأ على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه والكسائى قدر بالتخفيف من القدرة أو التقدير وقرأ الباقون مشددا والمعنى قدر أجناس الأشياء وأنواعها وصفاتها وأفعالها وأقوالها وآجالها فهدى كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له ويسره لما خلق له وألهمه الى أمور دينه ودنياه وقال المفسرون قدر خلق الذكر والأنثى من الدواب فهدى الذكر للانثى كيف يأتيها وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وروى عنه أيضا أنه قال قدر السعادة والشقاوة وهدى للرشد والضلالة وهدى الأنعام لمراعيها وقيل قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعايشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع فى الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم تسعة أشهر وأقل وأكثر ثم هداه للخروج من الرحم قال الفراء أى قدر فهدى وأضل فاكتفى بأحدهما وقيل غير ذلك ولما ذكر سبحانه ما يختص بالناس أتبعه بما يختص بالحيوان فقال (والذى أخرج المرعى) أى أنبت سبحانه العشب وما ترعاه الدواب من النبات الغض الرطب الاخضر (فجعله غثاء) هو ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش والنبات أى جعل النبات الاخضر يابسا (أحوى) أى أسود وفى الصحاح الحوة السمرة فالمراد بأحوى أسود أو أسمر ولا تنافى بينهما وقوله (سنقرئك فلا تنسى) بيان لهدايته تعالى شأنه الخاصة برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اثر بيان هدايته عز وجل العامة لكافة مخلوقاته سبحانه وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه صلى الله تعالى عليه وسلم لهداية الناس أجمعين وقوله تعالى فلا تنسى فيه أقوال قيل لا نافية وهو الظاهر وقيل لا ناهية والألف لمراعاة الفاصلة

كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا واسناد الاقراء اليه تعالى مجازى أى سنقرؤك بالوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام الواسطة فى ذلك قال مجاهد والكلبى كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبى صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فنزلت هذه الآية فلم ينس شيأ بعد ذلك وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستذكر القرآن مخافة أن ينسى فقيل له قد كفيناك ذلك ونزلت هذه الآية وهذه الآية تدل على نبوته عليه الصلاة والسلام فانه كان أميا أى لا يقرأ ولا يكتب كما هو الصحيح فحفظه للقرآن العظيم من غير دراسة ولا تكرار من أعظم المعجزات الخارقة للعادات وقوله تعالى (الا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لا تنسى مما تقرؤه شيأ من الاشياء الا ما شاء الله أن تنساه قال الفراء وهو سبحانه لم يشأ أن ينسى محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ وهذا كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء الله وبقى فيها وجوه أخر لا يسع المقام ذكرها ومن أرادها فليرجع الى روح المعانى وقوله تعالى (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أى يعلم ما ظهر وما بطن والاعلان والاسرار أى انه تعالى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من جملتها حالك وحرصك على حفظ ما يوحى اليك بأسره فيقرئك ما يقرئك ويحفظك عن نسيان ما شاء منه وينسيك ما شاء منه مراعاة لما نيط بكل من المصالح والحكم التشريعية وقيل توكيد لجميع ما تقدمه وما بعده وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) أى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين علما وتعليما فيندرج فيه تيسير تلقى طريق الوحى والاحاطة بما فيه من الاحكام وقيل غير ذلك وقوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) أى عظ الناس يا محمد بما أوحينا اليك وأرشدهم الى سبل الخير واهدهم الى شرائع الدين وقال الفراء والنحاس الكلام على الاكتفاء والاصل فذكر ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد قال الواحدى لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث مبلغا فعليه التذكير فى كل حال وقيل غير ذلك ثم بين سبحانه الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه فقال سبحانه (سيذكر) أى سيتعظ بوعظك (من يخشى) الله فيزداد بالتذكير خشية وصلاحا (ويتجنبها) أى ويتجنب الذكرى ويبعد عنها فلا يقبلها (الاشقى) من الكفار لاصراره على الكفر وانهماكه فى المعاصى وقيل المراد به الكافر المتوغل فى عداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وقد روى ان الآية نزلت فيهما ثم وصف سبحانه الاشقى فقال (الذى يصلى النار الكبرى) هى الطبقة السفلى من أطباق النار وقال الحسن الكبرى نار الآخرة والصغرى نار الدنيا وقد روى الامام أحمد مرفوعا ان هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم أجارنا الله تعالى واياكم منهما (ثم لا يموت فيها) ذلك الشقى فيستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه وقيل ان روح أحدهم تصير فى حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها من الجسد فيحيا ومنه قول الشاعر

الا ما النفس لا تموت فينقضى * عناها ولا تحيا حياة لها طعم

قال الوالد عليه الرحمة اعلم ان عدم الموت فى النار مخصوص بالكفرة وأما عصاة المؤمنين فيموتون فيها واستدل لذلك بما أخرجه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم الله تعالى اماتة حتى اذا كانوا فحما أذن فى الشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر[1] فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل ولما ذكر سبحانه وعيد من أعرض عن النظر فى دلائل ألوهيته أتبعه بالوعد لمن آمن بربوبيته وصدق بنبيه وأتى بأحكام شريعته فقال (قد أفلح من تزكى) أى نال الفوز من تطهر من الشرك فآمن بالله ووحده وصدق رسوله فقد أخرج البزار وابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى ذلك من شهد أن لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد أنى رسول الله واعتبر بعضهم أمرين فقال أى تطهر من الكفر والمعصية وقيل من تزكى أى تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء ونحوه قوله تعالى حكاية عن عيسى وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا

1 قوله ضبائر ضبائر أى جماعات جماعات اه منه

وقيل تطهر للصلاة وقيل اعطى الزكاة وعن على كرم الله تعالى وجهه تزكى أى تصدق صدقة الفطر (وذكراسم ربه) كبر يوم العيد (فصلى) صلاة العيد وعن جماعة من السلف ما يقتضى ظاهره ذلك فعن عطاء وقتادة وأبى العالية انها نزلت فى صدقة الفطر وعن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد ويتلو هذه الآية أخرجه ستة من أصحاب السنن وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قد أفلح من تزكى وذكراسم ربه فصلى ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو الى المصلى يوم الفطر * ولنذكران شاء الله تعالى فى هذا الدرس ما ورد فى فضائل زكاة الفطر من الآثار وأحكامها الفقهية من كتب الائمة الاخيار فأقول قال فى الدر المختار واجبات الاسلام سبعة الفطرة ونفقة ذى رحم ووتر وأضحية وعمرة وخدمة أبويه والمرأة لزوجها وروى ناصر السنة ابن الجوزى فى التبصرة عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر وروى أبو داود عن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى صدقة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات وفى الدر وحاشيته أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخطب قبل الفطر بيوم أو يومين فيقول أدوا صاعا من بر أو قمح بين اثنين أو صاعا من تمر أو شعير عن كل حر أو عبد صغيرا أو كبير قالوا وهو واجب على كل مسلم ولو صغيرا مجنونا ذى نصاب فاضل عن حاجته الاصلية وان لم ينم ذلك النصاب والصاع ما يسع ألفا وأربعين درهما وهو أربعة أمداد والمد رطلان والرطل نصف من والمن بالدراهم مائتان وستون درهما وبالاستار أربعون والاستار بكسر الهمزة بالدراهم ستة ونصف وبالمثاقيل أربعة ونصف فالمد والمن سواء كل منهما ربع صاع رطلان بالعراقى والرطل مائة وثلاثون درهما وفى الزيلعى اختلف فى الصاع فقال الطرفان ثمانية أرطال بالعراقى وقال الثانى خمسة أرطال وثلث وقيل لا خلاف لان الثانى قدره برطل المدينة وعند الائمة الثلاثة الصاع ما يسع خمسة ارطال وثلث بالعراقى ثم اعلم ان الدرهم الشرعى أربعة عشر قيراطا والمتعارف الآن ستة عشر فاذا كان الصاع ألفا وأربعين درهما شرعيا يكون بالدرهم المتعارف ستمائة وعشرة وتجب زكاة الفطر موسعا فى العمر وقيل مضيقا فى يوم الفطر لقوله عليه الصلاة والسلام أغنوهم يعنى الفقراء عن المسئلة فى هذا اليوم وجاز دفع كل شخص فطرته الى مسكين أو مساكين كما جاز دفع صدقة جماعة الى مسكين واحد ويكره أن يدفعها الى ذمى وعند الشافعى واحدى الروايتين عن أبى يوسف أنه لا يجوز والفتوى على قوله انتهى وقال الشعرانى فى الميزان زكاة الفطر واجبة باتفاق الائمة الاربعة وقال الأصم واسمعيل بن علية هى مستحبة واتفقوا ان كل من لزمته زكاة الفطر لزمته زكاة أولاده الصغار ومماليكه المسلمين كما اتفقوا على وجوبها على الصغير والكبير وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انها تجب على كل من أطاق الصلاة والصوم وعن سعيد بن المسيب انها لا تجب الا على من صام وصلى واتفقوا على انه يجوز تعجيل الفطرة قبل العيد بيومين واتفقوا على انها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب بل تصير دينا حتى تؤدى وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول مالك والشافعى والجمهور ان زكاة الفطر فرض واجب بناء على ان الفرض هو الواجب والواجب هو الفرض مع قول أبى حنيفة انها واجبة وليست بفرض لان الفرض عنده آكد من الواجب ومن ذلك قول الثلاثة انها تجب على الشريكين فى العبد المشترك وفى رواية لاحمد أن كلا من الشريكين يؤدى عن حصته صاعا كاملا مع قول أبى حنيفة انها لا تجب على الشريكين عنه ومن ذلك قول الائمة الثلاثة انه يجب على الزوج فطرة زوجته كما يجب عليه نفقتها مع قول أبى حنيفة انه لا يجب عليه فطرتها ومن ذلك قول مالك والشافعى وأحمد انه لا يعتبر فى وجوب زكاة الفطر أن يكون المخرج مالك نصابا من الفضة وهو مائتا درهم بل قالوا ان كل من فضل عن قوته وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته شئ بقدر زكاة الفطر وجبت عليه مع قول أبى حنيفة انها لا تجب الا على من ملك نصابا كاملا فاضلا عن مسكنه وعبده وفرسه وسلاحه ومن ذلك قول أبى حنيفة انها تجب بطلوع فجر أول يوم من شوال مع قول أحمد انها تجب بغروب الشمس ليلة العيد ومع قول مالك والشافعى انها تجب بغروب شمس

ليلة

ليلة العيد على الراجح من قوليهما ومن ذلك اتفاقهم على انه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد وقال أحمد أرجو ان لا يكون به بأس ومن ذلك قول الثلاثة انه يجوز اخراجها من خمسة أصناف البر والشعير والتمر والزبيب والأقط وهو لبن يابس مجفف يطبخ به اذا كان قوتا مع قول أبى حنيفة انها لا تجزى فى الأقط بنفسه وتجزى بقيمته وقال الشافعى كل ما يجب فيه العشر فهو صالح لاخراج زكاة الفطر منه كالارز والذرة والدخن ونحوه قلت ونقل فى الدرر واللآلى عن الشيخ ابن تيمية الحنبلى انه يجزى قوت بلده مثل الارز وغيره واحتج بقوله تعالى من أوسط ما تطعمون أهليكم ومن ذلك قولهم ان القيمة لا تجزى مع قول أبى حنيفة انها تجزى ومن ذلك قول مالك وأحمد ان اخراج التمر أفضل مع قول الشافعى ان البر أفضل ومع قول أبى حنيفة ان أفضل ذلك أكثره ثمنا ومن ذلك قول الثلاثة ان الواجب صاع بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من كل جنس من الاجناس الخمسة السابقة مع قول ابى حنيفة انه يجزى من البر نصف صاع ومن ذلك قول الشافعى وجمهور أصحابه ان مصرف الفطرة يكون الى الاصناف الثمانية كما فى الزكاة وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب وهم المكاتبون والغارمون وهم المديونون وفى سبيل الله وهم الغزاة وابن السبيل وهو المسافر مع قول الاصطخرى منهم يجوز صرفها الى ثلاثة من الفقراء والمساكين ومع قول مالك وأبى حنيفة وأحمد بجواز صرفها الى فقير واحد فقط قالوا ويجوز صرف فطرة جماعة الى مسكين واحد واختاره ابن المنذر وأبو اسحق الشيرازى ومن ذلك قول أبى حنيفة انه يجوز تقديم زكاة الفطر على شهر رمضان مع قول الشافعى انه لا يجوز تقديمها الا من أول شهر رمضان ومع قول مالك وأحمد انه لا يجوز التقديم عن وقت الوجوب اه أقول وقول أبى حنيفة أوسع فى مسئلة دفع القيمة أو دفعها الى فقير واحد فمن أراد تقليد الامام أبى حنيفة من أتباع سائر المذاهب فعليه بالتقليد فى هذه المسئلة فان تقليد المذهب المخالف جائز من غير تلفيق كما صرحت به أئمة المذاهب الاربعة فيا اخوانى ان شهر رمضان قد قرب رحيله وأزف تحويله وهو ذاهب عنكم بأفعالكم وشاهد عليكم غدا بأعمالكم فياليت شعرى ماذا قد أودعتموه وبأى الاعمال ودعتموه أتراه يرحل حامدا صنيعكم أو ذاما تضييعكم ما كان أعظم ساعاته وما كان أحلى جميع طاعاته كانت لياليه عتقا ومباهاه وأسحاره أوقات خدمة ومناجاه ونهاره زمان قربة ومصافاه وساعاته أحيان اجتهاد ومعاناه فبادروا البقية بالتقية قبل فوات البر ونزول البلية أين المخلص المتعبد أين الراهب المتزهد أين المنقطع المتفرد أين العامل المجود هيهات بقى عبد الدنيا ومات العبد وهلك من خطاياه خطأ وعاش المتعمد وصار مكان الخاشعين لكل منافق متمرد رحل عنك شهر الصيام وودعك زمان القيام وشح النصيح وقد لام فاستدرك ما بقى من الايام أسفا لمن ضيع الاوقات وقد عرفها وسلك بنفسه طريق الهوى فأهلكها أنس بالدنيا كأنه خلق فيها لها وأمله لا ينتهى وأجله قد انتهى عجبا لعين أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة كم يوم غابت شمسه وقلبك غائب وكم ظلام أسبل ستره وأنت فى عصيان وعجائب وكم صحيفة ملأتها بالذنوب عليك الكاتب وكم ينذرك فراق رفيقك وأنت لاعب يا من يأمل الاقامة وقد زمت الركائب أفق من سكرتك قبل حسرتك على المعائب وتذكر نزول حفرتك وهجران الاقارب

تبكى وتندب آثار الذين مضوا * وسوف تلحق آثارا بآثار
طالت عمارتنا الدنيا على غرر * ونحن نعلم انا غير عمار
اترك مفاخر فى الدنيا وزينتها * يوم القيامة يوم الفخر والعار

لقد أبانت الدنيا للناظر عيوبها وكشفت للبصائر غيوبها وعقدت على المسامع ذنوبها وما مرت حتى أمرت مشروبها فلذتها مثل لمعان برق ومصائبها واسعة الخرق ساوت عواقبها بين سلطان الغرب والشرق وبين عبد حقير ولا فرق فما نجا منها ذو مال وعدد ولا سلم فيها صاحب عدد وولد فرقت والله الكل بكف البدد ثم ولت ولا ألوت على أحد وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وختم لنا بصالح الاعمال وأعادنا واياكم على هذا الشهر فى أحسن حال ورحمنا وكافة المسلمين وصلى الله على سيدنا

محمد وآله وصحبه أجمعين

المجلس الحادي والثلاثون

(في صلاة عيد الفطر وشوال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله موفر الثواب للاحباب ومكمل الاجر وباعث ظلام الليل ينسخه نور الفجر المحيط علما بخائنة الاعين وخافية الصدر ويعلم الانسان مالم يعلم ولم يدر المتعالي عن ادراك خواطر النفس وهواجس الفكر الموالي برزقه فلم ينس النمل في الرمل والفرخ في الوكر جل ان تناله يد الحوادث على مرور الدهر أغنى وأفقر وأجاع وأشبع وأصم وأسمع فبارادته وقوع الغنا والفقر وبمشيئته ادراك السمع ومنع الوقر أبصر فلم يخف عليه دبيب الذر في البر وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر وقدر فلم يحتج الى معين يمده للاعانة والنصر وخصنا من بين سائر الامم بشهر الصيام والصبر وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر فله الحمد اذ رزقنا اتمامه ومن علينا بعيد الفطر أحمده حمد الامنتهى لعدده وأشكره شكر الا يحصى موصول مدده وأتوكل عليه توكل عبد على سيده وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في معتقده وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي نبع الماء من أصابع يده صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وتابعي مقصده لاسيما على أبي بكر الصديق التارك لحبه طيب وطنه وعزيز ولده وعلى عمر بن الخطاب ناصر الاسلام ومقوم أوده وعلى عثمان بن عفان الصابر من مر البلاء على أشده وعلى ابن عمه علي بن أبي طالب الفائق على الاصحاب بشجاعته وعلمه ورشده وعلى بقية الصحابة والقرابة والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (أما بعد) فقد قال الله تعالى في كلامه جل وعلا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى الآيات (ونقول) وبالله تعالى الاستعانة ومنه عز شأنه الاعانة قد تقدم الكلام في الدرس الماضي على هذه السورة الى قوله تعالى من تزكى *ولنذكر في هذا الدرس ان شاء الله تعالى ما يتعلق بذكر اسم الرب جل جلاله صلاة العيد وما يلتحق بذلك سالكين ان شاء الله تعالى أوضح المسالك فليعلم ان في هذه الآية أقوالا فقيل المعنى ذكر اسم ربه بالخوف وعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بلسانه وكبر للافتتاح فصلى أي فأقام الصلوات الخمس وقيل ذكر موقفه ومعاده فعبده وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير أي قال الله أكبر في أول الصلاة وعن علي كرم الله تعالى وجهه تزكى أي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه كبر يوم العيد فصلى صلاة العيد وعلى ذلك جماعة من السلف كما قدمناه لك وفي كتاب الميزان للشعراني ان الائمة اختلفوا في باب صلاة العيدين في مسائل منها قول أبي حنيفة في احدى روايتيه ان صلاة العيد واجبة على الاعيان كالجمعة مع قول مالك والشافعي انها سنة ومع قول أحمد انها فرض على الكفاية وقد قال كثير من العلماء انه أفضل من فرض العين لكونه أسقط الحرج عن صاحبه وعن غيره ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد ان من شرائط صلاة العيدين العدد والاستيطان واذن الامام في احدى الروايتين عن أحمد كما في الجمعة وزاد أبو حنيفة وأن تقام في مصر أو فنائه مع قول مالك والشافعي ان ذلك كله ليس بشرط وأجازا صلاتهما فرادى لمن شاء من الرجال والنساء ومن ذلك قول أبي حنيفة انه يستحب أن يكبر بعد تكبيرة الاحرام ثلاث تكبيرات في الركعة الاولى وثلاثا في الثانية مع قول مالك وأحمد انه يكبر ستا في الاولى وخمسا في الثانية ومع قول الشافعي يكبر سبعا في الاولى وخمسا في الثانية ثم قال الشافعي وأحمد انه يستحب الذكر بين كل تكبيرتين خلافا لابي حنيفة ومالك ومن ذلك قول مالك والشافعي انه يقدم التكبير على القراءة في الركعتين وهو احدى الروايتين عن أحمد مع قول أبي حنيفة وأحمد في الرواية الاخرى انه يغاير بين القراءتين فيكبر في الاولى قبل القراءة وفي الثانية بعد القراءة ومن ذلك قول أبي حنيفة ومالك ان من فاتته صلاة العيد مع الامام لا يقضيها مع قول أحمد والشافعي في أحد قوليه انها تقضى فرادى وعن أحمد ثنتين أو أربعا ومن ذلك قول الائمة ان فعلها بالصحراء بظاهر البلد أفضل من فعلها

في المسجد مع قول الشافعية بان فعلها في المسجد أفضل اذا كان واسعا ومن ذلك قول أبي حنيفة انه لا يجوز التنفل قبلها وأما بعدها فيجوز ومع قول الشافعي بأنه يتنفل قبلها وبعدها في المسجد وغيره الا الامام ومع قول أحمد لا يتنفل قبلها ولا بعدها مطلقا ومن ذلك قول الشافعي في أرجح القولين انهم لو شهدوا يوم الثلاثين من رمضان بعد الزوال برؤية الهلال قضيت موسعا مع قول مالك انها لا تقضى وهو مذهب أحمد فان لم يكن جمع الناس في ذلك اليوم صليت من الغد عند الشافعي ومن قال بقوله وقال أبو حنيفة صلاة عيد الفطر تقضى اليوم الثاني والثالث ومن ذلك اتفاقهم على ان التكبير في عيد النحر مسنون وكذلك في عيد الفطر الا عند أبي حنيفة مع قول داود بوجوبه قال ابن هبيرة والصحيح ان تكبير الفطر آكد من يوم النحر لقوله تعالى (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) ومن ذلك قول مالك انه يكبر يوم عيد الفطر دون ليلته وانتهاؤه عنده الى أن يخرج الامام الى المصلى وفي قول له الى أن يحرم الامام بصلاة العيد وهو الراجح من قولي الشافعي والثالث الى أن يخرج منها وأما ابتداؤه فمن حين يرى الهلال وهو احدى الروايتين عن أحمد وأما انتهاؤه ففيه روايتان له احداهما اذا خرج الامام والثانية اذا فرغ من الخطبتين ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد انه يشفع التكبير في أوله وآخره فيقول الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد مع قول مالك في رواية له ان شاء كبر ثلاثا وان شاء مرتين ومع قول الشافعي انه يكبر ثلاثا نسقا في أوله وثلاثا في آخره واختار أصحابه انه يكبر ثلاثا في أوله ويكبر ثنتين في آخره ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد ان ابتداء التكبير في عيد يوم النحر من صلاة الفجر يوم عرفة الى أن يكبر لصلاة العيد من يوم النحر وقال مالك والشافعي في أظهر القولين أنه يكبر من ظهر النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو رابع يوم النحر سواء كان محلا أو محرما عندهما والعمل عند أصحاب الشافعي على ان ابتداء التكبير في غير الحاج من صبح يوم عرفة الى أن يصلي عصر آخر أيام التشريق ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد في احدى روايتيه ان من صلى منفردا في هذه الاوقات من محل ومحرم لا يكبر مع قول مالك والشافعي وأحمد في روايته الاخرى انه يكبر وأما خلف النوافل فاتفقوا على انه لا يكبر عقبها الا في القول الراجح للشافعي انتهى باختصار وليعلم انه روى الترمذي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان هذا يوم جعله الله عيد المسلمين فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره ان يمس منه وعليكم بالسواك وقال في كشف الغمة أيضا كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يحثون على غسل العيدين وكانوا يغتسلون قبل أن يذهبوا الى المصلى وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحث على التجمل بالثياب الحسنة في العيد ويكره لبس السلاح في يومه الا لخوف من عدو وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم بردة حبرة يلبسها في كل عيد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج الى الصحراء يوم العيد ماشيا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخرج في عيد الفطر حتى يأكل شيأ من تمر ونحوه فكان يأكل ثلاث تمرات ولا يأكل في عيد الاضحى حتى يرجع وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر باخراج العواتق والحيض وذوات الخدور حتى لا يدع صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا من أهل بيته الا أخرجه وكان الحيض يعتزلن الصلاة والمصلى فيكبرن خلف الناس ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ولما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم النساء بالخروج قالت أم أيمن يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال لتلبسها أختها من جلبابها (قلت) وهذا بخلاف نساء زماننا فانهن يخرجن لغير الصلاة والدعاء فلا تغفل وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما اذا طلعت الشمس غدا الى المصلى وكان يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى يأتي المصلى ثم يكبر بالمصلى حتى اذا جلس الامام ترك التكبير وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع من مصلى العيد في غير الطريق الذي خرج منه وفي بعض الاوقات كان يرجع فيما جاء منه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعجل صلاة الاضحى واعتبارها من ارتفاع الشمس قدر رمح ويؤخر صلاة الفطر الى قريب من وقت الضحى قال أنس رضي الله تعالى عنه كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا انصرفوا من صلاة العيد تقبل الله منا ومنك يا رسول الله فيقول نعم تقبل الله منا ومنكم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحث على الذكر والطاعة في ليلتي العيدين وعلى التكبير ليلة الفطر ويقول

من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وكان ربما يضرب له بالدف يوم الفطر ولا ينهى انتهى وليعلم انه انما سمي العيد عيدا قيل لعوده في السنين وقال شهاب الدين أحمد في كتابه عقد الدرر واللآلى لان الله تعالى يعيد الى عباده الفرح والسرور في يوم عيدهم وقيل انما سمي عيدا لان فيه عوائد الاحسان من الله عز وجل وفوائد الامتنان وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا كان يوم الفطر وخرج الناس الى الجبانة اطلع الله تعالى عليهم فيقول عبادي لي صمتم ولي صليتم انصرفوا مغفورا لكم وفي رواية أنس ارجعوا مغفورا لكم وقيل انما سمي عيدا لانه يعود العبد فيه الى التضرع والبكاء ويعيد الرب فيه الهبة والعطاء وفي حديث ابن عباس المرفوع اذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع من خلقه الله عز وجل الا الجن والانس يقولون يا أمة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله عز وجل للملائكة يا ملائكتي ما جزاء الاجير اذا عمل عمله فيقولون الهنا وسيدنا جزاؤه ان يوفى أجره فيقول أشهدكم اني قد غفرت لهم فمن وفى ما عليه من العمل كاملا وفى له الاجر كاملا ومن نقص من العمل الذي عليه نقص من الاجر بحسب نقصه فلم يلم الا نفسه وقيل معناه العود من طاعة الله تعالى الى طاعة الرسول ومن الفريضة الى السنة ومن صوم رمضان الى صوم ستة أيام من شوال وقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله قال حدثنا يحيى ابن أيوب وقتيبة وابن حجر عن اسمعيل بن جعفر أخبرني سعيد بن قيس عن عمر بن ثابت بن الحرث الخزرجي عن أبي أيوب الانصاري أنه حدثه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم في هذا الحديث دلالة ظاهرة لمذهب الشافعي وأحمد وداود وموافقيهم في استحباب صوم الستة وقال مالك وأبو حنيفة يكره ذلك قال مالك في الموطا ما رأيت أحدا من أهل العلم يصومها قال فيكره لئلا يظن وجوبهما انتهى وقال المناوي وفيه ندب صوم الستة المذكورة وهو مذهب الشافعي قال الزاهدي وصومها متتابعا أو متفرقا يكره عند أبي حنيفة وعن أبي يوسف يكره متتابعا لا متفرقا وعن مالك يكره مطلقا انتهى (قلت) وهذا العزو الى امامنا الاعظم لم يصححه شيخ مشايخنا العلامة ابن عابدين وصحح ان الامام الاعظم أيضا قائل بسنية ستة شوال ورد قول من روى عنه خلاف ذلك وقد تبين ان من نقل عنه الكراهية فهو غير مطلع على مذهبه فليحفظ وقال في عقد الدرر الذين استحبوا صيام ستة شوال على ثلاثة أقوال أحدها أنه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة وهو قول الشافعي وابن المبارك والثاني انه لا فرق بين ان يتابعها أو يفرقها من الشهر كله وهما سواء وهو قول وكيع وأحمد والثالث انه لا تصام عقب يوم الفطر فانها أيام أكل وشرب ولكن تصام ثلاثة أيام قبل أيام البيض وبعدها وهذا قول معمر والزهري وعبد الرزاق وأكثر العلماء انه لا يكره ثاني الفطر قال العلماء وانما كان صيام رمضان واتباعه ستا من شوال يعدل صيام الدهر لان الحسنة بعشر أمثالها وقد جاء ذلك مفسرا من حديث ثوبان عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام سنة يعني رمضان وستة أيام بعده أخرجه الامام أحمد ومنها أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ما حصل في الفروض من زلل ونقص انتهى فينبغي للعبد أن يجد في العمل الصالح فيما بعد رمضان كما كان يعمل فيه فان الله تعالى اذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده كما قالوا ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة عدم قبولها وقيل لبشر الحافي ان قوما يتعبدون في رمضان دون غيره فقال هم بئس القوم لا يعرفون الله عز وجل حقا الا في شهر رمضان وقالوا ينبغي للانسان أن يكون ممتثلا لقوله تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير وهذه هي الآية التي شيبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آية في القرآن أشد ولا أشق من هذه حتى قال أصحابه له لقد أسرع فيك الشيب فقال عليه الصلاة والسلام شيبتني هود يعني هذه الآية وورد في الحديث الصحيح ان أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وان قل وفي عقد الدرر روى عن كعب الأحبار أنه قال

من صام رمضان وهو يحدث نفسه انه اذا أفطر عصى ربه فصومه عليه مردود ويكون مثال من عمل صالحا في شهر رمضان وعاد بعده الى الفسوق والعصيان كما قال تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا أي من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل في امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو وتلقب بجعراء وكانت بها وسوسة كانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن أن ينقضن ما غزلن كان ذلك دأبها وضرب الله سبحانه ذلك مثلا لنقض العهد كذلك يخشى على من كان في رمضان متشبها بالصالحين بعمله ثم يعود بعده الى أقبح المعصية بجهله وأشد الظلمة ما تقدمها نور وقال ابن عباس في قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون مثل لعمل رجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يوسوس له الشيطان فيعمل بالمعاصي حتى تحترق أعماله الصالحة فكذلك يخاف على المتشبه بالصالحين في رمضان اذا ترك الطاعات وعاد بعده الى العصيان كما أخرج ابن أبي الدنيا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لرجل انك تبني وتهدم يعني تعمل الحسنات ثم السيآت فقال يا رسول الله سوف أبني ولا أهدم فينبغي للعاقل أن يتبع الحسنة بحسنات ويمتثل قوله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت واعلموا ان الاعياد للمؤمنين خمسة كما قال بعض العارفين الاول اليوم الذي يمر على المؤمن ولا يعمل فيه معصية فيكتب عليه ذنب والثاني يوم خروجه من الدنيا مع الايمان بالله ورسوله وبجميع ما جاء عنهما والثالث وقت مجاوزته الصراط وسلامته من النيران والرابع وقت دخوله الجنان والخامس اليوم الذي ينظر فيه الى الرحمن فهو العيد الاكبر كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال بعض العارفين ان من جملة حكم عيد الدنيا تذكيره لعيد الآخرة فاذا رأى الناس بين ماش وراكب ولابس وعريان واختلاف ملابسهم وحشمهم وأتباعهم تذكر العاقل تفاوت الناس يوم القيامة وما ذلك الا بصالح الاعمال والصدقات من المال الحلال أنالنا الله تعالى واياكم الخير والعافية في البدء والمآل ولنرجع الى تفسير بقية السورة الكريمة فنقول قال الله عز وجل (بل تؤثرون الحياة الدنيا) هذا اضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق اليه الكلام أي أنتم لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات الفانية العاجلة الكائنة في الدنيا على الدار الآخرة الآجلة الباقية فلا تفعلون ما به تفلحون قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب للكفار أو لمطلق الناس ويؤيدها قراءة أبي بل أنتم تؤثرون وقرئ بالتحتية على الغيبة والضمير راجع للاشقى قيل المراد بالآية الكفرة وبالايثار للحياة الدنيا هو الرضا بها والاعراض عن الآخرة بالكلية وقيل المراد بها المؤمن والكافر والمراد بايثارها ما هو أعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من الاهتمام بها اهتماما زائدا على اهتمامه بالطاعات ويؤيده ان ابن مسعود قرأ هاهنا فأقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل (والآخرة خير وأبقى) أي والحال أن الدار الآخرة التي هي الجنة أفضل وأدوم من الدنيا لانها تشتمل على السعادة الأبدية الجسمانية والروحانية الخالية عن كافة الآلام والدنيا لذاتها كأضغاث أحلام وهي مقرونة بالانصرام والآلام قال مالك ابن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى

جبلت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والأكدار

وقوله تعالى (ان هذا لفي الصحف الاولى) أي جميع ما في هذه السورة ثابت في صحف ابراهيم وموسى قال الوالد عليه الرحمة وكانت صحف ابراهيم عشرة وصحف موسى عليه السلام عشرة والمراد بها ما عدا التوراة أخرج عبد بن حميد عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل

التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال أمثال كلها أيها الملك المتسلط على المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ويتذكر فيما صنع وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فان فى هذه الساعة عونا لتلك الساعات واستجماعا للقلوب وتفريقا لها وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه فان من حسب كلامه من عمله أقل الكلام الا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث حرفة لمعاش وتزود لمعاد وتلذذ فى غير محرم قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ولمن أيقن بالنار ثم يضحك ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها ولمن أيقن بالقدر ثم يغضب ومن أيقن بالحساب ثم لا يعمل قلت يارسول الله هل أنزل عليك شئ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال يا أباذر نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والله تعالى أعلم بصحة الحديث فعليكم اخوانى بالتوبة النصوح ومداومة العمل الراجح غير المرجوح وتوالى الحسنات والتجنب عن مثوى السيآت فكم من الناس السالفين صلوا فى هذا الشهر صلاة التراويح وأوقدوا للاجر المصابيح وملؤا بالعبادة المكان الفسيح اقتنصتهم فى آخره المصائد وأسرتهم الحصائد دارت عليهم المنون رحاها وحلت وجوههم فى الثرى فمحاها أعدمتهم صوما وفطرا وأصبح كل منهم فى اللحد شطرا وهذا حالك عن قريب فتيقظ وما لك بعد قليل مثل ما لهم فاجتهد وتحفظ فيا مشغولا بلهوك أأعددت عدة حازم لقبرك أحصلت عملا ينجيك فى حشرك أحفظت حدود صومك فى شهرك كم صوم بالغيبة فسد وكم من عمل بالرياء تعطل فكسد فياليت شعرى من المقبول منا والمردود أما سمعتم ما قاله سيد البشر رب صائم ماحظه من صيامه الا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر فبادروا رحمكم الله تعالى ساعات أعماركم الباقية فانها مغتنم واستدركوا مامضى بالاستغفار والندم فليس العيد لمن لبس الجديد بل العيد لمن حسناته تزيد وعمل للقاء يوم الوعيد فيا معرضا عن الهدى لا يسعى فى طلبه يا مشغولا بلهوه مفتونا بلعبه يامن قد صاح به الموت عند أخذ صاحبه من يعمل سوأ يجزبه جز على قبر الصديق وتلمح آثار الرفيق تخبرك عن حسنه الأنيق انه استلب بكف التمزيق هذا الحد وغدا أنت به من يعمل سوأ يجزبه كم نهى عن خطائنا فما انتهى وكم زجرته الدنيا ثم سعى لها هذا ركنه القويم قد وهى وها أنت فى سلبه من يعمل سوأ يجزبه أين من عتا وظلم ولقى الناس منه الألم اقتطعه الردى اقتطاع (٢) الجلم فما نفعه ماجمع لا والله ولا لم ولم يدفع عنه عز منصبه من يعمل سوأ يجزبه بات فى لحده أسيرا ولا يملك من الدنيا نقيرا بل عاد بوزر ذنبه عقيرا أصبح من ملكه فقيرا على عز نسبه وكثرة نشبه من يعمل سوأ يجزبه اللذات عن قليل تفنى وتمر وآخر الهوى الحلو مر وليس فى الدنيا شئ يسر الا ويغر ويضر ثم يخلو الزانى وشارب الخمر وآكل الحرام بمكتسبه من يعمل سوأ يجزبه الكتاب يحوى حتى النظرة والحساب يأتى على الذرة وخاتمة كأس اللذات مرة والأمر جلى للنهوم مايشتبه من يعمل سوأ يجزبه تقوم أيها المغتاب فى حشرك ذليلا وتبكى أيها الظالم للعباد على الذنوب طويلا وتحمل أيها النمام والعاق على أزرك وزرا ثقيلا فويل لتارك الصوم والصلاة والحج والزكاة وقبح منقلبه من يعمل سوأ يجزبه يجمع الخلائق كلهم فى صعيد وينقسمون الى شقى وسعيد فقوم قد حل بهم الوعيد وقوم قيامتهم نزهة وعيد وكل عامل يغرف من مشربه من يعمل سوأ يجزبه انما يقع الجزاء على أعمالك وانما تلقى فى غد غب أفعالك قد نصحناك نقصد اصلاح حالك فان كنت متيقظا فاعمل بذلك وان كنت نائما فانتبه من يعمل سوأ يجزبه نسألك اللهم باسمك الأعظم وأسمائك الحسنى مانعلم منها ومالم نعلم وبجاه نبيك الأكرم وجاهه المحترم أن تختم لنا هذا الشهر بغفرانك وتعمنا وكافة الموحدين بالطافك واحسانك وتجعلنا ممن قبلت صيامه وصلاته وصدقاته وبدلت سيآته بحسناته

(٢) قوله الجلم المقص اهـ منه

وان

وأن تحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وتجيرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وأن تتغمدنا والجماعة الحاضرين وآباءنا وأمهاتنا وأقاربنا برحمتك الباطنة والظاهرة وأن تجعل شهرنا هذا شاهدا لنا بأداء فرضك ولا تخزنا بقبائح أعمالنا يوم عرضك ولا تجعلنا ممن تعب واجتهد فلم يرضك اللهم ألهمنا الشكر على صيام الأيام الماضية وأعد شهر رمضان علينا بالخير أعواما متوالية اللهم لا تدع لنا ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا عاصيا الا هديته ولا صالحا الا تقبلته اللهم أصلح أمراءنا وولى أمورنا أخيارنا واحفظ أولادنا ووفقهم لما فيه رضاك وانصر سلطاننا وعساكره على من عاداك وارفع منازلنا ومنازل آبائنا وأمهاتنا وأعمامنا واخواتنا وأقاربنا ومشايخنا فى جنة عالية قطوفها دانية واجعلنا ممن ينادى غدا فى الدار الباقية كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الأيام الخالية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *(خاتمة)* مقتصرة من الغنية يقرأها من أرادها فى آخر رمضان المبارك وهى اعلموا رحمكم الله تعالى ان ليلتكم هذه ليلة الوداع لشهركم الذى شرفه الله وعظمه ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن ونزول الرحمة فيه عليكم من الله تعالى والرضوان جعله الله مصباح العام وواسطة النظام وشرف قواعد الاسلام المشرقة بأنوار الصيام والقيام أنزل الله تعالى فيه كتابه وفتح فيه للتائبين أبوابه فلا دعاء فيه الا مسموع ولا خير الا مجموع ولا ضر الا مدفوع ولا عمل الا مرفوع الظافر الميمون من اغتنم أوقاته والخاسر المغبون من أهمله فماته شهر جعله الله لذنوبكم تطهيرا ولسيآتكم تكفيرا ولمن أحسن منكم صحبته ذخيرة ونورا ولمن وفى بشرطه وقام بحقه فرحا وسرورا فرحم الله امرأ مهد فيه لنفسه قبل حلول رمسه واشتغل بيومه عن غده وأمسه وتزود من بقية زاده فى نفاده نفاد عمره وأظهر لفراقه جزعه وسلم على شهره وودعه وقال السلام عليك ياشهر رمضان السلام عليك ياشهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن السلام عليك ياشهر التجاوز والغفران السلام عليك ياشهر البركة والاحسان السلام عليك ياشهر التحف والرضوان السلام عليك ياشهر النسك والتعبد السلام عليك ياشهر الصيام والتهجد السلام عليك ياشهر التراويح السلام عليك ياشهر الانوار والمصابيح السلام عليك ياأنس العارفين السلام عليك ياروضة العابدين فياشهرنا غير مودع ودعناك وغير مقلى فارقناك كان نهارك صدقة وصياما وليلك قراءة وقياما فعليك منا تحية وسلاما أترى تعود بعدها علينا أو يدركنا المنون فلا تؤل الينا مصابيحنا فيك مشهورة ومساجدنا فيك معمورة فالآن تطفئ المصابيح وتنقطع التراويح ونرجع الى العادة وتفارق شهر العبادة فياليت شعرى من المقبول منا فنهنيه ومن المطرود بسوء عمله فنعزيه فيا أيها المقبول هنيألك بثواب الله عز وجل وغفرانه وتعسالك يامطرود باصرارك على عصيانه لقد عظمت مصيبتك فأين دمعتك وتوبتك فلأى يوم أخرت توبتك ولأى عام ادخرت عدتك ألى عام قابل وحول حائل كلا فمالك مدة الأعمار ولا معرفة المقدار فكم من مؤمل أمل بلوغه فلم يبلغه وكم من مدرك له ولم يختمه وكم من أعد طيبا لعيده جعل فى تلحيده وثيابا لتزيينه صارت لتكفينه ومتأهب لفطره صار مرتهنا فى قبره وكم من لا يصوم بعده سواه وهو يطمع فى غيره أن يراه فاحمدوا الله على بلوغ اختتامه وسلوه قبول صيامه وقيامه وراقبوه بأداء حقوقه واعتصموا بحبل الله وتوفيقه وياعباد الله من كان منع نفسه من الحرام فى شهر رمضان فليمنعها فيما بعده من الشهور والاعوام فان اله الشهرين واحد وهو على الزمانين مطلع شاهد جزانا الله تعالى واياكم على فراق شهر البركة وأجزل أقسامنا وأقسامكم من رحمته المشتركة وبارك لنا ولكم فى بقيته وسلك بنا وبكم طريق هدايته برحمته وفضله ومنته اللهم وما قسمت فى هذه الليلة من عتق وغفران ورحمة ورضوان وعفو وامتنان وكرم واحسان ونجاة من النيران وخلود فى نعيم الجنان فاجعل لنا منه وافر الحظ وأجزل الأقسام برحمتك ياأرحم الراحمين اللهم فكما بلغتنا شهر الصيام فاجعل عامه علينا من أبرك الاعوام وأيامه من أسعد الايام وتقبل منا ما قدمناه فيه من الصيام والقيام واغفر لنا ما اقترفنا فيه من الآثام وخلصنا من مظالم الأنام يوم لا يرجى فيه سوالك ياأرحم الراحمين اللهم انا قد تولينا صيام شهرنا وقيامه على تقصير وأدينا فيه من حقك قليلا من كثير وقد أتحفنا

ببابك سائلين ولمعروفك طالبين فلا تردنا خائبين ولا من رحمتك آيسين فنحن الفقراء اليك الاسراء بين يديك اليك توجهنا ولمعروفك تعرضنا ولبابك قرعنا ومن رحمتك سألنا فارحم خضوعنا واجبر قلوبنا واستر عيوبنا واغفر ذنوبنا وأقر فى القيامة عيوننا ولا تصرف وجهك الكريم عنا واجعل عملنا مقبولا وسعينا مشكورا وحظنا فى هذه الليلة موفورا اللهم ان كان فى سابق علمك أن تجمعنا فى مثله فبارك لنا فيه وان قضيت بقطع آجالنا وما يحول بيننا وبينه فاحسن الخلافة على باقينا وأوسع الرحمة على ماضينا وعمنا جميعا برحمتك وغفرانك واجعل الموعد بحبوح جنتك ورضوانك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم يا عالم الخفيات ويا دافع البليات ويا مجيب الدعوات ويا كاشف الكربات صل على سيدنا محمد وآله أفضل الصلوات واغفر لنا ذنوبنا ولآبائنا وأمهاتنا وقراباتنا وأصدقائنا ومشايخنا ومعلمينا ومن تعلم منا ومن أحبنا فيك وأحببناه ولا تدع لنا فى هذه الليلة الشريفة ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا كربا الا كشفته ولا مبتلى الا عافيته ولا حقا الا استخلصته ولا غائبا الا بالخير رددته ولا عاصيا الا هديته ولا حاسدا الا خيبته ولا عدوا الا صرفته ولا سعرا الا أرخصته ولا خوفا الا أزلته وأحينا اللهم على حب الآل والصحابة الأخيار واجمع بيننا وبينهم فى دار القرار واجعلنا واياهم فى شفاعة نبيك المختار وبارك لنا فى كل ما أعطيتنا ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وارحمنا وكافة الامة المحمدية واجعلنا واياهم فى عيشة مرضية وصل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المجلس الثانى والثلاثون

فى الائمة الاربعة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى اذا لطف أعان واذا عطف صان أكرم من شاء كما شاء وأهان أخرج الخليل من آزر ومن نوح كنعان يميت ويحيى ويفنى ويبقى كل يوم هو فى شان يزين بموهبة العلم فاذا لم يعمل به شان خلع خلعة العلم على بلعام فلم يصنها ومال بهواه الى ما عنه ينهى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان أحمده فى السر والاعلان وأصلى على محمد الذى انشق ليلة ولادته الايوان صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر أول من جمع القرآن وعلى الفاروق الموصوف بالعدل وكذلك كان وعلى عثمان التقى الحيى الذى تستحيى منه ملائكة الرحمن وعلى على سيد العلماء والشجعان وعلى سائر آله وأصحابه صلاة تامة على ممر الزمان وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فنقول وبالله تعالى التوفيق اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية فذهب جماعة الى أنها من بقية أحكام الجهاد فى الآيات المتقدمة وكان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركون المدينة خالية فاخبرهم سبحانه بان ليس لهم ذلك وقال تعالى فلولا أى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى جماعة ويبقى ما عداها هذه الطائفة النافرة ليتفقهوا فى الدين أى الفرقة الباقية لاجل طلب العلم ولينذروا قومهم أى يعلموهم ففيه اشارة الى أنه ينبغى للمتعلم العمل وتبليغ الشريعة وذهب آخرون الى أن هذه الآية حكم مستقل بنفسه فى مشروعية الخروج لطلب العلم اذا لم يجد من يعلمه فى بلدته والفقه هو العلم بالاحكام الشرعية فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم العلم ويجب على العلماء التعليم كما قدمنا بعض ما يتعلق بذلك فى الدروس الماضية وتعلم العلم وتعليمه من أفضل العبادات وأجل الطاعات قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير قال ابن عباس درجات العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام ولو لم يكن من فضيلة العلم الا آية شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم فبدأ الله تعالى بنفسه وثنى بملائكته

وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا والعلماء ورثة الانبياء كما ثبت بالحديث واذا كان لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وغاية العلم العمل لانه ثمرته وفائدة العمر وزاد الآخرة فمن ظفر به سعد ومن فاته خسر وقد نال هذه الرتبة العالية والحسنة الباقية أكثر علماء المسلمين والفقهاء والمحدثين ولا سيما الائمة الاربعة المجتهدين فقد أحكموا الاحكام الشرعية وبينوا المسائل الخفية وأسسوا الاصول والمبانى ونقحوا الفروع والمعانى فلنعطر مجلسنا هذا بطيب ذكرهم ولنسمعكم بعضا من جليل قدرهم فأولهم الامام الصفى أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى عليه الرحمة والرضوان هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس قال حفيده اسمعيل بن حماد ولد جدى أبو حنيفة سنة ثمانين وذهب ثابت الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب لعلى فينا وقد توفى فى سنة مائة وخمسين وعمره سبعون سنة وقبره فى بغداد مشهور وقد وردت أحاديث صحيحة تشير الى فضل امامنا الأعظم منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والطبرانى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ورواه أبو نعيم عن قيس بن سعد بن عبادة بلفظ ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس وفى رواية مسلم لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله وفى رواية للشيخين والذى نفسى بيده لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله رجل من فارس وليس المراد بفارس البلاد المعروفة بل جنس من العجم وهم الفرس لخبر الديلمى خير العجم فارس وقد كان جد أبى حنيفة من فارس على ما عليه الاكثرون قال الحافظ السيوطى هذا الحديث الذى رواه الشيخان أصل صحيح يعتمد عليه فى الاشارة لابى حنيفة وهو متفق على صحته ومناقب الامام أبى حنيفة أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر وقد صنف العلماء فيها كتبا كثيرة ورسائل وفيرة وقد كان فى فقهه وزهده وورعه وعبادته وعلمه وفهمه غير مشارك ولذا قال فيه عبد الله بن المبارك رضى الله عنه

لقد زان البلاد ومن عليها * امام المسلمين أبو حنيفه
باحكام وآثار وفقه * كآيات الزبور على صحيفه
فما فى المشرقين له نظير * ولا فى المغربين ولا بكوفه
يبيت مشمرا سهر الليالى * وصام نهاره لله خيفه
فمن كأبى حنيفة فى علاه * امام للخليقة والخليفه
وقد قال ابن ادريس مقالا * صحيح النقل فى حكم لطيفه
بأن الناس فى فقه عيال * على فقه الامام أبى حنيفه
وصان لسانه عن كل افك * وما زالت جوارحه عفيفه
يعف عن المحارم والملاهى * ومرضاة الاله له وظيفه

قال الحافظ الذهبى قد تواتر قيامه بالليل وتهجده وتعبده ومن ثم كان يسمى الوتد لكثرة قيامه بالليل بل احياؤه بقراءة القرآن فى ركعة ثلاثين سنة وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه وقال ابن المبارك صلى خمسا وأربعين سنة الخمس صلوات بوضوء واحد وكان يجمع القرآن فى ركعة ولما غسله الحسن بن عمارة قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة وأتعبت من بعدك وفضحت القراء وكان هو بالا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا يستمع اليه وقال الحسن بن صالح كان شديد الورع هائبا للحرام تاركا لكثير من الحلال مخافة الشبهة ما رأيت فقيها اشد منه صيانة لنفسه قالوا ولذا امتنع عن القضاء وقد ضرب وحبس لذلك فى أيام المنصور وغيره وقد كان فى علم الحديث على جانب عظيم وكان اماما فيه فانه أخذ الحديث عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثم ذكره الذهبى وغيره فى طبقات الحفاظ من المحدثين وروى الخطيب عن اسرائيل بن يونس انه كان يحفظ كل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه وروى عن الامام الشافعى انه قال من أراد ان يتبحر بالفقه فهو عيال

على أبي حنيفة انه ممن وفق له الفقه وروى الربيع عنه الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ما رأيت أي ما علمت احدا أفقه منه وجاء عنه أيضا من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولم يتفقه ونقل عن الشافعي أنه صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له لم قال تأدبا مع صاحب هذا القبر وزاد بعضهم انه لم يجهر بالبسملة نقله في رد المحتار وقال سفيان الثوري أبو حنيفة أفقه أهل الارض ومن مناقبه ان امرأة جاءته وهو في الدرس فألقت اليه تفاحة نصفها أحمر ونصفها أصفر فأخذها وكسرها وأعادها اليها ففهمت المرأة الجواب فسئل عن ذلك فقال قالت انها ترى الحمرة والصفرة فتى أغتسل فقلت لها حتى ترين الطهر الابيض كبياض التفاحة ومما أنشدنيه الفاروقي عليه الرحمة لنفسه قوله في الامام الأعظم من قصيدة

يا من علا في الاجتهاد مناره * وبدر مذهبه غلا مقداره
لله درك من امام أعظم * يعزى الى كسرى الملوك نجاره
أنت الامام المهتدى والمقتدى * والمجتبى والمرتضى أطواره
صلى فريضة صبحه بوضوئه * وقت العشا حينا وذاك شعاره
قد كلفوه للقضا فأبى ولم * يرضى وطال بسجنه استمراره
فقضى شهيدا لا عليه ولا له * من أمرهم شيء يدنس عاره
لا زال نوء اللطف من بركاته * يروى ضريحك بالرضا مدراره

وثانيهم السالك أحسن المسالك امام دار الهجرة مالك بن أنس بن عامر التيمي وكنيته أبو عبد الله الاصبحي أحد الاعلام الذين شيدوا الاسلام قال السفيري ولد في خلافة الوليد عبد الملك سنة أربع وقيل سنة ثلاث وتسعين ومناقبه جمة أفردت بالتأليف وثناء الناس عليه مشهور ومعروف أخذ الرواية من تسعمائة شيخ منهم ثلثمائة من التابعين وستمائة ممن تابعهم ممن اختاره وارتضى دينه وفقهه وقيامه بحق شروطها وسكنت النفس اليه ومن أجل مناقبه انه العالم الذى بشر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة رواه الترمذي وغيره وفي حديث آخر ليس على ظهر الدنيا أعلم منه فتضرب الناس اليه آكباد الابل وفي لفظ آخر يوشك أن يضرب الناس آباط الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة فالمراد بعالم المدينة في الأحاديث المذكورة هو الامام مالك كما قاله التابعون وتابعوهم ولم يعرف ان أحدا ضربت اليه أكباد الابل مثل ما ضربت اليه قال أبو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم وقال يحيى بن شعبة دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد منهم له ولا يفتى أحد في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثني فاستزدته فزادني ثم غمزني أصحابه فسكت ومن مناقبه ان امرأة غسلت امرأة بالمدينة في زمنه رضي الله تعالى عنه فوضعت الغاسلة يدها على فرجها أي فرج الميتة وقالت طالما عصى هذا الفرج ربه فالتصقت يد الغاسلة في فرجها فسئلوا علماء المدينة عن أمرها فبعضهم قال تقطع يد الغاسلة وبعض آخر قال يشق فرج الميتة وبعض آخر تحير في أمرها فاستفتى الامام مالك فقال اسئلوا الغاسلة ما قالت في حق الميتة لما وضعت يدها على فرجها فسألوها فقالت قلت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال مالك هذا قذف اجلدوها ثمانين جلدة تتخلص يدها فجلدوها ذلك فتخلصت يدها فمن ثم قيل لا يفتى ومالك في المدينة ومنها ما قاله عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلدغته عقرب ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه قلت يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا روى أنه كان اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغتسل وتبخر وتطيب فاذا رفع أحد صوته قال اخفض صوتك فان الله تعالى يقول ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته ووجه هرون الرشيد اليه ليحدثه فقال مالك

ان العلم يؤتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجلال العلم فقام وجلس بين يديه فحدثه وبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فأتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه وبحث فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به وكان لا يركب دابة في المدينة ويقول أنا أستحى من الله ان أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابتي وقد سعى به الحساد عند بني العباس لقوله بعدم طلاق المكره فدعاه جعفر بن سليمان وقد غضب عليه ثم جرده وضربه ولما حضرته الوفاة تشهد ثم قال لله الامر من قبل ومن بعد فتوفى رضي الله تعالى عنه سنة تسع وسبعين ومائة بالمدينة الشريفة وعمره خمس وثمانون سنة ودفن بقيع الغرقد [1] نفعنا الله تعالى وايا كم بعلومه آمين وثالث الائمة محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف الشافعي القرشي ولد بمدينة غزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو ابن سنتين وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وأذن له الامام مالك بن أنس بالفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة وكان كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه من العلوم بالكتاب والسنة وكلام الصحابة واختلاف أقاويل العلماء ومعرفة اللغة والعربية ما لم يجتمع في غيره قال بعض العلماء وقد أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما وقد حمله كثير منهم على الامام الشافعي وحمله بعضهم على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال السفيري والشافعي مجدد رأس المائة الثانية المشار اليه في حديث أبي داود يبعث الله على كل رأس مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها فانه مات سنة أربع ومائتين وكان رضي الله تعالى عنه يختم القرآن في كل يوم مرة وكان يختمه في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل لابيه يوما يا أبت أراك تكثر الثناء والمدح للامام الشافعي وتكثر الدعاء له أي رجل كان الشافعي قال له يا بني كان الشافعي كالشمس للنهار وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو عنهما عوض وكانت للامام أحمد ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين ومناقب الاولياء الورعين وتود أن ترى الشافعي فاتفق ان مبيت الشافعي عند أبيها في بغداد ففرحت البنت بذلك طمعا أن ترى أفعاله وتسمع مقاله فلما كان الليل قام أبوها الامام أحمد الى وظيفته من صلاة وتهجد وذكر والامام الشافعي مستلق على ظهره والبنت ترقبه الى الفجر فقالت لابيها يا أبت أنت تعظم الشافعي وما رأيت له في هذه الليلة لا صلاة ولا ذكرا ولا وردا فبينما هما في الحديث اذ قام الامام الشافعي فقال له الامام أحمد كيف كانت ليلتك فقال ما بت ليلة أطيب ولا أبرك ولا أربح منها فقال كيف ذلك قال لاني رتبت في هذه الليلة مائة مسئلة وأنا مستلق على ظهري والكل فيما ينفع المسلمين ثم ودعه ومضى فقال الامام أحمد لابنته هذا عمله الليلة وهو نائم أفضل من الذي عملته وأنا قائم وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين ثم خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج الى مصر ولم يزل بها الى أن توفى يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ودفن بالقرافة الصغرى بمصر المحروسة وقبره مشهور وعلى قبره قبة وعلى القبة هيئة سفينة من نحاس وقد قال فيها بعض الافاضل

أتيت لقبر الشافعي أزوره * فعارضني فلك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشارة * الى أن هذا البحر قد طمه القبر

ولقد أحسن ابن دريد في مرثيته حيث يقول

ألم تر آثار ابن ادريس بعده * دلائلها في المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهي خوالد * وتنخفض الاعلام وهي روافع
لرأى ابن ادريس ابن عم محمد * ضياء اذا ما أظلم الخطب ساطع
أبى الله الا رفعه وعلوه * وليس لما يعليه ذو العرش واضع

[1] قوله الغرقد بالغين المعجمة العوسج اه منه

سلام على قبر تضمن جسمه * وجادت عليه المدجنات الهوامع
لئن فجعتنا الحادثات بشخصه * لهن لما حكمن فيه فواجع
فاحكامه فينا بدور زواهر * وآثاره فينا نجـــــوم طوالع

ورابع الائمة المجتهدين الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل المتصل نسبه بعدنان الشيبانى المروزى الاصل خرجت أمه من مرو وهى حامل به فولدته فى بغداد فى شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ومائة وقيل انه ولد بمرو وحمل الى بغداد وهو رضيع وتوفى أبوه وهو طفل ونشا ببغداد وطلب بها العلم والحديث من شيوخها ثم رحل بعد ذلك فى طلب العلم للبلاد كالكوفة والبصرة والمدينة والشام واليمن والجزيرة وكتب عن علماء كل بلد وقال أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف ومشايخه كثيرون ومن أجلهم الامام الشافعى ومما ينسب له فيه

قالوا يزورك أحمد وتزوره * قلت الفضائل ماتعدت منزله
ان زارنى فبفضله أو زرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

قال الدميرى وحكى ان الشافعى رحمه الله تعالى لما حضر فى مصر رأى فى المنام سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول له بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه فانه يدعى الى القول بخلق القرآن فلا يجيب الى ذلك بل يقول هو منزل غير مخلوق فلما أصبح الشافعى رضى الله تعالى عنه كتب صورة مارأى فى منامه وأرسله مع الربيع الى بغداد الى الامام أحمد رحمه الله تعالى فلما وصل بغداد قصد منزل أحمد واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال له هذا كتاب أخيك الشافعى فقال له هل تعلم مافيه قال لا ففتحه وقرأه وبكى وقال ماشاء الله لاقوة الا بالله ثم اخبره بما فيه فقال الجائزة وكان عليه قميصان أحدهما على جسده والآخر فوقه فنزع الذى على جسده ودفعه اليه فاخذه ورجع الى الشافعى فقال له الشافعى ما أجازك قال أعطانى القميص الذى على جسده فقال له أما أنا فلا أفجعك فيه ولكن اغسله وأتنى بمائه فغسله وأتاه بالماء فأفاضه على سائر جسده اهـ وقال حرملة بن يحيى سمعت الشافعى يقول خرجت من بغداد وما خلفت فيها أحدا أورع ولا أتقى ولا أفقه وأظنه قال ولا أعلم من أحمد بن حنبل وقال على بن المدينى ان الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة قال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث وقال الامام احمد ما كتبت حديثا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا وقد عملت به وقد دعى الى القول بخلق القرآن فلم يجب وضرب وحبس وهو مصر على الامتناع وقد أخذ عنه جماعة من الاماثل والمحدثين الافاضل منهم محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وقال غير واحد من العلماء اذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم انه صاحب سنة ومن ذكره بسوء فهو صاحب بدعة وسوء عقيدة وفى ذلك قال مزاحم

لقد صار فى الآفاق أحمد محنة * وأمر الورى فيها فليس بمشكل
ترى ذا الهوى جهلا لاحمد مبغضا * وتعرف ذا التقوى بحب ابن حنبل

وقال ابن أعين

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة * وبحب أحمد يعرف المتنسك
واذا رأيت لاحمد متنقصا * فاعلم بأن ستوره ستهتك

وقد توفى ضحوة نهار الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب وقد استولت دجلة على جميع هذه المقبرة بحيث لم يبق لها اثر الآن وقد حضر جنازته من الرجال ألوف كثيرة وكذلك من النساء وأسلم يوم موته عدد كثير من النصارى واليهود والمجوس ورؤى بعد موته برؤيات عديدة تدل على حالة حميدة نفعنا الله تعالى واياكم بعلومه الشريفة وجعلنا من المتبعين لاقوال الائمة ولاسيما أقوال أبى حنيفة فان هؤلاء المجتهدين هم الذين أوصلوا الينا أقوال سيد المرسلين عليه أفضل صلاة المصلين فليس لاحد الآن غنى عن اتباع أقوالهم والتمسك بأسبابهم والتقليد لما نقحوه والاتباع لما رجحوه

فجزاهم الله تعالى عن الاسلام وأهله خير الجزاء وحشرنا واياهم تحت لواء خاتم الانبياء وعليكم اخوانى بالحذر من الزلل والاحتقار للعمل فلو رأيتم أرباب القلوب والاسرار وقد أخذوا أهبة التعبد فى الاسحار وقاموا فى مقام الخوف على قدم الانكسار (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) عقدوا عزم الصيام وماجاء النهار وسجنوا الالسنة فليس فيهم مهذار وغضوا أبصارهم ولازموا غض الابصار فانظر مدحهم الى أين انتهى وصار (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) أحزانهم أحزان ثكلى مالها اصطبار ودموعهم لولا التحرى اقلت كالانهار ووجوههم من الخوف قد علاها الصفار والقلق قد أحاط بالقوم ودار (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) وجدوا فى انطلاقهم الى خلاقهم وراضوا أنفسهم بتحسين أخلاقهم فاذابهم قد أذابهم كرب اشتياقهم أتدرى ما الذى حبسك عن لحاقهم حب الدرهم والدينار ياغافلا طول دهره عن مر يومه وشهره ياموعظا فى سره وجهره بجفاف النبات وزهره ياعصفور الابد من ذبحه وتخريب وكره ثم لايجول ذلك على فكره متى يفيق سكران الهوى من سكره فلو تفكر حق التفكر فى نشره لم يبع ثوبا ولم يشره مضى الزمان فى مد اللهو وضرره وما حظى المقصر المفرط بغير وزره

حياة وموت وانتظار قيامه * ثلاث أفادتنا ألوف معان

اخوانى أيامكم قلائل وأهواؤكم قواتل فليعتبر الأواخر بالاوائل أين من يوقن أنه لاشك راحل وماله زاد ولا رواحل هلا تنبهت من رقاد شامل وحضرت المواعظ بقلب قابل وقمت فى الدجى قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل وبعثتها فى سفينة سائل لعلها ترسى بساحل هل من سائل فأفق من سكرتك قبل حسرتك وتذكر نزول حفرتك وهجران قرابتك ورفقتك فبادر الى تحصيل العفو قبل فوت المطالب وانهض عن بساط الونى وقل الهى أنا تائب

الى الله تب قبل انقضا زمن العمر * أخى ولا تأمن مساررة الدهر
لقد حدثتك الحادثات نزولها * ونادتك الا ان سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للاحبة اذ مضوا * ونفسك لاتبكى وأنت على الاثر

فيا حاملا من الذنوب أثقالا يامرسلا عنان لهوه فى ميدان زهوه ارسالا قف وقوف المنكسرين وتبتل واستشعر الخضوع واستجلب الدموع واحتل واغسل بمياه الحسرات أنجاس الخطيآت واعتذر الى مولاك وتب من خطاياك واحذر سهم الغضب أن يصيب المقتل والجأ الى مولاك فى خلاصك واسأل

أياسيدى ماخفوتى بغريبة * اليك ولا غفرانها بطريف
فان تقبل العبد الضعيف تطولا * فان رجائى فيك غير ضعيف

اللهم وفقنا التوبة والانابة وافتح لادعيتنا أبواب الاجابة يامن اذا سأله المضطر أجابه اللهم أنت المدعو بكل لسان والمقصود فى كل آن أنت قلت ادعونى أستجب لكم فها نحن متوجهون اليك فلا تردنا واستجب لنا كما وعدتنا اللهم أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك ونزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك وأعطنا مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اللهم اعصمنا من شر الفتن وعافنا فى الدارين من جميع المحن وأصلح منا ما ظهر وما بطن والحقنا بالصالحين وارحم كافة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

المجلس الثالث والثلاثون

(فى التقوى والمودة بين المسلمين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله خالق الجامد والحساس ومبدع الانواع والاجناس القوى فى سلطانه الشديد الباس المنزه عن السنة والنعاس المخرج رطب الثمار من يابس الاغراس نفذ قضاؤه فلم يمنع باحتراس لايعزب عن سمعه ماتجترحه الحواس ولا دبيب ذر بالليل فى مطاوى قرطاس نفذت مشيئته فكم مجتهد عاد باليأس يفعل مايريد لا بمقتضى

تدبيرالخلق والقياس قدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على كل نبى دبروساس فسبحان من أجزل له العطا وجعله خير نبى حارب وسطا وقال لامته وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس أحمده حمدا يدوم بدوام اللحظات والانفاس وأصلى على رسوله محمد الذى شرعه مستقر ثابت الأساس وعلى صاحبه أبى بكر الثابت العزم وقدار تدالناس وعلى عمر قاهر الجبابرة الاشراس (١) وعلى عثمان الصابر يوم الشهادة على مرير الكاس وعلى على أهدى الجماعة الى نص أوقياس الواجبة طاعته على العين والراس (أمابعد) فقد قال الله فى كتابه الكريم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف الله بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله مافى السموات ومافى الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون (ونقول) وبالله تعالى التوفيق الكلام على هذه الآيات الكريمات يشتمل على فصول *(الفصل الاول)* قوله تعالى حق تقاته من باب اضافة الصفة الى موصوفها اذ الاصل اتقوا الله التقاة الحق أى الثابتة وتقاة مصدر والتقاة الحق التقوى التى تحق له تعالى وهى أن لا يترك العبد شيأ مما يلزمه فعله ولا يفعل شيأ مما يلزمه تركه ويبذل فى ذلك جهده ومستطاعه وفى روح المعانى روى غير واحد عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وادعى كثير نسخ هذه الآية فعن سعيد بن جبير قال لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم (٢) وتقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا على المسلمين فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى وفى احدى الروايتين عن ابن عباس أنه قال لم تنسخ ولكن حق تقاته ان يجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ويقوموا لله سبحانه بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم وفى تحفة الاخوان التقوى امتثال الاوامر واجتناب المناهى ولها ثلاث مراتب الاولى التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير الثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الله تعالى وهذه هى التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد وقد بين الله تعالى ان التقوى خير لباس فقال تعالى ولباس التقوى ذلك خير وقال الشاعر

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا
فخير خصال العبد طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وقال تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله قال بعض المفسرين الذرية الضعاف هن البنات فتقوى الاصول تنفع الفروع كما قال تعالى وكان أبوهما صالحا قيل كان عاشر جد لهما انتهى وقوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لسواه أصلا وقرأ

١ الاشرس الجرىء فى القتال والاسد كالشريس قاله فى القاموس اهـ منه
٢ العرقوب بالضم عصب غليظ فوق عقب الانسان وجمعه عراقيب اهـ منه

ابو

أبو عبد الله مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منقادون له وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله الخ قال الوالد عليه الرحمة أى القرآن وروى بسند صحيح عن ابن مسعود وأخرج غير واحد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الأرض وأخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى تارك فيكم خليفتين كتاب الله عز وجل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وورد بمعنى ذلك أخبار كثيرة وقيل المراد بحبل الله الطاعة والجماعة وقيل انه الاخلاص لله تعالى وحده وقوله تعالى ولا تفرقوا أى بعد الاسلام كما تفرقت اليهود والنصارى أو كما كنتم فى الجاهلية متدابرين وقيل لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع وقد نهى سبحانه وتعالى عن التفرق فى الدين وعن التدابر والتنازع بين المسلمين فى آيات كثيرة من كتابه المبين فقال عز من قائل ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء وقال تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وأخرج ابن ماجه عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افترقت اليهود على ثنتين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة والذى نفسى بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار قيل يا رسول الله من هم الجماعة وفى رواية قيل له ما الواحدة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى ثم ان هذا الاختلاف المذموم محمول كما قيل على الاختلاف فى الاصول دون الفروع واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف أمتى رحمة (١) وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله تعالى فالعمل به لا عذر لاحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله تعالى فسنة منى ماضية فان لم يكن سنة منى فما قال أصحابى ان أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فايما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة وأراد بهم صلى الله تعالى عليه وسلم خواصهم البالغين رتبة الاجتهاد وفى حديث العرباض المتقدم فى بعض الدروس الماضية فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وليعلم أنه سبحانه وتعالى قد أمر أيضا فى آيات وفيرة على اتفاق المسلمين وعدم شقاقهم وحض على موالاة بعضهم لبعض وكذا نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ٢ وقال عليه الصلاة والسلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وفى الآثار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومصداق ذلك قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان قال العلماء فينبغى للمسلمين ويجب على الموحدين ان تتحابب قلوبهم وتتفق كلمتهم وتتحد فرقهم لاعلاء كلمة الله وان يجتمعوا على طاعة خليفة رسول الله وان يطيعوا سلطان المسلمين وينقادوا لامير المؤمنين قلت ولا سيما فى هذا الزمن الذى كثرت فيه على المسلمين البلايا والمحن فالواجب على كافة الاسلام اتحادهم فى طاعة ولى الانام وظل الله على الخاص والعام حضرة مولانا أمير المؤمنين السلطان الاعظم شمس سماء بنى عثمان السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان المبرور عبد المجيد خان وفقه الله تعالى للخير الاتم وأيده بنصره الاعم وأدام دولته وأعز رعيته وجعل ملوك الأرض كلهم تحت لوائه وأظهره على حساده وأعدائه آمين *(الفصل الثانى)* قد أمر سبحانه وتعالى فى هذه الآيات بالدعاء الى الخير وهو ما فيه صلاح دينى ودنيوى فعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

١ لكن قال الامام السبكى ان اختلاف أمتى رحمة ليس معروفا عند المحدثين اهـ منه
٢ وفى الجامع الصغير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تمار أخاك أى لا تخاصمه ولا تمازحه أى بما يتأذى به ولا تعده موعدا فتخلفه انتهى وروى أيضا عن أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفى رواية أخرى لمسلم حتى يحب لجاره اهـ منه

عليه فى قوله سبحانه و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر من باب عطف الخاص على العام كما قيل وقد وردت أحاديث كثيرة فى الحث على ذلك فلنذكر بعض ما يتعلق بما هنالك قال العلماء رحمهم الله تعالى من الكبائر ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون وروى مسلم وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن درة بنت أبى لهب قالت سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم وفى روح المعانى روى الحسن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله وخليفة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وخليفة كتابه وروى لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم وتدعون خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وروى فى تبيين المحارم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم بعذاب من عنده وفى رواية ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب من عنده رواه أبو داود وغيره وقال عليه الصلاة والسلام ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الآية وروى الأصبهانى أنه عليه الصلاة والسلام قال يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء وروى الأصبهانى أيضا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصى الله فلا ينكر ولا يغير وروى أبو ثعلبة الخشنى أنه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وأعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام قال وأوحى الله تعالى الى يوشع بن نون انى مهلك من قريتك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الأخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبى وآكلوهم وشاربوهم ومصداق ذلك قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وليعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات وقيل من فروض الاعيان وله شروط منها يلزم أن يكون ذلك ايمانا واحتسابا لا لسمعة ولا رياء ولا لغرض نفسانى ومنها العدالة فقد اعتبرها قوم ولم يعتبرها آخرون وربما استدل الاولون بقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم و بقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى ينشد فى مجالسه

مواعظ الواعظ لن تقبلا * حتى تعيها نفسه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ * خالف ما قد قاله للملا
أظهر بين الناس احسانه * وبارز الرحمن لما خلا

وأنشد آخر

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو سقيم

وأنشد آخر

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت اذن فأنت حكيم

وفى هذا الباب أخبار كثيرة ومطالب غزيرة من أرادها فليرجع الى محلها *(الفصل الثالث)* قوله تعالى كنتم خير

أمة

أمة أخرجت للناس الآية قال المفسرون رحمهم الله تعالى هذا كلام مستأنف يتضمن بيان حال هذه الامة فى الفضل على غيرها من الامم سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكان قيل تامة أى خلقتم وقيل ناقصة أى كنتم فى علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين فى الامم الماضية خير أمة وقيل كنتم بمعنى أنتم ونحو هذه الآية قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدولا اخيارا كما قال تعالى قال أوسطهم أى خيرهم وأعدلهم لتكونوا شهداء على الناس أى لتكونوا شهداء يوم القيامة لانبيائهم على أممهم قال ناصر السنة ابن الجوزى فى الكلام على هاتين الآيتين فى تبصرته ما نصه روى عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال الوسط العدول قال فيدعون فيشهدون له بالبلاغ قال ثم أشهد عليكم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة الحديث وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط ألا فعملت اليهود ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط ألا فعملت النصارى ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين ألا فأنتم الذين عملتم فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانما هو فضلى أوتيه من أشاء واعلم ان فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وان كان ذلك باختيار الحق لها وتقديمه اياها الا أنه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم علمه بما جهلوا فكذلك جعل لتقديم هذه الامة شيأ هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس واعتبر حالهم بمن قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق فى شق البحر ثم قالوا اجعل لنا الها ثم مال كثير منهم الى عبادة العجل وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولم يقبلوا التوراة حتى نتق عليهم الجبل وأمروا بقوله حطة فقالوا حنطة وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا زحفا وقالوا عن نبيهم هو آدر (١) ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من أعظم التعطيل لان الجسم مؤلف ولا بد للمؤلف من مؤلف ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان الله تعالى جوهر (٢) والجواهر

(١) قوله آدر الآدر هو منتفخ الخصيتين اه منه

(٢) وليعلم أن النصارى زعموا ان الآله جوهر ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس كل واحد منها اله تام والكل اله واحد ثم قالوا ان الابن الذى هو أحد الاقانيم وثانيها نزل الى الأرض وتجسد من مريم ومن روح القدس وولد ونشأ وكبر الى أن بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا ثم ان اليهود صلبوه ومات وقبروه ثم قام من قبره فى اليوم الثالث وأكل السمك وشرب الماء وظهر للحواريين ثم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الاب وهو فى هذه الاحوال كلها اله تام وانسان تام ولهم فى الاقانيم تسعة أقوال مذكورة فى كتاب منير الغرام والاقنوم لفظة سريانية معناها الشخص ورد هذا القول أظهر من أن يذكر فان جنة قائله لا تخفى على عاقل وأما اليهود فاقوالهم السخيفة كثيرة منها تحريفهم للتوراة وتبديلها ومنها ان الاله سبحانه وتعالى مساحة جبهته خمسة آلاف ذراع وتاج رأسه ألف قنطار وفص خاتمه تضىء منه الشمس والنجوم وقالوا ان موسى هو الذى قتل أخاه هرون لميل بنى اسرائيل اليه ومنها أن سليمان بنى لنسائه بيوت الاوثان وأباح لهن عبادتها ومنها قولهم ان داود زنى بامرأة اوريا وابنه سليمان منها سبحانك هذا بهتان عظيم واعلم أيضا أنه قد ورد فى التوراة والانجيل ما يدل على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منها قول الله تعالى مخاطبا لموسى عليه الصلاة والسلام سأقيم لهم نبيا مثلك من اخوانك أجعل كلامى على فمه وفى موضع آخر منها جاء الله من طور سيناء وظهر بساعير وعلن بفاران والمراد بالمجىء مجىء الشرائع والسنن والانبياء لان الله تعالى منزه عن المجىء وجبل الطور معلوم وكان مبدأ ظهور موسى منه وساعير جبل القدس ومنه مبدأ ظهور عيسى وفاران جبل مكة أو الحجاز ففى التوراة واسمعيل سكن برية فاران ونشأ بها ومن أراد تفصيل أقوالهم الباطلة فعليه بالمطولات الكافلة اه منه

تماثل ولا مثل للخالق ثم يقولون عيسى ابنه وقد علم ان الابن بعض والخالق لا يتجزأ ثم قد علموا ان عيسى لا يقوم الا بالطعام والاله هو من قامت به الاشياء لا من قام بها وقد عرف يقين أمتنا وبذلهم أنفسهم فى الحروب وطاعة الرسول وحفظهم للقرآن وأولئك كانوا لا يحفظون كتابهم فلهذا فضلوا فهم أول أمة يدخلون الجنة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أهل الجنة مائة وعشرون صفا أمتى منهم ثمانون صفا وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ألا انكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى روى أبو موسى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى وأنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق أخرجاه فى الصحيحين وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما من أحد يموت الا ندم قالوا فما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع وروى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره فان قيل فهذا يوجب ترددا فى تفضيل الصحابة فالجواب أنه أراد تقريب آخر أمته الى أولها فى الفضل كما تقول لا أدرى أوجه هذا الثوب خير أو مؤخره وقد علم أن وجهه أفضل لكنك تريد تقريب مؤخره من وجهه من الجودة ذكره ابن قتيبة فأما فضل الصحابة رضى الله تعالى عنهم فلا شك فيه اذ لهم صبر على الحق لا يشاركهم فيه أحد كان بلال رضى الله عنه يعذب فى الرمضاء ويقولون له قل اللات والعزى وهو يقول أحد أحد وكان عم الزبير يعلقه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع الى الكفر فيقول لا أرجع ولقد جاء من بعد الصحابة سادات برزوا فى العلم والعمل كان أبو مسلم الخولانى قد علق فى مسجده سوطا يؤدب به نفسه كلما فتر ويقول أيظن الصحابة أن يستأثروا بمحمد دوننا والله لأزاحمنهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا رجالا وكان عامر بن قيس يصلى كل يوم ألف ركعة وكان كهمس بن الحسن يختم فى الشهر تسعين ختمة وصلى سليمان التيمى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان سفيان الثورى غاية فى العلم والعمل فغلبه الخوف فصار يبول الدم وحمل ماؤه الى الطبيب فقال هذا لا يشبه بول المسلمين هذا ماء الرهبان هذا الرجل قد فتت الخوف كبده وحمل ماء سرى السقطى الى الطبيب فلما نظر اليه قال هذا بول عاشق قال حامله فصعقت وغشى على ثم رجعت الى سرى فأخبرته فقال قاتله الله ما أبصره قال الشبلى جزت براهب فقلت له لمن تعبد فقال عيسى قلت ولم قال بقى أربعين يوما لم يأكل قلت فعدها لى فاقمت تحت صومعته أربعين يوما لم آكل فأسلم وكان أبو عبيدة الخواص يقول واشوقاه الى من يرانى ولا أراه وفى الحديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال اشتاقت الجنة الى على وعمار وسلمان قال بعض الصالحين لقيت غلاما فى طريق مكة يمشى وحده فقلت ما معك مؤنس قال بلى قلت أين هو قال أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى قلت أما معك زاد قال بلى قلت أين هو قال الاخلاص والتوحيد والايمان والتوكل قلت هل لك فى مرافقتى فقال الرفيق يشغل عن الله ولا أحب أن أرافق من يشغلنى عنه طرفة عين قلت أما تستوحش فى هذه البرية قال ان الانس بالله قطع عنى كل وحشة فلو كنت بين السباع ما خفتها قلت ألك حاجة قال نعم اذا رأيتنى فلا تكلمنى قلت ادع لى قال حجب الله طرفك عن كل معصية وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه قلت حبيبى أين ألقاك قال أما فى الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائى وأما فى الآخرة فانها مجمع المتقين فان طلبتنى هنالك فاطلبنى فى زمرة الناظرين الى الله عز وجل قلت وكيف علمت قال بغض طرفى له عن كل محرم واجتنابى فيه كل منكر ومأثم وقد سألته أن يجعل جنتى النظر اليه ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصرى اخوانى ان من كان من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من خير الامم عند الله الملك الاعظم ولما كان هذا الرسول الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم خير الخلق وأفضلهم كانت أمته خير الامم وأفضلها وأقدمها وأكرمها فما يحسن بمن كان خيرا من الامم الماضين ومتبعا السيد المرسلين الا أن يكون متصفا بصفات الخير متجنبا الصفات الشر المعقبة للضير ولا يرضى لنفسه أن يكون من شر الناس مع انتسابه

الى خير الامم ورسوله خير الرسل الكرام ولما تمسك رسول الله عليه الصلاة والسلام بعروس الاسلام وأبرزها للبصائر من خدرها أخرج أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ماله كله نثارا لهذه العروس ونثره على الرؤس ثم أخرج عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه النصف موافقة له فقام عثمان رضى الله تعالى عنه بوليمة ذلك العرس فجهز جيش العسرة وقام على كرم الله تعالى وجهه الى الدنيا الدنية لما علم انها ضرة لهذه العروس البهية وانهما لا يجتمعان وفى قلب واحد لا يسكنان ثلث طلاقها واختار فراقها راضيا بضرتها الباقية المشفقة الوافية طارد اللفانية الغدارة العاتية فالحمد لله الذى خصنا بهذه الرحمة وأسبغ علينا هذه النعمة وأعطانا ببركة نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الفضائل الجمة فقال لنا كنتم خير أمة أخرجت للناس فمن أين للامم مثل أبى بكر الصديق أو عمر الذى ما سلك طريقا الا هرب الشيطان من ذلك الطريق أو عثمان الذى صبر على مر المضيق أو على بحر العلم الخضم العميق أو مثل العمين الحمزة والعباس كنتم خير أمة أخرجت للناس أفيهم مثل طلحة والزبير القرينين أو سعد وسعيد هيهات من أين أو السجاد وجعفر ذو الجناحين أو مثل عوف وأبى عبيدة ومن مثل الاثنين ان شبهتهم بهم فقد أبعدت فى القياس كنتم خير أمة أخرجت للناس هل شجرة الرضوان فى أشجارهم هل وقعة بدر من أثمارهم انما عرضت لهم غزاة فى جميع أعمارهم وجهاد نامع الانفاس كنتم خير أمة أخرجت للناس غرهم التغفيل وتناهى واعتقدوا الخالق أشباها فقالوا فى اليم اجعل لنا الها وما فى عقائدنا نحن التباس كنتم خير أمة أخرجت للناس أعندر هبانهم كزهد أويس أو فى عابديهم كعامر بن قيس أفى خائفيهم كالفضيل هيهات ليس ضوء الشمس كالمقباس كنتم خير أمة أخرجت للناس أفيهم مثل بشر ومعروف أفى زهادهم كابن أدهم موصوف أو فى طوائفهم طائفة صلت وقد سلت السيوف ورنت الاقواس كنتم خير أمة أخرجت للناس أفيهم مثل أبى حنيفة ومالك أو كالشافعى الهادى الى المسالك كيف نمدحهم وهم أجل من ذلك ما أحسن بنيانهم والاساس كنتم خير امة أخرجت للناس أفيهم أعلى من الحسن البصرى وأنبل أو ابن سيرين الذى بالورع تبتل أو سفيان الذى بالعلم والخوف تسربل أو كأحمد الذى بذل نفسه للحق وسبل تالله ما فيهم مثل ابن حنبل ارفع صوتك بذا ولا باس كنتم خير أمة أخرجت للناس اللهم انا نسألك الثبات على دينك وشكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وفؤادا حليما ونسألك من خير ما تعلم ونستغفرك مما تعلم اللهم لك أسلمنا وبك آمنا وبجميع ما جاء به نبيك المصطفى صدقنا وعليك توكلنا واليك أنبنا وبك خاصمنا اللهم انا نعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم أحسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة اللهم وارحم آباءنا وأمهاتنا وأقاربنا وكافة المسلمين والحمد لله رب العالمين

المجلس الرابع والثلاثون

(فى التفكر وعجائب المخلوقات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القديم السابق العظيم الخالق الكريم الصادق الرحيم الرازق رافع السبع الطوابق بلا عمد ولا علائق ومثبت الارض بالشم الشواهق مزينة بالاشجار والحدائق المتعرف الى خلقه بالبراهين والحقائق المتكفل بأرزاق جميع الخلائق خالق الحيوان الناطق من ماء دافق رب السموات السبع وما بينهما ورب المشارق أحمده ما سكت ساكت ونطق ناطق وأقر بوحدانيته اقرار مخلص لا منافق وأصلى على رسوله محمد الذى عمت دعوته الحضيض والشاهق وعلى صاحبه أبى بكر القائم يوم الردة بالحزم اللائق وعلى عمر مدوخ الكفار وفاتح المغالق وعلى عثمان الذى ما استحل حرمته الأمارق وعلى على الذى كان يدخل بالشجاعة المضائق وعلى سائر آله وأصحابه ما أضاء صبح وذر شارق وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز ان فى

خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) المراد ذات السموات والارض وصفاتهما ومافيهما من العجائب والمراد باختلاف الليل والنهار تعاقبهما بالمجيء والذهاب وزيادة أحدهما ونقصان الآخر وتفاوتهما طولا وقصرا وحرا وبردا وقوله تعالى (لآيات) اى دلالات واضحة وبراهين بينة لاهل العقول الصحيحة على الخالق سبحانه وتعالى

وفى كل شيء له آية * تدل على انه واحد

وقوله تعالى (الذين يذكرون الله) الآية اختلف فى المراد بالذكر فقيل ذكره سبحانه وتعالى فى هذه الاحوال من غير فرق بين حال الصلاة وغيرها وذهب جماعة من المفسرين الى أن الذكر هنا عبارة عن الصلاة وبه قال على وابن عباس رضى الله تعالى عنهم أى لايضيعون فى حال من الاحوال فيصلونها (قياما) مع عدم العذر (وقعودا وعلى جنوبهم) مع العذر وقوله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) أى فى بديع صنعهما واتقانهما مع عظم اجرامهما فان هذا الفكر اذا كان صادقا أوصلهم الى الايمان به سبحانه وعن عائشة مرفوعا ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها وقد مدح الله تعالى المتفكرين ووردت آثار (١) فى استحباب التفكر كما سنذكر ذلك وقوله (ربنا ماخلقت هذا باطلا) أى عبثا ولهوا بل خلقته دليلا على حكمتك ووحدانيتك وقدرتك واعلم ان التفكر معناه ان يحضر الانسان فى قلبه معرفتين ليستثمر منهما معرفة ثالثة فاذا تفكر فى السموات والارض علم أنها مخلوقة وعلم أنه لابد لها من خالق فأثمرت المعرفتان معرفة ثالثة وهى طاعته ولزوم أمره وكذلك اذا علم ان الباقى أولى من الفانى ثم علم ان الآخرة أبقى حصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهى ان الآخرة أولى بالايثار وثمرة الفكر العلوم والاحوال ومتى حصل العلم فى القلب تغير حال القلب فتغيرت أعمال الجوارح فالفكر هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها فانه اذا تفكرنا فعلمنا ان الآخرة خير من الدنيا تغيرت القلوب عن الرغبة فى الدنيا فرغبت فى الآخرة قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فى الاحياء قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لاتحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض الآية وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لاتتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا ومن ولد آدم قال لايدرون خلق آدم أم لا وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم ياروح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم عن التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وقال وهب بن منبه ماطالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز

(١) سئل أعرابى بم عرفت الله سبحانه وتعالى فقال البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير فأرض ذات أفواج وسماء ذات أبراج أفلا يدلان على السميع البصير اهـ منه

الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ماعصوا الله عز وجل وقال الشافعى رحمه الله تعالى الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكر والثانية العفة وقوامها فى الشهوة والثالثة القوة وقوامها فى الغضب والرابعة العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس وليعلم ان التفكر يلزم فى أنواع عديدة منها ينبغى للعاقل أن يفتش صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو فى الحال ملابس لمعصيته بها فيتركها أو لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها فى نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر مثلا فى اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والممازحة والخوض فيما لايعنيه فيقرر أولا فى نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر فى شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر فى أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لايشعر ويتفكر ما الفائدة له فى ذلك ثم يتفكر كيف يحترز من هذه المهالك ويعلم انه لايتم له ذلك الا بالعزلة أو بأن لايجالس الا صالحا ورعا متقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى والا فيضع حجرا فى فمه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له ونحو هذا يتفكر فى بقية أعضائه ويجعل نصب عينيه قوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش فى الارض مرحا انك ان تخرق الارض وان تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا *ولنذكر لكم تفسير هذه الآيات ثم نرجع الى ما نحن بصدده ان شاء الله تعالى قال العلماء رحمهم الله تعالى (ولا تقف) أى لاتتبع مالاتعلم لاتقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقال ابن عباس لاتذم أحدا بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية هى فى شهادة الزور وقيل هى فى القذف وقيل معناها لاتتبع الحدس والظنون وقوله تعالى (ان السمع الآية) أى كل واحد من الحواس الثلاثة يسئل عنه وقيل ان الله سبحانه ينطق هذه الاعضاء عند سؤالها فتخبر عما فعله صاحبها والفؤاد هو القلب وله اطلاقان تارة يطلق على الجسمانى الذى فى الصدر وتارة على غيره قال فى التبصرة اعلم أن القلب اذا أطلق أريد به الجسمانى الذى فى الصدر وليس المراد به هذا فى قوله عز وجل ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لان الحيوان البهيمى يشارك الآدمى فى ذلك وانما اللطيفة التى هى فى الآدمى حقيقة تارة تسمى بالقلب وتارة بالروح وتارة بالنفس وتارة بالعقل قال الزجاجى ومعنى الآية ان فى ذلك لذكرى لمن صرف قلبه الى التفهم أو ألقى السمع أى استمع ولم يشغل قلبه بغير ما استمع وهو شهيد أى وقلبه حاضر غير غائب ثم اعلم ان القلب أمير البدن والجوارح خدمه وقد ركب فى الآدمى ماركب فى الملك من العلم والعمل بمقتضاه وركب فيه ماركب فى البهيمة من الحرص والحسد والشهرة والشهوات فالعلوم تحركه الى الاخلاق الرفيعة والشيطان يدعوه الى الاخلاق البهيمية فان مال الى التقى فر الشيطان من ظله وان مال الى الشهوات البهيمية تمكن الشيطان منه وربما قبض عليه فقتله وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب أخرجاه فى الصحيحين ولما اكتنف القلب صفات الخير وصفات الشر كان كلما تشبث به صفة أثرت فيه وهذا معنى تقلب القلوب عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك واعلم ان القلب يمرض من الخطايا كما يمرض البدن من التخليط فالمتقون يستعملون الحمية بالتقوى قبل الوقوع فى المرض ومنهم من تزل قدمه بزلة فيتنبه لها فيرفع الخلل بالاستغفار ومنهم من يتوانى فى الاصلاح فيعظم فساد القلب فيقسو ويظلم ويصدى انتهى وقوله تعالى (ولا تمش فى الارض مرحا) أى مختالا فخورا وقيل هو شدة الفرح وقيل التكبر فى المشى وقرئ مرحا بكسر الراء على أنه اسم فاعل ثم علل سبحانه هذا النهى فقال (انك لن تخرق الارض) أى لن تقطعها فى المسافة أو تنقبها وفيه تهكم بالمختال المتكبر (ولن تبلغ الجبال طولا) أى ولن تبلغ قدرتك الى أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك فما الحامل لك على ما أنت فيه وأنت أصغر وأحقر من كل واحد من الجمادين وأنت تفنى وتهلك قبل هذين فكيف يليق بك الكبر

ولقد أحسن من قال

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا * فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فان كنت فى عز وحرز ومنعة * فكم مات من قوم هم منك أمنع

وقوله تعالى (كل ذلك) أى جميع ما تقدم أو ما نهى عنه (كان سيئه) وقرأ أبى كان سيآته وقرأ نافع سيئة على انها واحدة السيآت (عند ربك مكروها) والمكروه هو الذى يبغضه ولا يرضاه سبحانه وقوله تعالى (ملوما مدحورا) أى تلوم نفسك مبعدا مطرودا من رحمة الله ولنرجع الى ما نحن بصدده من بحث التفكر فليعلم انه ينبغى للعاقل أيضا ان ينظر أولا فى الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير وكيف يصونها عن ترك الطمأنينة والرياء وكيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو من أعضائه فيتفكر فى الافعال التى تتعلق به مما يحب الله تعالى فيقول مثلا ان العين لم تخلق لرؤية المحرمات بل خلقت للنظر فى ملكوت الارض والسموات وغير ذلك من الطاعات وكذلك يقول فى سمعه ان سمعى لم يخلق لسماع الغيبة والنميمة فيقول انى قادر على استماع مظلوم وكلام ملهوف أو استماع علم أو قراءة ووعظ وذكر فالى أعطله وقد أنعم الله تعالى على به وأودعنيه لاشكره فالى أكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر فى فرجه وبطنه وانهما لماذا خلقا وفى بقية أعضائه وهكذا يفتش عن جملة بدنه وأولاده وأمواله وغلمانه ودوابه بان ينظر ان الله تعالى اعطاه ذلك ليستعين به على طاعاته لا على معاصيه وقوله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض الآية قال العلماء ان كل ما فى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة موصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله تعالى ووحدانيته وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن ولكنا نشير الى بعض منه ليكون كالمثال لما عداه (فنقول) الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف أصله فلا يمكننا التفكر فيه وكم من الموجودات ما لا نعلمه كما قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون والى ما يعرف أصله ولا يعرف تفصيله والى ما ندركه بالبصر وما لا ندركه بالبصر أما الذى لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك ومجال الفكر فى هذه الاشياء مما يضيق فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهى المدركات بالبصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركاتها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وأشجارها وحيوانها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومه وأمطاره وثلوجه ورعده وبرقه وصواعقه وعواصف رياحه وفى جميع ذلك حكم عظيمة لا يعلم عددها الا الله سبحانه وتعالى ومن جملة تلك الآيات الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شئ اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضى الاعمار فى الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع فى معرفة غيرك وقد أمرك سبحانه وتعالى بالتدبر فى نفسك حيث قال عز وجل وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وقال تعالى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى فتكرير ذكر النطفة فى القرآن العظيم ليس ليسمع لفظها فقط بل ليتفكر فى المعنى فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من ماء الذكر والانثى قذرة لو تركت ساعة فى الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى وجعل بينهما مودة ورحمة وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع واستجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ثم خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وكبر وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم جعلها مضغة (١) ثم كيف قسمها وهى متشابهة الى العظام والاعصاب والعروق والاوتاد واللحم ودور

١ أى قطعة لحم اهـ منه

الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وجعل فيها مفاصل وأظافر ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص وانظر كيف ركب العين من سبع طبقات لو فقدت طبقة منها انقطعت عن الرؤية وانظر كيف شق أذنيه وأودعهما ماء مرا لحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستنشق روح الهواء لغذاء القلب وترويح حرارة باطنه وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا عما فى القلب وزين الفم بالاسنان وبيض لونها ورتب صفوفها فأحكم أصولها وحدد رؤسها لتكون آلة الطحن والقطع وخلق الشفتين لتتم بها حروف الكلام وخلق الحنجرة مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والطول والقصر حتى تختلف بها الاصوات كما اختلفت الصور ثم انظر انه لما ضاق الرحم عن الجنين لما كبر كيف هداه السبيل حتى تحرك وتنكس وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير ثم لما كان بدنه لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف خلق له اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرس (١) والدم سائغا
الفرث حل
خالصا وكيف هداه لالتقام الثدى ولامتصاصه سائر الحيوانات وكيف أنبت منها حلمتين قدر ما ينطبق عليه فم الصغير ثم فتح فى حلمته ثقبا ضيقا حتى لا يخرج منه اللبن الا تدريجا ثم انظر كيف خلق الاسنان عند احتياجه الى الطعام ثم انظر كيف جعل الرحمة فى قلب والديه ثم انظر كيف رزقه العقل والقدرة تدريجا والتمييز والهداية حتى بلغ وتكامل وصار شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا أو شكورا فتبارك الله أحسن الخالقين فهذه عشر عشير من عجائب بدنك التى لا يمكن استقصاؤها فهو أقرب مجال الفكر اليك وأجلى شاهد على وجود خالقك وعظمته وقدرته وحكمته وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا أن تجوع فتأكل وتشبع وتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم تشاركك فى معرفة ذلك وانما خاصة الانسان التى حجبت البهائم عن كمالها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة الصديقين فاذا رضى الانسان بشهوات البهائم فانه شر منها قال الله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا واذا عرفت طريق فكرك فى نفسك فتفكر فى الارض التى هى مقرك ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات اما الارض فانظر اليها وهى ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت عجائب النبات لكل نبت طعم ولون وريح يخالف الشكل الآخر وانظر الى اختلاف منافعه وأذيته فهذا يغذى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا ينوم وهذا يسهر وبعضه يخرج من نواة وبعضه من حبة ولو أردنا
وبعضه اهـ
أن نذكر عجائب النباتات لانقضت الايام فى وصف ذلك ولقد أحسن القائل

تأمل فى رياض الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * على أحداقها ذهب سبيك
على قصب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض والعيون النابعة فيها والمعادن الخارجة منها كالنفط والكبريت والقار والملح وغير ذلك ومن آياته أصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشى والى ما يمشى على أربع وعلى عشر وعلى مائة ثم انظر الى انقسامها فى المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع ترى فيها من العجائب التى لا تستقصى ما لا تشك معه فى عظمة خالقها وقدرة رازقها ولو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهى من صغار الحيوانات لضاقت عن بعضها المجلدات ومن أراده فليرجع الى كتاب مفتاح دار السعادة للعلامة شمس الدين محمد الشهير بابن قيم الجوزية ومن آياته عز وجل البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض فانظر الى سعتها وعجائب ما فيها من الحيوانات والجواهر ففيها من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فى البحر فتظن أنها جزيرة فينزل عليها الناس فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتتحرك وما من صنف من أصناف البر

١ وهو ما فى معدة الانسان اهـ منه

الاوفى البحر مثاله وانظر كيف خلق الله اللؤلؤ فى الاصداف وأنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وتأمل العنبر ونحوه كيف يقذفه البحر وانظر الى السفن كيف أمسكها الله على الماء ثم أرسل الرياح لتسوقها ولم تغرق مع ثقل جسمها ولطافة الماء ثم انظر الى عجائب الجو ومايظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب مابين السماء والارض المشار اليها فى قوله تعالى وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع فى جو صاف وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل الى أن يأذن الله سبحانه فى ارساله وتتقطع قطراته الى من يشاء فتعسا للجاهل المغرور حيث يزعم أن ذلك انما هو بطبعه لثقله ولم ينظر الى الماء فى أسافل الشجر كيف ترقى الى اعالى الاشجار شيئا فشيئا وينتشر فى جميع أطراف الاوراق والفواكه فيغذيها وينميها فلو كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل لما وصل الماء من عروق الشجر الى أعلاها وماذاك الا بقدرة الحكيم القدير ومن آياته عزوجل ملكوت السموات ومافيها من الكواكب وهو الامر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا لان الارض ومافيها والبحار بالنسبة الى السموات كقطرة فى بحر ولذا عظمها سبحانه فى كتابه وأقسم بها بقوله تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود والسماء والطارق والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها وكقوله عزوجل والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وكقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولاتظن أن معنى النظر رؤية زرقة السماء والكواكب بالبصر فان البهائم تشاركك فى ذلك بل المراد استدلالك بها على قدرة ووحدانية المالك فارفع رأسك أيها الاخ العاقل الى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها وفى دوام حركتها وفى جريها فى منازل مرتبة بحساب مقدر لايزيد ولا ينقص الى أن يطويها سبحانه طى السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها وكيفية أشكالها فبعضها على هيئة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والانسان ومامن صورة فى الارض الا ولها امثال فى السماء ثم انظر الى مسير الشمس فى فلكها وايلاج الليل فى النهار وكيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا للاستراحة والنهار معاشا وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة ومن الكواكب مايزيد على مائة مرة من الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها ولقد أحسن القائل

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

وفى الاخبار ان مابين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان مقدار كوكب واحد مثل الارض أضعافا فانظر الى كثرة الكواكب المركوزة فيها والى عظمها وسرعة حركتها وأنت لاتحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها وانظر الى عظم شخصها وخفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها العظيمة فى حدقة أعيننا الصغيرة فسبحان من خلقها وخلقنا ثم خاطبنا بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فياعجبا النفس تنكر البعث ما أعماها أما أظهر الادلة لها وجلاها من الذى مد الارض ودحاها وابتعث الغمام فسقاها وآية لهم الارض الميتة أحييناها أمافى هذا دليل لها فما أشقاها أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الله عظيم لم يزل الها وملك كبير لايتناهى يسمع صريف الاقلام ومجراها ولاتخفى عليه خافية ممن أخفاها يقسم الارزاق فما يترك ذرة ولا ينساها أحكم الامور كلها وقضاها وعلى ماسبق علمه بها أمضاها سواء أسخط النفوس أو أرضاها وكما قدر مبداها قدر منتهاها أحاط الاجسام بمصالحها ورعاها ولطف بالنفوس فى التكليف وراعاها وفتح باب الكرم ثم استدعاها لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها من جاء بالشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها من أهلك ثمود بطغواها اذانبعث أشقاها من رتب الطلع فى الجف (١) من صف حب الرمان

(١) الجف بضم الجيم وعاء الطلع أوغشاؤه اهـ منه

اذصف من أنشاذوات الظلف والخف من الذى تعلقت بفضله الاكف فكفها بالغرض وكفاها من أخرج الاصول لامن أصول من بقدرته يبطش ويصول ويقول للشئ كن فيكون كما يقول لايمتنع عن الارادة ولايأباها يقول للاشياء عودى فتعود وترجع مخضرة بعد يبس العود ويقضى لاقوام بالشقاء ولاقوام بالسعود واهاً لذلك اليوم واهاً خلق آدم من طين جامد وحواء من ضلع واحد وعيسى من أم بلا والد ذلك القادر على اعادة البائد فما أجهل النفوس المنكرة وما أجفاها من نقل المنى الى علقة من خلق الانف وشق الحدقة من أخرج من يابس الغصن الورقة وقد كان عريانا فاكتساها تخلو الابدان من أرواحها وتفرغ ثم تطلع شمس الحياة عليها وتبزغ فتصعد قلوب الكافرين الى الحناجر وتبلغ وتبلغ نفوس المؤمنين مناها يوم عظيم كم فيه من عذاب أليم الا من أتى الله بقلب سليم يجثو فيه الخليل والكليم ويشفع صاحب طه ياهذا تفكر فى أمرك وانقضاء عمرك واخراجك من قصرك والوزر على ظهرك ومحاسبتك على سرك وجهرك تفكر فى اثبات أعمالك وخيبة آمالك ووقوفك وسؤالك وربما كنت الهالك وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعلنا ممن يتفكر فى نفسه وظاهره وخافيه اللهم أسلمنا وجوهنا اليك وفوضنا أمورنا اليك وألجأنا ظهورنا اليك رغبة ورهبة اليك لاملجأ ولامنجا منك الا اليك اللهم آمنا بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت اللهم اجعل فى قلوبنا نورا نهتدى به اليك ووفقنا للاعمال الصالحة المقربة لديك وعاملنا بفضلك وكرمك ولا تفضحنا ياسيدنا يوم العرض بين يديك واغفر لنا ولوالدينا وأقاربنا ومشايخنا وللجماعة الحاضرين ولجميع أموات المسلمين وارحمنا اذا عدنا اليهم برحمتك ياأرحم الراحمين وصل على محمد وآله وصحبه أجمعين

المجلس الخامس والثلاثون

(فى الغيبة والنميمة وشبههما من الكبائر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى سير بقدرته الفلك والفلك ودبر بصنعه الضوء والحلك اختار آدم فحسده ابليس وغبطة الملك وافتخر بالتسبيح والتقديس فأما ابليس فهلك واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أحمده وهو بالحمد جدير وأقر بأنه مالك التصوير والتصيير تعالى عن نظير وتنزه عن وزير قبل من خلقه اليسير وأعطى من رزقه الكثير أنشأ السحاب يحمل الماء النمير ليعم عباده بالخير والمير فكلما اقصر القطر فى الوقع صاح الرعد بصوت الامير وكلما أظلمت مسالك الغيث لاح البرق يوضح ويشير فقامت الورق على الورق تصدح وتمدح على جنبات الغدير فالجماد ينطق بلسان حاله والنبات يتكلم بحركاته وأشكاله والكل الى التوحيد يشير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأصلى وأسلم على رسوله محمد البشير النذير وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الكبير وعلى عمر ذى العدل الغزير وعلى عثمان الذى جهز جيش العسرة فى الزمان العسير وعلى على المخصوص بالموالاة يوم الغدير وعلى بقية الآل والاصحاب ماذكر التهليل والتكبير (أما بعد) فقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم *(فنقول)* وبالله تعالى التوفيق اختلف المفسرون فى سبب نزولها على أقوال أولها الذى عليه الجمهور أن ثابت بن قيس بن شماس كان فى أذنيه وقر وكان اذا اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت مغضبا ثم قال للرجل يافلان ابن فلانة يريد انه كان يعير بها فى الجاهلية فسكت الرجل

استحياء فنزلت ثانيها النهائزات فى كعب بن مالك قال لعبد الله يا أعرابى فقال له عبد الله يا يهودى ثالثها النهازات فى جماعة استهزؤا بالفقراء وأما قوله تعالى (ولا نساء من نساء) قيل فى عائشة رضى الله عنها وقد عابت أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرننى و يقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) أى أحد من أحد والسخرية هى الاستهزاء ومعنى الآية النهى عن الاستهزاء فانه من الكبائر على ما قيل وقد يكون كفرا والعياذ بالله تعالى على ما صرح به الفقهاء الحنفية كما اذا استهزأ انسان بواعظ أو خطيب أو قاض أو نحو ذلك وتزيا بزيهم ليضحك الحاضرين كما قدمناه فى بعض الدروس الماضية وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) تعليل للنهى أى عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين فرب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله تعالى لأبره وجوز أن يكون المعنى لا يحتقر بعض بعضا عسى أن يصير المحتقر ذليلا والمحتقر عزيزا فينتقم منه فهو نظير قول الشاعر

لا تهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

وقوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يعب بعضكم بعضا بقول واشارة لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه كما فى قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم وقيل اللمز مخصوص بما كان من السخرية على وجه الخفية كالاشارة وقال ابن جرير اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان وعلى ذلك قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا وقد ورد سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر قالوا ولا ينبغى كل ذلك للمؤمنين حتى قال ابن مسعود لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا وقوله تعالى (ولا تنابزوا بالالقاب) أى لا يدعو بعضكم بعضا باللقب القبيح والنبز اللقب وجمعه انباز قال المفسرون وذلك مثل ان يقول لاخيه المسلم يا فاسق يا منافق أو يقول لمن أسلم يا يهودى أو يا خنزير وعن ابن عباس التنابز أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب منها فنهى الله تعالى أن يعير بما سلف قيل والتلقيب المنهى عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة فاما ما يحبه فلا بأس وقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق) أى بئس الاسم ان يذكر بالفسق والاسم هنا على ما قال بعض أجلة المفسرين ليس المراد به ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به الذكر المرتفع لانه من السمو من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق (بعد) دخولهم فى (الايمان) استقباح للجمع بين الايمان والفسق وقيل المعنى ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق (ومن لم يتب) عما نهى الله عنه (فاولئك هم الظالمون) لانفسهم ولمن لقبوه ولمزوه وسخروا به انتهى ملخصا فتبين من سبب النزول ان الغضب اذا لم يكن لله فانه غير محمود وان الصفح أمر محبوب والعفو وكظم الغيظ أعز مطلوب فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يباعدنى من غضب الله عز وجل قال لا تغضب وروى أن رجلا قال يا رسول الله قل لى قولا وأقلل لعلى أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه وستر عليه برحمته وأدخله فى محبته من اذا أعطى شكر واذا قدر غفر واذا غضب فتر وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وروى أيضا ان الوضوء وقولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم مذهب له أيضا وقد وردت أيضا فى كظم الغيظ بعض الآيات الجليلة منها قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وروى الطبرانى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ينادى مناد يوم القيامة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من هم قال العافون عن الناس قال غير واحد من العلماء ان السخرية والتنابز من الكبائر ونحو ذلك التهاجر والتشاحن والتلاعن ونحوه ولنذكر بعض الأحاديث المتعلقة بذلك ليتجنب كل منا عن الوقوع

فى المهالك ففى كتاب الترغيب والترهيب ان البخارى روى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث زاد الطبرانى يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا والذى يبدأ بالسلام يسبق الى الجنة وعن جابر بن سليم رضى الله تعالى عنه قال رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيأ الا صدروا عنه قلت من هذا قالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت عليك السلام يا رسول الله قال لا تقل عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك قال قلت أنت رسول الله قال أنا رسول الله الذى اذا أصابك ضر فدعوته كشفه الله تعالى عنك وان أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك واذا كنت بارض قفراء وفلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك قال قلت اعهد لى قال لا تسبن أحدا فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة قال ولا تحقرن شيأ من المعروف وان تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك فان ذلك من المعروف وارفع ازارك الى نصف الساق وان أبيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فانها من المخيلة (١) وان الله تعالى لا يحب المخيلة وان امرؤ شاتمك أو عيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فانما وبال ذلك عليه رواه أبو داود والترمذى وعن ابن عمر قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه فيسب أمه وقال ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فان لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا والا رجعت الى قائلها ولنرجع الى الكلام على بقية الآيات فنقول قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الآية يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه كما قال تعالى واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام والظن هنا مجرد التهمة التى لا سبب لها كمن يتهم غيره بشئ من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك وأمر سبحانه باجتناب الكثير وأبهم ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه قال الزجاج هو أن يظن باهل الخير سوأ فاما أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذى ظهر منهم قيل ولا باس به ما لم يتكلم به فان تكلم بذلك الظن وأبداه أثم ونقل ابن الجوزى عن بعض العلماء أنه يأثم بنفس الظن وان لم ينطق به قال وأما ما ورد فى الحديث من قوله احترسوا من الناس بسوء الظن فالمراد الاحتراس بحفظ المال مثل أن يقول ان تركت بابى مفتوحا خشيت السارق انتهى قال الغزالى وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد فى غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل وهذا الظن يلقيه الشيطان وروى أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال اياك والظن فان الظن أكذب الحديث وقال العلامة أبو السعود من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع أى دليل ظاهر وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الامور المعاشية انتهى ثم لما أمرهم سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال ولا تجسسوا والتجسس بالجيم كما قرأ الجمهور وهو البحث عن معايب الناس حتى يطلع عليها بعد أن سترها الله تعالى وقرئ بالحاء المهملة وهو طلب الاخبار والبحث عنها وقيل هما بمعنى وروى عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة (٢) وروى مسلم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة وقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه ثم ضرب الله تعالى للغيبة مثلا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وبيانه ان ذكرك من يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك فكرهتموه فلا تفعلوا والمعنى فكما كرهتم هذا الاكل فاجتنبوا ذكره بالسوء وفى ذلك اشارة الى أن عرض الانسان كلحمه وهى من الكبائر وأما ما رواه أبو بكرة رضى الله تعالى عنه قال بينما أنا أماشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخذ بيدى ورجل عن يسارى فاذا نحن بقبرين أمامنا فقال

(١) المخيلة التكبر والعجب بنفسه اه منه

(٢) وهى البنت التى كان العرب يقتلونها وهى حية اه منه

انهما ليعذبان وما يعذبان بكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتره من البول وفي رواية وما يعذبان الا في الغيبة والبول فمحمول على أن ذلك ليس بكبير في زعمهما والغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره فقيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول فقال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الحسن الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فأما الغيبة فهي ان تقول في أخيك ما هو فيه وأما الافك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه وأما البهتان فهو أن تقول ما ليس فيه وسنورد ان شاء الله تعالى الأحاديث الواردة بجميع ذلك وشبهه واعلم أن الغيبة أقسام فمن أعظمها غيبة الاولياء نفعنا الله تعالى بهم وغيبة العلماء حتى قال بعضهم انه لا فرق في عدم جواز غيبة العالم بين العامل بعلمه وغيره اكراما للعلم ولقد أحسن القائل

لحوم أهل العلم مسمومة * ومن يعاديهم سريع الهلاك

فكن لاهل العلم عونا وان * عاديتهم يوما تخذ ما أتاك

قال الوالد والاشبه أن يكون حكم من استمع الغيبة كحكم من اغتاب اذا كان له قدرة على دفعها ولذا قالوا ان الانكار على المغتاب واجب فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنهتك فيه حرمته الا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيه نصرته وما من امرئ مسلم ينصر امرأ مسلما في مواطن ينتقص فيه من عرضه وينهتك فيه من حرمته الا نصره الله في مواطن يحب فيه نصرته وفي حديث آخر ذكره في التبصرة أيضا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على نصرته فلم ينصره أذله الله على رؤس الخلائق ونقل الوالد عليه الرحمة عن الغزالي انه سئل عن غيبة الكافر فقال هي في حق المسلم محذورة لثلاثة علل الايذاء وتنقيص خلق الله تعالى وتضييع الوقت بما لا يعنيه والاول يقتضي التحريم والثاني الكراهة والثالث خلاف الاولى وأما الذمي فكالمسلم فيما يرجع الى المنع عن الايذاء لان الشرع عصم عرضه ودمه وماله وقد روى ابن حبان في صحيحه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سمع يهوديا أو نصرانيا فله النار ومعنى سمعه أسمعه ما يؤذيه ولا كلام بعد هذا في الحرمة وأما الحربي فغيبته ليست بحرام على الاولى وتكره على الثانية وخلاف الأولى على الثالثة وأما المبتدع فان كفر فكالحربي والا فكالمسلم وأما ذكره ببدعته فليس مكروها وقد تجب الغيبة لغرض شرعي لا يتوصل اليه الا بها وتنحصر في ستة أسباب التظلم عند من له قدرة على الازالة الثاني الاستعانة على تغيير المنكر الثالث الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر كجرح الشهود والرواة والمصنفين والمتصدين لافتاء أو اقراء مع عدم الأهلية الخامس أن يتجاهر بفسقه السادس التعريف بنحو لقب كالاعمش ويجب على المغتاب أن يبادر الى التوبة بشروطها قيل ومنها أن يستحل من المغتاب وأن يكثر الاستغفار ولا سيما اذا كان المغتاب غائبا أو ميتا وأن يستغفر لهم فان الله هو التواب الغفور * ولنذكر بعض الأحاديث في الغيبة وشبهها مما وعدنا بذكرها فمن ذلك ما رواه البراء رضي الله تعالى عنه قال خطبنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أسمع العواتق (١) ثم قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغيبة أشد من الزنا قالوا يا رسول الله كيف قال ان الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وذكر رجل رجلا عند معروف الكرخي فجعل معروف يقول له اذكر القطن اذا وضعوه في عينيك وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كفى بالمرء عيبا ان يستبين له من الناس ما يخفى عليه من نفسه ويمقت الناس على ما يأتي به وقيل للربيع ما نراك تذم أحدا فقال ما أنا على نفسي براض فأتفرغ من

(١) أي النساء اهـ منه

عيبها الى غيرها ان الناس خافوا الله تعالى على ذنوب العباد وآمنوه على ذنوبهم ولقد أحسن القائل

لسانك لا تذكر به عورة امرئ * فكلك عورات وللناس ألسن

وكذا القائل

يمنعني من عيب غيري الذي * أعرفه في من العيب

عيبي لهم بالظن مني لهم * ولست من عيبي في ريب

ان كان عيبي غاب عنهم فقد * أخفى عيوبي عالم الغيب

وأما البهتان فهو أيضا من الكبائر قال تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا وروى أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله في ردغة الخبال حتى يخرج مما قاله وردغة الخبال عصارة أهل النار ونحو ذلك شهادة الزور قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فقد قرن سبحانه قول الزور بالشرك. وروى البخاري عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقول حتى قالوا لا يسكت وكذا النميمة محرمة بل هي من الكبائر ففي الصحيحين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة قتات وفي لفظ نمام وقال عز وجل ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل مهين اي كذاب او مكثار في الشر هماز أي مغتاب للناس أو عياب لهم مشاء بنميم وهو الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم مناع للخير اي بخيل وقيل هو الذي يمنع أهله وعشيرته عن الاسلام معتد اي متجاوز الحد في الظلم أثيم اي كثير الآثام عتل قال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقيل هو الشديد الخلق الفاحش وقيل هو قاسي القلب بعد ذلك زنيم اي بعد ما عد من معايبه الثمانية هو مستلحق بالقوم وليس هو منهم وقيل هو من يعرّ على القوم فيقولون هو رجل سوء وقوله تعالى في تتمة هذه الآية ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم والخرطوم الانف والمراد به هنا الوجه وذلك انه يسود وجهه قبل دخوله النار والعياذ بالله تعالى واعلم ان العلماء قالوا ان أعظم أسباب هذه الأخلاق الذميمة هو الحسد وقد ورد في التحذير عنه آيات وأحاديث كثيرة فمنها قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ومنها ما رواه ابن ماجه الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والصلاة نور المؤمن والصيام جنة من النار وفي الصحيحين من حديث أنس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وروى الترمذي في النهي عن الشماتة أيضا قوله عليه الصلاة والسلام لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك قال العلماء في الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام دب فيكم داء الامم قبلكم الحسد والتباغض ان أعظم الحسد بين العلماء فلذا لا يقبل قول بعضهم في بعض الا ببراهين واضحة وعلى ذلك ما روى من قوله عليه الصلاة والسلام انهم يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل من هم يا رسول الله قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين (١) بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد ولله تعالى در القائل

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد

* ولنذكر قصة مذكورة في الزواجر ليعتبر بالاوائل الأواخر قال كان بعض الصلحاء يجلس الى جانب ملك ينصحه ويقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسيء تكفيه اساءته فحسده على قربه من الملك بعض الجهلة وأعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك فقال له ان فلانا يزعم انك أبخر (٢) وامارات ذلك انك اذا قربت منه يضع يده على انفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج فدعا ذلك الحاسد الرجل الصالح الى داره وأطعمه طعاما فيه ثوم

(١) في القاموس الدهقان بالكسر والضم التاجر وزعيم فلاحي العرب ورئيس الاقليم معرب اهـ منه

(٢) البخر تغير ريح الفم اهـ منه

وجاء للملك وقال له مثل الاول فجاء الصالح فقال مثل قوله السابق أحسن الى المحسن الخ فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا الا الصدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا الجائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله انه اذا أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الذى سعى به فقال ماهذا الكتاب فقال خط الملك لى بصلة فقال هبه منى فقال هولك فأخذه ومضى الى العامل فقال العامل فى كتابك ان أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هولى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال مافعلت بالكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى فدفعته له فقال له الملك انه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فمك قال أطعمنى ثوما فكرهت ان تشمه قال صدقت فقد قتل وكفى المسىء اساءته فاذا برأسه قد أتى به الى الملك ولذا قيل لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقد تبين لكم مما تلوناه عليكم من الآيات البينات والأحاديث النبويات ان اللسان سبب فى أكثر المهالك وسالك بصاحبه ان لم يصنه فى أسوء المسالك

تعاهد لسانك ان اللسان * سريع الى المرء فى قتله

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

وقد ورد فيه جملة أحاديث حديث معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وروى أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد ليتكلم بالكلمة يزل بها فى النار أبعد مابين المشرق والمغرب ومن آفات اللسان أيضا الكلام فيما لا يعنيه وفى الحديث الصحيح من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه قالوا ومن جملة ذلك المزاح والمدح بما لا يصلح ولذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ماشىء أحوج الى طول سجن من لسانك وقال الفضيل كان بعض اصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة ولقد أحسن القائل

اغتنم ركعتين زلفى الى اللـ * ـه اذا كنت فارغا مستريحا

واذا ماهممت بالنطق فى البا * طل فاجعل مكانه تسبيحا

فاغتنام السكوت أفضل من خو * ض وان كنت فى الحديث فصيحا

فيا مطلقا لسانه فيما يؤذيه ياغافلا عن الكلام وله من يحصيه ان أردت قولا فانظر قبل النطق فيه فالسعيد من وقف على قدم التيقظ حارسا على فيه

ياغافلا يتمادى * غدا عليك ينادى

هذا الذى لم يقدم * قبل الترحل زادا

هذا الذى وعظوه * وخوفوه المعادا

فلم يكن لمناديه طائعا منقادا

فأين علامة الايمان يامن يدعيه أين تاثير الوعظ يامن يسمعه ويعيه أين اعتبارك بمن حوى الدنيا فأصبح اللحد يحويه وأين بكاؤك على ذنوبك وحزنك على كثرة عيوبك وأين عقلك الذى غطى عليه زخرف التمويه وأين أسفك لفوت مطلوبك يامسؤلا عما يسره ويبديه يامن نفسه فى الحقيقة أكبر أعاديه ياسكران الهوى ومنادى الهدى يناديه يامن لا يفيق حتى يحل الموت بناديه قل لنفسك الجهولة الامارة أما للصلاح عندك أمارة كم يمين ولا حنث ولا كفارة وطريق خوف ولا لك خفارة لا تحقرى ذنبا فقد تحرق شرارة احذر الدنيا فانها مكارة لا تثق باتيانها فانها غدارة لا تغتر بها فانها سحارة بينما هى قد عقدت هدنة شنت غارة تنشف صافى الكاس

وتبقى الكدارة ثم تنتقل الى لحد بلا عمارة ثم تقوم نادما وفى الدموع غزارة ثم تعاين نارا شديدة الحرارة وقودها الناس والحجارة دار قد خص أهلها بالبعاد وحرموا لذة المنى والاسعاد بدلت وضاءة وجوههم بالسواد وضربوا بمقامع أقوى من الاطواد عليها ملائكة غلاظ شداد لو رأيتهم فى الجحيم يسرحون وعلى الزمهرير يطرحون وحزنهم دائم فما يفرحون مقامهم محتوم فما يبرحون أبد الآباد عليها ملائكة غلاظ شداد تعس كل منهم فما انتعش وأسفا قد قتلهم الحر والعطش والمصيبة أن القدر بهم قد بطش ومن يضلل الله فما له من هاد وعذابهم طريف بديع قد خرس الناطق وصم السميع ليس لهم طعام الا من ضريع والشراب الحميم وهذا الزاد عليها ملائكة غلاظ شداد توبيخهم أعظم من العذاب تأسفهم أقوى من المصاب يبكون على تضييع أوقات الشباب وكلما جاء البكاء زاد عليها ملائكة غلاظ شداد أين كسبهم للحطام أين سعيهم فى النميمة بين الانام كأنه كان أضغاث أحلام عندما احترقت تلك الاجسام وكلما أهلكت تعاد عليها ملائكة غلاظ شداد ويحك انتبه وأصلح قلبك وتيقظ وافهم عتبك ويحك تب من استهزائك بالناس وراقب ربك ان ربك لبالمرصاد قد بقى القليل وتنقل والى دار الجزاء تحمل كم أعلمك وتجهل وكم أقول لك ولا تقبل أنا فى واد وأنت فى واد اللهم فأعتقنا من النار ووفقنا لسلوك سبيل الاخيار واحفظنا من الحسد والغيبة والنميمة وبقية اخلاق الاشرار وأدخلنا والدينا دار كرامتك مع الابرار والزهاد وصل على محمد وآله الامجاد

المجلس السادس والثلاثون

(فى اتباعه واتباع سنته عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (١)

الحمد لله قاهر المتجبر ومذله ورافع المتواضع ومجله القريب من عبده فهو أقرب من ظله هو عند المنكسر لاجله حال ذله لا يعزب عن سمعه وقع القطر فى أضعف طله ولا بغام ظبى البر وكشيش صله ولا يغيب عن بصره فى الدجى دبيب نمله رفع من شاء باعزازه كما حط من شاء بذله اختار محمدا من الخلق فكان الكل خلقوا من أجله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أحمده على أجل الانعام وأقله وأشهد بوحدانيته شهادة مصدق قوله بفعله وان محمدا عبده ورسوله أرسله لنقض الكفر وحله فقام معجزه ينادى فأتوا بسورة من مثله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وعلى أبى بكر واصل حبله وعلى عمر الذى كان يفرق الشيطان من ظله وعلى عثمان مجهز جيش العسرة وعاقد شمله وعلى على أخيه وابن عمه ومقدم أهله وعلى بقية آله وأصحابه السامعين لامره وقوله وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الحسن البصرى زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يامحمد انا نحب ربنا فانزل الله تعالى هذه الآية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون

١ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق المخلوق ومتقن صنعه المتندر ماشاء ممن الذى يستطيع دفعه علم اخلاص النية من الرياء والسمعة وسمع فلم يمنع اختلاف اللغات سمعه وأبصر حتى جوف الجوف وجريان الدمعة ومنع فمن يعطى ماقدر منعه صفاته كذاته ومانسبه الصانع الصنعة الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان واجب والسؤال عنه بدعة أحمده حمدا يدوم مادامت الايام السبعة واشهد أنه فالق الحب من الطلعة وأصلى على رسوله محمد المبعوث بافضل شرعة صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر أول من جمع هذه الربعة وعلى عمر فتاح الامصار فكم قلع قلعة وعلى عثمان الصابر على تلك الصرعة وعلى على الذى حاز أشرف رتبة وأكرم رفعة وعلى سائر آله وأصحابه الذين مد أنجمهم أنفق كل سلعة وسلم تسليما اهـ منه

لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله تعالى لتقربنا الى الله زلفى فانزل الله تعالى قل ان كنتم الآية وفى رواية أبى صالح ان اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه نزلت فعرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فابوا ان يقبلوها وروى محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال نزلت فى نصارى نجران وذلك انهم قالوا انما نعظم المسيح ونعبده حبا لله وتعظيما لله فانزلها سبحانه ردا عليهم نقل جميع ذلك فى روح المعانى واختلفوا فى محبة العبد لله سبحانه فقيل المراد ان كنتم تحبون طاعة الله تعالى وثوابه فاتبعونى وقال الازهرى محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله تعالى للعباد انعامه عليهم بالغفران وقال كثير من عارفى أهل السنة والجماعة المحبة تتعلق حقيقة بذات الله تعالى وينبغى للكامل أن يحب الله سبحانه لذاته وأما محبة ثوابه فدرجة نازلة وقد ذكرنا فى بعض مجالس هذا الكتاب الآتية ان الحب فى الله والبغض فى الله أيضا من متعلقات حب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وشعب الايمان وأخرج ابن أبى حاتم والحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا فى ليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شئ من الجور وتبغض على شئ من العدل وهل الدين الا الحب والبغض فى الله قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية فيها حث عظيم على اتباع أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام واذا ورد فى الاحاديث الصحيحة الحث على ذلك كحديث عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وحديث من رغب عن سنتى فليس منى ولنبين فى هذا الدرس جملة من سننه عليه الصلاة والسلام وبعضا من هديه للانام ليكون تعلمه والعمل به سببا للفوز بدار السلام ومكفرا للذنوب والآثام فمنها صلاة التسبيح روى أبو داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال للعباس رضى الله عنه يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أصلك ألا أجعل لك عشر خصال ان أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون مرة فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ان استطعت ان تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل سنة مرة فان لم تفعل ففى عمرك مرة وقال العلامة ابن عابدين يفعلها فى كل وقت لا كراهة فيه أو فى كل يوم أو ليلة مرة والا ففى كل اسبوع أو جمعة أو شهر أو العمر وفضلها عظيم ولا يتركها الا متهاون فى الدين وهى أربع بتسليمة أو تسليمتين يقول فيها ثلثمائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وفى رواية زيادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يقول ذلك فى كل ركعة خمسة وسبعين مرة بعد الثناء خمسة عشر ثم بعد القراءة وفى ركوعه والرفع منه وكل من السجدتين وفى الجلسة بينهما عشرا عشرا بعد تسبيح الركوع والسجود وهذه الرواية هى التى رواها الترمذى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن يقال فيها بعد التشهد قبل السلام اللهم انى أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك اللهم انى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك وحتى أناصحك بالتوبة خوفا منك وحتى أخلص لك النصيحة حبا لك ولنذكر لكم جملة من سنن الصلاة فان كثيرا من الناس لأكثرها جاهلون والغالب منهم فى تركها متهاونون فمنها صلاة الوتر وهى ثلاث ركعات بتسليمة عند امامنا الاعظم وقد قال بوجوبها والقنوت فيها وقضائها اذا فاتت وقالت بقية المذاهب بسنيتها واليها ذهب الصاحبان أبو يوسف ومحمد والاحاديث فى فضلها كثيرة ودعاء القنوت فيها أن يقول اللهم انا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوب اليك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك

ونخشى عذابك ان عذابك الجد بالكفار ملحق ونحفد بالدال المهملة وفاء مكسورة بمعنى نسرع والجد بكسر الجيم بمعنى الحق وملحق بكسر الحاء وبفتحها بمعنى لاحق قيل والاولى أن يضم اليه أيضا اللهم اهدنى فيمن هديت الى آخر الدعاء المشهور وروى عن ابن عمر أنه كان يقول بعد عذابك الجد بالكفار ملحق اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم اللهم العن كفرة الكتاب الذين يكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل عليهم بأسك الذى لا يرد عن القوم المجرمين وأخرج الترمذى وغيره أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول فى آخر وتره اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك قال ابن عابدين وله أن يدعو بغير ذلك من الادعية التى لا تشبه كلام الناس ومن لا يحسن القنوت يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة الآية وقال أبو الليث يقول اللهم اغفر لى يكررها ثلاثا وقيل يقول يارب ثلاث مرات واذا نسى القنوت سجد للسهو ومن سنن الصلوات المؤكدة أربع قبل الظهر وأربع قبل الجمعة وأربع بعدها بتسليمة وركعتان قبل الصبح وقيل بوجوبها لقوله عليه الصلاة والسلام من ترك أربعا قبل الظهر لم تنله شفاعتى أى الشفاعة الخاصة بزيادة الدرجات وروى مسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها وروى أبو داود لا تدعوا ركعتى الفجر ولو طردتكم الخيل ومن السنن ركعتان بعد الظهر والمغرب وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لم يدعهما سفرا ولا حضرا وركعتان بعد العشاء ويستحب أربع قبل العصر وقبل العشاء وبعدها بتسليمة وان شاء ركعتين وكذا بعد الظهر لحديث الترمذى من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله تعالى على النار وست بعد المغرب ليكتب من الاوابين جمع أواب أى كثير الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار فان شاء صلاها بتسليمة أو ثنتين أو ثلاث وقال فى مراقى الفلاح ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى بعد المغرب ست ركعات كتب من الاوابين وتلا قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا والاواب هو الذى اذا أذنب ذنبا بادر الى التوبة وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وفى رواية ابن عمر بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له بها ذنوب خمسين سنة وقد اختلف فيها فقيل الست غير الثنتين المؤكدتين وقيل الست بثلاث تسليمات وقيل بتسليمتين وقيل بتسليمة واحدة اه ويسن تحية رب المسجد وهى ركعتان واداء الفرض أو غيره ينوب عنها وندب ركعتان بعد الوضوء قبل الجفاف لحديث مسلم ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليهما الا وجبت له الجنة قالوا ومثل الوضوء الغسل ويقرأ فيهما الكافرون والاخلاص وندب أربع فصاعدا الضحى وفى المنية أقلها ركعتان وأكثرها اثنا عشر لما رواه النسائى بسند فيه ضعف انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب فى الجنة وقيل أكثرها ثمانية ونسب الى الامام أحمد ومن المندوبات ركعتا السفر والقدوم منه فقد روى مقطم بن المقدام عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا رواه الطبرانى وروى مسلم عن كعب بن مالك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقدم من السفر الا نهارا فى الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه ومفاده اختصاص صلاة ركعتى السفر بالبيت وركعتى القدوم منه بالمسجد وبه صرح الشافعى ومنها صلاة الليل وفى الجوهرة انها أفضل من صلاة النهار وقد صرحت الآيات والاحاديث بفضلها والحث عليها قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون وروى مسلم مرفوعا أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وروى الطبرانى مرفوعا لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة وروى أبو أمامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيآت ومنهاة عن الاثم وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال ثلاثة يضحك الله اليهم الرجل اذا قام بالليل يصلى والقوم اذا صفوا فى الصلاة والقوم اذا صفوا فى قتال العدو وروى أصحاب السنن أيضا

عنه عليه الصلاة والسلام انه قال رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت فى وجهه الماء وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال بعض العلماء ما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل ولو قبل النوم وقيل لا بد وأن تكون بعد النوم ولو نوى فى قلبه أن يتهجد ليلا فنام ولم يستيقظ فله أجر ذلك فقد روى أبو ذر وأبو الدرداء رضى الله تعالى عنهما من أتى الى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى ومنها احياء ليلتى العيدين لحديث من أحيا ليلة العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب والدعاء فيهما مستجاب ويستحب الاكثار من الاستغفار فيهما وفى سائر الاسحار وسيد الاستغفار اللهم انت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت واحياء النصف من شعبان والعشر الاخير من رمضان وليال العشر الاول من ذى الحجة ومنها ركعتا الاستخارة قال شيخ مشايخنا ابن عابدين عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره (١) لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به قال ويسمى حاجته رواه أصحاب السنن قال ابن عابدين روى ابن السنى اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذى سبق الى قلبك فان الخير فيه ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء وعن بعضهم ينبغى أن ينام على طهارة مستقبل القبلة بعد قراءة الدعاء المأثور فان رأى فى منامه بياضا أو خضرة فذلك الامر خير وان رأى فيه سوادا أو حمرة فهو شر ينبغى أن يجتنب اه ومنها أربع صلاة الحاجة وقيل ركعتان وقيل انها اثنا عشر بسلام واحد وأخرج الترمذى عن عبد الله بن أبى أوفى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كانت له الى الله حاجة أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى وليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين ومنها أن يصلى المسافر ركعتين فى كل منزل قبل ان يقعد كما كان يفعل صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها صلاة التوبة قال المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الخ وعن الحسن رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أذنب عبد ذنبا ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى براز من الارض فصلى ركعتين واستغفر الله تعالى من ذلك الذنب الا غفر الله له ومنها صلاة الوالدين وصلاة ركعتين عند نزول الغيث وركعتين فى السر لدفع النفاق والصلاة حين يدخل بيته ويخرج توقيا عن فتنة المدخل والمخرج ومنها صلاة ركعتين بعد سنن العشاء يصليها وهو جالس أو بعد صلاة الليل على ما قال بعضهم وفيهما خلاف مشهور وليعلم ان الافضل فى النفل غير التراويح المنزل الا لخوف شغل عنها والاصح أفضلية ما كان أخشع وأخلص واستثنى بعضهم تسعة فنظمها بقوله

نوافلنا فى البيت فاقت على التى * نقوم لها فى مسجد غير تسعة

(١) اى اقضه لى وهيئه اه منه

صلاة تراويح كسوف تحية * وسنة احرام طواف بكعبة
ونفل اعتكاف أو قدوم مسافر * وخائف فوت ثم سنة جمعة

(أقول) وأما صلاة خسوف القمر فهى فى البيت أيضا بخلاف صلاة كسوف الشمس فانها فى المسجد وكذا صلاة الاستسقاء عند من قال بسنيتها فانها بالصحراء ومنها الصلاة على الدابة متنفلا خارج المصر قال العلماء يقعد مصلى النفل ان أراد كما يجلس فى التشهد ويتنفل المقيم راكبا خارج المصر فلا تجوز صلاة الماشى ولا من فى المصر خلافا لهما وعندهما يجوز فى المصر لكن بكراهة عند محمد لانه يمنع من الخشوع ويتنفل الراكب بالايماء لا بالسجود على السرج الى أى جهة توجهت دابته ولو ابتداء عند الحنفية وقال الشافعى يشترط أن يتوجه أولا ابتداء الى القبلة ثم الى غير جهتها واذا حرك رجله أو ضرب دابته بعمل يسير فلا بأس به ولو افتتح النفل راكبا ثم نزل بنى وفى عكسه لا يبنى لان الاول أدى أكمل مما وجب عليه والثانى بعكسه ولنذكر شيأ من سننه عليه الصلاة والسلام الخارجة عن الصلاة فمنها انه كان يكتحل عليه الصلاة والسلام عند النوم ثلاثا فى كل عين بالاثمد ومنها أنه كان يحمل العصا وكان له محجن قدر ذراع أو أطول يمشى به ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره ومخصرة وتسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق قيل وهو الذى كان تداوله الخلفاء ومنها انه عليه الصلاة والسلام كان له قدح من قوارير وقدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه بالليل ومنها انه عليه الصلاة والسلام كان يدهن ويمتشط قيل وكان المشط من عاج وكانت له مرآة ينظر بها وقد ورد فى الاثر أن الرائى يقول اللهم حسن خلقى كما حسنت خلقتى وحرم وجهى على النار ومنها انه كان عليه الصلاة والسلام يحمل السيف قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد ومن حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكان له درع موشحا بالنحاس يسمى ذات الفضول وكان له حربة تسمى البيضاء وترس أبيض يسمى الموجز وكان له بغلة شهباء تسمى دلدلا وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفورا وكان له عنزة تسمى القمر ومنها على ما قال ابن القيم انه عليه الصلاة والسلام سابق بنفسه على الاقدام وصارع وخصف نعله بيده ورقع ثوبه بيده ورقع دلوه وحلب شاته وفلى ثوبه وخدم أهله ونفسه وحمل معهم اللبن فى بناء المسجد وربط على بطنه الحجر من الجوع تارة وشبع تارة وضاف وأضاف واحتجم فى وسط رأسه وعلى ظهر قدمه وما بين الكتفين وتداوى وكوى ولم يكتو ورقى ولم يسترق وحمى المريض مما يؤذيه وروى ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال الشفاء فى ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنا أنهى أمتى عن الكى وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك ان رهطا قدموا المدينة فأصابهم مرض فشكوا ذلك الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا قيل كان مرضهم استسقاء ومنها انه عليه الصلاة والسلام أمر بغمس الذباب اذا وقع فى الاناء ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فامقلوه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء وفى رواية أبى سعيد أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء فاذا وقع فى الطعام فامقلوه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء ومنها الخضاب بالكتم والحناء وقد اختلف العلماء فى خضابه عليه الصلاة والسلام فالامام أحمد بن حنبل أثبت خضاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه جماعة من المحدثين وامام دار الهجرة مالك أنكره روى البخارى فى صحيحه عن عثمان بن عبد الله قال دخلنا على أم سلمة رضى الله تعالى عنها فأخرجت الينا شعرا من شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو مخضوب بالحناء والكتم والكتم غير الوسمة ففى الصحاح الكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به وفى سنن أبى داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال مر على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل قد خضب بالحناء فقال ما أحسن هذا فمر آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال هذا أحسن من هذا فمر آخر قد خضب بالصفرة فقال هذا أحسن من هذا كله وفى السنن الاربعة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم وفى الصحيحين ان أبا بكر رضى الله

تعالى عنه اختضب بالحناء والكتم وثبت فى حديث مسلم النهى عن الخضاب بالسواد لكن صح عن الحسن والحسين انهما كانا يخضبان بالسواد قال ابن القيم ان الخضاب بالسواد المنهى عنه خضاب التدليس كخضاب شعر الجارية والمرأة الكبيرة تغر الزوج والسيد بذلك وخضاب الشيخ يغر المرأة بذلك فانه من الغش والخداع فاما اذا لم يتضمن تدليسا ولا خداعا فلا بأس به وهذا البحث طويل فليرجع الى الكتب المطولة من أراد التفصيل ومنها أمره عليه الصلاة والسلام أمته اذا سمعوا نهيق الحماران يتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم واذا سمعوا صياح الديك أن يسألوا الله من فضله وأمرهم بالتكبير عند الحريق فان التكبير يطفؤه ومنها التكبير فى البحر وجعله السمهودى مما يغفر الذنوب قال روى أبو الحسن الربعى من عدا فى البحر أربعين درجة وهو يكبر غفر الله تعالى له ذنوبه ما تقدم منها وما تاخر وان الامواج تحت الذنوب حتما ومنها أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال ومنها ذكر الله تعالى فى آخر المجلس فقد قال عليه الصلاة والسلام من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك وفى سنن أبى داود انه عليه السلام كان يقول ذلك فطوبى لمن تتبع سنن النبى المختار وواظب عليها آناء الليل وأطراف النهار ونظر الى الدنيا بعين الاعتبار فباعها واشترى بها دار القرار اذا انهمك أهلها فى شهواتها صام النهار واذا نام الغافلون فله عن النوم نفار فسبحان من وفق المتبعين للسنن الى أعظم الخيرات وأيقظهم من سنة الغفلات أترجو لحاقهم من غير أعمالهم هيهات عاملوا مولاهم وانفردوا وقاموا فى الدياجى فركعوا وسجدوا وساروا وخلفت ففاتك ما وجدوا وبقيت فى أعقابهم فان لم تلحق بعدوا

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الألباب أهل التقى * قنطرة العرض لكم موعد

فيا من يبارز مولاه بما يكره ويخالفه فى أمره آمنا مكره وينعم عليه فهو ينسى شكره والرحيل قد دنا وماله فيه فكرة يا من قبائحه ترفع عشاء وبكرة يا قليل الزاد ما أطول السفرة والنقلة قد دنت والمصير الحفرة متى تعمل فى قلبك المواعظ متى تراقب العواقب وتلاحظ أما تحذر من أوعد وهدد أما تخاف من أنذر وشدد متى تضرم نار الخوف فى قلبك وتتوقد الى متى بين القصور والتوانى تتردد متى تحذر يوما فيه الجلود تشهد متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد فالبدار البدار الى صالح الاعمال والحذار الحذار من قبيح الاقوال والافعال

اغتنم ركعتين زلفى الى الله * اذا كنت فارغا مستريحا
واذا ما هممت أن تفعل البا * طل فاجعل مكانه تسبيحا

فاعتبروا بمن مضى من الاقران وتفكروا فيمن بلى كيف بان تقلبت والله بهم الأحوال ولعبت بهم أيدى البلبال وعانقوا التراب وفارقوا المال فكم مأخوذ على الزلل ختم له بسوء العمل نزل به الموت فيا هول ما نزل وهذا مصير العاقل لو عقل وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على محمد وآله أجمعين اللهم انا نسألك بأسمائك الحسنى ما نعلم منها وما لم نعلم وبالقرآن المعظم وبجاه نبيك الشفيع المقدم أن تثبت قلوبنا على الايمان الكامل وأن تعممنا ووالدينا فى الدارين بلطفك الشامل اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك واجعلنا موالين لاوليائك ومعادين لعدائك ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأسكنا الجنة وكافة المؤمنين الاخيار

المجلس السابع والثلاثون

(فى أول بدء الوحى به عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنشأ الخلائق بقدرته وأظهر فيهم عجائب حكمته ودل بارشاده على وحدانيته فقضى على العاصى بمخالفته ثم من عليه بقبول توبته واختص المخلص بصدق معاملته ثم شغله عن الدارين بمحبته فاقبلوا من نصيحكم وأقبلوا على خدمته يؤتكم كفلين من رحمته أحمده على سبوغ نعمته وأشكره على توفيقه وهدايته وأشهد أنه لا شريك له فى صنعته وأن محمدا عبده ورسوله أرسله الى جميع بريته بشيرا بجنته ونذيرا بنقمته صلى الله تعالى عليه وعلى خليفته فى أمته أبى بكر السابق بمرافقته ونفقته وعلى عمر العادل فى أقضيته وعلى عثمان المتزوج بابنة الرسول بعد ابنته وعلى على المخصوص دونهم باخوته وعلى سائر آله وأصحابه وقرابته وسلم تسليما (أما بعد) فنروى بسندنا الى الامام الهمام أبى عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى البخارى عليه رحمة الملك البارى قال حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم فرجع بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أومخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى قال ابن شهاب وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الانصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى زملونى فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى قوله والرجز فاهجر فحمى الوحى وتتابع (فنقول) وبالله تعالى التوفيق راوية هذا الحديث عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهى لم تدرك زمان وقوع هذه القصة فروتها اما سماعا من النبى عليه الصلاة والسلام وهو الظاهر كما قال الطيبى أو من صحابى آخر وليعلم أن عائشة هى الصديقة بنت الصديق تزوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين وهى بنت ست سنين فى شوال وبنى بها فى المدينة بعد منصرفه من بدر فى شوال أيضا سنة اثنتين من الهجرة وهى بنت تسع سنين والأحاديث فى فضلها مشهورة كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام خذوا ثلثى دينكم عن الحميراء وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام ومن فضائلها وخصائصها على ما نقل السفيرى عن الترمذى ان خديجة رضى الله تعالى عنها لما ماتت اغتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءه جبريل بصورة عائشة فى خرقة حرير خضراء

وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة وقيل جاء بورقة من الجنة منقوش عليها صورة عائشة وقال يا محمد الجبار يقرؤك السلام ويقول انى زوجتك البكر التى تشبه هذه الصورة فى السماء فتزوجها أنت فى الارض فدعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الدلالة وقال هل تعرفين بمكة بكرا تشبه هذه الصورة قالت نعم بنت أبى بكر تشبه هذه الصورة فدعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر وقال ان لك بنتا تسمى عائشة زوجنى الله بها فى السماء وأمرك أن تزوجنى بها فى الارض قال انها صغيرة فقال لو لم تكن صالحة لما زوجنيها الله فعقد النكاح ورجع أبو بكر الى منزله وأرسل مع عائشة طبقا من التمر وقال قولى له هذا الذى سأل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا أدرى هل يصلح فأتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال قبلنا ثم قبلنا ومنها انها قالت يا رسول الله ادع الله أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فرفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه وقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكتسب بعدها خطيئة ولا اثم ومنها ان الله تعالى أنزل براءتها من السماء لما تكلم فيها أهل الافك وقال عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم الآيات العشرة فاذا يكون قاذفها كافرا لانه مكذب للآيات ومنها انها كانت أعلم الناس بالقرآن وبالحديث وبالشعر على ما قال عروة واستقلت بالفتوى فى زمن الخلفاء الراشدين وروى لها ألف حديث وعشرة أحاديث اتفق البخارى ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثا وانفرد مسلم بثمانية وستين والبخارى بأربعة وخمسين ماتت رضى الله تعالى عنها سنة ثمان وخمسين وهى بنت ست وستين سنة ودفنت ليلا بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة أقامت فى صحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانية أعوام وخمسة أشهر وتوفى عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة واختلف العلماء فى أفضليتها على خديجة وفاطمة والذى رجحه جماعة من المتأخرين أن خديجة أفضل من عائشة وكذا فاطمة أفضل من عائشة قال السبكى الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة قيل ثم حفصة وكذا الخلف فى أفضلية فاطمة على مريم فان لم تكن مريم نبية ففاطمة أفضل منها وقيل هى أفضل مطلقا واستدل القائل بما رواه النسائى عن حذيفة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم على ويبشرنى ان حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأمهما سيدة نساء أهل الجنة ونقل السفيرى عن الامام مالك انه قال لا أفضل على بضعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا ولنرجع الى ما يتعلق بحديثها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة الخ بدئ بضم الموحدة وكسر الدال وفى الحديث دلالة أن الرؤيا من أقسام الوحى فمن للتبعيض قال السفيرى وهذا متفق عليه أى لانه لا مدخل للشيطان فيها ونقل القسطلانى عن أبى عبد الله القزاز ان الرؤيا ليست من الوحى ومن لبيان الجنس اه وانما بدئ صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى فى المنام قبل جميع أقسام الوحى السبعة ليكون تمهيدا لمجيء الملك اليه فى اليقظة لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية ولقد أحسن البوصيرى حيث يقول

لا تنكر الوحى من رؤياه ان له * قلبا اذا نامت العينان لم ينم

قال العلماء الرؤيا على قسمين صالحة وتسمى صادقة وهى بشارة من الله تعالى يبشر بها عباده ليكثر شكره وكاذبة وتسمى بالحلم وبأضغاث أحلام وهى من الشيطان يريها الانسان ليحزنه ويقل حظه من الشكر ولذلك أمر بالتعوذ من شره وينفث أى ينفخ عن يساره ثلاث مرات ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وقد ورد فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفيه غموض عن كثير من الناس وايضاحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة على الصحيح ومدة نبوته منها ثلاث وعشرون سنة لانه نبئ على رأس الاربعين وكان نصف سنة يرى الوحى فى المنام ثم رأى الملك فى اليقظة ونسبة نصف السنة التى رأى الوحى فيها فى المنام الى المدة التى رآه فيها فى اليقظة كانت نصف جزء من سبعين جزأ من النبوة لكن المشكل رواية لمسلم الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة فانها لا يظهر لها وجه ومن أراد استيفاء بحث الرؤيا فعليه بروح المعانى وشرح

السفيرى وغيرهما وقولها ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء (١) أى حبب الله لحبيبه عليه الصلاة والسلام الخلوة أى بأن ألهمه ذلك والخلوة شأن الصالحين وعباد الله تعالى العارفين لانها تريح القلب من اشغال الدنيا وتفرغه لله تعالى فيتفجر منه ينابيع الحكمة قال القسطلانى والخلوة أن يخلو عن غيره بل وعن نفسه بربه عز وجل وعند ذلك يصير خليقا بان يكون قالبه ممرا لواردات علوم الغيب وقلبه مقرا لها وخلوته عليه أفضل الصلاة والسلام انما كانت لاجل التقرب لا على أن النبوة مكتسبة قال السفيرى عليه الرحمة لا بد لمن يقصد الخلوة من اذن شيخه له فى ذلك ولا ينبغى له أن يقصد بدخوله أن يصير مكاشفا أو ذا كرامة عيانية فان من دخل على هذا القصد ولم يخلص فى دخوله تصرف فيه الشيطان وأراه الاشياء الباطلة فى صورة الحق فنعوذ بالله تعالى من الخذلان وغار حراء بكسر الحاء وتخفيف الراء نقب فى جبل بينه وبين مكة شرفها الله تعالى نحو ثلاثة أميال عن يسارك اذا سرت الى منى وقولها فيتحنث فيه بالحاء المهملة وآخره مثلثة والضمير المنفصل عائد الى مصدر يتحنث (٢) وهو من الافعال التى معناها السلب أى اجتناب فاعلها المصدر مثل تأثم وتحوب اذا اجتنب الاثم والحوب أو هى بمعنى يتحنف بالفاء أو يتبع الحنيفية دين ابراهيم والفاء تبدل ثاء وقوله وهو التعبد الليالى ذوات العدد قال القسطلانى هذا التفسير للزهرى أدرجه فى الخبر والليالى نصب على الظرفية متعلق بقوله يتحنث لا بالتعبد لان التعبد لا تشترط فيه الليالى وذوات نصب بالكسرة صفة الليالى والمراد انه عليه الصلاة والسلام كان يتعبد بعض الليالى مع أيامهن ووصفها بذوات العدد لارادة التقليل كما فى قوله تعالى دراهم معدودة وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد التى يتخللها مجيؤه الى أهله وكان أكثرها فى شهر رمضان فى كل سنة وأقل الخلوة ثلاثة أيام فالاول للتكفير والثانى للتطهير والثالث للتنوير ثم سبعة أيام ثم شهر ولم يصح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر منه نعم روى الاربعين سوار بن مصعب وهو متروك الحديث فان قلت لم خص حراء بالتعبد دون غيره قال ابن أبى جمرة لمزيد فضله على غيره لانه منزو ومجموع لتحنثه وينظر منه الكعبة المعظمة والنظر اليها عبادة فكان له عليه الصلاة والسلام فيه ثلاث عبادات الخلوة والتحنث والنظر الى الكعبة وليعلم انهم اختلفوا فى تعبده فقيل كان يتعبد بالتفكر وقيل بشريعة ابراهيم وقيل بشريعة موسى وقيل بشريعة عيسى وقيل بشريعة نوح وقيل بشريعة آدم عليهم السلام وقولها رضى الله تعالى عنها قبل أن ينزع الى أهله أى كان تعبده فى الغار قبل أن يحن الى أهله ويشتاق اليهم ويرجع اليهم فينزع بفتح أوله وكسر الزاى وقولها ويتزود لذلك مرفوعا عطفا على فيتحنث وذلك اما اشارة الى الخلوة واما الى التعبد أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فى غار حراء ويتزود لمدة خلوته وتعبده والتزود اتخاذ الزاد والمراد هو الطعام الذى يستصحبه المسافر وقولها ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها أى كان بعد الفراغ من التعبد فى هذه الليالى يرجع الى خديجة فاذا جاء وقت تلك الليالى يتزود لمثلها أى يصحب معه زادا يكفيه لمثل تلك الليالى وقولها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء أى الوحى فجاءه الملك وهو جبريل عليه السلام وهذه الفاء تسمى بالفاء التفسيرية كقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم اذ القتل نفس التوبة وهنا مجيء الملك هو عبارة عن مجيء الحق قال القسطلانى فجاءه جبريل عليه السلام يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وهو ابن أربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام ما أنا بقارئ وفى رواية ما أحسن أن أقرأ فما نافية واسمها أنا وبقارئ خبرها والباء زائدة لتأكيد النفى وقيل استفهامية بدليل رواية أبى الاسود قال كيف أقرأ وفى رواية ماذا أقرأ وقوله عليه الصلاة والسلام فأخذنى أى جبريل فغطنى بالغين المعجمة ثم المهملة أى ضمنى وعصرنى وعند الطبرى فغتنى بالمثناة الفوقية بدل الطاء وهو حبس النفس وقوله عليه الصلاة والسلام حتى بلغ منى الجهد بفتح الجيم ونصب الدال أى بلغ الغط منى الجهد أى غاية وسعى فهو مفعول حذف فاعله ويروى الجهد بالضم والرفع أى بلغ منى الجهد مبلغه فهو فاعل بلغ وقوله ثم أرسلنى أى أطلقنى من العصر فقال اقرأ قلت وفى رواية فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى

(١) وفى حراء لغات يمنع ويصرف ويمد ويقصر اه منه

(٢) وأصل التحنث التجنب عن الحنث أى الاثم فكان المتعبد يلقى الاثم عن نفسه بالعبادة اه منه

بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة وهذا الغط ليفرغه عن النظر الى أمور الدنيا ويقبل بكليته الى ما يلقى اليه وكرره للمبالغة واستدل به على أن المؤدب لا يضرب صبيا أكثر من ثلاث ضربات وقيل الغطة الاولى ليتخلى عن الدنيا والثانية ليتفرغ لما يوحى اليه والثالثة للمؤانسة وعد بعضهم هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام اذ لم ينقل عن أحد من الانبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحى اليه مثله وقوله فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق الخ أى اقرأ يا محمد ما يوحى اليك من القرآن مبتدأ أو مفتتحا باسم ربك أى قل باسم الله ثم اقرأ واستدل بذلك على أن البسملة جزء من كل سورة وفيه بحث وقوله خلق الانسان من علق يعنى بنى آدم والعلق الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقوله اقرأ وربك الاكرم أى الزائد فى الكرم على كل كريم وقال الكلبى الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم ونقل فى الفتح عن أبى حيان انه قال فى البحر ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التى هى صفة الله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء فى ديار مصر ويدعونهم بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيالها من خزى يوم عرض الاقوال والافعال على الله تعالى اهـ وليعلم ان فى هذا دليلا للجمهور أنه أول ما نزل فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أول شئ نزل من القرآن خمس آيات الى مالم يعلم يعنى اقرأ باسم ربك الذى خلق وروى عن مجاهد أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ن والقلم وعن جابر بن عبد الله انه يا أيها المدثر وقيل الفاتحة وقال بعضهم أول ما نزل اقرأ ثم ن ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة وقوله فرجع بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرجف فؤاده اى رجع عليه الصلاة والسلام بالآيات التى علمه جبريل اياها وهى اقرأ الى قوله تعالى مالم يعلم حالة كونه قاصدا بيت خديجة وحال كونه يرجف بضم الجيم أى يخفق فؤاده أى قلبه لما فجأه من الامر المخالف للعادة والمألوف فنفر طبعه البشرى وهاله ذلك ولم يتمكن من التأمل فى تلك الحالة لان النبوة لا تزيل الطباع البشرية كلها فدخل عليه الصلاة والسلام على خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فقال زملونى زملونى بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم أى دثرونى كما جاء فى رواية أخرى دثرونى وصبوا على ماء باردا رواه السفيرى وقال عليه الصلاة والسلام ذلك لشدة ما لحقه من الهول والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفف قالت فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء أى الفزع فقال عليه الصلاة والسلام لخديجة رضى الله تعالى عنها وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى أى خفت عليها وهو جواب قسم محذوف اى والله لقد خشيت على نفسى الموت من شدة الرعب أو المرض وقيل غير ذلك وليس معناه الشك قالت له خديجة كلا أى لا تقل ذلك أولا خوف عليك والله ما يخزيك الله أبدا بضم المثناة التحتية وبالخاء المعجمة الساكنة والزاى المكسورة والمثناة التحتية الساكنة أى ما يفضحك الله وعن الكشميهنى ما يحزنك الله بالحاء المهملة من الحزن وقولها انك لتصل الرحم أى لتحسن الى أقاربك وتحمل الكل بفتح الكاف وتشديد اللام وهو الذى لا يستقل بأمره أو الثقل بكسر المثلثة واسكان القاف وتكسب المعدوم بفتح المثناة الفوقية أى تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك وتقرى الضيف بفتح أوله بلا همز وسمع بضمها أى تهيئ له طعامه ونزله وتعين على نوائب الحق أى حوادثه وانما قالت نوائب الحق لانها تكون فى الحق والباطل قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما ✻ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

قال السفيرى ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعله الله فيك من مكارم الاخلاق وجميل الصفات فان خصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء والمكارم سبب لدفع المكاره وفى هذا دليل على جواز مدح الانسان فى وجهه لنظر المصلحة وأما قوله عليه الصلاة والسلام احثوا فى وجوه المداحين التراب فهو محمول على المدح بباطل أو يؤدى الى باطل وفيه دليل على انه ينبغى لمن حضر عند من حصل له مخافة من شئ أن يذكر له أسباب السلامة وأن يذكر ما فيه من الفضائل كما فعلت خديجة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه أبلغ دليل على كمال خديجة وجزالة رأيها وقوة نفسها وعظيم فقهها اذ جمعت رضى الله تعالى عنها جميع أنواع المكارم وأمهاتها فيه لان الاحسان اما الى الاقارب واما الى الاجانب واما بالبدن واما بالمال واما على من يستقل بأمره واما على غيره ويدل

على كمال عقلها وقوة معرفتها ماذكره ابن سيد الناس انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى ابن عمى أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فأخبرنى به فجاءه جبريل فقال عليه الصلاة والسلام ياخديجة هذا جبريل قد جاءنى قالت قم يا ابن عمى فاجلس على فخذى اليسرى فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذى اليمنى فتحول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقعد على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فجلس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال نعم ثم حسرت فالقت خمارها وهو جالس فى حجرها وقالت هل تراه قال لا قالت له فاثبت وأبشر أن هذا ملك وما هو بشيطان اهـ وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وورقة بفتح الراء وانما كان ابن عم خديجة لانها بنت خويلد بن أسد وهو ورقة بن نوفل بن أسد المذكور وكان من علماء قريش وشعرائهم وكان يعرف اللسان العربى والعبرانى وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وذلك انه خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها طريق الجاهلية الى الشأم وغيرها يسألان عن الدين فأعجب ورقة النصرانية للقيه من لم يبدل شريعة عيسى عليه السلام وكان ورقة أيضا يكتب الكتاب العبرانى وفى رواية مسلم يكتب الكتاب العربى قال النووى انه يكتب بالعربية والعبرانية وهى بكسر العين نسبة الى العبرى بكسر العين واسكان الموحدة زيدت الالف والنون فى النسبة على غير قياس قيل سميت بذلك لان الخليل عليه السلام تكلم بها لما عبر الفرات فارا من نمروذ وقال القسطلانى قيل ان التوراة عبرانية والانجيل سريانى وعن سفيان مانزل من السماء وحى الا بالعربية وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام تترجمه لقومها اهـ قالت عائشة وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم وفى رواية مسلم يا عم وهى مجاز للاحترام اسمع من ابن أخيك تعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاب الثالث لورقة هو الاخ للاب الرابع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو قالته على سبيل الاحترام فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس بالنون والسين المهملة وهو لغة صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر والمراد بذلك جبريل عليه السلام وأهل الكتاب يسمونه الناموس الاكبر وقوله الذى نزل الله على موسى وفى رواية على عيسى قال القسطلانى نزل بحذف الهمزة يستعمل فيما نزل نجوما وفى رواية أنزل ويستعمل فيما نزل جملة ثم قال ورقة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ياليتنى فيها أى يا محمد ليتنى أكون فى أيام الدعوة جذعا بفتح الجيم والذال المعجمة هو الصغير من البهائم واستعير للانسان أى ليتنى كنت شابا قويا حتى أبالغ فى نصرتك ثم قال ورقة ليتنى وفى رواية ياليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك أى من مكة واستعمل اذ فى المستقبل كاذا على حد قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وذلك لتنزيل المستقبل المقطوع بوقوعه منزلة الماضى الواقع فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو مخرجى هم بفتح الواو وتشديد الياء مفتوحة لان أصله مخرجونى جمع مخرج من الاخراج وتعليل هذه الكلمة فى الكتب النحوية والحديثية والهمزة للاستفهام الانكارى على وجه التفجع والتألم وكأنه عليه الصلاة والسلام استبعد اخراجه عن الوطن لا سيما حرم الله وبلد أبيه اسمعيل من غير سبب يقتضى ذلك فانه عليه الصلاة والسلام كان جامعا لانواع المحاسن المقتضية لاكرامه وانزاله منهم محل الروح من الجسد ثم قال له ورقة نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به من الوحى الا عودى يعنى ان أهل الحق يعاديهم اهل الباطل وان اهل الفضل محسودون ولاسيما الجاهلية فاخراجهم عن طريقهم المألوف موجب لعداوتهم ولله تعالى در القائل

ان العرانين تلقاها محسدة ✻ ولا ترى للئام الناس حسادا

ثم قال ورقة وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى ان أبقيت الى يوم انتشار نبوتك او يوم يخرجك قومك أنصرك نصرا قويا بليغا مؤزرا بضم الميم وفتح الزاى المشددة آخره راء مهملة مهموزا قالت عائشة ثم لم ينشب بفتح المثناة التحتية والمعجمة أى لم يلبث ورقة أن توفى بفتح الهمزة وتخفيف النون أى لم تتأخر وفاته عن هذه القصة واختلف فى وقت موته فقال الواقدى انه خرج الى الشأم فلما بلغه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالقتال

بعد الهجرة أقبل يريده حتى اذا كان ببلاد لخم وجذام قتلوه قال القسطلانى وهذا غلط فانه مات بمكة بعد المبعث بقليل جدا وكذا اختلف فى ايمانه فقال الكرمانى لاشك انه كان مؤمنا بعيسى وقال البرماوى علم من هذا الحديث انه آمن بل هو أول المسلمين من الرجال وقد روى الحاكم فى المستدرك عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين وفى حديث آخر رأيته وعليه حلة خضراء يرفل فى الجنة وروى انه خاطب خديجة رضى الله تعالى عنها حين أتته بقوله

فان يك حقا يا خديجة فاعلمى * حديثك ايانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما * من الله وحى يشرح الصدر منزل

قوله قال ابن شهاب الخ هذا هو الزهرى وهو الامام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة وهو تابعى كبير سمع عشرة من الصحابة قال الليث ما رأيت عالما أجمع من الزهرى ولا أكثر علما منه وقال الشافعى لولا الزهرى ذهبت السنن من المدينة توفى بالشام سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين سنة واوصى بأن يدفن على الطريق بقرية يقال لها شغب ولله در القائل

بقارعة الطريق جعلت قبرى * لاحظى بالترحم من صديق
فيا مولى الموالى أنت أولى * برحمة من يموت على الطريق

وقوله وأخبرنى سلمة بن عبد الرحمن هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرة بالجنة وقوله ان جابر بن عبد الله الانصارى قال اى جابر وهو يحدث عن فترة الوحى اى فى حال التحديث عن احتباس الوحى عن النزول واعلم أن العلماء اختلفوا فى المدة فقيل كانت سنتين ونصفا وقيل ثلاث سنين قال ابن اسحق ليس المراد بفترة الوحى المذكورة عدم مجىء جبريل بل المراد بها عدم نزول القرآن عليه فيها فقط واما جبريل فانه كان يتراءى له فى هذه المدة كما ذكر البخارى فى الصحيح انه عليه الصلاة والسلام حين فتر الوحى كان يأتى شواهق الجبال يهم بأن يلقى نفسه فكان جبريل عليه السلام يتراأى له بين السماء والارض فيقول له يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه قال العلماء وانما فتر الوحى وانقطع نزول القرآن هذه المدة ليذهب ما حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم من الخوف والفزع عند نزول جبريل فى غار حراء ويتشوق الى عود الوحى اليه ثم بعد مضى الفترة نزل عليه جبريل بالقرآن كما أشار الى ذلك البخارى بقوله فقال اى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فرعبت بضم الراء وكسر العين المهملة وفى رواية بفتح الراء وضم العين اى فزعت منه فرجعت الى أهلى بسبب الرعب فقلت زملونى زملونى وفى رواية دثرونى فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر فحمى الوحى وتتابع اى كثر نزوله بعد ذلك وحمى بفتح الحاء المهملة وكسر الميم وفى تفسير ابن عادل ان جبريل نزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة وعلى آدم اثنتى عشرة مرة وعلى ادريس أربعا وعلى نوح خمسين وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى موسى أربعمائة وعلى عيسى عشرة انتهى ولقد كان عليه الصلاة والسلام يعانى التعب والكرب عند نزوله لانه أمر طارئ على الطباع البشرية قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيقلع عنه وان جبينه ليتفصد أى يسيل عرقا واعلم ان مراتب الوحى عديدة كما قال ابن القيم وغيره احداها الرؤيا الصادقة الثانية ما يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب الثالثة كان يتمثل له رجلا فيخاطبه فيعى منه ما يقول الرابعة كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس الخامسة أن يرى الملك فى صورته التى خلق عليها له ستمائة جناح فيوحى اليه وهذا وقع له مرتين كما فى سورة النجم السادسة ما أوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها السابعة كلام الله تعالى له منه اليه كما كلم موسى وزاد بعضهم ثامنة وهو تكليمه سبحانه بغير حجاب وزاد بعضهم نزول اسرافيل اليه

بكلمات من الوحى قبل جبريل عليهما السلام وزاد بعضهم كلامه تعالى له فى المنام وزاد بعضهم العلم الذى يلقيه فى قلبه وعلى لسانه على الاجتهاد فى الاحكام وبقيت أبحاث أخر من أرادها فليرجع الى محلها فعليكم أيها المؤمنون بالايمان بما جاء به الامين المأمون وتزودوا للدار الآخرة قبل الفوات وامحوا السيآت بالحسنات فالدنيا ظل زائل وحال حائل وركن مائل ورفيق خاذل ومسؤل باخل وغول غائل وسم قاتل كم تعد الدنيا وتماطل كل وعدها غرور وباطل تالله ما فرح بها عاقل كم ظالم تعدى وجار فما راعى الاهل ولا الجار بينما هو يعقد عقد الاصرار حل به الموت فخل من حليه الازرار فاعتبروا يا أولى الابصار يا سكران الهوى متى تصحو يا كثير الذنوب متى تمحو الى كم تهفو ونعفو وتتكدر ونعمنا تصفو ابك لما بك واندب فى شيبك على شبابك وتأهب لسيف المنون فقد علق الشبابك فتأملوا عواقب الدنيا فلقد أبانت للنواظر عيوبها وكشفت للبصائر غيوبها وعددت على السامع ذنوبها وما مرت حتى أمرت مشروبها فلذتها مثل لمعان برق ومصيبتها واسعة الخرق سوت عواقبها بين أهل الغرب والشرق وبين عبد وحر ولا فرق فما نجا منها ذو عدد ولا سلم عليها اصحاب عدد حزق والله الكل بكف البدد ثم ولت وما التوت على أحد

الا م تغتر بالأمل الطويل * وليس الى الاقامة من سبيل
فدع عنك التعلل بالامانى * فما بعد المشيب سوى الرحيل
أترجو أن تدوم لك الليالى * وكم أفنين قبلك من خليل
وما زالت بنات الدهر تفنى * بنى الأيام جيلا بعد جيل

فطوبى لمن غسل درن الذنوب بتوبة ورجع عن الخطايا قبل فوت الاوبة وبادر الممكن قبل أن لا تمكن لله در أقوام تركوا الدنيا فأصابوا وسمعوا منادى التوحيد فأجابوا وحضروا مشاهدة التقى فما غابوا واعتذروا مع التحقيق ثم تابوا وقصدوا باب مولاهم فما ردوا ولا خابوا سبحان من وفق للتوبة أقواما وثبت لهم على صراطها أقداما كفوا الاكف عن المحارم احتراما وأتعبوا فى استدراك الفارط عظاما فكفر عنهم ذنوبا وآثاما ونشر لهم بالثناء على ما عملوا أعلاما فهم على رياض المدائح بترك القبائح يتقلبون التائبون العابدون كشف لهم سجف الدنيا فرأوا عيوبها ولاح لهم الاخرى فتتبعوا غيوبها وبادروا شمس الحياة يخافون غروبها واشتغلوا بالطاعات فحصلوا مرغوبها وحثهم الايمان على الخوف فما يأمنون التائبون العابدون نظروا الى الدنيا بعين الاعتبار فعلموا انها لا تصلح للقرار وتأملوا أساسها فاذا هى على شفا جرف هار فرفضوا بالصيام لذة الهوى بالنهار وبالاسحار هم يستغفرون هجروا المنازل الانيقة وقصموا عرى الهوى الوثيقة وطلبوا الآخرة والله على الحقيقة هكذا يكون التائبون العابدون أبدانهم تلقى من الجوع الضرر وأجفانهم قد حالفت فى الليل السهر ودموعهم تجرى دائمة كما يجرى المطر والقوم تأهبوا فهم على أقدام السفر عبروا عليكم ومروا اليكم وما عندكم خبر وترنمت حداتهم لو انكم تسمعون التائبون العابدون اللهم انا آمنا برسولك الذى أرسلت وبكتابك الذى أنزلت اللهم انا نعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء اللهم انا نعوذ بك من الكسل والجبن والبخل ونعوذ بك من الهرم والقسوة والغفلة والذلة والقلة والمسكنة ونعوذ بك من الجنون والبرص والجذام وسيئ الاسقام وشماتة الاعداء ونعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع اللهم انا نسألك العفو والعافية فى الدارين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين

المجلس الثامن والثلاثون

(فى يوم عرفة وعيد الاضحى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المعروف بدليله الهادى الى سبيله الصادق فى قيله المشكور على كثير الانعام وقليله الذى تسبحه

الأصوات اذا عجت والسحائب اذا ثجت والمياه اذا سكنت أو ارتجت والقلوب اذا صبرت على البلايا أو ضجت رافع السماء وبانيها وساطح الارض وداحيها ومثبتها بالاطواد فى نواحيها العالم بما يحدث فى أقاصيها وأدانيها يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها أحمده على فضله الشامل وأشكره على احسانه الكامل وأومن به ايمان مخلص معامل وأعترف له بنعم لا أحصيها وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ظهر نورها ولاح وغدا برهانها وراح وأشرق هداها فى المساء والصباح واكتسب قائلها شرفا وتيها وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله والحق دائر وقدم الصواب عاثر والحق مندرس والباطل ظاهر فقمع الباطل بالحق الظاهر ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر صلى الله تعالى عليه وعلى آله صلاة يمتد على ممر الزمان تواليها وعلى صاحبه فى الضيق أبى بكر الصديق الصابر على الشدة والثابت على البلايا بنفس مستعدة القائم فى مقام الوحدة وحده يوم الردة المخصوص بفضيلة الغار فى ذايدانيها وعلى الفاروق عمر بن الخطاب المنفرد فى شدته من بين الاصحاب الموفق يوم بدر لاصابة الصواب المتكلم بلسان الغيرة حتى ضرب الحجاب الذى شاد أركان السنن بعدله وعمر مبانيها وعلى عثمان شهيد الدار القائم فى الاسحار الصائم فى النهار المخلص فى الاذكار جامع سور القرآن وحاويها وعلى على بن أبى طالب ذى العلم والزهادة الحريص على طلب السعادة جامع العلم والعمل والشهادة المطلع على دقائق العلوم ومعانيها وعلى التابعين لهم فى اخلاص الاعمال وصفاء القلوب ماترددت الشمس بين الطلوع والغروب واستترت النجوم وبدا باديها وشرف وكرم ومجد (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه ومبين خطابه والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد الآيات (فنقول) وبالله جل وعز التوفيق وبيده تعالى شأنه أزمة التحقيق قال المفسرون رحمهم الله تعالى أقسم سبحانه بالصبح كما روى عن على كرم الله تعالى وجهه أو فلقه كقوله تعالى والصبح اذا تنفس أو بصلاته كما روى ذلك عن ابن عباس وقال مجاهد هو فجر يوم النحر خاصة وقال الضحاك فجر أول يوم من ذى الحجة وقال قتادة أول يوم من المحرم لانه تنفجر منه السنة وقوله تعالى وليال عشر قرئ بتنوين ليال وباضافتها فلا تنوين فيكون المراد بالعشر الايام وهى عشر ذى الحجة كما رواه ابن عطية عن ابن عباس وبه قال مجاهد ومسروق وقتادة والضحاك والسدى وروى عن ابن عباس أيضا انها العشر الاواخر من شهر رمضان وقال يمان العشر الاول من المحرم وقوله سبحانه والشفع والوتر قرأ بكسر الواو وفتحها الاكثرون وفيهما عشرون قولا منها ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة كما رواه جابر عن النبى عليه أفضل الصلاة والسلام وروى عمران بن حصين عنه عليه الصلاة والسلام انها الصلاة لان منها شفعا ومنها وترا ومنها عن ابن عباس ان الشفع الخلق كله والوتر هو الله عز وجل ومنها ماروى عنه أيضا ان الشفع آدم لانه شفع بزوجته ومنها ما قاله عبد الله بن الزبير ان الشفع يومان بعد يوم النحر والوتر اليوم الثالث ومنها ان الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وقال الضحاك الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وقوله سبحانه والليل اذا يسر أى اذا يمضى كقوله تعالى والليل اذا أدبر وقال الاخفش ان المعنى اذا يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه وقوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر أى لصاحب عقل وسمى العقل حجرا لانه يحجر صاحبه عن القبيح وسمى عقلا لانه يعقله عما لا يحسن وسمى النهى أيضا لانه ينهى عما لا يحل ومعنى الكلام أن من كان ذا لب علم ان ما أقسم الله تعالى به من هذه الاشياء دليل على توحيده وقدرته وهو حقيق أن يقسم به وجواب القسم ان ربك لبالمرصاد وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد قال البيضاوى هو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب انتهى * ولنذكر لكم ما يتعلق بهذه الايام العشر ولا سيما يوم عرفة من الآيات والأحاديث الطيبة النشر كما تكلمنا على الحج فى حديث جبريل عليه السلام فنقول بعون الملك العلام روى حافظ بغداد ابن الجوزى بسنده الى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله عز وجل من هذه الايام يعنى أيام العشر قيل يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم

لم يرجع من ذلك بشئ وأخرج عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد وأخرج عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أفضل أيام الدنيا أيام العشر قالوا يارسول الله ولا مثلهن فى سبيل الله قال الا من عفر وجهه فى التراب وقد روى فى حديث عن ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال صوم كل يوم من أيام العشر يعدل صيام سنة وليلة جمع تعدل ليلة القدر وروى عن أبى هريرة انه قال فى هذه الايام يعدل صيام كل يوم منها صيام سنة وقيام ليلة منها كقيام ليلة القدر قال أبو عثمان النهدى كانوا يعظمون ثلاث عشرات العشر الاول من ذى الحجة والعشر الاخر من رمضان والعشر الاول من المحرم واعلموا رحمنا الله تعالى واياكم أن عشركم هذا ليس كعشر آخر وهو يحتوى على فضائل عشر الاولى ان الله عز وجل أقسم به فقال وليال عشر والثانية سماه الايام المعلومات قال ابن عباس هى أيام العشر والثالثة ان نبينا عليه الصلاة والسلام شهد له بأنه أفضل أيام الدنيا والرابعة حث على أفعال الخير فيه والخامسة انه أمر بكثرة التسبيح والتحميد والتهليل فيه والسادسة أن فيه يوم التروية وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من صام العشر فله بكل يوم صوم شهر وله بصوم التروية سنة قال الزهرى وانما سمى يوم التروية لان عرفات لم يكن لها ماء وكانوا يتروون من الماء اليها وهو اليوم الثامن من ذى الحجة والسابعة أن فيه يوم عرفة وصومه كسنتين كما سنذكر فضائله قريبا ان شاء الله تعالى والثامنة أن فيه ليلة جمع وهى ليلة المزدلفة وفضلها عظيم والتاسعة ان فيها الحج الذى هو ركن من اركان الاسلام والعاشرة وقوع الاضحية التى هى علم للملة الابراهيمية والشريعة المحمدية قال تعالى فصل لربك وانحر فقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية وقد ورد فى فضلها أحاديث منها ما روته عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال انها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وان الدم ليقع من الله تعالى بمكان قبل أن يقع على الارض فطيبوا بها نفسا وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال بكل شعرة حسنة وقال لفاطمة رضى الله تعالى عنها قومى الى أضحيتك فاشهديها فان لك بكل قطرة من دمها أن يغفر لك ما قد سلف من ذنوبك فقيل له هذا لآل محمد خاصة قال بل هو لآل محمد وللناس عامة وعن أبى جعفر قال أول قطرة من دم الاضحية كفارة لاربعة آلاف خطيئة ومن شرف يوم النحر أن الله سبحانه وتعالى ابتلى فيه الخليل بذبح ولده اسحق أو اسمعيل والقصة لشهرتها لا نذكرها الآن لخوف التطويل فمن أراد أن يضحى ويقتدى بهذا النبى الجليل ورسولنا صاحب الجاه العريض الطويل فلا يقلم اذا دخلت العشر اظفاره ولا يحلق شعره ولا يأخذ من بشرته فقد روت أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ذبح يذبحه فاذا أهل هلال ذى الحجة فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيأ حتى يضحى وبه أخذ الامام أحمد فقال بكراهة أخذ شئ من ذلك وعليه الامام الشافعى وقال بعض أصحاب أحمد انه يحرم عليه ذلك وقال امامنا الاعظم لا يكره ذلك * ولنبين لكم أحكام الاضحية لتكونوا على بصيرة فيها قال الامام القدورى الحنفى فى كتابه المختصر ما نصه الاضحية واجبة على كل مسلم حر مقيم موسر فى يوم الاضحى عن نفسه وأولاده الصغار ويذبح عن كل واحد منهم شاة أو يذبح بقرة أو بدنة عن سبعة وليس على الفقير والمسافر أضحية ووقت الاضحية يدخل بطلوع الفجر من يوم النحر الا أنه لا يجوز لاهل الامصار الذبح حتى يصلى الامام صلاة العيد وأما أهل السواد فانهم يذبحون بعد الفجر وهى جائزة فى ثلاثة أيام يوم النحر ويومان بعده ولا يضحى بالعمياء والعوراء والعرجاء التى لا تمشى الى المنسك والعجفاء ولا يجوز مقطوعة الاذن والذنب ولا التى ذهب أكثر أذنها فان بقى الاكثر من الاذن والذنب جاز ويجوز أن يضحى بالجماء والخصى والثولاء والجرباء والاضحية من الابل والبقر والغنم يجزى من ذلك كله الثنى فصاعدا الا الضأن فان الجذع (١) منه يجزى ويأكل من لحم الاضحية ويطعم الاغنياء والفقراء ويدخر

---

(١) فى القاموس الجذع محركة قبل الثنى وتقول لولد الشاة فى السنة الثانية وللبقر وذات الحافر فى الثالثة وللابل فى الخامسة أجذع وذكر فى مادة ثنى الناقة الطاعنة فى الثالثة والبعير ثنى بفتح الثاء والفرس الداخلة فى الرابعة والشاة فى الثالثة كالبقرة اهـ منه

ويستحب أن لا ينقص الصدقة من الثلث ويتصدق بجلدها او يعمل منه آلة تستعمل فى البيت والافضل أن يذبح الاضحية بيده ان كان يحسن الذبح ويكره أن يذبحها الكتابى واذا غلط رجلان فذبح كل واحد منهما أضحية الآخر أجزأ عنهما ولا ضمان عليهما وقال فى الميزان أجمع الامة أن الاضحية مشروعة باصل الشرع وانما اختلفوا فى وجوبها واتفقوا على ان المرض اليسير فى الاضحية لا يمنع الاجزاء وعلى أن الكثير يمنع لانه يفسد اللحم وعلى أن الجرب البين يمنع الاجزاء وكذا العور وأجمعوا على أن مقطوعة الاذن لا تجزئ وكذا مقطوعة الذنب لفوات جزء من اللحم واتفقوا على انه لا يجوز أن يأكل شيأ من لحم الاضحية المنذورة واتفقوا على أنه لا يجوز بيع شئ من لحم الاضحية والهدى نذرا كان أو تطوعا وكذلك بيع الجلد خلافا للنخعى والاوزاعى كما سيأتى واتفقوا على أن البدنة والبقرة تجزئ عن سبعة والشاة عن واحد وقال اسحق بن راهويه تجزئ البقرة عن عشرة ومما اختلفوا فيه ان الامام أبا حنيفة قال ان الاضحية واجبة على المقيمين من أهل الامصار اذا كانوا مالكين النصاب وقال الثلاثة وصاحباه سنة مؤكدة ومن ذلك قول الشافعى يدخل وقت الذبح بطلوع الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين صلى الامام العيد أو لم يصل مع قول الثلاثة ان شرط الذبح ان يصلى الامام ويخطب الا أن أبا حنيفة قال يجوز لاهل السواد أن يضحوا اذا طلع الفجر الثانى وقال عطاء يدخل وقت الاضحية بطلوع الشمس فقط ومن ذلك قول الشافعى ان آخر وقت التضحية هو آخر أيام التشريق الثلاثة مع قول أبى حنيفة ومالك ان آخر وقتها آخر اليوم الثانى من أيام التشريق ومع قول سعيد بن جبير انه يجوز لاهل الامصار التضحية فى يوم النحر خاصة ومع قول النخعى انه يجوز تأخيرها الى آخر شهر ذى الحجة ومن ذلك قول الائمة الثلاثة ان الاضحية اذا كانت واجبة لم يفت ذبحها بفوات أيام التشريق بل يذبحها وتكون قضاء مع قول أبى حنيفة ان الذبح يسقط وتدفع الى الفقراء حية ومن ذلك قول الثلاثة انه يكره مكسورة القرن مع قول أحمد انها لا تجزئ ومن ذلك قول مالك والشافعى ان العرجاء لا تجزئ مع قول أبى حنيفة انها تجزئ ومن ذلك قول الشافعى انها لا تجزئ مقطوعة شئ من الذنب ولو يسيرا مع اختيار جماعة من متأخرى أصحابه الاجزاء ومع قول أبى حنيفة ومالك ان ذهب الاقل أجزأ أو الاكثر فلا ولاحمد فيما زاد على الثلث روايتان ومن ذلك قول الثلاثة انه يجوز للمسلم أن يستنيب فى ذبح الاضحية مع الكراهة فى الذمى مع قول مالك انه لا يجوز استنابة الذمى ولا تكون أضحية ومن ذلك قول الائمة الثلاثة انه لو اشترى شاة بنية الاضحية لا تصير أضحية بمجرد ذلك مع قول أبى حنيفة انها تصير قال الثلاثة ويستحب أن يقول اللهم هذا منك ولك فتقبل منى وقال أبو حنيفة يكره قول ذلك ومن ذلك اتفاق الاربعة على استحباب الاكل من الاضحية المتطوع بها مع قول بعض العلماء بوجوب الاكل ومن ذلك اتفاقهم على أنه لا يجوز بيع جلد الاضحية المنذورة أو المتطوع بها خلافا للنخعى والاوزاعى فى بيعها بآلة البيت التى تعار كالفاس والقدر والغربال ونحو ذلك ومن ذلك قول الثلاثة ان الابل أفضل ثم البقر ثم الغنم مع قول مالك ان الافضل الغنم ثم الابل ثم البقر انتهى * ولنختم درسنا هذا بما ورد فى هذا اليوم الذى سماه الله تعالى وترا كما تقدم فقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فى قوله تعالى وشاهد ومشهود الشاهد والمشهود يوم عرفة قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى ومن فضائله أن الله تعالى أنزل فيه اليوم أكملت لكم دينكم فقد روى ابن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين انكم تقرؤن آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال وأى هى قال قوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى قال فقال عمر والله انى لاعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والساعة التى نزلت فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشية عرفة يوم جمعة أخرجاه فى الصحيحين ومن فضائله ان الله تعالى يباهى بالحاج فيه ملائكته ويعم بالغفران وقد أخرج مسلم عن ابن المسيب قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله تعالى فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء وروى ابن الجوزى بسنده عن جابر قال قال رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة فيقول انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا من كل فج عميق أشهدكم انى قد غفرت لهم فقال رسول الله فما من يوم أكثر عتقاء من يوم عرفة وفى رواية أخرى ان عشية عرفة ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا فيقول للملائكة انظروا الى عبادى هؤلاء أتونى شعثا غبرا جاؤنى من كل فج عميق ضاجين يسألونى رحمتى ولا يرونى ويتعوذون من عذابى ولم يرونى فلم ير يوم أكثر عتقاء منه ولا يغفر الله تعالى فيه لمختال وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يبقى أحد يوم عرفة فى قلبه مثقال من ايمان الا غفر له فقال رجل لاهل معرف يا رسول الله أم للناس عامة قال لا بل للناس عامة وأما ثواب صائمه فقد روى عن أبى قتادة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة فقال كفارة سنتين وعنه ان رجلا قال يا رسول الله أرأيت صيام يوم عرفة قال احتسب على الله ان يكفر السنة الباقية والماضية وفى لفظ انى احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده واعلم ان صومه مستحب لغير الحاج فاما للحاج فلا يستحب له صومه ليتقوى على الدعاء ولكونه ضيف الله عز وجل واما ما يختص بالذكر فيه فمنه التكبير عقب الصلوات المفروضات وابتداؤه فى حق المحل صلاة الفجر يوم عرفة وفى حق المحرم صلاة الظهر من يوم النحر ويختمان فى صلاة العصر آخر أيام التشريق وهذا عند الحنابلة وأبى يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى أوله عقب صلاة الفجر من يوم عرفة وآخره عقب صلاة العصر من يوم النحر وصفة التكبير الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر ولله الحمد كما ذكرناه أيضا وفصلناه فى عيد الفطر ومن الاذكار ما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال خير الدعاء يوم عرفه وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وكان ابن عمر يحيى ليلة النحر فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الايام عند الله تعالى يوم النحر ثم يوم الفطر وقد سبق ذكر آداب العيد فتذكر ومما يفعل فى عيد النحر أن لا يأكل حتى يفرغ من الصلاة بخلاف عيد الفطر وان يغتسل ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه وأن يصلى صلاة العيد ثم يضحى من أمكنه التضحية للاحاديث المتقدمة فى ذلك وفقنا الله تعالى واياكم لسلوك احسن المسالك ورزق كل واحد منا ما يتمناه فى أولاه وأخراه (فيا عباد الله) تدبروا القرآن المجيد فقد دلكم على الامر الرشيد وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ولازموا طاعة ربكم ولاسيما أيام العيد فهذا شان العبيد واحذروا غضبه فكم قصم من جبار عنيد (ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد) أين من بنى وشاد وطول وتأمر على الناس وساد فى الاول وظن جهلا منه انه لا يتحول هيهات عاد الزمان عليهم سالبا ما خول فسقوا كاسا من الموت على اهلاكهم عول (أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) فيا من أنذره يومه وأمسه وحادثه بالعبر قمره وشمسه واستلب منه ولده وأخوه وعرسه وهو يسعى الى الخطا مشمرا وقد دنا حبسه (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أما علمت انك مسؤل الزمان مشهود عليك يوم تنطق الاركان معلوم ما قدمت فى زمن الامكان محاسب على خطوات القدم وكلمات اللسان (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) ويا من يرى العبر بعينيه ويسمع المواعظ باذنيه والنذير قد وصل اليه وكلماته تلقى عليه (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) كأنك بالموت قد اختطفك اختطاف البرق ولم تقدر على دفعه عنك ملك الغرب والشرق وندمت على تفريطك بعد اتساع الخرق وتأسفت على ترك الاولى والاخرى أحق (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ثم ترحلت عن القصور الى القبور على رحائل العيدان والظهور وبقيت وحيدا على ممر العصور كالاسير المأسور (ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد) فحينئذ أعاد الاجسام من صنعها وضم شتاتها بقدرته وجمعها ونادى بنفخة الصور فاسمعها (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فيهرب منك الاخ وتنسى أخاك ويعرض عنك الصديق ويرفض ولاك ويتجافاك الحبيب المعاشر صباحك ومساك وتلقى من الهول كلما أزعجك وساءك فتنسى أولادك وتنسى نساءك (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك

فبصرك اليوم حديد) وتجرى دموع الاسف وابلا ورذاذا وتنقطع الاكباد من الحسرات أفلاذا ويهب لهيب النار على الكفار فيجعلهم جذاذا ولا يجد العاصى ملجا وملاذا (وقال قرينه هذا مالدى عتيد) فيجازى العبد بفعله ولا يظلم ويتحسر العاصى على ماجنى ويتندم وتسيل الدموع على الاجفان كأنها جرت عن دم أو عندم ويامر المولى بأخذ العصاة ويتقدم (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) فتتقدم الزبانية الى الكفار فتتبادر وتسوقهم سوقا عنيفا وتثب النار وثوب الليث اذا غضب وشاجر فيذل عند زفيرها كل من عز وفاخر (الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد) وينصب الصراط فى أصعب الاماكن وتنزعج لوضع الميزان القلوب السواكن ويقع الخصام بين البائع والمبتاع فى أعجب المساكن (قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) فيقول الرب تعالى قد أزلت المطل والليّ وفصل هذا الامر كله الىّ وانتصاف المظلوم من الظالم علىّ (قال لا تختصموا لدىّ وقد قدمت اليكم بالوعيد) أما أنذرتكم فيما مضى من الايام أما حذرتكم عواقب المعاصى والآثام أما أمرتكم بتجنب أجرام الاجرام أما وعدتكم بهذا اليوم فى سالف الايام (ما يبدل القول لدىّ وما أنا بظلام للعبيد) فيا لهذا المهول الذى يحار فيه العاقل والجهول وتشخص الابصار وتذهل العقول (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) فذلك يوم ثبور المنافقين وسرور الموافقين وسلامة الصادقين وفوز السابقين والنار قد انطبقت على الفاسقين (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) فيا عثرة العاصين لقد صعب تلافيها ويا خيرة المخلصين لقد تكامل صافيها اذا دخلوا جنة أشرق ظاهرها وانتثار خافيها (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) فانظروا عباد الله فرق ما بين الفريقين بحضور قلب واستلبوا زمان الصحة بفعل الخير أى استلاب فاللذات تفنى ويبقى العار والثلب (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

المجلس التاسع والثلاثون

فى عاشوراء وقتل النفس المحرمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى طهر بتأديبه من أهل تقريبه نفوسا وسقى أرباب مصافاته من شراب مناجاته كؤسا ورفع كيد الشيطان عن قلوب أهل الايمان فاصبح عنها محبوسا وصرف عن أهل وداده بلطفه واسعاده أذى وبوسا وأذل بقهره من شاء من خلقه أعناقا ورؤسا وأعاذ ذكر الاصنام بعز التوحيد والاسلام مطموسا وجعل عدد السنين بجريان الشمس والقمر للحاسبين محروسا وكرم عشر المحرم وكلم فى عاشورائه موسى أحمده على نعم لا تحصى عددا وما أقضى بالحمد حقا وأشكره ولم يزل للشكر مستحقا وأشهد انه المالك للرقاب كلها رقا كون الاشياء وأحكمها خلقا وفتق السماء والارض وكانتا رتقا وقسم العباد فاسعد وأشقى وهو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف الخلائق خلقا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الذى حاز كل الفضائل سبقا ويكفيه قول الله فيه وسيجنبها الاتقى وعلى عمر العادل فما يحابى خلقا وعلى عثمان الذى استسلم للشهادة فما يتوقى وعلى علىّ بائع ما يفنى ومشترى ما يبقى وعلى بقية آله وأصحابه وعلماء أمته الذين سارت علومهم غربا وشرقا (اما بعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام على شئ من تفسير بعض هذه الآيات ولنذكر الآن فى هذا الدرس تكملة الكلام على هذه العشر وانها على قول كثير العشر الاول من المحرم الحرام بفصول مفيدة فى هذا المقام

(الفصل الاول) فى فضائل هذا الشهر وما أعد للصائم فيه من الاجر فاعلموا ان المحرم من الاشهر الحرم وقد قال سبحانه وتعالى فيها ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة

حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم والمراد بالشهور الهلالية التى يعتد بها المسلمون فى عباداتهم التى أولها المحرم وآخرها ذو الحجة وقوله تعالى (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ وقوله تعالى (منها أربعة حرم) هى رجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد وقوله تعالى (ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بفعل المعاصى وترك الطاعات أو فى الاشهر الحرم اذ الظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن قال ابن عباس ان الحسنات فيها تضاعف كتضاعف السيآت وقال أبو عبيد انما قيل فى المحرم شهر الله لتعظيمه والاعتناء بزيادة شرفه وذلك لانه جعله حراما لا يحل فيه قتال ولا سفك دم ولذا ورد فى بعض الاحاديث شهر الله الأصم لانه لا تسمع فيه قعقعة السلاح وانما لم يطلق ذلك على غيره من الاشهر الحرم لان فيه والله اعلم يوم عاشوراء ولذا أقسم بفجره قال قتادة أراد بالفجر فجر أول يوم من المحرم وروى ناصر السنة ابن الجوزى بسنده الى أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أفضل الصوم بعد رمضان شهر الله الذى يدعونه المحرم وروى أيضا بسنده عن النعمان بن سعد عن علىّ رضى الله تعالى عنه قال أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أخبرنى بشهر أصومه بعد رمضان فقال ان كنت صائما شهرا بعد رمضان فصم المحرم فانه شهر الله وفيه يوم تاب فيه على قوم ويتاب فيه على آخرين وروى ابن شاهين من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من صام يوما من المحرم فله ثلاثون يوما قال ابن الجوزى ويستحب صيام التاسع والعاشر اما التاسع فمذهب ابن عباس انه هو عاشوراء لان العرب تقول وردت الابل عشرا اذا وردت اليوم التاسع واما عاشوراء ففى الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود يصومونه ويقولون هذا يوم عظيم أنجى الله تعالى فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وفيهما من حديث سلمة ابن الاكوع ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر رجلا من أسلم أن أذن فى الناس من كان أكل فليصم يعنى بقية يومه ومن لم يأكل فليصم فان اليوم عاشوراء وعن ابن عباس انه قال ما رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صام يوما يتحرى فضله على الايام الا هذا اليوم يعنى عاشوراء وهذا الشهر يعنى رمضان وعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال صوم يوم عاشوراء يكفر العام الذى قبله انفرد باخراجه مسلم وقد روى فى فضائل عاشوراء أحاديث موضوعة فلا فائدة فى ذكرها مثل من اغتسل ومن اكتحل ومن صافح وكله ليس بشئ وقال معاوية بن قرة صام نوح ومن معه فى السفينة يوم عاشوراء وفى الجملة هو يوم عظيم فينبغى ان يفعل فيه ما يمكن من الخير اهـ وروى فى الترغيب والترهيب بسنده الى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله تعالى عليه فى سائر سنته قال بعض العلماء كانوا يعظمون ثلاثة أعشار العشر الاخير من رمضان والعشر الاول من ذى الحجة وانه هو المقسم به فى هذه الآيات والعشر الاول من المحرم وانها هى التى أتم الله تعالى بها ميقات موسى عليه السلام أربعين ليلة وان التكلم كان فى عاشرها قالوا وينبغى استفتاح العام بتوبة نصوح تمحو ما سلف من الذنوب السالفة فى الايام الخالية ولقد نصح القائل

قطعت شهور العام سهوا وغفلة * ولم تحترم فيما أتيت المحرما
فلا رجب وفيت فيه بحقه * ولا صمت شهر الصوم صوما متمما
ولا فى ليالى عشر ذى الحجة الذى * مضى كنت قواما ولا كنت محرما
فهل لك ان تمحو الذنوب بعبرة * وتبكى عليها حسرة وتندما
وتستقبل العام الجديد بتوبة * لعلك ان تمحو بها ما تقدما

(الفصل الثانى) ان الله عز وجل اختار هذا اليوم الرفيع القدر لاستشهاد الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وسبب ذلك على ما قال العلامة ابن حجر فى كتابه الصواعق وكثير من المؤرخين ان معاوية رضى الله تعالى

عنه لما استقل بالسلطنة فى دمشق الشام بعد نزول الحسن رضى الله تعالى عنه عن الخلافة له بايع لولده يزيد عليه اللعنة وجعله ولى عهده من بعده ولما توفى معاوية رضى الله تعالى عنه سنة ستين و بايع الناس يزيد أرسل لعامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة على الحسين رضى الله تعالى عنه ففر لمكة خوفا على نفسه فسمع به أهل الكوفة فارسلوا اليه ان يأتيهم ليبايعوه ويمحى عنهم ماهم فيه من الجور فنهاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما و بين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه ثم قال فان أبيت فلا تذهب باهلك فأبى فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال واحبيباه وقال له ابن عمر رضى الله تعالى عنهما نحو ذلك فبكى ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال أستودعك الله من قتيل وكان قد قال له أخوه الحسن رضى الله تعالى عنه اياك وسفهاء الكوفة وان يستخفوك فيخرجوك و يسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضأ فيه فبكى حتى ملأه من دموعه ولم يبق بمكة أحد الاحزن لمسيره وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا وقيل أكثر من ذلك وأمر يزيد ابن زياد فجاء اليه فقتله وأرسل برأسه اليه فشكره وحذره من الحسين والى ذلك أشار الفاروقى عليه الرحمة بما أنشدنيه لنفسه

لو كان فى الكوفة غير مسلم * من مسلم ماقطعوه اربا

ولقى الحسين فى مسيره الفرزدق فقال بين لى خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وسار الحسين رضى الله تعالى عنه وهو على غير علم بما جرى على ابن عمه مسلم بن عقيل حتى كان على ثلاث مراحل من القادسية تلقاه الحر بن يزيد التميمى وقال له ارجع فما تركت لك خلفى خيرا ترجوه وأخبره الخبر وقدوم ابن زياد واستعداده له فهم بالرجوع فقال أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل فقال لاخير فى الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلاء ثامن المحرم سنة احدى وستين وكان لما شارف الكوفة سمع به أميرها عبيد الله بن زياد فجهز اليه عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد و بيعته ليزيد فابى فقاتلوه وكان أكثر الخارجين لقتاله الذين كاتبوه وبايعوه ثم لما جاءهم أخلفوه وفروا عنه الى أعدائه ايثارا للسحت العاجل على الخير الآجل فحارب أولئك العدد الكثير وكان معه من اخوته وأهله نيف وثمانون نفسا فثبت فى ذلك الموقف ثباتا باهرا مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم اليه ولما حمل عليهم وسيفه مصلت فى يده أنشد يقول

أنا ابن على الحبر من آل هاشم * كفانى بهذا مفخرا حين أفخر

وجدى رسول الله اكرم من مشى * ونحن سراج الله فى الناس نزهر

وفاطمة أمى سلالة أحمد * وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقا * وفينا الهدى والوحى والخير يذكر

ولولا ما كادوه به من انهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه اذ هو الشجاع القرم الذى لا يزول ولا يتحول ولما منعوه وأصحابه الماء ثلاثا قال له بعضهم انظر اليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال له الحسين اللهم اقتله عطشا فلم يرو مع كثرة شربه الماء حتى مات عطشا ودعا الحسين بماء يشربه فحال رجل بينه و بينه بسهم ضربه فاصابه فى حنكه فقال اللهم أظمئه فعاد يصيح الحر فى بطنه والبرد فى ظهره و بين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكافور وهو يصيح العطش فيؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه ثم يصيح فبقى كذلك الى ان انقد بطنه ولما استحر القتل بأهله فانهم مازالوا يقتلون منهم واحدا بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على الخمسين صاح الحسين رضى الله تعالى عنه أما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحينئذ خرج الحر بن يزيد بن الحرث الرياحى من عسكر أعدائه راكبا فرسه وقال يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليك فانى الآن من حزبك لعلى أنال بذلك شفاعة جدك ثم قاتل بين يديه حتى قتل رحمه الله فلما فنى أصحابه وبقى بمفرده حمل عليهم وقتل كثيرا من شجعانهم فحمل جمع كثيرون منهم فحالوا بينه وبين حريمه فصاح كفوا سفهاءكم عن

الاطفال والنساء فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم الى أن أثخنوه بالجراح وسقط الى الارض فحزوا رأسه رضى الله عنه يوم عاشوراء عام احدى وستين ووضع بين يدى عبيد الله بن زياد وأنشد قاتله

املأ ركابى فضة وذهبا * فقد قتلت الملك المحجبا

ومن يصلى القبلتين فى الصبا * وخيرهم اذ يذكرون نسبا

قتلت خير الناس أما وأبا

فغضب ابن زياد من قوله وقال اذا علمت ذلك فلم قتلته والله لا نلت منى خيرا ولالحقنك به ثم ضرب عنقه وقتل معه من اخوته و بنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر بن أبى طالب وأخيه عقيل تسعة عشر رجلا وقيل أحد وعشرون وما أشجى ما أنشدنيه الفاضل السرى عبد الباقى أفندى العمرى رحمه الله تعالى لنفسه من قصيدة

قضى نحبه فى كربلاء ابن حاشر * ولم ينقضى نحبى عليه الى الحشر

قضى نحبه فى يوم عاشور من غدت * عليه العقول العشر تلطم بالعشر

قضى نحبه فى نينوى وبهانوى * فعطر منه الكائنات ثرى القبر

قضى نحبه فى الطف من فوقه طفا * نجيع كسى الآفاق بالحلل الحمر

قضى نحبه فى حائر فتحدرت * دموع بكا الدنيا على وجنة الدهر

قضى نحبه من راح للحرب خائضا * بحر دم فانصب بحر على بحر

قضى نحبه والشمس فوق جبينه * تحرر بالانوار سورة والفجر

قضى نحبه والحور محدقة به * كما أحدقت فى بدرها هالة البدر

قضى نحبه والدين أصبح بعده * الى الله يشكو ما علاه من الضر

قضى نحبه ريحانة المصطفى التى * تفوح ليوم النشر طيبة النشر

قضى نحبه ابن الانزع البطل الذى * أذاق الردى عمرا وأعرض عن عمرو

قضى نحبه ابن الطهر سيدة النسا * سليلة فخر الكائنات أبى الغر

قضى نحبه الفرد الذى هو خامس * لاهل الكسا منه اكتسى الفخر بالفخر

قضى نحبه فى جنة الخلد ثاويا * ومتكئا فيها على رفرف خضر

ولما حمل رأسه رضى الله تعالى عنه لابن زياد لعنه الله تعالى جعله فى طشت وجعل يضرب ثناياه بقضيب و يقول ما رأيت مثل هذا حسنا وروى انه كان حاضرا عنده زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكى فقال ابن زياد أبكى الله عينيك لولا انك كبير قد خرفت لضربت عنقك فنهض وهو يقول أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة رضى الله عنهما وأمرتم ابن مرجانة والله ليقتلن خياركم و يستعبدن أشراركم فبعدا لمن رضى بالذل والعار ثم قال يا ابن زياد لاحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع يديه صلى الله تعالى عليه وسلم على يافوخيهما فقال اللهم انى أستودعك اياهما وصالح المؤمنين فانظر كيف كانت وديعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عندك يا ابن زياد ثم ان ابن زياد عليه اللعنة جهز رأس الحسين مع السبايا من نسائه وبقية أطفاله وأهل بيته الى يزيد اللعين فجمع أهل الشام عند وصولهم اليه ووضع الرأس بين يديه وجعل ينكته بقضيب خيزران و ينشد أبياتا ان صحت عنه فليس فى كفره خلاف منها

لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحى نزل

ومما يشجى أيضا فى هذا المقام تخميس الفاروقى المتقدم ذكره لقصيدة البوصيرى فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام

آل صخر والصخر لاشك ألين * من قلوب فيها النفاق تمكن

أظهروا من أضغانهم ما تبطن * وقست منهم قلوب على من

بكت الأرض فقدهم والسماء

لهاهم يا ناظرى سل سيلا * واسقه من محاجرى سلسبيلا
ان ترم بالدموع سحا طويلا * فابكهم ما استطعت الا قليلا
* فى عظيم من المصاب البكاء *
فتباريح سيبهم برحت بى * والاسى مشعر بايجاب سلبى
و بشرق اذا أتت وغرب * كل يوم وكل أرض لكربى
* منهم كربلا وعاشوراء *
فسرورى محرم حيث حلا * شهر ذبح الحسين والحزن حلا
لست أسلو والهم للعزم حلا * غير انى فوضت أمرى الى الله
* وتفويضى الامور براء *
آل طه بمدحكم أتطاول * ومع الورق بالرثا أتساجل
لذ قلبى لعزكم كلما ذل * آل بيت النبى طبتم فطاب الـ
* مدح لى فيكم وطاب الرثاء *

وقال ناصر السنة ابن الجوزى عليه الرحمة فى كتابه التبصرة عن ابن أبى نعيم قال جاء رجل الى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وأنا جالس فسأله عن دم البعوض فقال له ممن أنت فقال من أهل العراق قال انظروا الى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول هما ريحانتاى من الدنيا يعنى الحسن والحسين وفى حديث آخر صححه الترمذى الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وفى حديث آخر هذان ابناى فمن أحبهما فقد أحبنى وروى أيضا بسنده عن شهر بن حوشب عن أم سلمة زوج النبى رضى الله عنها قالت كان جبريل عند النبى عليه الصلاة والسلام وحسين معى فبكى فتركته فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذته فلما أخذته بكى فأرسلته فذهب اليه فقال له جبريل أتحبه يا محمد فقال نعم فقال ان أمتك ستقتله فان شئت أريتك تربة أرضه التى يقتل بها فبسط جناحه الى الارض التى يقتل بها يقال لها كربلاء وأخذه بجناحه فأراه اياه قال حماد ان الحسين رضى الله تعالى عنه لما نزل كربلاء شم الارض وسألهم عن اسمها فقالوا كربلاء فقال كرب وبلاء فقتل بها وروى عبد الله بن نجى عن أبيه انه سار مع على كرم الله تعالى وجهه وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق الى صفين نادى على اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشاطئ الفرات تقتل قلت وماذا قال دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان قلت يا نبى الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان قال قام من عندى جبريل قبل فحدثنى ان الحسين يقتل بشاطئ الفرات وقال لى هل لك أن أشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينى أن فاضتا وروى عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبع فيها شيأ قلت يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم قال عمار فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم قال ابن الجوزى عليه الرحمة أخبرنا على بن عبيد الله حدثنا على بن أحمد البسرى حدثنا أبو عبد الله ابن بطة حدثنا أبو حامد محمد بن هرون الحضرمى حدثنا هلال بن بشر حدثنا عبد الملك بن موسى عن هلال بن ذكوان قال لما قتل الحسين رضى الله عنه مطرنا مطرا بقى أثره فى ثيابنا مثل الدم (قلت) لما كان الغضبان يحمر وجهه فيبين بالحمرة أثر غضبه والحق سبحانه ليس بجسم أظهر أثر غضبه بحمرة الافق حين قتل الحسين رضى الله عنه وبالاسناد قال ابن بطة وحدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد ابن سيرين قال لم تر هذه الحمرة فى السماء حتى قتل الحسين قال ابن بطة وحدثنا أبو ذر الباغندى حدثنا حماد بن الحسن الوراق قال سمعت على بن أخى شعيب بن حرب يقول ناحت الجن على الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما فقالت جنية جئن نساء الجن يبكين شجيات * ويلطمن خدودا كالدنانير نقيات * ويلبسن ثياب السواد بعد القصبيات

وفى حديث انه حفظ من قول الجن

مسح النبى جبينه * فله بريق فى الخدود
أبواه من عليا قريش جده خير الجدود

وقالت

أبكى قتيلا بكربلاء * مضرج الوجه بالدماء
أبكى قتيل الطغاة ظلما * بغير جرم سوى الوفاء
أبكى قتيلا بكى عليه * حزنا بنو الارض والسماء
هتك أهلوه واستحلوا * ما حرم الله فى الاماء
يا بأبى جسمه المعرى * الا من الدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء * وما لذا الرزء من عزاء

وروى ان صخرة وجدت قبل مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بثلثمائة سنة وعليها مكتوب باليونانية

أيرجو معشر قتلوا حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وويح قاتل الحسين كيف حاله مع أبيه وجده

لابد ان ترد القيامة فاطم * وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه * والصور فى نشر الخلائق ينفخ

اخوانى بالله عليكم من قبح على يوسف بأى وجه يرى يعقوب لما أسر العباس يوم بدر سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنينه فما نام فكيف لو سمع أنين الحسين لما أسلم وحشى قال له غيب وجهك عنى هذا والله والمسلم لا يؤاخذ بما كان فى الكفر فكيف يقدر الرسول أن يبصر من قتل الحسين اهـ

(الفصل الثالث) فى قتل النفس بغير حق وان ذلك من الكبائر والعياذ بالله تعالى قال الله عز وجل ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وقال سبحانه وتعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وقال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا وقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وبهذه الآية ونحوها من الاحاديث استدل من جوز لعن يزيد كالقاضى أبى الحسين وابن الجوزى والوالد عليه الرحمة ومن وافقهم ونسبوا ذلك الى الامام أحمد بن حنبل عليهم الرحمة فالقتل العمد فيه القصاص والعذاب والقتل الخطأ فيه الدية والكفارة كما هو مفصل فى الكتب الفقهية وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى بكرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يوم النحر بمكة دماؤكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض وروى عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء وروى ابن عمر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان يزال المرء فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما وعن ابن بريدة عن أبيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وكذلك من الكبائر أن يقتل الانسان نفسه والعياذ بالله تعالى أخرج الشيخان عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا أى يضرب بها نفسه (قلت) والنساء الحوامل اللواتى يشربن الدواء لاسقاط الجنين يلتحقن بما نحن فيه وكذا ساقيهن يلتحق بالمعين اذ الاعانة أيضا من الكبائر أخرج الاصبهانى وابن ماجه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وروى الطبرانى والبيهقى لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حيث لم يدفع عنه حتى أن ترويعه أيضا

من البكا، فقد أخرج البزار وابن حبان عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه ان رجلا أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام لاتروعوا المسلم فان روعة المسلم ظلم عظيم وأخرج الطبرانى من أخاف مؤمنا كان حقا على الله ان لايؤمنه من افزاع يوم القيامة وروى الطبرانى من نظر الى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله تعالى يوم القيامة وروى الشيخان لايشير أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لايدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار ومعنى ينزع يرمى ويفسد فاذا كان هذا حال من أخاف لمسلم وروعه أو أعان على قتله فكيف حال من قتل بضعة الرسول وقرة عين فاطمة البتول وسبى عساكره النساء والاطفال وقتلوا الآل الذين هم خير آل فلقد جمعوا فى ظلم الحسين مالم يجمعه أحد ومنعوه أن يرد الماء فيمن ورد أو أن يرحل عنهم الى غير بلد وسبوا أهله فقتلوا الولد وماهذا الاعن سوء معتقد نبع الماء من بين أصابع جده فماسقوه منه قطرة ومنعوه عن ورده كان الرسول من حب الحسين يقبل شفتيه ويحمله كثيرا على كتفيه ولماشى طفلا بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر نزل اليه فلو رآه ملقى على أحد جانبيه شديد العطش والماء حاضر لديه وأطفاله يضجون بالبكاء من جانبيه والسيوف تأخذه والاعداء حواليه والخيل قد وطأت صدره ومشت عليه ودماؤه تجرى بعد دموع عينيه لضج الرسول مستغيثا ويعز عليه

يارسول الله لو عاينتهم * وهم مابين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن * عاطش يسقى انابيب القنا
لرأت عيناك منهم منظرا * للحشا شجوا وللعين قذى
ليس هذا لرسول الله يا * أمة الطغيان والغى جزا
غارس لم يأل فى الغرس لهم * فأذاقوا آله مر الجنا
جزروا جزر الاضاحى نسله * ثم ساقوا أهله سوق الاما

فسبحان من رفع للحسين بقتله مكانا ودمغ من عاداه فعاد بعد العز مهانا ماضره حين الشهادة من أوسعه خذلانا ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا هلك أهل الزيغ والعناد وكأنهم ماملكوا البلاد وعاد عليهم ماعاد على عاد أين يزيد وأين ابن زياد كأنهما ما كانا الا كانا ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا تمتعوا أياما يسيرة ثم عادت أجنحة الملك كسيرة وبقيت سيرة الحسين أحسن سيرة ومن عزت عاقبته والسريرة فكأن لم يلق هوانا مزقوا والله كل ممزق وتفرقوا بالشتات أى متفرق وظنوا ارفوما جنوا فتخرق ان ناصر المظلوم لم يتوانى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا تعززوا على مثل الحسين وطالوا وظنوا بقاء الملك لهم بما احتالوا وكيل لهم من الذم أضعاف ما كالوا وعجل قلعهم من السلطنة فزالوا سلطانا سلطانا ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ويلهم لو دبروا أمرهم لرفعوا بطاعة الحسين قدرهم ملكوا أياما ثم بقى الخزى دهرهم اخوانى اشتغلوا اليوم بتسبيحكم ودعوا ذكرهم هوانا اللهم يامن الى سبل الاسلام هدانا وبيركة هذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الضلال حمانا هب لنا أدبا نسمعه ولاوامره اذعانا وارزقنا أمنا شاملا ومن النار أمانا انك على كل شئ قدير وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين وذريته الاكرمين وأصحابه أجمعين

المجلس المتمم الاربعين

(فى آية المباهلة وفضائل أهل بيته عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أصبحت له الوجوه ذليلة عانية وحذرته النفوس مجدة ومتوانية وعظ من قدم الدنيا الحقيرة الفانية وشوق الى جنة تطوفها دانية وخوف عطاش الهوى أن يسقوا من عين آنية أحمده على تقويم شانيه واستعيذه من شر شان وشانية وأصحح بتحقيق التوحيد ايمانيه وأصلى على رسوله محمد صلاة ممهدة لعز بانية صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر السابق فى الوفاق والانفاق والدار والغربة فى الغار أربع للفخر بانية وعلى

عمر مقيم السياسة على كل نفس جانية وعلى عثمان الذى اختاره الرسول بعد موت ابنته الثانية وعلى على المنزل فيه الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية وعلى سائر آله وأصحابه الذين نفوسهم من كل خير دانية وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) فنقول وبالله تعالى التوفيق قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى ذكر غير واحد أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا يعنون عيسى عليه السلام قال ما أقول قالوا تقول انه عبد الله قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فان كنت صادقا فارنا مثله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخرج البيهقى فى الدلائل أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان (١) باسم اله ابراهيم واسحق ويعقوب من محمد رسول الله الى اسقف نجران وأهل نجران ان أسلمتم فانى أحمد الله اليكم اله ابراهيم واسحق ويعقوب أما بعد فانى أدعوكم الى عبادة الله تعالى من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله تعالى من ولاية العباد فان أبيتم فالجزية فان أبيتم فقد آذنتم الحرب والسلام فلما قرأ الاسقف الكتاب فظع به وذعر ذعرا شديدا فبعث الى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة فدفع اليه كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأه فقال له الاسقف مارأيت فقال شرحبيل قد علمت ماوعد الله تعالى ابراهيم فى ذرية اسمعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا الرجل نبيا وليس لى فى النبوة رأى لو كان أمر من أمور الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك فبعث الاسقف الى واحد بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شرحبيل فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن قنص فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه وسألهم فلم تزل به وبهم المسئلة حتى قالوا ماتقول فى عيسى ابن مريم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماعندى فيه شئ يومى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لى فى عيسى صبح الغداة فأنزل الله تعالى هذه الآية ان مثل عيسى الى قوله سبحانه فنجعل لعنت الله على الكاذبين فأبوا أن يقروا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين فى خميلة له وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه انى أرى أمرا مقبلا ان كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعناه لايبقى على ظهر الارض منا شعر ولا ظفر الاهلك فقالا له مارأيك فقال رأيى أن أحكمه فانى أرى رجلا لايحكم شططا أبدا فقالا له أنت وذاك فتلقى شرحبيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى رأيت خيرا من ملاعنتك قال وماهو قال حكمك اليوم الى الليل وليلتك الى الصباح فما حكمت فينا فهو جائز فرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية وعن ابن عباس أن ثمانية من أساقفة أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم العاقب والسيد فأنزل الله تعالى قل تعالوا الآية فقالوا أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا الى بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وقالوا هو النبى الذى نجده فى التوراة فصالحوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب ودراهم وروى أنهم صالحوه على أن يعطوه فى كل عام ألفى حلة وثلاثا وثلاثين درعا وثلاثة وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا وأخرج فى الدلائل أيضا من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ان وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم السيد وهو الكبير والعاقب وهو الذى يكون بعده وصاحب رأيهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلما قالا أسلمنا قال ماأسلمتما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام ثلاث فيكما عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير وزعمكما أن لله ولدا ونزل ان مثل عيسى الآية فلما قرأها عليهم قالوا مانعرف ماتقول ونزل فمن

(١) قوله طس سليمان يعنى قبل أن ينزل عليه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم اه منه

حاجك الآية فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد أمرنى ان لم تقبلوا هذا ان أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض وتصادقوا فيما بينهم قال السيد للعاقب قد والله علمتم ان الرجل نبى مرسل ولئن لاعنتموه انه لاستئصالكم وما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم فان أنتم لن تتبعوه وأبيتم الا الف دينكم فوادعوه وارجعوا الى بلادكم وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ومعه علىّ والحسن والحسين وفاطمة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أنا دعوت فأمنوا أنتم فابوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية وعن الشعبى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد أتانى البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر لو تموا على الملاعنة وعن جابر والذى بعثنى بالحق لو فعلا لامطر الوادى عليهما نارا وروى ان اسقف نجران لما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا ومعه علىّ وفاطمة والحسنان رضى الله تعالى عنهم قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا وتهلكوا هذا وانما ضم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى النفس الابناء والنساء مع ان القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب وهو يختص به وبمن يباهله لان ذلك أتم فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه وأكمل نكاية بالعدو وأوفر اضرارا به لو تمت المباهلة وفى هذه القصة أوضح دليل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم والا لما امتنعوا من مباهلته ودلالتها على فضل آل الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يمترى فيها مؤمن انتهى ولنذكر تفسير هذه الآيات ثم نرجع ان شاء الله تعالى الى ذكر مناقب أهل البيت الطاهرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قال تعالى (ان مثل عيسى) أى صفته العجيبة وشانه الغريب (عند الله) أى فى تقديره وحكمه (كمثل آدم) أى فى صفته وحاله العجيبة فى الخلق والانشاء وتشبيه عيسى بآدم عليهما السلام فى كونه مخلوقا بغير أب كآدم (خلقه من تراب) أى ان آدم عليه السلام لم يكن له أب ولا أم بل خلق الله قالبه من هذا الجنس وبقى ملقى على باب الجنة أربعين سنة لم تنفخ فيه الروح (ثم قال له كن) بشرا أى أنشأه خلقا بالكلمة (فيكون) أى فكان بشرا وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة ففى هذه الآية دفع لانكار من أنكر خلق عيسى من غير أب مع اعترافه بان آدم خلق من غير أب وأم وهو أغرب وحكى ان بعض العلماء أسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر وأحيى حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سليما وقوله تعالى (الحق من ربك) أى جاءك الحق أو هو الحق يعنى الذى أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم (فلا تكن من الممترين) الخطاب اما لكل من يصلح له من الناس أى لا يكن أحد منكم ممتريا أى شاكا أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون النهى له لزيادة التثبيت وهو نور على نور (فمن حاجك) أى جادلك من وفد نصارى نجران (فيه) أى فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) أى الآيات البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أى اقبلوا بالرأى والعزيمة (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه للمباهلة (ثم نبتهل) أى نتضرع الى الله تعالى وأصل الابتهال الاجتهاد فى الدعاء باللعن وغيره يقال بهله أى لعنه (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم بأن نقول اللهم العن الكاذب فى شأن عيسى عليه السلام أى الذى يقول انه ابن الله أو يقول انه اله أو يقول بالاقانيم الثلاثة وفى الآية دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها فى التوراة والانجيل وفى هذه الآية أيضا برهان واضح على فضل أصحاب الكساء وبضعة سيد الانبياء وعترة الزهراء سيدة النساء ولنعطر مجلسنا بما ورد فيهم من الآيات الكريمة والاحاديث العظيمة قال ابن حجر عليه الرحمة فى كتابه الصواعق قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الرجس الاثم والذنب وقيل الشك وقيل السوء وقيل عمل الشيطان قال أكثر المفسرين انها نزلت فى علىّ وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم وقال غير واحد من المفسرين انها نزلت فى نساء النبى عليه الصلاة والسلام لقوله

تعالى بعدها واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا وقوله تعالى قبلها وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ونسب هذا القول لابن عباس وذهب الثعلبى الى أن المراد فى الآية جميع بنى هاشم وقيل هم من تحرم عليه الصدقة وقد روى فى التفسير الاول أحاديث فقد أخرج الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى انها نزلت فى خمسة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأخرج الترمذى وابن المنذر والبيهقى عن أم سلمة قالت فى بيتى نزلت انما يريد الله الآية وفى البيت فاطمة وعلىّ والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى رواية ان أم سلمة قالت له ألست من أهلك قال بلى وفى رواية أنها قالت وأنا معهم قال انك على خير وفى رواية انه قال بعد تطهيرا أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم وفى رواية ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وفى أخرى والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى قرابتى فاقامهم عليه الصلاة والسلام مقام نفسه ومن ثمة صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى ولما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويروى لا تصلوا علىّ الصلاة البتراء قالوا وما الصلاة البتراء قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ولذا روى عن الشافعى انه قال بوجوب الصلاة على الآل فى التشهد الاخير وروى له قوله

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم * من لا يصلى عليكم لا صلاة له

وقال سبحانه وتعالى سلام على آل يسين فقد نقل عن ابن عباس ان المراد بذلك سلام على آل محمد وقال تعالى وقفوهم انهم مسؤلون فقد روى الواحدى أى عن ولاية علىّ وأهل البيت وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فقد أخرج الثعلبى عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه انه قال نحن حبل الله الذى قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ونقل القرطبى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال فى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى رضى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج الطبرانى والدارقطنى أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى ثم الاقرب فالاقرب من قريش ثم الانصار ثم من آمن بى واتبعنى ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الاعاجم ومن أشفع له أولا أفضل وعند البزار والطبرانى وغيرهما أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف ويجمع بينهما على ما قال ابن حجر بأن ذلك فيه ترتيب من حيث القبائل وهذا فيه ترتيب من حيث البلدان وأخرج الغسانى ان ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث (١) وانما سميت فاطمة لان الله فطمها وذريتها وفى رواية ومحبيها من النار وأخرج الطبرانى عن زين العابدين السجاد رضى الله تعالى عنه انه لما جىء به أسيرا عقب مقتل أبيه الحسين رضى الله تعالى عنه الى دمشق الشام قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له ما قرأت قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال وأنتم هم قال نعم (أقول) وفى هذه الآية ثلاثة أقوال أحدها ان قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا أى قل يا محمد لقريش أو لجميع العرب لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا ولا نفعا الا مودتكم أى ان تودونى لقرابتى منكم وتحفظونى بها ثانيها ان القربى آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثالثها انها منسوخة وهو قول مردود وأخرج الديلمى مرفوعا من أراد التوسل الى وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل

(١) قوله ولم تطمث الطمث الحيض والمس والدنس وطمثت حاضت اه منه

بيتى ويدخل السرور عليهم وورد عن عمر رضى الله عنه انه قال للزبير انطلق بنا نزور الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فتبطأ عليه فقال أما علمت ان عيادة بنى هاشم فريضة وزيارتهم نافلة وأخرج الخطيب مرفوعا يقوم الرجل للرجل الا بنى هاشم فانهم لا يقومون لأحد وأخرج الديلمى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن ولذا كان بغض أهل البيت من الكبائر فقد روى الطبرانى والبيهقى بألفاظ متقاربة أن بنت أبى لهب قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغن عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشتد غضبه ثم قال على منبره ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وأخرج الامام أحمد مرفوعا من أبغض أهل بيتى فهو منافق وفى رواية والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله تعالى النار انتهى ولنذكر ما ذكره العلامة ناصر السنة ابن الجوزى فى شان على كرم الله تعالى وجهه اذ هو مقدمة أهل البيت رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال اعلم أن عليا رضى الله تعالى عنه لا يزاحم فى قرب النسب وقد أقر الكل بعلمه وفضله و بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن سبع سنين فتبعه ولم يزل معه يكشف الكروب عن وجهه وصعد على منكب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرمى صنما كما روى أبو مريم رضى الله عنه قال انطلقت أنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتينا الكعبة فقال اجلس وصعد على منكبى فذهبت لانهض به فرأى منى ضعفا فنزل وجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اصعد على منكبى فصعدت على منكبيه قال فنهض بى قال وانه يخيل لى أنى لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله و بين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس و روى الترمذى فى صحيحه بسنده عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال لما آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين صحابته رضى الله تعالى عنهم جاء على وعيناه تدمعان فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى و بين أحد فسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أنت أخى فى الدنيا والآخرة قال الوالد وهذه من غرر فضائل الامير كرم الله تعالى وجهه لم يشاركه فيها أحد وقد أكدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صح من قوله أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى وعلى ذلك قول العمرى عليه الرحمة

آخاك من عز قدرا أن يكون له * أخ سواك اذا داعى الاخاء دعا

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم فتح خيبر لاعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين على بن أبى طالب فقيل هو يشتكى عينيه ودعا له فبرئ (١) كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم وكان الخلق يحتاجون الى علم على رضى الله تعالى عنه حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه آه من معضلة ليس فيها أبو الحسن فلما ولى الخلافة لم يتغير عن الزهد فى الدنيا وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول ان عليا ما زانته الخلافة بل هو زانها

ما زانه الملك اذ حواه * بل كل شئ به يزان

جرى ففاق الملوك سبقا * فليس قدامه عنان

وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى و يطعمون الطعام على حبه الآيات فى سورة هل أتى انها

---

(١) ولله در البوصيرى حيث يقول وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء اه منه

نزلت فى على بن أبى طالب آجر نفسه يسقى نخلا بشئ من شعير ليلة حتى أصبح فلما قبض الشعير طحنوا ثلثه وأصلحوا منه ما يأكلون فلما استوى رأى مسكينا فاخرجه اليه ثم عملوا الثلث الثانى فلما تم أتى يتيم فاطعموه ثم عملوا الباقى فلما تم أتى اسير من المشركين فاطعموه وطووا أى باتوا جياعا فنزلت هذه الآية و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا ولله در القائل

إلام الام وحتى متى * أعنف فى حب هذا الفتى

فهل زوجت فاطم غيره * وفى غيره هل أتى هل أتى

وكذا القائل

أهوى عليا وايمانى محبته * كم مشرك دمه من سيفه وكفا

ان كنت ويحك لم تسمع مناقبه * فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

وروى الكلبى عن أبى صالح قال قال معاوية رضى الله تعالى عنه لضرار بن ضمرة صف لى عليا فقال أو تعفينى قال بل تصفه قال أو تعفينى قال لا أعفيك قال أما اذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يتوحش من الدنيا وزهرتها و يستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه و يخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب ١ كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه و يبتدئنا اذا أتيناه و يأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نبتديه لعظمته يعظم أهل الدين و يحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد بالله لرأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ٢ و يبكى بكاء الحزين وكأنى أسمعه وهو يقول يا دنيا ألى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى قد بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد و بعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت عيون معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء فقال معاوية رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حسرتها اه بزيادة وذكر الوالد عليه الرحمة فى شرحه لعينية الفاروقى المبرور عبد الباقى لقوله

أنت العلى الذى فوق العلا رفعا * ببطن مكة وسط البيت اذ وضعا

وفى كون الأمير كرم الله تعالى وجهه ولد فى البيت أمر مشهور فعن على بن الحسين قال كنا عند الحسين فى بعض الأيام واذا بنسوة مجتمعات فاقبلت امرأة منهن علينا فقلت لها من أنت فقالت زبيدة بنت العجلان من بنى ساعدة فقلت هل عندك شئ تحدثينا به قالت اى والله حدثتنى بنت أم عمارة بنت عبادة بن نضلة انها كانت ذات يوم فى نساء العرب اذ أقبل أبو طالب كئيبا حزينا فقلت له ما شأنك قال ان فاطمة بنت أسد فى شدة من الطلق ثم انه أخذ بيدها وجاء بها الى الكعبة فدخل بها فاجلسها فطلقت طلقة واحدة فولدت عليا كرم الله وجهه غلاما نظيفا لم أر أحسن منه وجها وسماه عليا وأنشده

سميته بعلى كى يدوم له * من العلو وفخر العز أدومه

وجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحمله الى منزل أمه ذكر ذلك فى الفصول المهمة وقد توفى رضى الله تعالى عنه سنة أربعين من الهجرة قال محمد بن عبدون فى قصيدته

وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن * وأمكنت من حسين راحتى شمر

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

قال الشارح أشقاها هو عبد الرحمن بن ملجم وسماه بذلك لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا على أشقاها الذى يخضب هذه من هذه وأشار الى لحية على و رأسه وكان سبب قتله لعلى كرم الله تعالى وجهه على ما ذكر أن الخوارج

---

١ قوله جشب أى غلظ أو بلا أدم اه منه ٢ السليم اللديغ اه منه

قالت ان عليا ومعاويه قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الامر الى خفة فقال رجل والله ما عمرو بدونهما وانه لأصل هذا الفساد فقال ابن ملجم انا أقتل عليا وقال الحجاج بن عبد الله أنا أقتل معاوية وقال رادويه أنا أقتل عمرو بن العاص فاجمعوا رأيهم على أن يكون قتلهم لهم ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان وخرج كل واحد منهم الى ناحية صاحبه وخرج ابن ملجم تلك الليلة ووقف على باب المسجد فى الكوفة وكان على يدخل مغلسا فيوقظ الناس للصلاة فلما أراد الدخول ضربه ابن ملجم على وسط رأسه وأخذ ابن ملجم عليه اللعنة ثم مات رضى الله تعالى عنه فى اليوم الثالث ثم قتل الحسن رضى الله تعالى عنه ابن ملجم قبل بعد أن قطعت يداه ورجلاه ولسانه وكان عمر على رضى الله تعالى عنه ثلاثا وستين سنة وقد اختلف فى محل دفنه فمنهم من قال انه دفن بمسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة وقبره عند قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها وقيل غير ذلك والمشهور أنه فى النجف وحكى أبو بكر بن الاصبغ قال قدم علينا شيخ كبير شديد البياض يشبه بياضه بياض البرص يقال له ابن الماء وكان غريبا فذكر انه كان نصرانيا سنين وانه كان يتعبد فى صومعته فبينا هو ذات يوم فى صومعته اذ جاء طائر كالنسر أو كالكركى فوقف عند الصومعة فتقيأ بضع لحم ثم نقرها فالتأمت رجلا ثم نقره فعاد بضعا ثم ابتلعها فطار فجاء فى اليوم الثانى فنعل مثل ذلك ثم فى اليوم الثالث فلما التأمت رجلا قلت سألتك بالله من انت قال انا عبد الرحمن بن ملجم قاتل على رضى الله تعالى عنه قد وكل الله بى هذا الطائر يفعل بى ما تراه الى يوم القيامة فسبحان من كسا اهل البيت نورا وجعل عليهم خندقا يقى الرجس وستورا فاذا تلقوا يوم القيامة تلقوا حبورا (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) ادخرنا لكم نعيما مقيما ومنحناكم فضلا جزيلا عميما وجزينا من كان للفقراء رحيما أوليس أطعمتم مسكينا ويتيما ورحمتم مأسورا وكان سعيكم مشكورا من مثل على من مثل فاطمة كم صبرا على أمواج بلايا متلاطمة وآثروا الفقراء ونار الجوع حاطمه فلهم نضارة الوجوه والاهوال للوجوه خاطمة يا سرعة ما انقلب حزنهم سرورا وكان سعيهم مشكورا كانت فاطمة بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الناس اليه وكان على رضى الله عنه أعز الخلق عليه وجعل الله ريحانتيه من الدنيا ولديه فاذا أحضرهم الحق غدا عنده ولديه أكرمهم اكراما عظيما وفورا وكان سعيهم مشكورا والعجب ذكر فى هذه الآيات نعيم الجنات من الملبوس والمشروب والمطعومات والارائك والقصور والعيون الجاريات ولم يذكر النساء وهن غاية اللذات احتراما لفاطمة أشرف البنات ومن يصف الزهراء لايذكر حورا انه هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اللهم خلقتنا مسلمين فسلمنا من عذابك وجعلتنا مؤمنين فآمنا من عقابك اللهم اجعلنا فى حزب آل نبيك ووفقنا على كمال حب حبيبك وخليلك اللهم ان نظرنا الى فضلك فالعجب ممن هلك كيف هلك وان نظرنا الى عدلك فالعجب ممن نجا كيف نجا اللهم ان حاسبتنا بفضلك نلنا رضوانك وان حاسبتنا بعدلك لم ننل غفرانك اللهم ان كنا قد عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنا ربا يغفر الذنوب ولا يبالى اللهم أنت العالم بالحال من قبل الشكوى وأنت قادر على تحقيق الآمال وكشف البلوى اللهم أنت ملاذنا اذا ضاقت الحيل وملجؤنا اذا انقطع الامل بذكرك نفتخر والى جودك نفتقر

بذكرك يا مولى الورى نتنعم * وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقينا أن علمك واسع * فانت ترى ما فى القلوب وتعلم
الهى تحملنا ذنوبا عظيمة * أسأنا وقصرنا وجودك أعظم
سترنا معاصينا عن الخلق غفلة * وأنت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك ما فينا مسىء يسره * صدودك عنه بل يخاف ويندم
الهى فجد واصفح وأصلح قلوبنا * فانت الذى تولى الجميل وتكرم
ألست الذى قربت قوما فوافقوا * ووفقتهم حتى أنابوا وأسلموا
لهم فى الدجا أنس بذكرك دائما * فهم فى الليالى ساجدون وقوم

لك

لك الحمد عاملنا بما أنت أهله * وسامح وسلمنا فانت المسلم

المجلس الحادى والاربعون

(فى حديث لا عدوى ولا صفر وفى الايام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لقدرته يخضع من يعبد ولهيبته ولعظمته يخشع من يركع ويسجد ولطيب مناجاته يسهر العابد ولا يرقد ولطلب ثوابه يقوم المصلى ويقعد يجل كلامه عن ان يقال مخلوق ويعد فذو التسليم لصفاته مستقيم من شبه أو عطل لم يرشد ما جاء فى القرآن قبلنا أو فى السنة لم نردد أليس هذا اعتقادكم يا أهل الخير وكيف لا أنتقد العقائد خوفا من الضير فان سليمان تنقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أحمده حمد من يرشد بالوقوف ولا يشرد وأصلى على رسوله محمد الذى قيل لحامده فليمدد صلى الله تعالى عليه وعلى الصديق الذى فى قلوب محبيه فرحات وفى صدور مبغضيه ترحات لا تنفد وعلى عمر الذى لم يزل يقوى الاسلام ويعضد وعلى عثمان الذى جاءته الشهادة فلم يردد وعلى على الذى ينسف زرع الكفر بسيفه ويحصد وعلى سائر آله وأصحابه صلاة دائمة مستمرة لقائلها تعضد وسلم تسليما (أما بعد) فقد روى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا عدوى ولا هامة ولا صفر فقال أعرابى يا رسول الله فما بال الابل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الاجرب فيجربها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن أعدى الاول (فاقول) وبالله تعالى التوفيق قد ورد هذا الحديث بروايات متعددة ففى المشارق للصغانى رامزا للبخارى عن أبى هريرة لا طيرة وخيرها الفأل ورامزا للبخارى ومسلم عن جابر لا عدوى ولا طيرة ولا غول وفى الجامع الصغير للسيوطى رامزا المسند الامام أحمد ولمسلم عن جابر بن عبد الله لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول اه وفى كتاب الآثار للطحاوى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال العيافة والطيرة والطرق من الجبت أى الشرك قال العلماء رحمهم الله تعالى أما العدوى بفتح العين اسم من الاعداء وهو مجاوزة العلة من صاحبها الى غيره فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه الى من يقاربه من الاصحاء فيمرض بذلك وكانت العرب تعتقد العدوى فى امراض كثيرة منها الجرب ولذلك سأل الأعرابى عن الابل الصحيحة يخالطها البعير الاجرب فتجرب فقال النبى عليه الصلاة والسلام فمن اعدى الاول أى ان الاول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله تعالى وقدره فكذلك الثانى وما بعده قال الشيخ أحمد الحنبلى الحموى فى كتابه عقد الدرر وقد وردت أحاديث أشكل على كثير من الناس بعضها حتى ظن بعضهم انها ناسخة لقوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يورد ممرض على مصح والممرض صاحب الابل المريضة والمصح صاحب الابل الصحيحة والمراد النهى عن ايراد الابل المريضة على الصحيحة ومثله قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الاسد وقوله عليه الصلاة والسلام فى الطاعون اذا سمعتم به بارض فلا تدخلوها ودخول النسخ فى هذا لا معنى له فان قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى خبر وهو لا يمكن أن يكون ناسخا للنهى فى هذه الاحاديث الثلاثة وما فى معناها فالصحيح الذى عليه الجمهور من العلماء انه لا نسخ فى ذلك واختلفوا فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى على أقوال وأظهرها انها نفى لما يعتقده أهل الجاهلية من ان هذه الامراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد بقدر الله عز وجل لذلك ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فمن اعدى الاول قلت من الامراض المعدية كما قيل الجرب والحصبة والبرص والوباء وغيرها مما هو مذكور فى علم الطب وأما نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايراد الممرض على المصح وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول الى موضع الطاعون فانه من باب اجتناب الاسباب التى هى سبب البلاء اذا كان فى عافية منها فكما أنه مأمور ان لا يلقى نفسه فى الماء أو فى النار أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت به العادة انه مهلك فكذلك اجتناب مقاربة المجذوم والقدوم على بلد فيه الطاعون فان هذه

كلها أسباب المرض والتلف والله تعالى هو خالق الاسباب ومسبباتها الاخالق ولا مقدر غيره وقد روى أبو داود انه عليه الصلاة والسلام مر بحائط مائل فاسرع وقال أخاف موت الفوات فان قلت روى جابر ان النبى عليه الصلاة والسلام أكل مع مجذوم فاوجهه قلنا حال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى من حال الامم فجاز أن لا يخاف عليه مما يخاف على غيره من العلل المعدية وقد روى أبو داود والترمذى انه لما أكل قال بسم الله ثقة وتوكلا على الله مع ان الانبياء معصومون من مثل هذه الامراض المنفرة قالوا ونظير ذلك ماروى عن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه من شرب السم فهذا لا يصلح الا للخواص الكامل توكلهم ومن هذا قول ابراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار فعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء اسم ما يتشاءم كذا فى الصحاح وفى النهاية انه مصدر تطير كما يقال تخير خيرة وقال المناوى هى التناؤل بالطير وكانوا يتفاءلون باسمائها وأصواتها قال ابن ملك فى شرح المشارق كان أهل الجاهلية اذا قصدوا الى حاجة وأتى من الجانب الايسر طير أو غيره يتشاءم به فيرجع القاصد فابطلها النبى عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث المتقدم وقال وخيرها أى خير الطيرة الفأل بسكون الهمزة ور بما يخففها فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالكلمة الصالحة المسموعة على قصد التفاؤل كسماع مريض ياسالم ولهذا جاء فى الخبر انه عليه الصلاة والسلام كان يتفاءل ولا يتطير وكان يحب اذا خرج لحاجة ان يسمع يا راشد قال أبو جعفر الطحاوى فان قيل قد روى ابن عمر أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال انما الشؤم فى ثلاثة فى المرأة والفرس والدار فالجواب أن جماعة رووا أنه قال ان كانت الطيرة فى شئ ففى المرأة والدار والفرس أى لو كانت تكون فى شئ لكانت فى هؤلاء فاذا لم تكن فى هؤلاء فليست فى شئ وقالت عائشة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك اه (فائدة) فى مراسيل أبى داود أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس عبد لا يدخل قلبه الطيرة فاذا أحس بذلك فليقل أنا عبد الله ماشاء الله لا قوة الا بالله لا ياتى بالحسنات الا الله ولا يذهب السيآت الا الله أشهد ان الله على كل شئ قدير ثم يمضى لوجهه وقال النخعى هذا أن من تطير تطيرا منهيا عنه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريده من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه فاما من توكل على الله عز وجل ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات الى هذه الاسباب المخوفة وقال ما أمر به من هذه الكلمات ومضى فانه لا يضره وأما قوله عليه الصلاة والسلام ولا هامة بتخفيف الميم على الصحيح وحكى أبو زيد تشديدها وهى على زعم العرب الجاهلية دابة تخرج من رأس القتيل أو تتولد من دمه فلا تزال تصيح حتى يؤخذ بثاره وقال المناوى الهامة طائر كبير يضعف بصره بالنهار و يطير بالليل و يصوت فيه و يقال له بوم والناس يتشاءمون بصوته ومن زعمات العرب ان روح القتيل الذى لا يدرك ثاره تصير هامة وتقول اسقونى فاذا أدرك ثاره طارت فاكذبهم الشارع عليه الصلاة والسلام وأما قوله عليه الصلاة والسلام ولا غول قال المناوى هو بالفتح مصدر معناه البعد والهلاك و بالضم الاسم وهو من السعالى وجمعه أغوال وغيلان يحتمل ان يراد به نفيه رأسا وان المراد نفيه على الوجه الذى يزعمونه فانهم يقولون هو ضرب من الجن تتغول أى تتلون لمن يمشى وحده فى فلاة أو فى الليلة الليلاء وتمشى قدامه فيظن الماشى خلفه انه انسان فيتبعه فيقع فى الهلاك اه قال فى شرح المشارق فان قيل ما معنى النفى وقد قال عليه الصلاة والسلام اذا تغولت الغيلان فعليكم بالاذان أجيب بانه كان ذلك فى الابتداء ثم رفعه الله تعالى عن عباده أو يقال ان المنفى ليس وجود الغول بل المنفى تصرفه فى نفسه بزعم الجاهلية وقوله عليه الصلاة والسلام ولا صفر بفتح الصاد والفاء فقد اختلف فى تفسيره فقال كثير من المتقدمين انه دابة فى البطن يقال انها دود كبار كالحيات وكانوا يعتقدون انه يعدى فنفى النبى عليه الصلاة والسلام ذلك ونسبه فى عقد الدرر الى الامام أحمد وابن عيينة وغيرهما وقالت طائفة المراد به شهر صفر ثم اختلفوا على قولين أحدهما وهو المروى عن مالك ان المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسيء كما حكى ذلك عنهم سبحانه وتعالى بقوله انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما و يحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله الآية والنسيء لغة التأخير والمراد هنا تأخير شهر الى شهر آخر فقد كانت العرب تعتقد تعظيم الاشهر الحرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم

وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه السلام وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على التوالى وكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر و يستحلون المحرم والقول الثانى وهو الذى حكاه داود عن محمد بن راشد المكحولى ان أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر و يقولون انه مشؤم فابطل النبى عليه الصلاة والسلام ذلك (تتمة) فلنذكر أشياء مما يتشاءم منها الناس أو يلحقهم منها مكروه فمن ذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال فى النكاح فيه خاصة وقد قيل ان طاعونا وقع فى شوال فى سنة من السنين فمات فيه كثير من الخلق العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية وقد ورد الشرع بابطاله قالت عائشة رضى الله تعالى عنها تزوجنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى شوال و بنى فى شوال فاى نسائه كانت أحظى عنده منى وكانت عائشة رضى الله تعالى عنها تحب ان تدخل نساءها فى شوال وتزوج النبى عليه الصلاة والسلام أم سلمة رضى الله تعالى عنها أيضا فى شوال ومن ذلك تشاؤم الناس فى أيام العجائز و يقال لها العجوز فى آخر الشتاء وترك الاسفار ونحوها فيها وكذلك عند نزول القمر العقرب وقد أخرج الخطيب فى التاريخ عن على كرم الله تعالى وجهه كره ان يتزوج الرجل أو يسافر فى المحاق أو اذا نزل القمر العقرب قال والمحاق اذا بقى من الشهر يوم أو يومان وكذلك السفر يوم الاحد وفى الاثر نعوذ بالله من يوم الاحد فان له حدا أحد من السيف قاله المناوى وفيه ما سيأتى ومن ذلك التشاؤم بيوم الاربعاء قال الوالد عليه الرحمة عند تفسير قوله تعالى انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ما ملخصه الصرصر الريح الباردة وقيل شديدة الصوت وفى يوم نحس أى مشؤم عليهم مستمر ذلك الشؤم لانهم بعد ان أهلكوا لم يزالوا معذبين فى البرزخ حتى يدخلوا جهنم والمشهور انه يوم الاربعاء وقرأ الحسن يوم نحس بتنوين يوم وكسر حاء نحس وجعله صفة ليوم فيتعين كون مستمر صفة ثانية له وأيد بعضهم الآية بما أخرجه وكيع وابن مردويه والخطيب البغدادى عن ابن عباس مرفوعا آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر قال السخاوى طرقه واهية وضعفوا أيضا خبر الطبرانى يوم الاربعاء يوم نحس مستمر وفى الفردوس عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا لولا ان تكره أمتى لامرتها ان لا يسافروا يوم الاربعاء وأحب الايام الى الشخوص فيها يوم الخميس قال الوالد وهو غير معلوم الصحة عندى وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس يوم السبت يوم مكر وخديعة و يوم الاحد يوم غرس و بناء و يوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق و يوم الثلاثاء يوم حديد و باس و يوم الاربعاء لا أخذ ولا عطاء و يوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان والجمعة يوم خطبة ونكاح وتعقبه السخاوى بان سنده ضعيف وروى ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وفى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار فى يوم الاربعاء وانه يورث البرص وكثير من الناس تطير من آخر أربعاء وتركوا السعى لمصالحهم فيه و يقولون له أربعاء لا تدور وعليه قول الشاعر

لقاؤك للمبكر فال سوء * ووجهك أربعاء لا تدور

وكره بعضهم عيادة المرضى فيه وعليه قيل

لم يؤت فى الاربعاء مريض * الا دفناه فى الخميس

وقال العلامة ابن عابدين فائدة يتشاءم الناس فى زماننا من العيادة فى يوم الاربعاء فينبغى تركها اذا كان يحصل للمريض بذلك ضرر وعلى نحوسته حمل بعضهم بيت البوصيرى

لو اريد وافى حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء

وكانت الجاهلية تقول انه يوم عطارد وهو نحس مع النحوس وسعد مع السعود وهو قول باطل للمنجمين وجاء فى بعض الاخبار ما يشعر بمدحه ففى شعب البيهقى ان الدعاء يستجاب يوم الاربعاء بعد الزوال وعن صاحب الهداية انه ما بدئ شئ يوم الاربعاء الا وتم وهو يوم خلق الله تعالى فيه النور وروى الديلمى عن جابر مرفوعا من غرس الاشجار يوم الاربعاء وقال سبحان الباعث الوارث آتته أكلها وحكى عن بعض العلماء ان التطير مكروه كراهية شرعية الا ان الشرع أباح لمن أصابه فى آخر أربعاء شئ فى مصالحه ان يدع التصرف فيه لا على جهة التطير واعتقاد انه يضر أو

ينفع بغير اذن الله تعالى بل على جهة اعتقاد اباحة الامساك فيه لما كرهته النفس لا اقتفاء للتطير ولكن اتباعا للرخصة فى التوقى فيه لمن يشاء مع وجوب اعتقاد أن شيأ لا يضر شيأ ونقل عن الحليمى انه قال علمنا ببيان الشريعة ان من الايام نحسا ويقابل النحس السعد واذا ثبت الاول ثبت الثانى أيضا فالايام منها نحس ومنها سعد كالاشخاص منهم شقى ومنهم سعيد لكن زعم ان الايام والكواكب تنحس أو تسعد باختيارها أوقاتا أو اشخاصا باطل والقول ان الكواكب قد تكون أسبابا للحسن والقبيح والخير والشر والكل فعل الله تعالى وحده مما لا بأس به ثم قال المناوى والحاصل ان توقى الاربعاء على جهة الطيرة وظن اعتقاد المنجمين حرام شديد التحريم اذ الايام كلها لله تعالى لا تنفع ولا تضر بذاتها وبدون ذلك لا ضير ولا محذور فيه ومن تطير حاقت به نحوسته ومن أيقن انه لا يضر ولا ينفع الا الله عز وجل لم يؤثر فيه شئ من ذلك كما قيل

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

وأقول كل الايام سواء ولا اختصاص لذلك بيوم الاربعاء ومامن ساعة من الساعات الا وهى سعد على شخص نحس على آخر باعتبار ما يحدث الله تعالى فيها من الملائم والمنافر والخير والشر فكل يوم من الايام يتصف بالامرين لاختلاف الاعتبار وان استنحس يوم الاربعاء لوقوع حادث فيه فليستنحس كل يوم فاولج الليل والنهار والنهار فى الليل الا ايلاد الحوادث وقد قيل

الا انما الايام ابناء واحد * وهذى الليالى كلها اخوات

وتفصيل هذا البحث فى روح المعانى والشرح الكبير للجامع الصغير للمناوى من أراده فليرجع اليهما (خاتمة) فى فوائد مهمة تتعلق بما نحن فيه منها اصابة العين قال الطوفى البغدادى وغيره عند تفسير قوله تعالى يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قد خشى يعقوب عليه السلام على أولاده من العين لانهم كانوا ذوى زى حسن فخاف عليهم وهى الحاجة التى كانت فى نفسه فقضاها وقد أثنى الله عز وجل عليه بذلك فقال وانه لذو علم الآية ووافق ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم العين حق فاتفق على ذلك شرعنا وشرع من قبلنا فقد أكد حكمها وفى كيفية الاصابة بالعين خلاف فقيل هو سم ينفصل عن العين الخبث فى النفس يتصل بالشئ مع الشعاع البصرى فغيره وقيل وهم قوة نفس ينفعل له الاجسام العنصرية كانفعال الحديد بالمغناطيس والعاشق للمعشوق والنجوم لما تؤثر فيه على رأى أهلها وقيل هو تغيير يحدثه الله عز وجل مقارنا للرؤية بالرائى تنبيها له على ان الدار دار تغير وزوال ولا يغتر بما هى عليه من حسن الحال تزهيدا له فيها وترغيبا عنها وقيل غير ذلك وقال الوالد عليه الرحمة فى روح المعانى فى تفسير قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين المعنى انهم من شدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أو يكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله وقرأ ابن عباس والاعمش ليزهقونك بالهاء أى ليهلكونك أو انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى أسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وقال الكلبى كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا ياكل ثم يرفع جانب خبائه فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فتسقط طائفة منها وتهلك فاقترح الكفار منه أن يصيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجابهم وأنشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا * واخال أنك سيد معيون

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وأنزل عليه هذه الآية وقد قيل ان قراءتها تدفع ضرر العين وروى ذلك عن الحسن وفى كتاب الاحكام انها أصل فى ان العين حق والاولى الاستدلال على ذلك بما ورد وصح من عدة طرق ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وبما أخرجه الامام أحمد بسند رجاله كما قال الهيتمى ثقات عن أبى ذر مرفوعا ان العين لتولع بالرجل باذن الله تعالى حتى يصعد حالقا ثم يتردى منه الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة وذلك من خصائص بعض النفوس ولله تعالى ان يخص ما شاء منها بما شاء واضافته الى العين باعتبار ان النفس تؤثر

بواسطتها غالبا وقد يكون التأثير بلا واسطتها بان يوصف للعائن شئ فتتوجه اليه نفسه فتفسده ومن قال ان الله تعالى أجرى العادة بخلق ما يشاء عند مقابلة عين العائن من غير تأثير أصلا فقد سد على نفسه باب العلل والتأثيرات والاسباب والمسببات وخالف جميع العقلاء قاله العلامة ابن القيم وقال بعض أصحاب الطبائع انه ينبعث من العين قوة سمية تؤثر فيما انظره كما فصل فى شرح مسلم وهذا لا يتم عندى فيما لم يره ولا فى نحو ما تضمنه حديث أبى ذر المتقدم آنفا ولا فى اصابة الانسان عين نفسه كما حكاه المناوى فانه لا يقبل الفصل سمه ومن ذلك ما حكاه الغسانى قال نظر سليمان بن عبد الملك فى المرآة فاعجبته نفسه فقال كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وعثمان حييا ومعاوية حليما ويزيد صبورا وعبد الملك سايسا والوليد جبارا وانا الملك الشاب وأنا الملك الشاب فدار عليه الشهر حتى مات ومثل ذلك مما قيل انه من باب التأثير فى القوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية عند الطبائعيين المحدثين فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من فرقه الى قدمه فيصرعه كالمغشى عليه وربما يقف وراءه جاعلا أصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى يضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذاك بما لم يتكلم به فى وقت آخر وأنا لا أزيد على القول بأنه من تأثيرات النفوس ولا أكيف ذلك فالنفس الانسانية من أعجب مخلوقات الله تعالى وكم طوى فيها اسرار وعجائب تتحير فيها العقول ولا ينكرها الا مجنون أو مجهول ولا ينبغى ان أنكر العين لكثرة الاحاديث الواردة فيها ومشاهدة آثارها على اختلاف الاعصار ولا أخص ذلك بالنفوس الخبيثة كما قيل فقد يكون من النفوس الزكية والمشهور أن الاصابة لا تكون مع كراهة الشئ وبغضه وانما تكون مع استحسانه والى ذلك ذهب القشيرى وكأنه يشير بذلك الى الطعن فى صحة الرواية ههنا لان الكفار كانوا يبغضونه عليه الصلاة والسلام فلا يتأتى لهم اصابته بالعين وفيه نظر وحكم العائن على ما قال القاضى عياض انه يجتنب وينبغى للامام حبسه ومنعه عن مخالطة الناس كفا لضرره ما أمكن ويرزقه حينئذ من بيت المال اه باقتصار وفى زاد المعاد للعلامة محمد بن القيم فى هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فى علاج المصاب بالعين فى صحيح مسلم عن أنس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رخص فى الرقية من الحمة والعين والنملة وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان نسترقى من العين وأمر عليه الصلاة والسلام العائن بالاغتسال قال الزهرى يؤمر الرجل العائن بقدح فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه فى القدح ويغسل وجهه فى القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى فى القدح ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح فى الارض ثم يصب على رأس الرجل الذى تصيبه العين من خلفه صبة واحدة والعين عينان عين انسية وعين جنية فقد صح عن أم سلمة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة أى نظرة من الجن فقال استرقوا لها فان بها النظرة ومن التعوذات والرقى الاكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ونحو أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن ومنها قول ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها اذا كان العائن يخشى ضرر عينه فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه ومنها رقية جبريل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك وقال جماعة من السلف لا بأس بكتابة الآيات من القرآن ثم يشربها ومنها ما ذكره البغوى ان عثمان رضى الله تعالى عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين أى سودوا النقرة التى تكون فى ذقن الصبى ومنها ما ذكر عن أبى عبد الله التياحى انه كان فى بعض اسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة وكان فى الرفقة رجل عائن قلما نظر الى شئ الا أتلفه فقيل لابى عبد الله احفظ ناقتك من العائن قال ليس له الى ناقتى سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله فنظر الى ناقته فاضطربت وسقطت فجاء أبو عبد الله فاخبر أن العائن قد عانها

وهى كما ترى فقال دلونى عليه فدل فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها ومن هديه عليه الصلاة والسلام فى رقية اللديغ بالفاتحة أخرجا فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال انطلق نفر من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه شئ فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شئ فأتوهم فقالوا يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شئ لا ينفعه شئ فهل عند بعضكم من شئ فقال بعضهم نعم والله انى لارقى ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به قلبة قال فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال أصبتم اقتسموا واضربوا لى معكم سهما ومن هديه عليه الصلاة والسلام فى علاج لدغة العقرب بالرقية روى ابن أبى شيبة من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى اذ سجد فلدغته عقرب فى أصبعه فانصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره قال ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت ففى هذا الحديث العلاج بالدواء المركب من الامرين الطبيعى والالهى ومن هديه عليه الصلاة والسلام فى رقية النملة ففى سنن أبى داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال ألا تعلمين هذه رقية النملة كما تعليمها الكتابة النملة قروح تخرج فى الجنبين وهو داء معروف وسمى نملة لان صاحبه يحس مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه وروى الخلال انها عرضت رقيتها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت بسم الله صليت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدا اللهم اكشف البأس رب الناس قال ترقى بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة ومن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فى رقية القرحة والجرح قد أخرجا فى الصحيحين عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اشتكى الانسان أو كانت به قرحة أو جرح وضع سبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا ومعنى الحديث انه يمسح به على الجرح ومن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فى علاج الوجع بالرقية روى مسلم عن عثمان بن أبى العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذره وفى الصحيحين أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعود بعض أهله يمسح عليه بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب البأس واشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وقد ختم ابن القيم مباحثه الطبية فى وصايا نافعة نذكر بعضها تكميلا للفائدة قال ناقلا عن ابن ماسويه من أكل البصل أربعين يوما فكلف فلا يلومن الا نفسه ومن افتصد فأكل مالحا فأصابه البهق والجرب فلا يلومن الا نفسه ومن احتلم فلم يغتسل حتى وطئ أهله فولدت مجنونا فلا يلومن الا نفسه ومن جامع فلم يصبر حتى يفرغ فأصابه حصاة فلا يلومن الا نفسه ومن نظر فى المرآة ليلا فأصابه لقوة أو داء فلا يلومن الا نفسه وقال بعض الاطباء احذر ان تجمع بين البيض والسمك وبين اللبن والسمك واحذر من دخول الحمام عقب الامتلاء واياك من ادخال الطعام على الطعام وقد أطنب فيما يشبه هذه الابحاث فعليك به ان أردته وفى رد المحتار لشيخ مشايخنا ابن عابدين قال ست تورث النسيان سؤر الفارة والقاء القملة وهى حية والبول فى الماء الراكد وقطع القطار ١ ومضغ العلك وأكل التفاح ومنهم من ذكره حديثا لكن قال أبو الفرج ابن الجوزى

١ قوله القطار أى الدواب اه منه

انه

انه حديث موضوع واطلاق التفاح هنا موافق لما فى كتب الطب من انه كله مورث للنسيان وذكر بعضهم الحديث مقيدا التفاح بالحامض * (تتمة) * زاد بعضهم مما يورث النسيان أشياء منها العصيان والهموم والاحزان بسبب الدنيا وكثرة الاشتغال بها وأكل الكزبرة الرطبة والنظر الى المصلوب والحجم فى نقرة القفا واللحم المالح والخبز الحامى والأكل من القدر وكثرة المزح والضحك بين المقابر والوضوء فى محل الاستنجاء وتوسد السراويل أو العمامة ونظر الجنب الى السماء وكنس البيت بالخرق ومسح وجهه أو يديه بذيله ونفض الثوب فى المسجد ودخوله باليسرى وخروجه باليمنى واللعب بالمذاكير أو الذكر حتى ينزل والنظر اليه والبول فى الطريق أو تحت شجرة مثمرة أو فى الماء الراكد أو فى الرماد والنظر الى الفرج أو فى مرآة الحمام والامتشاط بالمشط المكسور وغير ذلك انتهى وقد ألف بعضهم رسالة فى أشياء تجلب الفقر وأشياء تورث النسيان وأشياء تضر بالابدان فمنها ما تقدم ذكره ومنها مما يورث الفقر التهاون فى صلاة الجماعة والمشى بين المعز والغنم وطول الاظفار وتقليمها بالفم واحتكار الطعام وحرق قشر البصل والثوم والنوم عريان وكثرة النوم والكتابة بالقلم المعقود وأكل الجنب ونومه ومشيه قدام شيخه وأبيه ونداؤهما باسمهما وتطيير الحمام على السطوح وترك القمامة وهى الزبل فى البيت فقد ورد تنظفوا أفنيتكم فان اليهود لا ينظفون أفنيتهم ومنه بيت العنكبوت والاسراف والتقتير وشراء كسر الخبز من الفقراء والدعاء على الاهل بالشر وتخييط الثوب وهو على البدن ومما يورث النسيان النظر فى الماء الراكد والمشى بين المرأتين وقراءة ما كتب على القبور وطرح القمل وكثرة السهر وأكل لحم المعز ولبس النعل الاسود وبوله فى المستحم وقيل يورث الوسواس أيضا وكثرة شرب ١ الخل وأكل السمك ومما يورث الفقر والنسيان الجلوس فى عتبة الدار ونوم الضحى وتجفيف وجهه بذيله وتسرول القائم وتعمم القاعد ومنها أشياء مضرة بالبدن الجمع بين البطيخ والعسل والرمان والهريسة والغسل ليلا بلا ستر عورة والنوم منفردا فى البيت وتخليل الاسنان بالقصب واستعمال الماء المشمس وطرح السواك بالارض وحك جسمه بمقطوع ظفره قبل ان يغسله والحجامة على الشبع أو يوم الخميس أو يوم الجمعة أو يوم السبت أو يوم الاحد ففى زاد المعاد لابن القيم روى الترمذى ان خير ما يحتجمون فيه يوم سابع عشرة أو تاسع عشرة ويوم احدى وعشرين قال ابن القيم واذا استعملت عند الحاجة اليها نفعت أى وقت كان وفى أثر الحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء وقيل تكره يوم السبت ويوم الاربعاء ويقولون يوم الجمعة وعن أبى هريرة مرفوعا من احتجم يوم الاربعاء أو يوم السبت فاصابه بياض أو برص فلا يلومن الا نفسه وروى ان الامام أحمد سئل عن النورة والحجامة يوم السبت والاربعاء فكرههما وعن عبد الله بن عمر لا تحتجموا الخميس ولا الجمعة ولا السبت ولا الاحد واحتجموا الاثنين وما كان من جذام ولا برص الا نزل يوم الاربعاء وعن نافع احتجموا الاثنين والثلاثاء وقيل تكره فى الثلاثاء أيضا انتهى ومنها عدم كظم الفم عند التثاؤب والالتفات ٢ عند العطاس والأكل من غير احضار الماء عنده ومدافعة الاخبثين أى الغائط والبول والنوم فى الشمس أو على سطح غير محفوظ وذهابه فى البرية مسافرا وحده فنسأله تعالى ان يحفظنا من كافة الآلام ويجعلنا واياكم من المتبعين لهدى خير الانام عليه وآله الصلاة والسلام فيا أيها المتشائم بالطيور والأيام تشاءم من خطاياك والآثام واترك أفعالك التى هى أفعى لك وتجنب الاعمال المذمومة فانها فى الآخرة مشؤمة فالايام لك كالمطايا فأين العدة قبل المنايا وقد علمت ان سرية الموت لا تشبه السرايا وملك الموت لا يقبل الهدايا فعجبا للمؤثر الفانية على الباقية ولبائع البحر الخضم بساقية ولمختار دار الكدر على الصافية أيها المتوطن بيت غروره تأهب لانزعاجك أيها المسرور بقصوره تهيأ لاخراجك خذ عدتك وانهض الى قضاء حاجك قبل فراق أولادك وأزواجك ما الدنيا دار مقامك بل حلبة ادلاجك أتأمن بطش ذى البطش وتبارزه بالمعاصى برؤيته ولم تخش أنسيت الركوب على ظهر النعش أنسيت

١ عن جابر بن عبد الله وعن عائشة رضى الله تعالى عنهما عنه عليه الصلاة والسلام نعم الادام الخل رواه فى الجامع الصغير اه منه

٢ فان ذلك مضر طبا كما هو مجرب اه منه

النزول في بيداء الذيب والوحش أنسيت الحلول في لحد خشن الفرش يامن لا يصبر للقضاء ولا على خدش يامغتر بزخرف الهوى قد ألهاه النقش يامن اذا وزن طفف واذا باع غش اذا جنيت على نفسك فعلى من الارش كن متيقظا فانك بعين ذي العرش ياهذا عليك بالجد والاجتهاد وخل هذا الكسل والرقاد فطريقك لابد له من زاد

انهض الى المعالى * واجسر ولا تبالى

وخذ من الزمان * حظا فأنت فان   المجد بالمخاطرة * والنصر بالمصابرة

ماللورى فى غفلة * قد خدعوا بالمهلة   ألا لبيب يعقل * ألا جهول يسأل

أأنتم فى ريبة * ما أعظم المصيبة   دنيا كم حبيبة * فى حسنها رطيبة

لكنها غدارة * خداعة غرارة   ليس لها حبيب * زوالها قريب

كالمومس البغى * تلبس كل زى   ملولة خوانة * ليس لها أمانة

عزيزها ذليل * كثيرها قليل   تفرق الأحبابا * تشتت الاترابا

حرب لمن سالمها * غل لمن لازمها   لقاؤها فراق * وعرسها طلاق

ووصلها صدود * ووعدها وعيد   وصالها عناء * صدودها بلاء

شرابها سراب * نعيمها عذاب   ان أقبلت ففتنة * أو أدبرت فمحنة

أخلاقها مذمومة * لذاتها مسمومة   يحظى بها الجهال * ونعم الانذال

يشقى بها اللبيب * ويتعب الاديب   نخل عنها يافتى * الى متى الى متى

اللهم انا نعوذ بك من منكرات الاخلاق والاعمال والاهواء والادواء ونسألك الفوز فى القضاء وعيش السعداء والنصر على الحساد والاعداء اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين اللهم انا نسألك ايمانا يباشر قلوبنا حتى نعلم أنه لا يصيبنا الا ما كتب لنا ورضا بما قسمت لنا ونسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة وارحمنا والمسلمين وصل على محمد وآله أجمعين والحمد لله رب العالمين

المجلس الثانى والاربعون
(فى شعب الايمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

١ الحمد لله مبلغ الراجى فوق مأموله ومعطى اللاجئ زيادة على مسؤله المنان على التائب بصفحه وقبوله خلق الآدمى وأنشأ له دارا لحلوله وجعل الدنيا مرحلة لنزوله فتوطنها من لم يعرف شرف الدار الاخرى لجهوله أوماترى غربان البين تنوح على طلوله ارحلوا عنها بايمان كامل قرب قدر يخاف من غوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله أحمده على نيل الهدى وحصوله وأقر بوحدانيته اقرار عارف بالدليل وأصوله وأصلى وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الذى يغضه المبتدع بفضوله وعلى عمر حامى الاسلام بسيف عزم لا يخاف من فلوله وعلى عثمان الصابر على البلاء

---

١ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى لا واضع لما رفع ولا رافع لما وضع ولا واصل لما قطع ولا مفرق لما جمع سبحانه من مقدر ضر ونفع وحكم فالكل حكمه كيف وقع أمرض حتى ألقى على شفا نم شفى الوجع وواصل من شاء ومن شاء قطع أحمده على ما أعطى ومنع وأشكره أن كشف للبصائر سر الخدع وأشهد بأنه واحد أحكم ما صنع وأن محمدا عبده ورسوله أرسله والكفر علا وارتفع ففرق بجاهدته من شرة ما اجتمع وأبان به شعب الايمان لمن اقتفى سبيله واتبع صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الذى نجم نجم شجاعته يوم الردة وطلع وعلى عمر الذى عز الاسلام به وامتنع وعلى عثمان المقتول ظلما وما ابتدع وعلى على الذى دحض الكفر بجهاده وقمع وعلى جميع آله وأصحابه ما سجد مصل وركع وسلم تسليما أما بعد فاه منه

حين نزوله وعلى ابن عمه على بن أبى طالب الصائل بشجاعته قبل أن يصول بنصوله وعلى سائر آله وأصحابه الفائزين من الايمان بشعبه وأصوله صلاة وسلاما دائمين ماتردد النسيم بين شماله وجنوبه وقبوله *(أما بعد)* فاروى بسندى الى المولى الهمام محدث الاسلام أبى عبد الله بن ابراهيم بن اسمعيل بن بردزبه الجعفى البخارى لازال صيب الغفران على ضريحه غاديا وسارى فانه قال فى كتابه الصحيح الحرى بالترجيح باب أمور الايمان حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا أبو عامر العقدى قال حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الايمان بضعة وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد روى هذا الحديث أيضا الامام مسلم فى صحيحه وفى رواية بضع وسبعون شعبة أعلاها وفى رواية أرفعها وقوله بضعة وفى بعض النسخ بضع بكسر الباء ويجوز الفتح هو ما بين الثلاثة والتسعة ولا يستعمل الا مع العشرة أو العشرين الى التسعين والشعبة بضم الشين غصن الشجرة وفرع كل أصل والمراد هنا الخصلة قال العلماء شبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان بشجرة ذات أغصان وشعب والمعنى ان الايمان يتشعب من شعب كثيرة كما يتشعب من الشجرة أغصان فيقال لا اله الا الله شعبة والصلاة شعبة والحياء شعبة وهلم جرا ولما كان أكثر المؤمنين غافلين عن تعداد هذه الشعب ومعرفتها لزم على أن أبينها ان شاء الله تعالى وأعدها وأجعلها مع ما يلزم بيانه كرؤس المسائل وأقنع فى كل شعبة بالاستدلال فى آية كريمة أو حديث صحيح مختصرا ذلك من كلام الشيخ أبى حفص عمر القزوينى الذى اختصره من كتاب شعب الايمان للامام أحمد بن الحسين البيهقى لان بيان هذه الشعب واجب على العلماء وتعلمها فرض على الجهلاء فاسمع ما نعده عليك وهى أمانة سلمتها اليك الاولى الايمان بالله عز وجل قال تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وقال عليه الصلاة والسلام أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وقوله عليه السلام من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة الثانية الايمان برسله الثالثة الايمان بملائكته الرابعة الايمان بالقرآن وجميع كتبه المنزلة وهذه كلها الحديث جبريل وقوله تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله الخامسة الايمان بالقدر خيره وشره من الله عز وجل القوله تعالى قل كل من عند الله وقوله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله ولحديث جبريل أيضا المتقدم فى الدروس الماضية السادسة الايمان باليوم الآخر لقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال الحليمى ومعناه التصديق بان لايام الدنيا آخر وانها منقضية ففى الاعتراف بانقضاء العالم اعتراف بابتدائه اذ القديم لا يفنى ولا يتغير السابعة الايمان بالبعث لقوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير الثامنة الايمان بالحشر بعد البعث من القبور الى الموقف لقوله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وفى الحديث يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه التاسعة الايمان بأن دار المؤمنين الجنة ودار الكافرين النار للآيات العديدة ولقوله عليه الصلاة والسلام اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة العاشرة الايمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولقوله عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يوقد له نار فيقذف فيها وكانت رابعة اذا غلب عليها حال الحب تقول

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

الحادية عشرة الايمان بوجوب الخوف من الله عز وجل لقوله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الثانية عشرة الايمان بوجوب الرجاء من الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه وقوله تعالى قل

ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقنط من رحمته أحد الثالثة عشرة الايمان بوجوب التوكل على الله عز وجل لقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفى الصحيحين فى سؤال أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم له عن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام هم الذين لايكتوون ولايسترقون ولايتطيرون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم يارسول الله فقال سبقك بها عكاشة ومن جملة التوكل تفويض الامر اليه عز وجل والثقة به مع ماقدر له من التسبب فلا منافاة بين التوكل وتعاطى أسباب المعيشة فقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك ولاخير فى امرئ بلادرهم الرابعة عشرة الايمان بوجوب حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث أنس لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال له رجل انى أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت الخامسة عشرة الايمان بوجوب تعظيم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيله وتوقيره لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وقوله تعالى لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى (قلت) وينبغى أن يلحق هنا حب آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذريته وزوجاته وصحابته رضى الله تعالى عنهم أجمعين ويلحق بذلك حب العرب قال فى الصواعق أخرج البيهقى والديلمى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتى أحب اليه من عترته ويكون أهل بيتى أحب اليه من أهله ويكون ذاتى أحب اليه من ذاته وأخرج الديلمى وأبو الشيخ من لم يعرف حق عترتى والانصار والعرب فهو لاحدى ثلاث امامنافق واما ولد زنية واما امرؤ حملت به أمه فى غير طهر وأخرج الديلمى من أحب الله تعالى أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبنى ومن أحبنى أحب أصحابى وقرابتى انتهى وروى السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس حب العرب ايمان وبغضهم نفاق وفى رواية أخرى وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبنى ومن أبغض العرب فقد أبغضنى قال الحليمى فمن فضل العجم عليهم فقد آذى الرسول عليه الصلاة والسلام ومن آذاه فقد آذى الله سبحانه وتعالى السادسة عشرة شح المرء بدينه لحديث أنس ثلاث من كن فيه الحديث المتقدم فى العاشرة السابعة عشرة طلب العلم وهو علم الدين كالعقائد والفقه والحديث لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون الثامنة عشرة نشر العلم لقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه وقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم التاسعة عشرة تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه وتجويده وحفظ أحكامه وتبجيل أهله وحفاظه قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وروى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه خيركم من تعلم القرآن وعلمه وروى عبد الله بن عمر لاحسد الافى اثنين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به آناء الليل والنهار ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار العشرون الطهارة لقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق الآية ولحديث أبى مالك الاشعرى الطهور [1] شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر تملأ مابين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك وليعلم أن الوضوء الصحيح هو أن لايبقى لمعة فى أعضاء الوضوء لم يصلها الماء فينبغى للمتوضئ أن لايبقى وسخا فى أظفاره وأن يدلك يديه ورجليه وان يتجاوز غسل المرفقين والكعبين لقوله عليه الصلاة والسلام ويل للاعقاب من النار ولقد أحسن القائل

ستأتى الناس فى العرصات سكرى * بلا أثر يكون لهم مزينا
وتأتى أمة المختار غرا * بآثار الوضوء محجلينا

الحادية والعشرون الصلوات الخمس لقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولحديث ابن مسعود قال

[1] ولذا قال كثير من العلماء ان من صلى بغير طهارة متعمدا يكفر اه منه

سالت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله عز وجل قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله ولحديث جابر ان بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة الثانية والعشرون الزكاة لقوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة الثالثة والعشرون الصيام لقوله تعالى كتب عليكم الصيام ولقوله عليه الصلاة والسلام بنى الاسلام على خمس الحديث الرابعة والعشرون الاعتكاف لقوله تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ولحديث من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق رقبة الخامسة والعشرون الحج لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله ولحديث من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا السادسة والعشرون الجهاد لقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولقوله عليه الصلاة والسلام لاتتمنوا لقاء العدو وسلوا الله تعالى العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف السابعة والعشرون المرابطة فى سبيل الله وهى الاقامة فى وجه العدو مستعدا له لقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ولحديث رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وماعليها الثامنة والعشرون الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف لقوله سبحانه اذا لقيتم فئة فاثبتوا وقوله تعالى اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار الآية وللحديث المار آنفا التاسعة والعشرون أداء الخمس من المغنم لقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الآية الثلاثون العتق لقوله تعالى وما أدراك ما العقبة فك رقبة ولحديث أبى هريرة من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرج بفرجه الحادية والثلاثون الكفارات الواجبات بالجنايات وهى بالكتاب والسنة أربع كفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس فى صوم رمضان ومما يقرب منها مايجب باسم الفدية لانها اماعن ذنب سبق أو يرادبها التقرب الى الله تعالى بشئ يعنى اثر أمر قد وقع ذنبا كان أو غير ذنب الثانية والثلاثون الايفاء بالعقود لقوله تعالى أوفوا بالعقود قال ابن عباس يعنى ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن وقوله تعالى يوفون بالنذر وقوله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان ولحديث ابن عمر فى الصحيحين أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر وفى رواية أخرى واذا ائتمن خان الثالثة والثلاثون تعديد نعم الله عز وجل ومايجب من شكرها لقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها وقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولاتكفرون الرابعة والثلاثون حفظ اللسان عما لايحتاج اليه من غيبة ونميمة وكذب ونحو ذلك لقوله تعالى ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ولقوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه الخامسة والثلاثون أداء الامانة الى أهلها لقوله تعالى فليؤد الذى ائتمن أمانته ولقوله عليه الصلاة والسلام أد الامانة الى من ائتمنك ولاتخن من خانك ومنها تولية المناصب والاعمال لاصحابها السادسة والثلاثون تحريم قتل النفس والجنايات عليها لقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه الآية السابعة والثلاثون تحريم الفروج ومايجب فيها من التعفف لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم أى أطهر ولحديث الصحيحين لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن الثامنة والثلاثون قبض اليد عن الاموال المحرمة ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الربا وأخذ الرشا وهدية القضاة ونحوهم من الحكام والتطفيف وكل مالايستحقه شرعا لقوله تعالى ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم وقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله الراشى والمرتشى والرائش بينهما التاسعة والثلاثون وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لايحل منهما كالميتة والخمر والنبيذ والحيوانات التى لاتؤكل لقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية الآية ولقوله تعالى يسئلونك عن

الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير والحديث عائشة كل شراب أسكر فهو حرام والحديث من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة وعن عبد الله بن ادريس قوله

كل شراب مسكر كثيره * من تمر أو من عنب عصيره
فانه محرم يسيره * انى لكم من شره نذيره

الاربعون تحريم الملابس والزى ١ والاوانى وما يكره منها الحديث أنس من لبس الحرير يعنى فى الدنيا فليس يلبسه فى الآخرة والحديث حذيفة الحرير والديباج وآنية الذهب والفضة لهم ٢ فى الدنيا ولكم فى الآخرة الحادية والاربعون تحريم الملاعب والملاهى المخالفة للشريعة ومنه التغنى المحظور ومنه ما يفعله المؤذنون فى المساجد ونحوها من التغنى بالابيات المشتملة على ذكر الولدان والنساء ومنه دق الناى والعود وشبههما لقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والحديث مسلم من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه الثانية والاربعون الاقتصاد فى النفقة وتحريم الاسراف لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والحديث مسلم نهى عن ثلاث قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال الثالثة والاربعون ترك الغل والحسد لقوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قال الحسن هو اول ذنب كان فى السماء وأول شئ كان فى الارض من ابنى آدم على ما قيل وعن الاحنف بن قيس خمس هن كما أقول لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب ولا وفاء لملول ولا حيلة لبخيل ولا سودد لسئ الخلق وعن المبرد انه أنشد

عين الحسود عليك الدهر حارسة * تبدى المساوى والاحسان تخفيه
يلقاك بالبشر يلقيه مكاشرة * والقلب منكتم فيه الذى فيه

الرابعة والاربعون تحريم أعراض الناس وما يجب من ترك الوقيعة فيها لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا وقوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة والحديث الصحيحين لا يرمى رجل رجلا بالفسق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك الخامسة والاربعون اخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وعن عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ٣ وليمسح شفتيه وليخرج الى الناس حتى كأنه ليس بصائم واذا أعطى بيمينه فليخفه عن شماله واذا صلى أحدكم فليسدل ستر بابه فانه تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق (قلت) ولذا ذكر الفقهاء ان صلاة النوافل فى البيوت أفضل وعن ابن الاعرابى أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من حبل الوريد السادسة والاربعون السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة لحديث جابر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن السابعة والاربعون معالجة كل ذنب بالتوبة لقوله تعالى توبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون الثامنة والاربعون القرابين وهى الهدى والاضحية والعقيقة لقوله تعالى فصل لربك وانحر ولقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله والحديث الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ضحى أضحية طيبة بها نفسه محتسبا الاضحية كانت له حجابا من النار والحديث الولد مرهون بعقيقته فعليكم اخوانى بالتمسك بهذه الشعب فانها العروة الوثقى عند حسن المنقلب فسبحانه من اختار أقواما للافادة فصارت همتهم فى تحصيل الاستفادة ومازالت بهم الرياضة حتى تركوا العادة شغلتهم مخاوفهم عن كل غادة وأنالهم المقام الاسنى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة كل منهم قد هجر مراده وعلت هممهم فطلبوا السيادة وعاملوا محبوبهم يرجون وداده رفعوا مكتوب الحزن وجعلوا الدمع سداده للذين أحسنوا الحسنى وزيادة رفضوا الدنيا شغلا بالدين وسلكوا

١ قوله والزى يعنى على الرجال كما تقدم اه منه ٢ لهم أى للكفار اه منه
٣ وهذا فى غير الفرض والا فلا رياء فى الفرائض وانما الاعمال بالنيات اه منه

منهاج المهتدين وسابقوا سابقى العابدين فصاروا ائمة للمريدين وقادة لو رأيتهم والليل قد سجى وقد اقبلوا الى باب المرتجى فلم يجدوا ذلك الباب ١ مرتجا حلفوا فى ظلام الدجا على سهر الوسادة سبحان من أنعم عليهم وأفادهم وأعطاهم مناهم وزادهم ماذاك بارادتهم بل هو أرادهم سبقت ارادتهم تلك الارادة أجرى لهم أجر الاوازى ووهب لهم فى مفازة الخطر مفازا وأنجز موعدهم يوم اللقاء انجازا وجازى عباده على سابق العبادة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة اللهم يا من سبقت له بالخير والشر الارادة اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ووفقنا للطاعة والعلم والعبادة وثبتنا عند الموت على الشهادة واجعلنا من الفرقة الناجية التى هى للسنة منقادة واحفظنا من بدع أهل الاهواء فانها بئست العادة واحشرنا يوم الفزع الاكبر مع الصالحين والعلماء العاملين من أهل الشهادة

المجلس الثالث والاربعون

(فى شعب الايمان أيضا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنفرد بالعز والجلال المتفضل بالعطاء والافضال مسخر السحاب الثقال مربى الزرع تربية الاطفال جل عن مثل ومثال وتعالى عن الكفر والخيال قديم لم يزل ولا يزال يتفضل بالانعام فان شكر زاد وان لم يشكر زال أحمده على كل حال وأشهد انه الواحد الاحد الكبير المتعال وان سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من وعظ وبشر وأنذر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم على ممر الايام والليال وعلى صاحبه أبى بكر باذل النفس والمال وعلى عمر العادل فما جار ولا مال وعلى عثمان الثابت للشهادة ثبوت الجبال وعلى أخيه وابن عمه على الذى نزل فيه ويطعمون الطعام فماله فخر لا ينال وعلى بقية القرابة والصحابة والتابعين ومن حاز شعب الايمان من النساء والرجال *(أما بعد)* فقد روى فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام فى الدرس الماضى على كثير من هذه الشعب وبقى منها شعب يلزم بيانها فى هذا الدرس فسنذكرها لكم ان شاء الله تعالى فاما الشعبة التاسعة والاربعون فهى طاعة أولى الامر لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قيل هم أمراء السرايا وقيل هم العلماء والحديث من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى والحديث أبى ذر يا أباذر اسمع وأطع ولو عبدا حبشيا مجدع الاطراف الخمسون التمسك بما عليه الجماعة لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا والحديث مسلم من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية الحادية والخمسون الحكم بالعدل لقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الثانية والخمسون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية والحديث أبى سعيد من رأى منكم منكرا فلينكره أو فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان الثالثة والخمسون التعاون على البر والتقوى لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان والحديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا الرابعة والخمسون الحياء لحديث ان الحياء من الايمان والايمان فى الجنة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله قالوا انا نستحيى الله تعالى يا رسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله تعالى حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الاولى فمن فعل ذلك فقد

١ قوله مرتجا أى مغلوقا اه منه

استحيا من الله تعالى حق الحياء قال ومعنى أن تحفظ الرأس الخ أى ما حفظه من السمع والبصر واللسان فلا
يستعملها الا فيما يحل وقوله والبطن وما حوى يريد لا يجمع فيه الا الحلال ولا يأكل الا الطيب أو يراد بحفظ الفرج
والقلب والرجل وفى صحيح البخارى ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت
الخامسة والخمسون بر الوالدين لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر
احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وقوله تعالى اشكر لى ولوالديك الى المصير وقوله
عليه الصلاة والسلام أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين السادسة والخمسون صلة الارحام لقوله تعالى فهل
عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم ولحديث أنس من أحب أن يبسط له الرزق وينسأ له فى
أجله فليصل رحمه ولحديث جبير لا يدخل الجنة قاطع أى للرحم قال أبو حفص القزوينى ولا فرق بين أن يكون برا
أو فاجرا السابعة والخمسون حسن الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع لقوله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولحديث خياركم أحسنكم أخلاقا وفى رواية
ان من أحبكم الى أحاسنكم أخلاقا الثامنة والخمسون الاحسان الى المماليك لحديث ان اخوانكم خولكم
جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان
كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم عليه التاسعة والخمسون حق السادة على المماليك لحديث ابن عمر ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله عز وجل فله أجره مرتين وفى سنن أبى
داود العبد الآبق لا تقبل له صلاة حتى يرجع الى مولاه الستون حقوق الاولاد والاهلين وهو قيام الرجل على
ولده وأهله وتعليمه اياهم من أمور دينهم ما يحتاجون اليه لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا الآية قال الحسن أى
مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير وقال على رضى الله تعالى عنه علموهم أدبوهم ولحديث أنس فى مسلم من عال
جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا وضم اصبعيه وليعلم انه ينبغى له أن يعلم ولده حرفة وصنعة يكتسب
بها معيشته فان الرجل ينبغى له أن يعمل للدنيا وللآخرة الحادية والستون مقاربة أهل الدين ومودتهم وافشاء
السلام ١ بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك من أسباب تأكيد المودة لقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ولحديث أبى هريرة والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا
حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وحديث أبى قتادة قال قلت لانس رضى
الله تعالى عنه أكانت المصافحة فى أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم وحديث أبى هريرة ان الله يقول
يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى الثانية والستون رد السلام لقوله
تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ولحديث أبى سعيد الخدرى اياكم والجلوس فى الطرقات
قالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أبيتم الا المجالس
فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر الثالثة والستون عيادة المريض لحديث البراء أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبع ونهانا
عن سبع أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز ورد السلام وتشميت العاطس وابرار القسم ونصر المظلوم واجابة
الداعى ونهانا عن حلقة الذهب أو قال خاتم الذهب وآنية الذهب والفضة الحديث ولحديث ثوبان عائد المريض
فى غرفة الجنة قال القزوينى ولا فرق بين أن يكون برا أو فاجرا لكن ينبسط الى البر وينقبض عن الفاجر الرابعة
والستون الصلاة على من مات من أهل القبلة لحديث ثوبان من صلى على جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله
قيراطان القيراط مثل أحد الخامسة والستون تشميت العاطس لحديث مسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى

١ قوله وافشاء السلام والسلام هو باللسان فقد روى فى الجامع الصغير عن جابر لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى
فان تسليمهم اشارة بالكفوف والحواجب قال النووى وتحية المجوس الانحناء فلا يسلم الا باللسان الا اذا منع مانع
كخرس وصلاة وصمم وتمام البحث فى شرح المناوى اهـ منه

عنه اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه واذا لم يحمد فلا تشمتوه السادسة والستون مباعدة الكفار
والمفسدين والغلظة على الفاسقين لقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك
فليس من الله فى شئ الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد
كفروا بما جاءكم من الحق الآية ولحديث أبى هريرة اذا لقيتم المشركين فى طريق فلا تبدؤهم بالسلام واضطروهم
الى أضيقها وحديث أبى سعيد لا يأكل طعامك الا تقى ولا تصحب الا مؤمنا وليعلم ان مجاوزة الحد الذى حده
الشارع عليه الصلاة والسلام ممنوعة فعدم موالاتهم وتعظيمهم ومحبتهم لا يستلزم الجور عليهم فقد وردت أخبار
صحيحة فى عدم أذية أهل الذمة فلا تغفل السابعة والستون اكرام الجار لقوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب قيل فى التفسير ذى القربى الجار الملاصق والجار الجنب البعيد غير الملاصق والصاحب بالجنب
الرفيق فى السفر وعن ابن عباس ومجاهد الجار ذى القربى الذى بينك وبينه قرابة والجار الجنب الاجنبى عنك
والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر وقيل والحضر وعن على وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما الصاحب بالجنب
المرأة ولحديث عائشة رضى الله تعالى عنها ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه الثامنة والستون
اكرام الضيف لحديث الصحيحين من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته قال يومه
وليلته والضيافة ثلاث فما كان وراء ذلك فهو صدقة التاسعة والستون الستر على أصحاب الذنوب لقوله تعالى ان
الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم ولحديث ابن عمر فى الصحيحين المسلم أخو المسلم
لا يسلمه ولا يظلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب
يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة السبعون الصبر على المصائب وعما تنزع النفس اليه من لذة وشهوة
لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين قال مجاهد أراد بالصبر الصوم وقوله تعالى
وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب ولحديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حت الله ١ عنه من سيآته كما تحت
الشجرة ورقها الحادية والسبعون الزهد وقصر الامل لقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله تعالى
وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ولقد أحسن القائل

خبز وماء وظل * هذا النعيم الاجل
جحدت نعمة ربى * ان قلت انى مقل

الثانية والسبعون الغيرة وترك المذاء ٢ لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وقوله تعالى
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولحديث البخارى ان الله عز وجل يغار وان المؤمن
يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عز وجل ولحديث أبى سعيد الغيرة من الايمان وان المذاء من النفاق
قال الحليمى هو ان يجمع بين الرجال والنساء ثم يخليهم يماذى بعضهم بعضا وأخذ من المذى وقيل هو ارسال الرجال
مع النساء من قولهم مذيت الفرس اذا أرسلته ترعى الثالثة والسبعون الاعراض عن اللغو لقوله تعالى قد أفلح
المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون وقوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا
مروا باللغو مروا كراما واللغو هو الباطل الذى لا يعنيه ولا يكون لقائله فيه فائدة وربما كان وبالا عليه الرابعة
والسبعون الجود والسخاء لقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت
للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء ولما فى الصحيحين ما من يوم يصبح العباد الا وملكان ينزلان فيقول
أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا الخامسة والسبعون رحم الصغير وتوقير

١ فى القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحتت وتحاتت اهـ منه
٢ وفى القاموس والمذاء كسماء جمع الرجال والنساء وتركهم يلاعب بعضهم بعضا أو هو الدياثة وأمذى قادعلى
أهله اهـ منه

الكبير لحديث مسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله وحديث أبى داود من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ولحديث الصحيحين جعل الله تعالى الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه السادسة والسبعون اصلاح ذات البين لقوله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما وقوله تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ولحديث الصحيحين عن أم كلثوم بنت عقبة ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين فيقول خيرا أو ينمى خيرا قالت ولم أسمعه عليه الصلاة والسلام يرخص فى شئ مما يقوله الناس كذبا الا فى ثلاث الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها السابعة والسبعون ان يحب الرجل لاخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه لحديث جرير بن عبد الله رضى الله تعالى عنه بايعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم قال أبو حفص القزوينى ويدخل فيه اماطة الاذى عن الطريق المشار اليه فى حديث أبى هريرة المتقدم أفضلها لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق اه ولنذكر ما يتعلق بهاتين الشعبتين فاما الشعبة الاولى فهى الاصل الراسخ والغصن الاعظم الشامخ لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولحديث الصحيحين عن أنس قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل فقال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله ألا أخبر بها الناس فيستبشرون قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تأثما ١ وفى الصحيحين عن عتبان بن مالك عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قالها ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر فخرج أبو ذر وهو يقول وان رغم أنف أبى ذر وعن أبى ذر أيضا قال قلت يا رسول الله علمنى عملا يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها قلت يا رسول الله لا اله الا الله اهو من الحسنات قال هى أحسن الحسنات وهى تمحو الذنوب والخطايا وعن أم هانئ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل وفى المسند ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه جددوا ايمانكم قالوا كيف نجدد ايماننا قال قولوا لا اله الا الله وفى المسند أيضا ان موسى عليه السلام قال يا رب علمنى شيأ أذكرك وأدعوك به قال يا موسى قل لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقولون هذا قال قل لا اله الا الله قال لا اله الا أنت انما أريد شيأ تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهن لا اله الا الله وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما فى حديث السجلات والبطاقة وقد أخرجه الامام أحمد والنسائى والترمذى ومجمله انه يؤتى بسجلات شخص يوم القيامة عند وزن الاعمال وليس فيها حسنة ثم يؤتى ببطاقة فيها كلمة التوحيد فتوضع فى كفة الميزان فترجح تلك البطاقة على تلك السجلات ولها فضائل كثيرة ولقائلها حسنات وفيرة فنسال الله تعالى ان يميتنا على شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وأن يحشرنا عليها ويجعلها فى موازين حسناتنا انه أرحم الراحمين وأما الشعبة الاخيرة وهى اماطة الاذى عن الطريق فالمراد ازالة كل ما يؤذى المارين كالحجر والشوك والعظم والنجاسة والجيف والقشور وزيادة الرش وبيع الماكولات بوضعها فى الطرق والجلوس فيها ونحو ذلك مما يؤذى العابرين عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت فى مساوى أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق فشكر الله تعالى ذلك له فادخله الجنة وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله

١ تأثما أى خروجا من الاثم لانه علم مسئلة فلا يكتمها اه منه

صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس قيل يا رسول الله من أين لنا صدقة فنتصدق بها فقال ان أبواب الخير لكثيرة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتميط الأذى عن الطريق وتسمع الاصم وتهدى الاعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك وفى رواية وتبسمك فى وجه أخيك صدقة وليعلم ان من جملة اماطة الاذى عن الطريق قتل المؤذيات التى فيها كالكلب الكلب والعقور والهوام المؤذية كالعقارب والحيات والوزغ وكرفع الجرصونات الخارجة من البيوت بغير وجه شرعى والساباطات ولاسيما المنخفضة المؤذية للمارين ولنذكر بعض الاحاديث الواردة بذلك فقد روى عن سائبة رضى الله تعالى عنها انها دخلت على عائشة رضى الله تعالى عنها فرأت فى بيتها رمحا موضوعا فقالت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا قالت أقتل به الاوزاغ فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا ان ابراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار لم تكن دابة فى الارض الا أطفأت النار عنه غير الوزغ فانه كان ينفخ عليه فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقتله وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قتل حية فله سبع حسنات ومن قتل وزغا فله حسنة ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا وعن ابن عباس عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن واختلف فى قتل الحيات قبل الانذار قال المنذرى ذهب طائفة الى قتلها فى الصحارى والبيوت بالمدينة وغيرها وقالت طائفة تقتل الحيات أجمع الا سواكن البيوت وقالت طائفة تنذر سواكن البيوت فان بدين بعد الانذار قتلن وما وجد منهن فى غير البيوت قتل بلا انذار وقال مالك يقتل ما وجد منها فى المساجد واستدل القائل بالانذار بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه أى فانه شيطان وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن حيات البيوت فقال اذا رأيتم منهن شيأ فى مساكنكم فقولوا أنشدكم العهد الذى أخذ عليكم نوح أنشدكم العهد الذى أخذ عليكم سليمان أن لا تؤذونا فان عدن فاقتلوهن وقال مالك يكفيه أن يقول أحرج عليك بالله واليوم الآخر ان لا تبدو لنا ولا تؤذينا انتهى باقتصار فعليكم عباد الله بالتمسك بشعب الايمان لتنجوا من النيران وتفوزوا بالجنان فيا من يؤمر بما يصلحه فلا يقبل أما الشيب نذير بالموت قد أقبل أما أنت الذى عن أفعالك تسئل أما أنت تخلو فى اللحد بما تعمل ستعلم يوم الحساب عند العتاب من يخجل يا مبادرا بالخطا توقف ولا تعجل يا غافلا فى بطالته يا من لا يفيق من سكرته أين ندمك على ذنوبك أين حزنك على عيوبك الى متى تؤذى بالذنب لنفسك وتضيع يومك تضييع أمسك لا مع الصادقين لك قدم ولا مع التائبين لك ندم هل لا بسطت فى الدعاء يدا سائلة وأجريت فى السحر دموعا سائلة

خدعتنا زخارف الآمال * فلهينا بها عن الآجال

نحن سفن وانما أمهلتنا * ريثما نستعد للترحال

أسفا لمن اذا ربح العاملون خسر واذا أطلق المتقون أسر من له اذا خوصم ينتصر ونسى يوم الرجعة فاذكر فالجد الجد أيها الغافل فايام العمر كلها قلائل لو رأيت العصاة والكرب يغشاهم والندم قد أحاط بهم وكفاهم والأسف على ما فاتهم قد أضناهم يتمنون العافية وهيهات مناهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم نزل بهم المرض فالقاهم كالحرض ١ فانكف أملهم وانقبض وانعكس عليهم الغرض ورجمهم فى صرعتهم من عاداهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم لتمنون عند الموت راحة ويشتهون عند الكرب استراحة ويناقشون على الخطا ولا سماحة وهم كطائر قص جناحه فى حبس الفزع والكرب يغشاهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ألم أسفهم أشد ما فى العلة وتحسرهم على كل ما مضى من زلة وجل ندمهم قد نطق كأنه ظلة فلو رأيتهم بعد التكبر عادوا أذلة وتملك أموالهم بعدهم سواهم فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ما نفعهم ما تعبوا لتحصيله وجالوا ولا رد عنهم ما جمعوا

١ المريض والهالك اه منه

واحتالوا جاء المرض فأذلهم بعد أن صالوا فاذا قال العائد لاهليهم كيف باتوا قالوا ان السقم قدوهاهم فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فالبدار البدار قبل الفوات والحذار الحذار من يوم الغفلات قبل أن يقول المذنب رب ارجعون ويقال فات ويح الغافلين عما ماأعماهم فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم نبهنا الله تعالى واياكم من هذه الرقدة وذكرنا الموت ومابعده وصلى الله تعالى على سيدنا محمد والنبيين وآله وصحبه أجمعين

المجلس الرابع والاربعون

(فى ولادته عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى ألبس المتقين لباس التقوى ووبلى حفظ ملبسهم وآنس العارفين أنسا حلوا فاشتغلوا بمؤنسهم وكان مع الصابرين لطفا فاطيب مجلسهم وابتعث محمدا ابا الفصاحة فعادقسهم كأخرسهم فعارضه مسيلمة فكان فى المعارضة من أنجسهم فكادوه بالغوا فأصبح أبو جهل من أبخسهم فرماه كل المعادين على الدين فعادت عليهم أسهم أقوسهم فقلب رؤساءهم فى القليب على وجوههم ورؤسهم ولقد كانوا يعرفون أصله ونسبته وانه مذنشا فيهم من أنفسهم ويكفيهم لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم فصلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر الذى كان فى الانقياد من أسلسهم وعلى عمر قاهر الاكاسرة على شدة شوسهم وشرسهم (١) وعلى عثمان الذى هو من أرفقهم وأكيسهم وعلى على محبوب أهل السنة ومقدسهم وعلى سائر آله وأصحابه المجاهدين للكفار والماحين لرجسهم وسلم تسليما *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون لقد من الله على المؤمنين أى أنعم وتفضل عليهم وخصهم بالذكر لكونهم المنتفعين ببعثته والا فهو رحمة لكافة العالمين وقوله تعالى من أنفسهم أى من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم أو من بنى آدم لاملكا ولاجنيا وقرئ من أنفسهم بفتح الفاء أى من أشرفهم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم من أشرف القبائل وبطونها وهو أمر معلوم ينبغى اعتقاده لكل مؤمن قال الوالد عليه الرحمة وقد سئل الشيخ ولى الدين العراقى هل العلم بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط فى صحة الايمان او من فرض الكفاية فأجاب بأنه شرط فى صحة الايمان ثم قال فلو قال شخص أومن برسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى جميع الخلق لكن لاأدرى هل هو من البشر أو من الملائكة أو من الجن أو لاأدرى هل هو من العرب أو من العجم فلاشك فى كفره لتكذيبه القرآن وجحده ماتلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة ولاأعلم فى ذلك خلافا فلو كان ذلك غبيا لايعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى وهل يقاس اعتقاد أنه عليه الصلاة والسلام من أشرف القبائل على ذلك فيجب ذلك فى صحة الاسلام أولا يقاس فيه تأمل انتهى اذا علمت ذلك فهو عليه الصلاة والسلام النبى العربى الابطحى الهاشمى القرشى سيد العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد أو اسمه عامر ابن هاشم واسمه عمرو وانما سمى هاشما لانه كان يهشم الثريد لقومه ابن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصى تصغير قصا أى بعد ابن كلاب واسمه حكيم ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر واسمه قريش واليه تنسب قريش فما كان فوقه فكنانى لاقرشى ابن مالك بن النضر واسمه قيس ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بكسر الهمزة أو بفتحها ويذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى عليه الصلاة والسلام بالحج ابن مضر بن نزار بكسر النون ابن معد بن عدنان ولله تعالى در القائل

(١) قوله شوسهم الشوس بالشين المعجمة وبعدها واو وسين مهملة النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا والشرس بالشين المعجمة وبعدها راء وسين مهملتين سوء الخلق وشدة الخلاف والاشرس الجرىء فى القتال ويقال جمل لم يشرس لم يرض وأرض شرساء شديدة اهـ منه

وكم

وكم أب قد علا بابن ذرا شرف * كما علت برسول الله عدنان

وأما أمه عليه الصلاة والسلام فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر قال فى المواهب اللدنية انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية وأعلمه سبحانه بنبوته وآدم عليه السلام لم يكن الابين الروح والجسد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ماكتب فى الذكر وهو أم الكتاب ان محمدا خاتم النبيين وروى الامام أحمد والبيهقى عن العرباض بن سارية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته أى طريح ملقى فى الارض قبل نفخ الروح فيه وعن ميسرة الضبى قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد أخرجه الامام أحمد وقال الحنبلى الحموى زاد الحافظ البيهقى فى رواية ان آدم عليه السلام قال أسألك بحق محمد الا ماغفرت لى فقال انه لأحب الخلق الى واذسألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك وهو آخر الانبياء من ذريتك وفى ذلك قال ابن جابر

به قد أجاب الله آدم اذ دعا * ونجى فى بطن السفينة نوح

وماضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان الله خلق السموات سبعا فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار منهم بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار وروى الطبرانى عن ابن عمر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه الفاضل المرحوم عبد الباقى أفندى الفاروقى الموصلى قوله

تخيرك الله من آدم * ولولاك آدم لم يخلق

بجبهته كنت نورا مضيئا * كماضاء تاج على مفرق

لذلك ابليس لما أبى * سجودا له بعد طرد شقى

ومع نوح اذ كنت فى فلكه * مجاورتين فيه لم يغرق

وخلل نورك صلب الخليل * فبات وبالنار لم يحرق

ومنك التقلب فى الساجدين * به الذكر أفصح بالمنطق

بمثلك ارحامها الطاهرات * من النطف الغر لم تعلق

سوالك مع الرسل فى ايليا (١) * مع الروح والجسم لم يلتق

فجئت من الله فى أخذه * لك العهد منهم على موثق

وفى الحشر للحمد ذاك اللواء * على غير رأسك لم يخفق

لقد رمقت بك عين العمى * وفى غير نورك لم ترمق

فيالاحقا قط لم يسبق * ويا سابقا قط لم يلحق

تصوبت من صاعد هابطا * الى صلب كل تقى نقى

فكان هبوطك عين الصعود * فلازلت منحدرا ترتقى

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وقيل ان الله

(١) قوله فى ايليا أى بيت المقدس اهـ منه

تعالى لما أن خلق نور نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أمره ان ينظر الى أنوار الانبياء عليهم السلام فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله تعالى به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله عز وجل أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء عليهم السلام وأممهم كلهم من أمته عليه أفضل الصلاة والسلام ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرفت هذا فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة فجميع الانبياء عليهم السلام تحت لوائه عليه الصلاة والسلام وفي الدنيا كذلك في ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمنهم لوجب عليهم وعلى أممهم الايمان به انتهى وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يا رسول الله بابي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أشياء فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وذكر الحافظ ابن عبد البر ان عبد المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بينما هو نائم في الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وأنا يومئذ غلام اعقل ما يقال فأتى كهنة قريش فقال رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري ولها أربعة أطراف طرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد جاوز عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينما انا أنظر اليها عادت شجرة خضراء لها نور فبينما أنا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من أنت قال انا نوح نبي رب العالمين وقلت للآخر من أنت قال ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبي يؤمن به أهل السموات وأهل الارض وذات السلسلة على كثرة اتباعه وانصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة يدل على ثبات أمره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة ابراهيم وعلى هذا وقعت اشارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم خيبر حيث قال

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

كأنه يقول انا ابن صاحب تلك الرؤية مفتخرا بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته قال ابن هشام في سيرته وزوج عبد المطلب ابنه عبد الله وكان أعز أولاده بآمنة بنت وهب فحملت بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت تحدث انها أتيت حين حملت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به انه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان توفي وأم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حامل به واختلف العلماء رضي الله تعالى عنهم كم أقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حملا في بطن أمه فقيل تسعة أشهر وقيل عشرة وقيل ستة وقيل سبعة وقيل ثمانية وتوفي أبوه عبد الله وهو حمل وقال الواقدي وكاتبه محمد بن سعد لا يثبت انه توفي وهو حمل بل توفي بعد ولادته بسبعة أشهر والله تعالى أعلم وقال

العلامة ابن رجب في اللطائف واختلفوا في أي شهر فقيل في شهر رمضان وقيل في رجب ولا يصح وقيل في ربيع الاول وهو المشهور وهو قول الجمهور والصحيح الذي عليه الجمهور انه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحق وغيره انتهى وكان ذلك لعشر مضت من نيسان وقيل في الحادي (١) والعشرين منه وذلك بالعفر من المنازل ولذا قيل

خير المنازل في الابد * بين الزبانا والأسد

وهو مولد النبيين وروى عن سهل بن عبد الله قال لما أراد الله عز وجل خلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في بطن أمه آمنة في شهر رجب أمر في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح باب الفردوس الأعلى وينادي مناد في السموات والارض ألا ان النور المخزون الذي يكون منه النبي الهادي العربي القرشي التهامي محمد في هذه الليلة يستقر في بطن أمه آمنة فعلى هذا تكون مدة حمله تسعة أشهر والله تعالى أعلم وفي كتاب السنن للقاضي عياض رحمه الله تعالى ان الشفاء قابلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما سقط على يديها سمعت باذنيها قائلا يقول يرحمك ربك ورأت بعينيها انه اضاء لها ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الشام وولد عليه الصلاة والسلام مسرورا أي مقطوع السرة مختونا وقيل بل ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وقيل ختن يوم شق الملائكة قلبه عند حليمة رضي الله تعالى عنها وقال في عقد الدرر أيضا قالت آمنة ولدته جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ويشير اليها ثم قبض قبضة من الارض وأهوى ساجدا فغطيته ببرمة لئلا يراه أحد قبل جده أو قالت باناء فانفلق عنه واذا به يمص ابهامه وهو يشخب لبنا وسمعت قائلا يقول أبشري يا آمنة فقد ولدت سيد هذه الامة وذكر القاضي جمال الدين بن أبي الدم رحمه الله تعالى ان آمنة قالت حين ولدت محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ساجدا رافعا رأسه واصبعه نحو السماء وخرج معه نور ملأ البيت ودنت النجوم منه حتى ظننت انها تسقط على الارض وقد ولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل في مكة زادها الله تعالى شرفا في أيام كسرى انوشروان فارتعد ايوانه وانشقت منه حيطانه وسقطت منه أربعة عشر شرافة بعدد من سيملك منهم من سلطان وخمدت نار فارس وغاض وادي سماوة وغاضت بحيرة ساوة ولله تعالى در الفاروقي عليه الرحمة حيث يقول في تخميسه

في كتاب الزبور نعتك يتلى * وبلوح التوراة وصفك يملى
وبنص الانجيل قد صح نقلا * ما مضت فترة من الرسل الا
بشرت قومها بك الانبياء

ان خير القرون قرنك ينمو * منه فضل كل الدهور يعم
بك يزهو عام وشهر ويوم * تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء

جئت للخلق رحمة يا رحيم * فحبا الناس منك فضل عميم
كيف يخفى وجدان فقد عديم * وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء

كل صدر منهم بنحر علاه * عقد مجد في الجيد ما أحلاه
حسب فاخر علينا تلاه * نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء

ان آباءك السراة سوار * أنت قطب وهم عليك سوار
عقدتهم سمط بنان اقتدار * حبذا عقد سودد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء

(١) تأمل هل هو الحادي أو الخامس أو السادس وحرر اه

لك فرق حكى الصباح وضىء * منك أشرف الوجود مجىء
أنت بدر من الخسوف برىء * ومحيا كالشمس منك مضىء
* أسفرت عنه ليلة غراء *
نجم مجد بدا بطالع سعد * فاستوى الليل والنهار بوقد
هل علمتم ما ليلة القدر عندى * ليلة المولد الذى كان للديـ
* ـن سرور بيومه وازدهاء *
حيث جبريل بالسموات مجد * يعلن البشر فى ولادة أحمد
سمعت أمه ابشرى بمحمد * وتوالت بشرى الهواتف أن قد
* ولد المصطفى وحق الهناء *

روى ان أمه آمنة أرضعته ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أرضعته ثويبة جارية عمه أبى لهب أياما قبل قدوم حليمة وفى اسلام ثويبة قولان وأرضعته أم أيمن واسمها بركة جارية أبيه عبد الله ومن مراضعه خولة بنت المنذر فهذه ثلاث مراضع والرابعة المشهورة بالرضاعة التى حصلت لها السعادة بكثرة الضراعة حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت وآمنت به بعد نبوته ومن قصتها المشهورة التى ذكرها العلماء من أصحاب المغازى والسير ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم استرضع من حليمة السعدية بعد مولده بسبعة أيام قالت حليمة خرجت من بلدى مع زوجى وابن لى رضيع فى نسوة من بنى سعد ذوات حال فطمع نلتمس الرضعاء من ذوات البيوت فى سنة شهباء لم تبق لنا شيأ من القوت على أتان لى قمرة أركبها ومعنا شارف لنا من النوق تجذبها قد هزلت من الجوع بعد السمن وهى والله ما تبض بقطرة لبن حتى قدمنا مكة أشرف البلاد ومأوى العباد من العباد فما منا امرأة الا وقد عرض عليها ذو الوجه الوسيم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم فلما أجمعنا على الانطلاق وحصل منا على العزم الاتفاق قلت لصاحبى لاذهبن الى أخذ ذلك اليتيم فلهو سيد حسيب كريم فذهبت اليه راجية خيره لانى لم أجد طفلا غيره فلما أخذته ووضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب هو وأخوه وهدأ وسكن وشارفنا اذا بها حافل وقد أخصب ثديها الماحل فحلب زوجى منها وشرب حتى كدنا من الشبع والرى نضطرب وسارت أتانى مسرعة فى العودة بخلاف الصفة المعهودة فقلن لها يا ابنة أبى ذؤيب أما هذه أتانك التى كانت معنا فأقول نعم فيقلن ان لها لشأنا وكانت غنمنا تروح شباعا لبنا واغنام الحى تغدو بهزال وعنا قالت حليمة فلم يزل الله تعالى البركة حتى بلغ سنتيه وكان يشب شبابا لا تشبهه الغلمان فلما بلغ السنتين كان غلاما جفرا والجفر الجذع من الغنم ماله أربع سنين وقيل فيه ذلك لانه كان كمن بلغ تلك السنين وروى البيهقى رحمه الله تعالى فى دلائل النبوة عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت حليمة تحدث انها لما فطمت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم قالت فسمعته يقول كلاما عجيبا سمعته يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويروى عن الشيماء أخته من الرضاعة انها كانت تحمل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وترقصه وتقول محمد خير البشر ممن مضى ومن غبر أحسن من وجه القمر من كل أنثى وذكر وكل منسوب أغر ويروى ان حليمة ردته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد انقضاء سنتيه قالت فقدمنا على أمه ومكة وبئة فقلنا دعى ابنى عندى حتى يشتد عوده فانى أخشى عليه من وباء مكة وكثرته فلم تزل حتى سمحت برده معنا رحمة من الله تراد بنا فرجعنا به فرحين وعدنا مسرورين منشرحين قالت فمكث عندنا بعد عوده شهرين أو ثلاثة وقال ابن قتيبة أقام عندهم خمس سنين فبينما هو يلعب مع الغلمان خلف البيوت اذ جاء أخوه يشتد فقال لى ولابيه أدركا أخى القرشى فقد جاءه رجلان فأضجعاه وشقا بطنه فخرجنا نشتد نحوه فانتهينا اليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال ما لك يا بنى قال أتانى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى ووالله ما أدرى ما صنعا وفى رواية انه عليه الصلاة والسلام قال جاءنى ثلاثة رهط معهم طشت من ذهب قد ملئ ثلجا فعمد أحدهم فأضجعنى اضجاعا رفيقا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى

ولم

ولم أجد لذلك ألما ثم أخرج أحشاء بطنى فغسلها بماء ثلج فأنعم غسلها ثم ردها الى مكانها ثم جاء آخر فأخرج من قلبى مضغة سوداء فرمى بها واذا بيده خاتم النبوة من نور فختم به قلبى فامتلأ نورا ثم رده الى مكانه فوجدت برد الخاتم فى قلبى دهرا ثم أمر الثالث يده على صدرى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى ثم قال لصاحبه زنه واجعله فى كفة واجعل ألفا من أمته فى كفة ففعل وأنا أنظر الى الألف فرجحت عليهم فانطلقوا وهما يقولان أو قال فانطلقوا وهم يقولون لو ان أمته وزنت به لرجحهم ثم أقعدونى وقبلوا رأسى وقالوا يا حبيب الله لا ترع انك لا تدرى ماذا يراد بك أو منك لو علمت لقرت عيناك قال فبينما نحن كذلك واذا بالحى قد أقبلوا بحذافيرهم واذا بأمى وظئرى يعنى حليمة تهتف فى أوائلهم وتقول باعلا صوتها يا ضعيفاه فقال أحدهم حبذا أنت من ضعيف فقالت يا يتيماه فقال آخر حبذا أنت من يتيم وأخذتنى وضمتنى الى صدرها وجعلت تقول استضعفت من بين أترابك وتبكى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده انى لفى حجرها وان يدى فى بعض يد القوم وأنا ألتفت اليهم أظن أن القوم يبصرونهم فقال بعض أهل الحى هذا الغلام قد أصابه لمم فانطلقوا به الى الكاهن لينظر اليه فذهبوا بى الى الكاهن فسألنى عن قصتى فأخبرته فضمنى الى صدره وصاح باعلا صوته يا معاشر العرب اقتلوه واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه ليبدلن دينكم فصاحت أمى انظر لنفسك فاقتلا غيرنا فان ولدنا ما به مم قلت شئ ولقد شبه عليك قالت حليمة فأخذناه ورجعنا به وقال زوجى يا حليمة والله ما أرى الغلام الا قد أصيب فانطلقى لنرده الى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه فرجعنا الى أمه فقالت ما ردكما به وقد كنتما حريصين عليه فقلنا لها قد كفلناه وأدينا ما علينا من الحق ثم خفنا عليه الاحداث فقالت والله ماذا بكما فأخبرانى خبره فأخبرناها فقالت أتخوفتما عليه والله ان لابنى هذا شأنا وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهرى وعن عاصم بن عمر قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخواله بنى عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن فنزلت به دار النابغة فأقامت عندهم شهرا وتعلم العوم [1] فى بئر بنى عدى بن النجار فلما كانت أمه بالابواء توفيت وقد اختلف فى نجاتها والبحث مشهور ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى حيث قال

حبى الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وقد كانت أم أيمن بركة دايته وحاضنته بعد موت أمه وكان يقول عليه الصلاة والسلام لها أنت أمى بعد أمى ثم توفى جده عبد المطلب وله ثمان سنين وعمره مائة وعشرون سنة وقيل أكثر وكفله أبو طالب عمه واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله ولما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثنتى عشرة سنة خرج معه عمه أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرة الراهب فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمت بذلك فقال انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا تسجد الا لنبى وانى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وانا نجده فى كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود الحديث وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله قال ابن الجوزى وكانت آيات النبوة تظهر عليه قبل النبوة فكان يرى النور والضوء ولا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وقال انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث انى لاعرفه الآن ثم رميت الشياطين بالشهب لبعثه ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم من العمر خمسا وعشرين خرج مع ميسرة فى تجارة خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ونزل تحت شجرة ورآه نسطورا الراهب وقال ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى وقال لميسرة لا تفارقه فهو خاتم النبيين وكان ميسرة اذا اشتد الحر فى الهاجرة يرى ملكين يظلانه ولما رجع من سفره عليه الصلاة والسلام طلبت خديجة رضى الله تعالى عنها ان يتزوجها لما علمت من أمانته وحسن خلقه وصدق حديثه

---

١ قوله العوم أى السباحة اهـ منه

ولما أخبرها ورقة بن نوفل بأنه عليه الصلاة والسلام نبي هذه الامة للامارات التى فيه فتزوجها عليه الصلاة والسلام وولدت له القاسم ومات ابن سنتين وعبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل هما غيره وزينب وفاطمة الزهراء ورقية وأم كلثوم وأما ابراهيم فانه من مارية وكلهم ماتوا قبله الا فاطمة على أبيها وعليها الصلاة والسلام فانها عاشت بعده ستة أشهر ومن مناقب خديجة كما فى الصحيح ان جبريل جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذه خديجة اقرئها من ربها السلام ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ولم يتزوج عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ماتت ولما أتت عليه أربعون سنة بعثه الله تعالى نبيا وجاءه جبريل نبيا وأنزل عليه القرآن وتوالت معجزاته الظاهرة للعيان منها ان الماء نبع من بين أصابعه وكثرة الطعام ببركته وتكليم الحجر له وحن الجذع وشكاية البعير اليه وتكليم الذراع المسموم من الشاة والاخبار عن كثير من المغيبات وانشقاق القمر والمعراج ثم من بعد نحو عشر سنوات هاجر الى المدينة المنورة وبها كانت الوفاة كما هو مفصل فى الكتب المطولات وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أجود الناس وأصدقهم لهجة وأكرمهم عشيرة وأشجعهم قلبا وأعلاهم لبا وأحسنهم خلقا وأبهاهم خلقا كان وجهه القمر ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير أدعج العينين واضح الجبين دقيق العرنين أقنى الانف أسيل الخد يرى فى الظلماء كما يرى فى الضوء فصيح اللسان سريع البيان ولقد أحسن البوصيرى حيث يقول

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

فالحمد لله الذى جعلنا من اتباع هذا النبى الكريم الامين والرسول الرؤف الرحيم المرسول رحمة للعالمين فطوبى لمن آمن به وصدقه وويل لمن كذبه وشاقه وسبحان من أيقظ المتقين وخلع عليهم خلع اليقين وألحقهم بتوفيقه فى السائقين فباتوا فى حلبات الجد سابقين كلما أذهب الاعمار طلوعهم وغروبهم سالت من الاجفان جزعا غروبهم وكلما لاحت لهم فى مرآت الفكر ذنوبهم تجافت عن المضاجع جنوبهم وكلما نظروا فساء لهم مكتوبهم وجلت قلوبهم دموعهم على الدوام تجرى وعزتى لا ربحن فى معاملتى تجرى عظمت قدرتى فى صدورهم وقدرى فاستعاذوا بوصالى من هجرى عاملوا معاملة من يفهم ويدرى فنومهم على فراش القلق وهبوبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أموات عن الدنيا مادفنوا غضوا عنها عيونهم وحزنوا ولو فتحوا اجفان الشره لفتنوا باعوها بما يبقى فلا والله ماغبنوا تالله لقد حصل مطلوبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم حبسوا النفوس فى سجن المحاسبة وبسطوا عليها ألسن المعاتبة ومدوا نحوها أكف المعاقبة ويحق ذلك لمن بين يديه المناقشة والمطالبة فارتفعت بالمعاينة غيوبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم شاهدوا الاخرى باليقين كرأى عين فباعوا العقار وأخرجوا العين وعلموا بمقتضى الدين ان التقى دين فدنياهم خراب وآخرتهم على الزين قنعوا بكسرتين وجرعتين هذا مأكولهم وهذا مشروبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فنسألك اللهم أن تصلى على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الاهوال والآفات وتقضى لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيآت وترفعنا بها عندك أعلا الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات اللهم أحينا على ملته وتوفنا على سنته وعلى كمال حبك وحبه وحب آله وصحابته واجعلنا عند السؤال ثابتين وممن يأخذ الكتاب باليمين واجعلنا يوم الفزع الاكبر آمنين ونجنا بعفوك وحلمك من العذاب الأليم وأوصلنا وآباءنا وأمهاتنا برحمتك وكرمك الى جنات النعيم وارحم اللهم أقاربنا ومشايخنا ومن له حق علينا وكافة المسلمين الاحياء والميتين اللهم انا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة اللهم استرنا بسترك الجميل فى الدارين وبارك لنا فى جميع ما أعطيتنا وقر برؤيتك فى الجنة منا العين وصل وسلم على كافة الانبياء والمرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المجلس الخامس والاربعون

(فى وفاته عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مذكر المنهمكين فى شهواتهم بالمقابر ومنبه الراقدين فى غفلاتهم بالزواجر كاشف العواقب للعقلاء فاللبيب يرى الآخر الذى اختار محمدا من الخلق فكان الكل خلقوا من أجله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أحمده على أجل الانعام وأقله وأشهد بوحدانيته شهادة مصدق قوله بفعله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله لنقض الكفر وحله فسبحانه من اله خلق آدم بيد قدرته وأسجد له جميع ملائكته وأسكنه فى جنته وحكم بالموت عليه وعلى ذريته وقال لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره بقضيته كل نفس ذائقة الموت فابلغ فى تسليته ونجى نوحا من الطوفان وأغرق مخالفيه صيانة لاهل الايمان وقضى بالموت على الانس والجان فقال لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كل من عليها فان واتخذ الله ابراهيم خليلا ووفقه وسدده وأراه ملكوت السموات والارض وأشهده وفوق اليه سهام الموت المرصدة وقال لحبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أعلمه بحاله وأيده أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة واختار موسى نجيا وأسمعه كلامه وبلغه من لذيذ خطابه قصده ومرامه وأنفذ فيه من الموت سهامه وقال لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة وخلق عيسى من غير أب بلا شك ولا نكر فابرأ الأكمه والأبرص باذنه وأعاد الميت من قبره حيا وقال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن عيسى عليه السلام ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى واصطفى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم النبى العربى الامين المأمون صاحب الجاه العريض والعرض المصون ومع هذا القرب والمنزلة التى لا يصل اليها الواصلون نعى اليه نفسه الكريمة وأنذره ريب المنون وسلاه بمن مات من قبله من المرسلين فقال فى كتابه المكنون انك ميت وانهم ميتون صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين قضوا بالحق وبه يعدلون لا سيما على أبى بكر الصديق الذى هو فى الغار خير رفيق وعلى عمر بن الخطاب الذى نزل على لسانه الكتاب وعلى عثمان مصابر البلاء ومن نال الشهادة العظمى من يد الاعداء وعلى ابن عمه على بن أبى طالب من نص عليه انه أقضى المشارق والمغارب الشهيد أبى الشهداء والائمة الامناء وعلى جميع الصحابة والقرابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين آمين *(أما بعد)* فقد قال الله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أواسط أيام التشريق بمنى وهو فى حجة الوداع كما قاله ابن عمر وقال ابن عباس أنزلت بالمدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نعيت الى نفسى وفى رواية وقرب الى أجلى وتسمى سورة التوديع وسورة النصر وعن أنس رضى الله عنه اذا جاء نصر الله ربع القرآن وهى آخر سورة نزلت جميعا وقوله تعالى اذا جاء نصر الله قيل اذا بمعنى قد وقيل بمعنى اذ وقال جملة من المفسرين أى اذا جاءك يا محمد وحصل لك نصر الله واظهاره لك على أعدائك وهم قريش أو مطلق من قاتلك من الكفار والفتح أى فتح مكة وقيل هو فتح سائر البلاد وقيل هو ما فتح الله عليه من العلوم ورأيت الناس من العرب وغيرهم يدخلون فى دين الله الذى بعثت به وهو دين الاسلام أفواجا أى جماعات فوجا بعد فوج قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة قال العرب اما اذ ظفر محمد عليه الصلاة والسلام باهل الحرم وقد أجارهم الله تعالى من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا أو اثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل بأسرها فى الاسلام وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن وذلك انه ورد منها سبعمائة انسان وأسلموا وعن ابن عباس بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المدينة اذ قال الله

أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قيل يارسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال عليه الصلاة والسلام فى الثناء عليهم أيضا انى أجد نفس ربكم من قبل اليمن أى تنفيسه سبحانه وتعالى وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقوله تعالى فسبح بحمد ربك أى فنزهه تعالى بكل ذكر يدل على التنزيه حامدا له جل وعلا زيادة فى عبادته والثناء عليه سبحانه لزيادة انعامه عليك فالتسبيح التنزيه لا التلفظ بكلمة سبحان الله والباء للملابسة وقيل أى فقل سبحان الله واستغفره أى اطلب منه أن يغفر لك فعن أم سلمة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده وأستغفره وأتوب اليه فقلت يارسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقال أخبرنى ربى انى سارى علامة من أمتى فاذا رأيتها أكثرت من قولى سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون الخ وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن [1] قال الوالد شرع الاستغفار بعد كثير من الطاعات منها انه يشرع لمصلى المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثا وللمتهجد فى الاسحار أن يستغفر ماشاء الله تعالى وللحاج أن يستغفر بعد الحج ولختم الوضوء ولختم كل مجلس وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا قام من المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك واستغفاره صلى الله تعالى عليه وسلم قيل لانه كان دائما فى الترقى فاذا ترقى الى مرتبة استغفر لما قبلها وقيل مما هو فى نظره الشريف خلاف الاولى بمنصبه المنيف وقيل عما كان فى سهو ولو قبل النبوة وقيل هو استغفاره لامته عليه الصلاة والسلام لانه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقيل غير ذلك واعلم انه قيل ان المراد بالتسبيح الصلاة لاشتمالها عليه ونقله ابن الجوزى عن ابن عباس وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل مكة صلى فى بيت أم هانئ ثمان ركعات والقول بانه صلاها داخل الكعبة ليس بصحيح وأيا ما كان فهى صلاة الفتح وهى سنة وقد صلاها سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن وقيل صلاة الضحى وقيل أربع منها للفتح وأربع للضحى وقد أخرج ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وأما قوله تعالى انه كان توابا تعليل لامره سبحانه نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستغفار وتواب من صيغ المبالغة ففيه دلالة على انه سبحانه مبالغ فى قبول توبة التائبين المذنبين المستغفرين وليعلم ان كثيرا من المفسرين حكى اتفاق الصحابة رضى الله تعالى عنهم على ان هذه السورة دلت على نعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عمر انها نزلت بمنى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم فعاش عليه الصلاة والسلام بعدها ثمانين يوما وقيل عاش بعد هذه السورة أقل من ذلك ومازال صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض باقتراب أجله فى آخر عمره فانه لما خطب فى حجة الوداع قال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع من حجته الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خما فى طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال ابن رجب وكان ابتداء مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم فى أواخر صفر وكان فى بيت ميمونة كما فى رواية معمر عن الزهرى وهو المعتمد

١ قوله يتأول القرآن قال القسطلانى فى باب التسبيح والدعاء فى السجود أى يفعل ما أمر به فيه أى فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره أى سبح بنفس الحمد لما تضمنه الحمد من معنى التسبيح الذى هو التنزيه وتمام البحث فيه اه منه

وقيل

وقيل فى بيت زينب بنت جحش وقيل فى بيت ريحانة وذكر الخطابى انه ابتدئ يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقيل يوم الاربعاء واختلف فى مدة مرضه فقيل عشرة أيام وقيل اثنا عشر يوما وقيل أربعة عشر والاكثرون على انها ثلاثة عشر يوما وان ابتداءه فى أواخر صفر وروى ابن هشام فى سيرته عن أبى مويهبة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثنى رسول الله عليه الصلاة والسلام من جوف الليل فقال انى قد أمرت ان أستغفر لاهل هذا البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم أهل المقابر ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الاولى ثم أقبل على فقال ياأبا مويهبة انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله ياأبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة ثم استغفر لاهل البقيع ثم انصرف فبدئ برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه الذى قبضه الله تعالى فيه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه فقال بل أنا والله ياعائشة وارأساه قالت ثم قال وما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك قالت قلت والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فاعرست فيه ببعض نسائك قالت فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اه وروى الدارمى انه خرج صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معصوب الرأس بخرقة حتى أهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذى نفسى بيده لانى لانظر الحوض من مقامى هذا ثم قال ان عبدا خيره الله تعالى بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ماشاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ماشاء وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقى فى المسجد خوخة [1] الا سدت الا خوخة أبى بكر رواه الشيخان وفى هذا اشارة الى انه هو الامام بعده لاحتياجه الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وفى البخارى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لما ثقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واشتد وجعه استأذن أزواجه رضى الله تعالى عنهن أن يمرض فى بيتى فاذن له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه فى الارض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال ابن عباس هو على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وفى رواية لمسلم بين الفضل ابن عباس ورجل آخر وفى أخرى رجلين أحدهما أسامة ويجمع بينها بالحمل على تعدد الخروج وفى رواية ان المرض تمادى بعد ذلك به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مع ذلك يدور على نسائه رضى الله تعالى عنهن حتى كان يوم ميمونة وهو فى بيتها فاجتمع رأى من فى البيت على أن يلدوه وتخوفوا أن يكون به ذات الجنب فلدوه ثم فرج عنه عليه الصلاة والسلام قال من صنع هذا فهبنه نساؤه واعتللن بالعباس مع انه لم يكن له فى ذلك رأى وقالوا تخوفنا أن يكون بك ذات الجنب فقال انها أى ذات الجنب من الشيطان ولم يكن الله عزوجل يسلطه على ولا يرهبنى بها ولكن هذا عمل النساء لا يبقى فى البيت أحد الا لد الا عمى العباس فانه لم يشهدكم فلدوا كلهم ولدت ميمونة وكانت صائمة ثم خرج عليه الصلاة والسلام الى بيت عائشة وكان يومها قال فى المواهب اللدود ما يجعل فى جانب الفم من الدواء وهو القسط المذاب بزيت قال ابن العربى انما أمر بلدهم لئلا يأتوا يوم القيامة وعليهم شئ فيقعوا فى خطيئة عظيمة وعنها رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه انى لا أستطيع أن أدور فى بيوتكن فان شئتن أذنتن لى أى فى البقاء عند عائشة وفى رواية انهن قلن يارسول الله قد وهبنا أيامنا لاختنا عائشة وقيل ان فاطمة رضى الله تعالى عنها هى التى خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فدخل فى بيتها يوم الاثنين وتوفى عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين وكان أول مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم الصداع والظاهر أنه كان معه حمى فانها اشتدت حتى روى عنها

١ الخوخة الباب الصغير اه منه

رضى الله تعالى عنها انها قالت ما رأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل قد روى أنه عليه الصلاة والسلام كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له فى ذلك فقال انا كذلك يشتد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجور وعن عبد الله قال دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك أجرين قال أجل ذلك كذلك ما من مسلم أوذى بشوكة فما فوقها الا كفر الله به سيئاته كما تحت الشجرة ورقها ولهذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة وجعه يقول أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس قالت عائشة فأجلسناه فى مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن ولعل الحكمة ان هذا العدد له خاصية فى دفع ضرر السم والسحر فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى (١) من ذلك السم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعيت الى نفسى فأقبل الى منزل عائشة والحمى عليه قال بلال رضى الله تعالى عنه فلما أصبحت أتيت الى حجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فناديت السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة الصلاة جامعة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفاطمة مرى بلالا يقرأ أبا بكر السلام ويقول له يصلى بالناس قال بلال فرجعت باكيا وأنادى واسيداه وانبياه واسوء منقلباه ليت بلالا لم تلده امه ثم أتيت المسجد فوجدته محتبكا بالناس فبلغت أبا بكر السلام والرسالة ثم ناديت الصلاة يرحمكم الله فاقمت الصلاة فلما قلت الله أكبر قال المسلمون كبرناه تكبيرا وعظمناه تعظيما فلما قلت أشهد أن لا اله الا الله قال المسلمون شهدنا بها مع كل شاهد فلما قلت أشهد أن محمدا رسول الله غلبنى البكاء فبكيت وبكى الناس فتقدم أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأم الناس فلما قرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين نظر الى موضع أقدام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخنقته العبرة فبكى وبكت الناس فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضجة الناس بالبكاء قال يا فاطمة ما هذه الضجة التى فى المسجد قالت ان المسلمين فقدوك وقت الصلاة فرفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يديه وقال اللهم أمر ملك الحمى أن يخفف عن نبيك حتى أخرج وأصلى بالناس وأودع أصحابى قبل فراق الدنيا فوجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خفة فى بدنه فتوضأ وخرج متوكئا على الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم فلما رأى المسلمون أنوار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخترق فى المسجد وأحسوا بحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلوا ينفرجون صفا صفا والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم تخترق الصفوف حتى وصل الى المحراب فوقف بازاء أبى بكر فصلى بالناس فلما فرغ رقى المنبر يخطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم أقبل على الناس بوجهه الكريم كالمودع لهم فقال يا أيها الناس ألم أبلغكم الرسالة وأودى لكم الأمانة والنصيحة قالوا بلى يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الامة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ثم نزل فودع اصحابه وصافحهم وهم يبكون ثم أقبل الى منزل عائشة رضى الله تعالى عنها وعن عبد الله بن مسعود كما نقله القسطلانى فى المواهب اللدنية قال نعى لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق دخلنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة فنظر الينا ودمعت عيناه ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأستخلف الله عليكم وأحذركم الله وأوصى الله بكم انى لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله فى عباده وبلاده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال قد دنا الأجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الأوفى فاقرؤا على أنفسكم السلام وعلى من دخل فى دينكم بعدى السلام وأعتق صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه هذا أربعين نفسا ويروى انه كانت عنده

(٢) وهو عرق فى القلب اهـ منه

صلى الله تعالى عليه وسلم سبعة دنانير أو ستة فأمر عائشة رضى الله تعالى عنها بالتصدق بها بعد أن وضعها فى كفه وقال ما ظن محمد بربه ان لو لقى الله وهذه عنده ثم تصدق بها كلها وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها لما صار يتغشاه الكرب قالت واكرب أبتاه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم وجاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال واكرباه وقال لا اله الا الله ان للموت لسكرات اللهم أعنى على سكرات الموت وفى رواية اللهم أعنى على كرب الموت ولم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم متمرضا حتى اذا كان يوم الاثنين قيل أوحى الله تعالى الى ملك الموت أن اهبط الى حبيبى بأحسن زى وأرفق به فى قبض روحه فان أمرك أن تدخل فادخل وان نهاك فارجع فهبط ملك الموت فى صورة رجل أعرابى فوقف بباب حجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نادى السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أتأذنون لى بالدخول الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى فى المواهب عن الطبرانى من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه ورأسه فى حجر على فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له على ارجع فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك يقرئك السلام فبلغنى ان ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده اهـ وفى رواية فخرجت فاطمة رضى الله تعالى عنها فقالت يا عبد الله ان رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثانية السلام عليكم الخ أأدخل ولا بد من الدخول فسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا فاطمة من على الباب فقالت رجل اعرابى فقلت ان رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثانية فقلت مثله ثم نادى الثالثة بصوت اقشعر بدنى وارتعدت فرائصى وتغير لونى فقال عليه الصلاة والسلام أتدرين من هو فقالت يا أبت لهو رجل اعرابى فقال هذا ملك الموت هذا هاذم ١ اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات ومخرب الدور ومعمر القبور ائذنى له فأذنت له فدخل وسلم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وعليك السلام يا ملك الموت أجئت زائرا أم قابضا قال جئت زائرا وقابضا ان أذنت لى والا رجعت ان الله عز وجل أرسلنى اليك وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فما أمرك قال وتفعل قال بذلك أمرت فقال يا ملك الموت أين خلفت حبيبى قال خلفته فى سماء الدنيا فلم يلبث ان هبط جبريل عليه السلام وجلس عند رأسه وفى رواية مذكور منصلها فى عقد الدرر واللآلى ان الله يقرئك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال أجدنى وجعا قال ابشر فان الله أراد أن يبلغك ما أعد لك وفى رواية أجدنى يا جبريل مغموما وأجدنى يا جبريل مكروبا ثم أتاه جبريل عليه السلام فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك فقال يا جبريل ان ملك الموت قد استأذن وأخبرنى بالخبر فقال يا محمد ان ربك اليك مشتاق ألم أعلمك بالذى أراد منك وان ملك الموت ما استأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على أحد بعدك الا أن الله متم شرفك وهو مشتاق اليك ثم قال يا جبريل ألست تعلم أن الامر قد قرب قال نعم يا حبيب الله قال بشرنى مالى عند الله قال ان أبواب السماء قد فتحت والملائكة صفوا صفوفا لروحك قال لوجه ربى الحمد بشرنى يا جبريل مالى عند الله قال ان أبواب الجنان قد فتحت وحورها قد زينت قال لوجه ربى الحمد بشرنى يا جبريل قال أنت أول شافع وأول مشفع يوم القيامة قال الحمد لله بشرنى قال عم تسألنى قال عن همى وغمى ما لقراء القرآن وما لصوام شهر رمضان وما لزوار بيت الله وما لامتى المصطفين الاخيار قال ان الله تعالى يقول قد حرمت الجنة على سائر الانبياء والامم حتى تدخلها أنت وأمتك قال صلى الله تعالى عليه وسلم الآن طاب قلبى وفى ذلك الوقت أذن عليه الصلاة والسلام للنساء فقال ادن منى يا فاطمة فانكبت عليه فناجاها طويلا فرفعت رأسها وعيناها تذرفان وما تطيق الكلام ثم قال ادن منى رأسك فانكبت عليه فناجاها فرفعت وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا عجبا فسألناها عن ذلك فقالت قال لى انى ميت اليوم فبكيت ثم قال دعوت الله أن يلحقك بى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت ثم أدنت ابنيها فشمهما ثم دنا ملك الموت فقال ما تأمر يا محمد قال ألحقنى بربى الآن قال بلى ان ربك اليك مشتاق ولكن ساعتك امامك فقال جبريل

١ هاذم بالذال المعجمة اهـ منه

حينئذ عليك السلام يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض فقد طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الدنيا حاجة الاحضورك انما كنت صاحبى فى الدنيا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت أغمى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجرى فجعلت أمسحه وادعوله بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل وذكر الواقدى ان بعض الصحابة قال يانبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتى الأقرب فالاقرب قال ففيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر قال كيف الصلاة عليك منا وبكينا فبكى ثم قال غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على حبيبى جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة بأجمعهم ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكيتى وفى رواية ولاصيحة ولا رنة وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابى واقرؤا السلام على من تبعنى على دينى من يومى هذا الى يوم القيامة قلنا يارسول الله من يدخلك القبر قال أهلى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لاترونهم ولما اشتدبه الامر قالت عائشة جعل يغمى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أرسل ذلك العرق وما وجدت رائحة أطيب منه فكنت أقول بابى أنت وأمى ماتلقاه جبهتك من الرشح فقال ياعائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار وكان عليه الصلاة والسلام بين يديه ركوة من ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات وفى بعض الكتب لما أراد ملك الموت أن يقبض روحه روحى فداه قال صلى الله تعالى عليه وسلم خفف قال خففت يارسول الله ولكن النزع شديد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أو يكون لكل واحد من أمتى مثل هذه الشدائد قال أضعاف من هذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ضع على روحى الشدائد كلها حتى يكون عليهم أهون وروى انه لما بلغت الروح السرة قال ياجبريل ما أشد مرارة الموت فولى جبريل وجهه عنه فقال ياجبريل أكرهت النظر الى وجهى فقال جبريل ومن يطيب قلبه أن ينظر الى وجهك وأنت تعالج سكرات الموت ثم نصب صلى الله تعالى عليه وسلم يده وهو يقول اللهم الرفيق الاعلى حتى قضى نحبه قال على كرم الله تعالى وجهه لما قبض صلى الله تعالى عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السماء فوالذى بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادى وامحمداه وكان آخر كلامه الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وروى ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال لما ثقل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضى الله تعالى عنها واكرب أبتاه فقال لها عليه الصلاة والسلام ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات عليه الصلاة والسلام قالت يا أبتاه الى جبريل ننعاه فلما دفن قالت كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على نبيكم التراب قيل وأخذت من تراب القبر الشريف وقالت

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لايشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو انها * صبت على الايام صرن لياليا

وقد تولى غسله صلى الله تعالى عليه وسلم أهل بيته ومنهم عمه العباس وعلى والفضل بن العباس وأسامة بن زيد وصالح مولاه رضى الله تعالى عنهم وتولى على كرم الله تعالى وجهه غسله بنفسه وأسنده الى صدره وعليه قميصه وهو يقول بأبى أنت وأمى ما أطيبك حيا وميتا وأنزله فى قبره عمه العباس وعلى وقثم ابن العباس رضى الله تعالى عنهم وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء ولما توفى صلى الله تعالى عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها وسجى الملائكة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بثوبى واضطرب المسلمون اضطرابا شديدا فمنهم من دهش فخلط فى كلامه ومنهم من كذب بموته كعمر رضى الله تعالى عنه فانه قال ان رسول الله لم يمت وانما واعده ربه كما واعد موسى عليه السلام وهو آتيكم وقيل قال ايها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله قد مات الا علوته بسيفى ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام كعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه لم يكلم أحدا وجعل يأخذ بيده

فيجاء به ويذهب ومنهم من أقعد فلم يطق القيام كعلى بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فانه لم يبرح فى بيته الا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فانه أقبل مسرعا وكان فى بنى الحرث بن الخزرج فدخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مسجى فكشف عن وجهه الشريف وأكب عليه وقبل وجهه مرارا وهو يبكى ويقول وانبياه واخليلاه واصفياه وقال انا لله وانا اليه راجعون مات والله رسول الله ثم قال بأبى وأمى ما كان الله ليذيقك الموت مرتين (١) اما الموتة التى كتبت عليك فقد متها ثم دخل المسجد وعمر يتكلم وهم مجتمعون عليه فتكلم أبو بكر وتشهد وحمد الله فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لايموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فاستيقن الناس كلهم بموته وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية الا ذلك اليوم فتلقاها الناس منه فما يسمع أحد الا يتلوها فياعباد الله كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين فتذكروا حنين الجذع الذى كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر لما فقده وفارقه صاح وحن اليه فنزل من منبره واعتنقه فجعل يهدأ كالصبى الذى يسكن عنه بكاؤه فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لولم ألتزمه لحن الى يوم القيامة فكيف نحن نلتذ باللذات وقد قال صاحب المعجزات ان للموت سكرات أما تمر حلو عيشكم والحياة حين قال عند الموت واكرباه أما يبكيكم توجع فاطمة البتول حين قالت لابيها الرسول واكربى لكربك يا أبتاه فأين أرباب العقول أين من بما يعنيه مشغول أين من اغتر بالبقاء فى هذه الدار الفانية وقد فقد الرسول فاذا مات صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود والشفاعة العظمى فى اليوم الموعود فكيف بنا من صحائف أعماله سود ولايدرى هل هو مقبول أو مردود ولقد أحسن حسان بقوله فى رثاء سيد الانس والجان

كنت السواد لناظرى * فعمى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وكذا عمته صفية بقولها

ألا يارسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا

لعمرك ما أبكى النبى لفقده * ولكن لما أخشى من الهجر آتيا

كأن على قلبى لذكر محمد * وما خفت من بعد النبى المكاويا

أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا

فدى لرسول الله أمى وخالتى * وعمى وخالى ثم نفسى وماليا

فلوان رب الناس أبقى محمدا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا

أرى حسنا أيتمته وتركته * يبكى ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه الصديق رضى الله تعالى عنه بقوله

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت على بعرضهن الدور

وارتاع قلبى عند ذاك بهلكه * والعظم منى ما حييت كسير

أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما بقيت يسير

---

(١) واختلف فى قوله رضى الله تعالى عنه لايجمع الله عليك الموت مرتين فقيل هو على حقيقته وأشار بذلك الى الرد على من زعم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سيحيى فيقطع أيدى رجال وقيل أراد لايموت موتة أخرى فى القبر كغيره اذ يحيى ليسئل ثم يموت وقيل لايجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى بالموت الثانى عن الكرب أى لاتلقى بعد كرب هذا اليوم كربا آخر مواهب ملخصا اه منه

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث على صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * يعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه آخر بقوله

أسفي على فقد الرسول طويل * أسفي مدى الايام ليس يزول
رزء تكاد الارض منه والسما * هذي تميد به وتلك تميل
غمر القلوب بحزنه وبوجده * وبكل قلب لوعة وعويل
والارض بدل صفوها بتكدر * وجرت بحار بالبكا وسيول
والجو أظلم بعد فقد المصطفى * والسحب ادمعها عليه هطول
أسفا على من جاءنا بهداية * وعليه حقا أنزل التنزيل
من بعد موت المصطفى هل لامرئ * في الدهر يوما للبقاء سبيل

فيا أيها الاخوان ان لنا في رسول الله أسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عليه الصلاة والسلام عبرة للناظرين وتبصرة للمتبصرين اذ لم يكن أحد أكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وصفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام بجذوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه حتى بكى لمصرعه الزكي من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره وقد امتثل الملك ما كان به مامورا واتبع ما وجد في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله تعالى صاحب المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الارض وصاحب الشفاعة العظمى يوم الزحام والعرض فالعجب انا لا نعتبر بحضرته الكريمة ولسنا على ثقة النجاة فيما نلقاه من الاحوال الجسيمة غير أنا أسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيآت فما بالنا لا نتعظ بمصرع سيد المرسلين وكرب امام المتقين ونزع حبيب رب العالمين فلعلنا نظن أننا مخلدون أو نتوهم انا مع سوء أفعالنا وقبح أحوالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل ستخرج منا الارواح وتذهب الافراح ونلقى كربات الوفاة ولا نسترجع مافات والكل على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللرجوع عنها متوهمون فانا لله وانا اليه راجعون اخواني تفكروا في الراحلين واعتبروا بالسالفين وتاملوا بالبصائر حال الدفين وتاهبوا فانتم في اثر الماضين أين الاخلاء وأين الاخوان أين الرفقاء وأين الاقران رحلوا عنا الى أبعد الاوطان وبنوا في القلوب بيوت الاحزان فمن الذي طلبه الموت فاعجزه من الذي تحصن في قبره وما أبرزه من الذي سعى في منامه فما أعوزه من الذي أمل طول الاجل فما نجزه أي عيش صفى وما كدره أي قدم سعى وما عثره أي غصن علا على ساقه وما كسره اما أخذ الآباء والاجداد اما ملأ القبور والالحاد اما حال بين المريد والمراد اما سلب الحبيب وقطع الوداد اما أرمل النسوان وأيتم الاولاد اما تتبع قوم تبع وعاد على عاد ماهذا الانزعاج عند موت الاحباب أوما على هذا الشرط رقم الكتاب هل لابقاء سبيل للناس هل يصح البناء مع تضعضع الاساس ياحزينا الفراق أترابه كئيبا لرحيل أحبابه يبكي ذهابهم غافلا عن ذهابه ان حزنه عليه لا عليهم أولى به

عزاء فما يصنع الجازع * ودمع الاسى أبدا ضائع
بكى الناس من قبل أحبابهم * فهل منهم أحد راجع
عرفنا المصائب قبل الوقوع * فما زادنا الحادث الواقع
فدلى ابن عشرين في قبره * وتسعون صاحبها رافع
وللمرء لو كان ينجي الفرا * ر في الارض مضطرب واسع

ومن حتفه بين أضلاعه * أينفعه انه دارع
وكل أبى لداعي الحما * م ان يدعه سامع طائع
يسلم مهجته سامحا * كما مد راحته البائع
ولو أن من حدث سالما * لما خسف القمر الطالع
وكيف يوقى الفتى ما يخاف * اذا كان حاصده الزارع

هذا المصير يا معاشر الغافلين واللحود المنازل بعد الترف واللين والاعمال الاقران فاعملوا ما يزين والقيامة تجمعكم وتنصب الموازين والاهوال العظام فاين المتفكر الحزين انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين اللهم اجعلنا ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء جنسه وأعد عدة تصلح لرمسه واستدرك في يومه ما ضيع في أمسه واجعلنا اللهم بطاعتك عاملين وعلى ما يرضيك مقبلين وآمنا من الفزع الاكبر يوم الدين وثبتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأنلنا شفاعة سيد المرسلين واغفر لنا ولوالدينا ولاقاربنا وارحمنا وكافة المسلمات والمسلمين الاحياء منهم والميتين وصل على محمد وعلى آله أجمعين

المجلس السادس والاربعون

(في الزهد وطول الامل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي ظهر لابصار البصائر عيانا فامتلأت قلوب عارفيه به ايمانا وولهت أفئدة محبيه هيمانا فعادت تطلب وصله من هجره أمانا الحي الباقي فلا يزول ولا يتفانا السميع البصير فهو يسمعنا ويرانا نحمده على ما منحنا وأولانا ونشكره وكيف لا نشكر مولانا ونشهد له بالوحدانية سرا واعلانا وان محمدا عبده ورسوله أرسله وشجرة الكفر قد فرعت أغصانا فقطعها بمنجل مجاهدته وزرع من الحقائق بستانا صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين كانوا أنصار الله على الحق وأعوانا ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا رزقنا الله تعالى محبتهم على الوصف الذي وصانا فمنهم أبو بكر الذي يوقد في قلوب مبغضيه نيرانا وعمر الذي جعل لعطاء المسلمين ديوانا وعثمان الذي يقطع الليل صلاة وقرآنا وعلي الذي نهواه معاشر السنة ويهوانا ماعلت الورق منابر الورق ورجعت ألحانا *(اما بعد)* فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون هذه تهديد للكفار أي خل هؤلاء الكفرة ودعهم عما أنت بصدده من الامر لهم والنهي فهم لا يرعوون أبدا الانهم كالانعام التي لا تهتم الا بالاكل والشرب وقوله تعالى ويلههم الامل أي يشغلهم طول الامل والعمر وبلوغ الوطر واستقامة الحال عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى وهم لا يزالون في الآمال الفارغة حتى يسفر الصبح لذي عينين وينكشف الامر ويروا العذاب يوم القيامة فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم قال في الفتح وفي هذا تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان الاول ينسي الآخرة والثاني يصد عن الحق وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجى أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل ولنذكر لكم في هذا الدرس ان شاء الله تعالى ما ورد في اليقين والزهد والبخل وطول الامل وما يتعلق بجميع ذلك وما يناسبه من الاحاديث الشريفة والآثار المنيفة والمواعظ اللطيفة قال ابن الجوزي عليه الرحمة عن الحسن رحمه الله تعالى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الناس لم يؤتوا في الدنيا خيرا من اليقين والعافية فاسألوهما الله عز وجل وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه ذرة بر من صاحب تقوى ويقين أفضل من أمثال الجبال من

عبادة المفترين وقال رحمه الله تعالى يا ابن آدم ان من ضعف يقينك أن تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يد الله عز وجل وقال أيضا انا نوقن بالموت والحساب والجزاء ولا نعمل عمل موقن وكأننا فى شك وكان شميط بن عجلان اذا وصف الموقنين يقول أتاهم من الله تعالى امر وذادهم عن الباطل فاسهر والعيون وأجاعوا البطون وأظمؤا الاكباد ونصبوا الابدان واهتضموا الطارف والتالد ١ وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقال لى يا عبد الواحد ان أحببت ان تعلم علم اليقين فاجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد واذ قد بان فضل اليقين فاليقين فى باب العلوم ما لا يحتمل الشك وقد يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع علمنا انه لا يشك فيه ولكن يراد بذلك العمل بمقتضى ما أيقن به والصالحون أيقنوا بالآخرة من حيث الدليل فلا يتداخلهم ريب واستعملوا الجوارح بمقتضى ما أيقنوا به على أن علوم المؤمنين تزيد وتنقص على قدر قوة الدليل عندهم وضعفه وليس وضوح ما ثبت بدليل كوضوح ما ثبت بادلة واعلم ان جميع المؤمنين يوقنون بان الله تعالى يراهم فى جميع احوالهم غير ان قوة اليقين والعمل بمقتضاه أظهرت على الاولياء المراقبة والتأدب فى القول والفعل كما يتأدب بمحاضر الملك فاليقين شجرة وخصال الخير فروعها فالعجب لموقن لا يعمل بمقتضى يقينه وما أحسن ما قاله عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان كنتم توقنون فانتم حمقى وان كنتم لا توقنون فانتم هلكى وهذا الان من أيقن بقصد السبع اياه وعلم انه لا نجاة له الا بان يفر فلم يبرح من مكانه فهذا فى غاية الحمق فكذلك من أيقن بندمه على تفريطه ثم دام عليه ميلا الى التسويف الذى هو فيه على خطر فانه مغتر فان استدرك أمره بالعلاج والا نازله الندم فى حال الفوت ولات حين مناص وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره ان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط ولقد أحسن القائل

قصر بذ نيلك الأمل * من قبل ادراك الاجل
فلترحلن كمثل من * قد كان قبلك وارتحل
واحذر وقوفك فى غد * عندا لحساب من الخجل
وقد اعترفت بما اقترفـ * ـت من الخطايا والزلل
فالى متى هذا الفتو * رو ذا التوانى والكسل

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنكبى فقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وعن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله مرنى بعمل اذا انا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم كانوا أفضل منكم فقيل له باى شئ قال انهم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة منكم وقال أبو واقد الليثى تابعنا الاعمال فلم نجد عملا أبلغ فى طلب الآخرة من الزهادة فى الدنيا واعلم ان معنى الزهد انصراف الرغبة عن الشئ وأحوال الزهاد تختلف فمنهم من ترك الدنيا لذم الشرع لها ومنهم من خاف طول الحساب عليها ومنهم من رآها قاطعة له عن الآخرة ومنهم من رأى الالتفات اليها يوجب الاشتغال عن الحبيب فلم يعرها الطرف واعلم ان الزهد الممدوح هو ترك الفضول التى لا تدعو اليها الحاجة والمهمات الضرورية سبعة أحدها المطعم فهمة الزاهد ما يدفع به الجوع مما يوافق بدنه ويقويه على الطاعة فان قصد الالتذاذ بشئ من المتناولات ليعطى النفس حظا يتقوى به لم يخرج من الزهد وقد

١ أى السابق واللاحق اهـ منه

كان سفيان الثورى حسن المطعم وربما سافر وفى سفرته اللحم المشوى والفالوذج وقد يدخر الزاهد شيأ ١ يتقوته فلا يخرجه من الزهد فقد كان لسفيان بضاعة وورث داود الطائى عشرين دينارا فانفقها فى عشرين سنة والثانى الملبس والزاهد يقتصر على ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة ولا بأس أن يكون فيه نوع تجمل لئلا يخرجه التقشف الى الشهرة وقد كان أكثر لباس السلف خشنا فصار الخشن اليوم شهرة وخطب عمر رضى الله تعالى عنه بالناس وهو خليفة وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة وكان أبو معاوية الاسود يلتقط الخرق من المزابل ويلفقها ويقول ما ضرهم ما أصابهم فى الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة والثالث المسكن وقد كان بعضهم يقنع بزوايا المساجد كاهل الصفة وبعضهم يبنى كوخا ومتى قصد ما يخرجه عن حد الضرورة خرج عن الزهد وقد توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة والرابع أثاث المنزل وينبغى للزاهد أن يقتصر فيه على الخزف وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان ضجاع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ينام عليه بالليل من أدم ٢ محشوليفا وقال على رضى الله تعالى عنه تزوجت فاطمة ومالى ولها فراش غير جلد كبش كنا ننام بالليل عليه ونعلف عليه الناضح بالنهار ومالى خادم غيرها والخامس المنكح وليس من الزهد تركه فان التشاغل به للعفاف لازم ولطلب النسل فضيلة ومن لا يجتمع همه الا بطلب المستحسن فذلك فى حقه فضيلة فاما اذا خاف عدم النفقة وشتات القلب وامكن الاقتصار على الدون فحسن والنكاح من سنن المرسلين وشعار الصالحين والسادس المال والزاهد يقتصر منه على ما يدفع الوقت ويقطع عنه منن الخلق والسابع الجاه ومعناه ميل القلوب ليتوصل به الى الاستعانة على ما يريده من الاغراض ودفع ما يؤذيه والزاهد يهدله الجاه فليحذر من شر ذلك وقد يتزهد الانسان فى المطعم والمشرب ويلبس الخشن ويقصد المدح بالزهد فذلك الخاسر فلابد من عدم هذا القصد الردىء ودفعه بستر الحال وان لا يلتفت بالقلب اليه والعمل كله على النيات والبواطن فنسال الله عز وجل سلامة نيتنا بواطننا وظواهرنا بمنه وكرمه قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء اعلم انه قد يظن أن تارك المال أو لابس الصوف زاهد وليس كذلك فكم من الرهبان من لازم ديرا لا باب له وقلل أكله ليعرف الناس حاله ويمدحوه له فلابد للزاهد من أن يزهد فى المال والجاه جميعا ومن يرائى فى ملبسه ومأكله فهو من أكلة الدنيا بالدين وينبغى للزاهد أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغى أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده ومن علامات الزاهد أن يستوى عنده ذامه ومادحه وأن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال الامام أحمد بن حنبل علامة الزهد قصر الامل انتهى ملخصا قال فى التبصرة وليعلم ان الزهد لا يتم الا بالتوكل وهو اعتماد القلب على الله وحده ومن اعتمد على السبب فليس بمتوكل ثم ان التوكل فعل القلب ولا ينافيه الكسب بالبدن والادخار وجلب المنافع ودفع المضار والتداوى ففى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحبس لاهله قوت سنتهم ولا يلتفت الى قول من قال ان المتوكل لا يدخر ولا يتعرض بالسبب فان أولئك قوم جهلوا معنى التوكل وآثروا الراحة والبطالة وقد قال الله عز وجل وخذوا حذركم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فان قال قائل اذا أخذ المتوكل سلاحه وأغلق بابه فباى معنى يكون متوكلا بالعلم والحال أما العلم فهو أن يعلم بالعدوان اندفع فبدفع الله تعالى لا باخذ السلاح وان سلم من اللص فبمنع الله تعالى لا بغلق الباب فيتوكل على المسبب لا على السبب وأما الحال فيكون راضيا بما يقضى الله تعالى عليه ومتى عرض له انه لو احترز لم يسرق متاعه فهو بعيد عن التوكل واذا علم ان الخيرة فيما يقضى الله تعالى لم يحزن فيما جرى وليعلم ان القدر كالطبيب للمريض فان قدم اليه الطعام فرح وقال لولا انه علم ان الغذاء ينفعنى ما قدمه وان منعه فرح وقال لولا انه علم أن

١ وروى فى الجامع الصغير نعم العون على الدين قوت سنة قال المناوى بكسر الدال أى ادخار قوت سنة وذلك لا ينافى الزهد وفى هذا الحديث ضعف اهـ منه

٢ الادم الجلد اهـ منه

الغذاء يؤذيني مامنعني روى عن الفيض بن اسحق انه قال قلت للفضيل حدلى التوكل فقال كيف تتوكل عليه وأنت مختار لك فتسخط قضاءه أرأيت لودخلت بيتك فوجدت امرأتك وقد عميت وابنتك قد أقعدت وأنت قد أصابك الفالج كيف كان رضاك بقضائه قلت أخاف أن لا أصبر فقال لاحتى يكون عندك واحدا ترضى بكل ماصنع في العافية والبلاء فبان ان التوكل عمل القلب واعتماده على الخالق ورؤيته ان لانفع ولاضر الامنه ورضاه بما يدبره لانه حكيم وقال في الاحياء اعلم ان التوكل من أبواب الايمان وقد وردت في فضله الآيات والاحاديث والاخبار أما الآيات فقد قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم أى عزيز لايزل من استجار به ولايضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحماه حكيم لايقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم بين ان كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى يدبر الامر مامن شفيع الامن بعد اذنه وكل ماذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار وأما الاخبار فقد روى ابن مسعود كماذكرناه في بعض الدروس الماضية قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت الامم في الموسم فرأيت أمتي قدملؤا السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لايكتوون ولايتطيرون ولايسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال سيدى وجدى الشيخ عبد القادر الكيلانى من أراد السلامة في الدنيا والآخرة فعليه بالصبر والرضا وترك الشكوى الى خلقه وانزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه سبحانه والانقطاع اليه فحرمانه عطاء وعقوبته نعماء وبلاؤه دواء ووعده حال وقوله فعل وكل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة غيرانه طوى عز وجل علم المصالح عن عباده وتفرد به فليس الا الاشتغال بالعبودية واداء الاوامر واجتناب النواهي والتسليم في القدر وترك الاشتغال بالربوبية والسكون عن لم وكيف ومتى وتستند هذه الجملة الى حديث ابن عباس قال بينما أنا رديف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال ياغلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن ولو جهد العباد أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله تعالى عليك لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله تعالى بالصدق في اليقين فاعمل فان لم تستطع فان في الصبر على ماتكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا فينبغي لكل مؤمن ان يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به من جهة حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة برحمة الله تعالى عز وجل انتهى وليعلم انه كما كان التوكل من صفات المؤمنين فالرضا أيضا من خصال الزاهدين والاولياء المقربين فقد قال عز وجل رضى الله عنهم ورضوا عنه قال العلماء رضا الله تعالى على العبد هو انعامه عليه باصلاح أحواله وتقريبه الى حضرته وأما رضا العبد عن الله سبحانه فان أدون المقامات في ذلك ان يقع رضا العبد لجهله بالمصالح ورب صلاح في ضمن بلاء وماقضى الله تعالى لمؤمن قضاء الا كان خيرا له وأعلى المقامات ان يكون العبد محبا لله تعالى فيرضى بما يقضى ومن حب محبوبا رضى بافعاله وروى أبو العلاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا أراد الله بعبد خيرا أرضاه بما قسم له وبارك له فيه واذا لم يرد به خيرا لم يرضه بما قسم له ولم يبارك له فيه وقالت أم الدرداء رضى الله تعالى عنها ان الراضين بقضاء الله تعالى لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة وروى في التبصرة عن سعيد بن

المسيب رحمه الله تعالى قال قال لقمان لابنه يابنى لاينزلن بك أمر رضيته أو كرهته الا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير لك قال اما هذه فلا أقدر أعطيكها دون ان أعلم ماقلت انه كما قلت قال يابنى فان الله تعالى قد بعث نبيا هلم حتى نأتيه فعنده بيان ماقلت لك قال اذهب بنا اليه فخرج هو على حمار وابنه على حمار فتزودا مايصلحهما ثم سارا أياما وليالى حتى تلقتهما مغارة فدخلاها فسارا ماشاء الله فاشتد الحر ونفد الماء والزاد واستبطا حماريهما فنزلا فجعلا يشتدان على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان فاذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه السواد شجر والدخان عمران وناس فبينما هما يشتدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم ناتئ على الطريق فدخل في باطن القدم حتى ظهر من أعلاها فخر ابن لقمان مغشيا عليه فحانت من لقمان التفاتة فاذا هو بابنه صريع فوثب اليه فضمه الى صدره واستخرج العظم باسنانه وشق عمامة كانت عليه فلف بها رجله ثم نظر الى وجه ابنه فذرفت عيناه فقطرت قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه فنظر الى أبيه يبكي فقال ياأبت أنت تبكي وأنت تقول هذا خير لى كيف يكون هذا خيرا لى وقد نفد الطعام والماء وبقيت أنا وأنت في هذا المكان فان ذهبت وتركتني على حالى ذهبت بهم وغم مابقيت وان أقمت معي متنا جميعا فكيف يكون هذا خيرا لى فقال أما بكائي يابنى فوددت انى أفديتك بجميع مالى وحظى من الدنيا ولكني والد ومني رقة الوالد واما ماقلت كيف يكون هذا خيرا لى فلعل ماصرف عنك يابنى أعظم مما ابتليت به ولعل ماابتليت به أيسر مما صرف عنك فبينما هو يحاوره اذ نظر لقمان أمامه فلم ير ذلك الدخان والسواد فقال في نفسه قد رأيت ولعله أن يكون ربى عز وجل قد أحدث بما رأيت شيئا فبينما هو يفكر في هذا اذ نظر أمامه فاذا هو بشخص قد أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض وعمامة بيضاء يمسح الهواء مسحا فلم يزل يرمقه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به فقال أنت لقمان قال نعم قال انت الحكيم قال كذلك يقال وكذلك نعتني ربى قال ماقال لك ابنك هذا السفيه قال من أنت ياعبد الله أسمع كلامك ولا أرى وجهك قال أنا جبريل لايرانى الا ملك مقرب أو نبي مرسل لولا ذلك لرأيتني فما قال لك ابنك هذا السفيه فقال لقمان ان كنت جبريل فانت أعلم بما قال ابنى فقال جبريل مالى بشئ من أمركما علم الا ان حفظتكما وقد أمرنى ربى بخسف هذه المدينة وما يليها فأخبرونى انكما تريدان هذه المدينة فدعوت ربى أن يحبسكما عنى بما شاء فحبسكما عنى بما ابتلى به ابنك ولولا ما ابتلى به ابنك لخسف بكما مع من خسف به قال ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائما ومسح يده على الذى كان فيه الطعام فامتلأ طعاما ومسح يده على الذى كان فيه الماء فامتلأ ماء ثم حملهما وحماريهما فاذا هما في الدار التى خرجا منها وليعلم انه من أعظم ادلة الزهد واليقين الكرم والتصدق على الفقراء والمساكين وقد وردت في ذلك آيات كريمة وأحاديث عديدة فقد قال سبحانه فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قال المفسرون أى أعطى حق الله من ماله وصدق بالحسنى وهو الخلف أى بان الله يخلف عليه وقيل هى الجنة وقيل كلمة التوحيد وقوله تعالى فسنيسره لليسرى اى للطريقة اليسرى وهى العمل بالطاعة وقيل اليسرى الجنة وقوله تعالى بخل واستغنى أى بخل بالانفاق في الطاعات واستغنى في دنياه باللذات وكذب بالحسنى أى بكلمة التوحيد فسنيسره للعسرى أى النار وسميت عسرى لافضائها الى العسر وروى أبو موسى الاشعرى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فليعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع أو لم يفعل قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فليأمر بالخير قالوا فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فانه له صدقة وفى الصحيح عن أبى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وعن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماطلعت الشمس الا بعث بجنبيها ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين ياأيها الناس هلموا الى ربكم فان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وملكان يناديان اللهم عجل لمنفق ماله خلفا ولممسك ماله تلفا وعن سعد بن أبى وقاص ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها حتى ماتجعل في فم امرأتك وقال السفيرى روى عن النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال للزبير يازبير انى رسول الله الى الناس عامة واليك خاصة أتدرى ماذا قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر الى خلقه قال عبادى أنتم خلقى وأنا ربكم أرزاقكم بيدى فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم فاطلبوا منى أرزاقكم والى فارفعوا حوائجكم انصبوا الى أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم أتدرون ماذا قال ربكم قال عبدى أنفق أنفق عليك وأوسع أوسع عليك ولا تضيق فاضيق عليك ان باب الرزق مفتوح من فوق سبع سموات متواصل الى العرش فلا يغلق فى ليل ولا نهار وينزل الله منه الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته من أكثر أكثر الله له ومن أقل أقل الله له يازبير ان الله يحب الانفاق ويبغض الاقتار وان السخاء من اليقين والبخل من الشك ولا يدخل النار من أيقن ولا يدخل الجنة من شك يازبير ان الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة ويحب الشجاعة ولو بقتل عقرب او حية *(خاتمة)* ان الدعاء لا ينافى التوكل كما ان التطبب ومعاطاة الاسباب لا تنافى التوكل وقد ورد الامر به فى آيات وأحاديث كثيرة قال تعالى ادعونى أستجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن مسلم دعا دعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال اما أن يعجل له دعوته واما ان يدخرها له فى الآخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثلها وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مامن مؤمن ينصب وجهه الى الله تعالى يسأله مسئلة الا أعطاه اياها اما أن يعجلها واما ان يدخرها له فى الآخرة مالم يعجل قالوا وما عجلته قال يقول دعوت الله عز وجل فلا أراه يستجاب لى قال العلماء وللدعاء آداب منها ان يرصد به الاوقات والاحوال الشريفة كما أخر يعقوب عليه السلام الاستغفار لبنيه الى السحر وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نودى للصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وفى حديث أنس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يستجاب الدعاء فى أربعة مواطن عند الاذان والاقامة اذا صفوا للصلاة وعند قراءة القرآن وعند نزول الغيث وعند القتال فى سبيل الله وعند كل ختمة دعوة مستجابة ومنها الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فروى الترمذى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال ان الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شئ حتى تصلى على نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها حضور القلب ففى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ومنها أكل الحلال قبل الدعاء ففى أفراد مسلم من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك ومنها أن لا يستعجل الاجابة فربما كانت المصلحة فى التأخير فعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يدعو عبده المؤمن يوم القيامة فيقول أى عبدى انى أمرتك أن تدعونى ووعدتك ان أستجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يارب فيقول وهل كنت ترى لبعض دعائك اجابة وبعضه لا ترى له اجابة فيقول نعم يارب فيقول أما انك مادعوتنى بدعوة الا استجبت لك فاما ان عجلتها لك فى الدنيا واما ادخرتها لك فى الآخرة أليس دعوتنى يوم كذا وكذا بغم نزل بك ان أفرج عنك ففرجت عنك فيقول بلى يارب فيقول انى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لحاجة فلم أقضها فيقول نعم يارب فيقول انى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا قال فيتمنى العبد فى ذلك الوقت فيقول ياليتنى لم يعجل لى من دعائى بشئ فيامن زاده قليل وطريقه بعيد يامقبلا وعجلا على مايضره تاركا ماينفعه أنسيت هجوم الموت العظيم الشديد أغفلت عن نزول اللحد المهلك المبيد اما تخاف الحساب اذا نشر الكتاب رقيب عتيد من لك اذا تلهف القادم وتأسف النادم وأقلقت المظالم وتعلق المظلوم بالظالم كم متحير هان بالامتهان وود عند شهادة الاركان انه ما كان ياله من يوم يخرس فيه لسان الانسان ويقلق عند بروز النيران الجيران فابك على ذنوبك وتأسف للعصيان فما يوضع فى الميزان مثل الاحزان ياقليل الاخلاص والتقى ستندم على

التفريط يوم اللقا يامطمئنا الى دار قليلة البقا ايثار مايفنى على مايبقى من الشقا كم معصية فعلتها وما اتقيت كم خطيئة بارزت بها وما استحييت كم موعظة سمعتها وما ارعويت كم دعيت الى ماينفعك فأبيت كم أقبل عليك مولاك بعظته فوليت يامن زمانه ينقضى بعسى وسوف وأرجو وليت يامن جسده حى وقلبه ميت متى تنق من برك متى تراقب من يراك متى تعرف شكر من أولاك متى تخجل من ذل زال قد علاك يابعيد الامل أجلك قريب أيها الغافل ستدعى فتجيب يامغترا بالسلامة سهم التلف مصيب ياراحلا عن قليل ساكن القبر غريب ياناسيا مابين يديه من الامر العجيب

كم تناديك الخطايا * رائد الموت المشيب
سوف تدعوك المنايا * وعلى رغم تجيب

أيها المشغول طول الليل بالمنام وطول النهار بالحطام أترضى بمشاركة الانعام هذب النفس فهى المقصود لا الاجسام

ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته * أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان

كيف يسوغ لك المطعم وقد فعلت ماتعلم يامعوجا بالشقاق لا يتقوم يامرتضعا ثدى الامل عن قليل تفطم اما يؤثر فيك عذل اللوم ان كان لك عذر فقل وتكلم سيظهر قبيحك غدا فالى كم يكتم أين غضك عن كل محرم أين امساكك لسانك فالتقى ملجم تأخذ اعراض الناس وتلدغها لدغ أرقم لسانك معسول بالخداع وقلبك علقم اللذة تفنى والعذاب يبقى هل تفهم يامصرا على الذنوب مثلك لا يسلم ان كنت قد انتبهت فاعزم على هجر النوم ان كنت رجلا فزاحم أويسا وابن أدهم القلب غائب والسر ذاهل فمن ذا يكلم وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه اللهم يامن فتح بابه للطالبين وأطلق بالسؤال ألسنة القاصدين نسألك أن تجعلنا من أوليائك المقربين المتوكلين وحزبك المفلحين وان تجعلنا من الآمنين من الفزع الاكبر يوم الدين اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله لنا استدراجا وعلمنا مالم نعلم وثبت قلوبنا على دين نبيك المعظم صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الطيبين وأصحابه المكرمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المجلس السابع والاربعون

(فى فضل الصحابة يقرؤ فى جمادى)

---

١ *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

الحمد لله القديم الاحدى العظيم الصمدى الدائم الابدى القائم السرمدى رفع بقدرته السماء وأجرى بحكمته الماء وعلم آدم الاسماء وأمكنه من العيش الهنى فخالف بالاكل الصواب فكشف الخلاف عنه الجلباب فخرج وما يعرف الباب لشوم ارتكاب النهى فمازال يبكى الهفوات ويستدرك سالف الفوت

---

١ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أحكم بحكمته ما فطر وبنى وقرب من خلقه برحمته ودنا ورضى بالشكر من بريته لنعمه ثمنا وأمر بخدمته لا لحاجته بل لنا يغفر الخطايا لمن أساء وجنى ويجزل العطايا لمن كان محسنا بين لقاصديه سبيلا وسننا ووهب لعابديه جزيلا يقتنى وأثاب حامديه ألذ ما يجتنى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أحمده مسر الحمد ومعلنا وأشهد ان محمدا عبده ورسوله أشرف من تردد بين جمع ومنى صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر المتخلل بالعباء راضيا بالعنا وهو الذى أراد بقوله تعالى وعنى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وعلى عمر المجد فى عمارة الاسلام فما ونى وعلى عثمان الراضى بالقدر وقد حل بالفناء الفنا وعلى على الذى بالغ فى مدحه والتفخر لنا وعلى سائر آله وأصحابه الأمنا وسلم تسليما اهـ منه

حتى عطفت على تلك العبرات رحمة الراحم الحفى فاحذر من الافعال الخباث فانها سبب الالتياث وتعلق بالمستغاث ينقذك من جهل العمى تفرد بالانعام والجود وأذل الاعناق له بالسجود وتنزه عن مشابهة كل موجود بالوجود الازلى موصوف بالرضا ويحذر منه السخط ومعروف بالكرم فاياك والقنط شرط عاملك التقوى فقم بالذى شرط فانه لاينسى أجر التق قضى القضاء قبل خلق الخلق وفرغ وأنزل القرآن والزمن من النذر قد فرغ لينذركم به ومن بلغ باللسان العربى وهو المكتوب المسموع المعروف المحفوظ المتلو المألوف والمتكلم به بالكلام موصوف نزله روح القدس على قلب النبى لايخلق على كثرة التكرار ولا يبلى ولا يقدر الخلق على مثله حاشا وكلا تعرف الملائكة كل بيت فيه يتلى معرفتهم بالكوكب المضى أحمده على العزم القويم القوى واستعيذه من الشيطان الرجيم الغوى وأشهد له بالتوحيد شهادة خالصة من الشك الردى وأشهد أن محمدا عبده ورسوله استخرجه من العنصر الزكى ونصره بالرعب قبل المشرفى أرسله بالدليل الواضح الجلى وزهده فى مجالسة الغنى الغبى ورغبه فى صحبة الفقير الضعيف القصى وعاتبه فى صهيب الرومى وبلال الحبشى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فصلى الله على سيدنا محمد الهاشمى القرشى المكى التهامى الزمزمى الابطحى وعلى صاحبه المخصوص بفضله ثانى اثنين وهو فى القبر مضاجعه كهاتين كيف لا وقد كانا رفيقين فى الزمان الجاهلى وعلى الذى كانت الشياطين تفر من ظله وتتفرق هيبة من أجله اذا سمعوا خفق نعله هربوا من الاحوذى وعلى مصابر البلاء من أيدى الاعداء الذى تستحى منه ملائكة السماء سلام الله على ذلك الحيى وعلى الذى ملئ علما وخوفا وعاهد على ترك الدنيا فأوفى ونحن والله بحبه أوفى من حب الرافضى وعلى جميع أصحابه وأزواجه وأتباعه على منهاجه ماقام مكلف بالفرض الرسمى وسلم تسليما *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (فنقول) وبالله تعالى التوفيق الكلام على هذه الآيات فى أربعة فصول

(الفصل الاول) فى تفسيرها قال المفسرون رحمهم الله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى متلبسا به أو لاجل الهدى والمراد به الدليل الواضح أو القرآن (ودين الحق) هو الاسلام (ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على كل الاديان بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا وقيل ليظهر رسوله عليه الصلاة والسلام وقد كان ذلك بحمد الله تعالى فان دين الاسلام قد ظهر على جميع الاديان وانقهر له كل أهل الملل وقيل ان تمام هذا الاعلاء عند نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدى رضى الله تعالى عنه حيث لايبقى حينئذ دين سوى دين الاسلام (وكفى بالله شهيدا) على ان ماوعده عز وجل من اظهار دينه على جميع الاديان أو الفتح كائن لا محالة أو كفى بالله شهيدا على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ادعاها وأظهر الله تعالى المعجزة على يده وذلك شهادة منه تعالى عليها (محمد رسول الله) أى هو أو ذلك الرسول المرسل بالهدى محمد وقرئ بنصب محمد على المدح (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) والمراد بمن معه عند ابن عباس من شهد الحديبية وهم أهل بيعة الرضوان الذين بايعوه تحت الشجرة وهى سمرة أو سدرة وكانت البيعة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفرون وقيل بايعوه على الموت وكان عددهم خمس عشرة مائة وقيل أربع عشرة مائة وقال الجمهور المراد بهم جميع أصحابه عليه الصلاة والسلام وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى ان فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين ورحمة ورقة على اخوانهم المؤمنين ونحوه قوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقد روى عن الحسن ان من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لايرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه قال الوالد عليه الرحمة فى روح المعانى والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء فقد أخرج

أبو داود عن البراء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما وفى رواية الترمذى مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا وفى الاذكار النووية انها مستحبة عند كل لقاء وأما المعانقة فقال الزمخشرى كرهها أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكذلك التقبيل قال لاأحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيأ من جسده ورخص أبو يوسف عليه الرحمة المعانقة ويؤيد ماروى عن الامام أبى حنيفة ما أخرجه الترمذى عن أنس قال سمعت رجلا يقول لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يارسول الله الرجل منا يلقى أخاه أينحنى له قال لا قال أفيلتزمه ويقبله قال لا وفى رواية الا أن يأتى من سفر قال أيأخذ بيده ويصافحه قال نعم وفى فتاوى ابن حجر الحديثية لاباس بالبر والاحسان على عدو الدين اذا تضمن مصلحة شرعية وقوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أى مصلين وهو اخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله) وهو الجنة (ورضوانا) يعنى رضا الله تعالى عنهم (سيماهم) أى علامتهم وقرئ سيماؤهم بزيادة ياء بعد الميم والمد (فى وجوههم) أى فى جباههم أو هى على ظاهرها (من أثر السجود) وهل هذه العلامة فى الدنيا أو الآخرة فى ذلك قولان أحدهما انه فى الدنيا وهى السمت الحسن والخشوع والوقار والتواضع وقيل ندى الطهور وأثر التراب على الجباه وقيل اصفرار الوجه من أثر السهر وقيل ظهور الانوار عليه وشاع تفسير ذلك بما يحدث فى جبهة السجاد مما يشبه أثر الكى وثفنة البعير وكان على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم يقال لكل منهما ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدث فى مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وهى مايقع على الارض من أعضائه اذا غلظ قال البقاعى ان من السيما مايصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود فى جبهته فان ذلك من سيما الخوارج وعن ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انى لأبغض الرجل وأكرهه اذا رأيت بين عينيه أثر السجود ذكره الخطيب وأخرج البيهقى عن حميد بن عبد الرحمن قال كنت عند السائب اذ جاء رجل وفى وجهه أثر السجود فقال لقد أفسد هذا وجهه أما والله ماهى السيما التى سمى الله تعالى ولقد صليت على وجهى منذ ثمانين سنة ما أثر السجود بين عينى ونظيره ماحكى عن بعض المتقدمين قال كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شئ ونرى أحدنا الآن يصلى فترى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى أثقلت الارؤس أم خشنت الارض والقول الثانى ان هذه السيما فى الآخرة أخرج البخارى فى تاريخه عن ابن عباس انه قال فى الآية بياض يغشى وجوههم يوم القيامة وفى رواية هو النور يوم القيامة وقيل انهم يبعثون غرا محجلين من أثر الطهور (ذلك مثلهم) أى صفتهم والمعنى ان صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه (فى التوراة) هذا (ومثلهم فى الانجيل) أى هذا المثل المذكور فى التوراة هو مثلهم فى الانجيل وقيل ان المتقدم مثلهم فى التوراة وأما مثلهم فى الانجيل (كزرع) وقيل ان مثلهم فى التوراة والانجيل كزرع (أخرج شطأه) أى فراخه وهو ماخرج منه وتفرع فى شاطئيه أى فى جانبيه وقال قطرب شوك السنبل يخرج من الحبة عشر سنبلات (فآزره) أى ساواه وصار مثله فقواه لان الاصل يتقوى بفروعه (فاستغلظ) أى صار ذلك الزرع غليظا بعد ان كان رقيقا (فاستوى على سوقه) وهو جمع ساق أى فاستقام على قصبه وأصوله (يعجب الزراع) أى زراعه لقوته وحسن منظره (ليغيظ بهم الكفار) وهنا تم المثل وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة رضى الله تعالى عنهم قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس وهذا ما اختاره بعضهم وقد أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن الضحاك وابن جرير وعبد بن حميد عن قتادة وذكر عنه أنه قال أيضا مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يخرج منهم قوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وفى الكشاف هو مثل ضربه الله تعالى لبدء ملة الاسلام وترقيه فى الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن معه كما يقوى الطاقة الاولى مايحتف بها مما يتولد منها وظاهره ان الزرع هو النبى عليه الصلاة والسلام والشطء أصحابه رضى الله تعالى عنهم فيكون مثلا له عليه الصلاة والسلام وأصحابه لا لاصحابه فقط كما فى الاول ولكل وجهة قال الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية

(الفصل الثانى) فيما ورد فى حق الصحابة رضى الله تعالى عنهم من الآيات والاحاديث وأقوال السلف واعلم أولا ان تعريف الصحابى على ماهو المشهور من رأى النبى عليه الصلاة والسلام أو رآه النبى ومات على الايمان وان تخللت بينهما ردة قال ابن حجر اعلم ان الذى أجمع عليه أهل السنة انه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد أثنى الله تعالى عليهم فى آيات من كتابه العزيز فمنها قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فاثبت سبحانه لهم الخيرية على سائر الامم ولاشئ يعادل شهادة الله تعالى لهم بذلك ومنها قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والصحابة رضوان الله تعالى عليهم فى هاتين الآيتين هم المشافهون بهذا الخطاب ولا يكون الأخيروالشاهد الاعدلا ومنها قوله تعالى يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم ومنها قوله عزشأنه لقد رضى الله عن المؤمنين اذيبايعونك تحت الشجرة ومنها قوله عزمن قائل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد رضى سبحانه وتعالى فى هذه الآيات ولا يقع الرضا منه سبحانه الاعلى من علم موته على الاسلام وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بانه راض عنه وعلم ان هذه الآيات صريحة فى رد من يزعم ان الصحابة غيرعدول أو انهم ارتدوا بعد وفاة نبيهم الا نحو ستة أنفس منهم سبحانك هذا بهتان عظيم فينبغى للمسلم أن يتصف بقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وأما الاحاديث النبوية فكثيرة منها مافى الصحيحين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتسبوا أصحابى فلوأن أحدا وفى رواية أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه وروى الدارمى وابن عدى وغيرهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم قال فى التبصرة روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله اختارنى واختارلى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا (١) ولاعدلا وروى الترمذى والحاكم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفى رواية أخرى خير الناس قرنى الذى أنافيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والآخرون أرذال وأخرج الخطيب البغدادى انه عليه الصلاة والسلام قال اذا ظهرت الفتن أو قال البدع وسب أصحابى فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولاعدلا وروى الديلمى عن أنس رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه وروى الترمذى عن عبد الله بن مغفل الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وروى الطبرانى وغيره عن على كرم الله تعالى وجهه الله الله فى أصحاب نبيكم فانه أوصى بهم وأما أقوال السلف فمنها ماقاله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان الله عزوجل نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير هذه الامة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ونقل دينه وقال العلماء ولو لم يرد شئ من الآيات والاحاديث التى ذكرناها لاوجبت الحالة التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والاولاد والمناصحة فى الدين والصبر والورع واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم وانهم أفضل من جميع الجائين بعدهم وليعلم ان الصحابة أصناف مهاجرون وأنصار وخلفاء والمشهور ان أفضلهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى وقال كثير من العلماء بتفضيل على على عثمان ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم باقى أهل أحد ثم باقى أهل بيعة الرضوان بالحديبية ثم باقى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

(١) قوله صرفا أى فرضا ونفلا اه منه

*(الفصل

(الفصل الثالث) فى فضائل أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر يلتقى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرة ولقبه عليه الصلاة والسلام عتيقا لجمال وجهه قال ابن الجوزى وكان على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه يحلف بالله ان الله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسرى به جبريل ان قومى لا يصدقونى فقال له جبريل يصدقك أبو بكر وهو الصديق ويكفيه فخرا قوله تعالى الاتنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا قال الشعبى عاتب الله أهل الارض جميعا فى هذه الآية غير أبى بكر وذكر المفسرون ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فى مكة فتجهز أبو بكر ليلحق بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رسلك أى اصبر فانى أرجو أن يؤذن لى ثم خرجا الى الغار وهو غار بجبل ثور قريب من مكة وبينهما مسيرة ساعة فجعل أبو بكر يشق ثوبه ويسد الانقاب فبقى نقب فسده بعقبه فمكث ثلاث ليال فى الغار فخرجت قريش تطلب الآثار فلما مروا بالغار رأوا نسج العنكبوت فقالوا لودخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على الباب ولقد أحسن البوصيرى بقوله

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت * ماكفته الحمامة الحصداء

فاختفى منهم على قرب مرآ * ه ومن شدة الظهور الخفاء

ونحا المصطفى المدينة فاشتا * قت اليه من مكة الانحاء

وقوله

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون مابالغار من ارم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم

وأخرجا فى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه ان أبا بكر حدثه قال قلت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن فى الغار لوان أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما وليعلم ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه معروف الفضل فى الجاهلية والاسلام ولما جاء الاسلام كان أول من أسلم وهو أول من خاصم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت أتى الصريخ أبا بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج من عندنا وان له غدائر فدخل المسجد وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا يقول ربى الله فلهوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر فرجع الينا فجعل لايمس شيأ من غدائره الاجاء معه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان أمن الناس على فى صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى عزوجل لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام ومودته لايبقى فى المسجد باب الاسد الاباب أبى بكر ١ وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مالاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ماخلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة ومانفعنى مال أحد قط مانفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال وهل أنا ومالى الالك يارسول الله وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال رآنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمشى أمام أبى بكر فقال يا أبا الدرداء تمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة ماطلعت الشمس ولاغربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر قال فى التبصرة وقد انفرد أبو بكر رضى الله تعالى عنه بان أفتى فى حضرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقدمه فى الصلاة ونص عليه نصا خفيا باقامته مكانه فى الصلاة وبما روى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قالت أتت امرأة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئت ولم أرك كأنها تقول الموت قال ان لم تجدينى فاطلبى أبا بكر أخرجاه فى الصحيحين وفيهما أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعائشة ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لابى بكر كتابا فانى أخاف أن يقول قائل ويتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وأخرج الواقدى

١ وقد تقدم هذا الحديث فى بعض الدروس برواية خوخة فلا تغفل اه منه

والحاكم عن عائشة قالت كان أول بدء مرض أبى أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى الصلاة وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة وافق عمره عمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أسن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأخرج الطبرانى عن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما قال لما احتضر أبو بكر قال يا عائشة انظرين اللقحة التى كنا نشرب من لبنها والجفنة التى كنا نطبخ فيها والقطيفة التى كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلى أمر المسلمين فاذا مت فارديه الى عمر فلما مات أرسلت به الى عمر فقال رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك ولما احتضر كتب كتابا بعد ان شاور أعيان الصحابة فى خلافة عمر بن الخطاب ثم ختمه وسلمه لعثمان وخرج به الى الناس فبايعوا وقالت عائشة لما احضر أبو بكر قال انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فان الحى أحوج الى الجديد من الميت ودفن فى حجرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت مدة خلافته نحوا من سنتين ونصف رضى الله تعالى عنه وأرضاه

(الفصل الرابع) فى فضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هو عمر بن الخطاب بن نفيل وعند كعب بن لؤى يلتقى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النسب وقد كان مقدما فى الجاهلية والاسلام وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه يلقب بخليفة رسول الله ثم كان عمر يكتب فى أيام خلافته من خليفة خليفة رسول الله ثم لقب بهذا اللقب قال الحافظ الذهبى أسلم فى السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة ففرح به المسلمون وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال خرج عمر متقلدا بالسيف فلقيه رجل من بنى زهرة قال أين تعمد يا عمر قال أريد أن أقتل محمدا قال وكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا فقال له عمر ما أراك الا قد صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه قال أولا أدلك على العجب يا عمر ان ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه فمشى عمر فأتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم قال فكانوا يقرؤن طه فقالا ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر ان كان الحق فى غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهى غضبى يا عمر ان كان الحق فى غير دينك فانا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما يئس عمر قال أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فاقرؤه فقالت أخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى قوله اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فقال عمر دلونى على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فانى أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الخميس اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام قال وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدار التى فى أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار قال وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم فهذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ثم قال اللهم اهد عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فأسلم وقال اخرج يا رسول الله قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عمر كبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد وقال يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده قال ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق لنخرجن قال عمر فخرجنا فى صفين حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والى فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قال فسمانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يومئذ الفاروق وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر وروى البزار والحاكم عن ابن عباس قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم منا اليوم وأنزل يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى البخارى وغيره عن ابن مسعود قال مازلنا فى عزة منذ أسلم عمر وابن سعد عنه أيضا قال كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصل الى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وأخرج أحمد بن حنبل والترمذى والطبرانى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كان نبى بعدى لكان عمر بن الخطاب وأخرج الترمذى انى لأنظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وفى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لعمر والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وأخرج النسائى وأحمد عن عائشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر وفى حديث على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتقوا غضب عمر فان الله يغضب اذا غضب *(ومن كراماته)* ما أخرجه البيهقى والخطيب البغدادى وأبو نعيم ان عمر وجه جيشا فى أيام خلافته الى نهاوند من بلاد العجم ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينا عمر يوم الجمعة يخطب فى مسجد المدينة جعل ينادى يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم على ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع فى خلدى ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا وان جاوزوا هلكوا فخرج منى ما تزعمون انكم سمعتموه قال ابن مردويه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم فعدلوا الى الجبل ففتح الله تعالى عليهم انتهى وله وطرق آخر ورآه طلحة ليلة يدخل بيتا فلما أصبح دخل طلحة ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة فقال ما صنع عندك ذلك الرجل فقالت انه يتعاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع وكان يقول لو مات جدى بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله عمر وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء وقد توفى رضى الله تعالى عنه فى آخر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وسنه ستون سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وكان سبب وفاته انه كان للمغيرة عبد مجوسى اسمه أبو لؤلؤة وكان ضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر فجاء الى عمر يشتكى شدة الخراج فقال ما صنعتك قال حداد ونقاش ونجار قال ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم عاد بعد ليال فقال يا أمير المؤمنين ان المغيرة زاد على فكلمه كى يخفف عنى فقال أحسن الى مولاك ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيرى وأضمر قتله واتخذ خنجرا ذا رأسين نصابه فى وسطه وسنه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات وكان ذلك يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة ودفن يوم الاحد مستهل المحرم بجنب أبى بكر فى حجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سعد بن أبى طلحة خطب عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين وانى لا أراه الا حضور أجلى وان قوما يأمروننى أن استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بى فأمر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض وقد جعلتها شورى فى عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ثم ان أهل الشورى بايعوا عثمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(الفصل الخامس) فى فضائل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وبه يجتمع مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان حسن الوجه كث اللحية أجمل الناس اذا اعتم وهو من السابقين الاولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن قال فى الصواعق ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره فقد تزوج رقية بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة وماتت عنده

فى ليالى غزوة بدر فتأخرعنها لتمريض رقية فضرب له بسهمه ولذا عدوه من البدريين ثم زوجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ولما أسلم بعد أبى بكر وعلى و زيد بن حارثة أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا أفكك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه وعن أنس انه أول من هاجر الى الحبشة باهله وقال عليه الصلاة والسلام ان عثمان لاول من هاجر باهله الى الله تعالى بعد لوط عليه السلام وأخرج أحمد ومسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة وأخرج أبو نعيم عثمان أحيى أمتى وأكرمها وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أول الليل الى أن طلع الفجر رافعا يديه يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال أنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد اذا اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال اسكن أحد ليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وأنا معه قال فانتشد له رجال قال أنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بيعة الرضوان اذ بعثنى الى المشركين أهل مكة فقال هذه يدى وهذه يد عثمان فبايع له فانتشد له رجال قال أنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من يسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت له فى الجنة فابتعته من مالى فوسعت به المسجد فانتشد له رجال قال وأنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم جيش العسرة قال من ينفق اليوم نفقة متقبلة فجهزت نصف الجيش من مالى قال فانتشد له رجال قال وأنشد بالله ١ من شهد بئر رومة ٢ يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى وأبحتها ابن السبيل فانتشد له رجال وقال عبد الرحمن بن خباب شهدت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حث على جيش العسرة فقام عثمان فقال يارسول الله على مائة بعير باحلاسها ٣ وأقتابها فى سبيل الله ثم حث على الجيش فقام عثمان فقال يارسول الله على مائة بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجيش فقام عثمان فقال يارسول الله على مائة بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله قال عبد الله فانا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد اليوم وفى الشفاء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرؤ المصحف وان الله تعالى عسى أن يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وفى حديث آخر يا عثمان ان الله تعالى مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى وقد قتل رضى الله تعالى عنه يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى سنة خمس وثلاثين من الهجرة وقصة قتله أشهر من أن تذكر وكان قد أحصر فى داره فى المدينة أياما ولم يدخل عليه أحد من باب الدار لان الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وجماعة من أبناء الصحابة كانوا على باب داره يمنعون الناس من الدخول عليه فدخل الاعداء عليه من دار محمد بن حزم الانصارى وأول من ضربه كنانة بن بشير لعنه الله وكان رجلا أزرق قصيرا وقد كان عثمان رضى الله تعالى عنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه ليلة قتله وهو يقول أفطر عندنا الليلة فاصبح صائما وأول ما ضرب على يده بالسيف فقطعت يده فقال أما والله انها أول كف خطت القرآن ومما يشجى قول الشاعر

وكف يديه ثم أوثق بابه * وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لاهل الدار لاتقتلوهم * عفا الله عن ذنب امرئ لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم الـ * ـعداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر بعده * عن الناس ادبار النعام الجوافل

وفى ذلك يقول أيضا أيمن بن خزيم

ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم * يخشوا على مطمح الكف الذى طمحوا

---

١ قوله من شهد بئر رومة الخ كذا بالاصل اه مصححه ٢ الرومة بالراء المهملة المضمومة بئر بالمدينة اه منه

٣ جمع حلس كساء على ظهر البعير تحت البرذعة اه منه

تعاقد الذابحو عثمان ضاحية * فاى ذبح حرام ويحهم ذبحوا

وأى سنة كفر سن أولهم * وباب كفر على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضل الله سعيهم * بسفك ذاك الدم الذاكى الذى سفحوا

ودفن قرب البقيع وكان عمره اثنين وثمانين سنة وكان مدة خلافته اثنتى عشرة سنة وصلى عليه الزبير بن العوام وعن زيد بن أبى حبيب بلغنى ان عامة من أشار بقتل عثمان جنوا وعن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لايموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره وعن أنس ان لله سيفا مغمودا فى غمده مادام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة فعليكم اخوانى بموالاة الاصحاب الكرام ومحبة المهاجرين والانصار للنبى عليه الصلاة والسلام فقد كانت أقدامهم فى الدجى قائمة وأعينهم ساهرة لانائمة وقلوبهم على الطاعة عازمة وهذه أفعال النفوس الحازمة فوجبت لهم نجاة قطعية جازمة وجوه يومئذ ناعمة وجوه طالما غسلتها الدموع وجوه طالما أذلها الخشوع وجوه ظهر عليها الاصفرار من الجوع خاطرت فى المهالك فاصبحت سالمة وجوه يومئذ ناعمة وجوه اذا عنت أذعنت وذلت وجوه ألفت السجود فاملت وجوه توجهت الينا وعن غيرنا تولت زالت عنها فترة الهجر وتجلت فخلت غانمة وجوه يومئذ ناعمة سهرهم الى الصباح قد أثر فى الوجوه الصباح واقتناعهم بالخبز القفار والماء القراح قد عمل فى الاجسام والاشباح وخوفهم من اجتراح الجناح قد صيرهم كمقصوص الجناح وعلى الحقيقة فكل الارواح من الخوف هائمة وجوه يومئذ ناعمة تجرى دموعهم فى الخدود كالماء فى الاخدود وتعمل نار الحذر فى الكبود فيتمنون عدم الوجود فهم بين الركوع والسجود ونصب الاقدام القائمة وجوه يومئذ ناعمة يتفكرون فى السابقة ويحذرون من اللاحقة وكأنهم يتقون الصاعقة أو كان السيوف على أعناقهم بارقة باشد قلقهم من الخاتمة وجوه يومئذ ناعمة وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما واجعلنا فقهاء وحلما اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا ومتعنا باسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا اللهم انا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور اللهم ارحم آباءنا وأمهاتنا وأقاربنا وكافة أموات المسلمين ياخير الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

المجلس الثامن والاربعون

(فى المعراج يقرؤ فى رجب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله فالق الحب والنوى وخالق العبد وما نوى المطلع على باطن الضمير وما حوى بمشيئته رشد من رشد وغوى من غوى وبارادته فسد من فسد واستوى ما استوى وصرف من شاء الى الهدى وعطف من شاء الى الهوى قرب موسى نجيا وقد كان مطويا من شدة الطوى فنحه فلاحا وكلمه كفاحا وهو بالواد المقدس طوى وعرج بمحمد اليه فرآه بعينيه ثم عاد وفراشه ما انطوى فاخبر بقربه من ربه وحدث بما رأى وروى فاقسم على تصديقه من حرسه بتوفيقه عن الهوى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى أحمده على صرف الجوى حمد من أناب وارعوى وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فيما نشر وطوى وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله وعود الهدى قد ذوى فسقاه بماء المجاهدة حتى ارتوى صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر الصديق صاحبه ان رحل

أو ثوى وعلى الفاروق الذى وسم بحده جبين كل جبار وكوى وعلى ذى النورين الصابر على الشهادة وما التوى
وعلى على الذى زهد فى الدنيا فباعها واجتوى وعلى جميع آله وأصحابه الذين هم كزرع على سوقه استوى
* (أما بعد) * فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بعد أعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى
الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد مارأى أفتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها
جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى مازاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (فنقول) وبالله تعالى
التوفيق قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره أقسم سبحانه بجنس النجم المعروف ومعنى هوى غرب وقيل طلع وقال
الحسن وأبو حمزة أقسم سبحانه بالنجوم اذا انتثرت فى القيامة وفى رواية عن ابن عباس اذا انقضت فى أثر الشياطين
وقيل المراد بالنجم الثريا قاله مجاهد وسفيان فان النجم صار علما بالغلبة لها ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا
طلع النجم صباحا ارتفعت العاهة وقول العرب

طلع النجم عشاء * فابتغى الراعى كساء طلع النجم غدية * فابتغى الراعى كسية

وقيل هو الشعرى المرادة بقوله تعالى وأنه هو رب الشعرى والكهان يتكلمون على المغيبات عند طلوعها وقيل
الزهرة وكانت تعبد وقال ابن عباس ومجاهد والفراء النجم المقدار النازل من القرآن على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم واذا هوى بمعنى اذا نزل عليه مع جبريل عليه السلام وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه هو النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وهويه نزوله من السماء ليلة المعراج وقيل هو الصحابة وقيل العلماء والمراد بهويهم غوصهم فى بحار
الافكار لاستخراج درر الاسرار وقيل غير ذلك (ماضل صاحبكم) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أى ماعدل
عن طريق الحق وهذا جواب القسم (وماغوى) أى ما اعتقد باطلا ولا تكلم به قط (وما ينطق عن الهوى) أى عن
هوى نفسه ورأيه قال العلامة ابن الجوزى فى التبصرة وذلك أنهم قالوا انه يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو الا
وحى يوحى) اى ما القرآن الا وحى من الله يوحى (علمه شديد القوى) أى علم جبريل عليه السلام النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (ذو مرة) أى قوة وكان من قوته انه قلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه فقلبها عليهم وصاح بثمود فاصبحوا
خامدين (فاستوى وهو بالافق الاعلى) فيه قولان أحدهما فاستوى جبريل وهو يعنى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم المعنى انهما استويا بالافق الاعلى لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى فاستوى أى فاستقام
جبريل وهو يعنى جبريل بالافق الأعلى على صورته الحقيقية لانه كان يتمثل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا هبط عليه بالوحى فى صورة رجل فاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يراه على حقيقته فاستوى فى أفق
المشرق فملأ الافق فيكون المعنى فاستوى جبريل بالافق الأعلى فى صورته والافق الاعلى مطلع الشمس وانما قيل
له الأعلى لانه فوق جانب الغرب فى صعيد الارض لا فى الهوى (ثم دنا فتدلى) قال الزجاج دنا بمعنى قرب وتدلى زاد
فى القرب وفى المشار اليه بذلك ثلاثة أقوال أحدها انه الله جل جلاله والمراد به القرب المذكور فى قوله تعالى من
تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا والثانى ثم دنا محمد من ربه والثالث أن جبريل دنا من محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم (فكان قاب قوسين) القاب القدر قال الكسائى المراد بالقوسين قوس واحد (أو أدنى) بل أدنى
(فأوحى) أى جبريل عليه السلام (الى عبده) أى عبد الله وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الى عبده
ولم يقل رسوله تشريفا له عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر

أصم اذا نوديت باسمى واننى * اذا قيل لى يا عبدها السميع

وقوله تعالى (ما أوحى) أى الذى أوحاه جبريل عليه السلام وابهام الموحى به للتفخيم مثل قوله تعالى فغشيهم من
اليم ما غشيهم وروى فى المواهب اللدنية عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه انه قال لما قرب الحبيب من الحبيب
غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فأوحى الى عبده ما أوحى أى كان

ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب وألطف به الطاف الحبيب بالحبيب نخفى السر
ولم يطلع عليه أحد ولم يعلم أحد ما أوحى الا الذى أوحى وعن سعيد بن جبير أوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ألم
أجدك يتيما فآويتك ألم أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فاغنيتك ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه سبحانه أن الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى
الامم حتى تدخلها أمتك ذكره الثعلبى والقشيرى وقيل غير ذلك (ما كذب الفؤاد مارأى) قال ابن عباس رأى ربه
عزوجل والمعنى ما أوهمه فؤاده انه رأى ولم ير واختلفوا فى الرؤية فأنكرتها عائشة ومن وافقها وقال كثير
بوقوعها لكنهم اختلفوا فقال بعضهم رأى ربه بعينه ومنهم من قال بقلبه ومنهم من قال بالتعدد مرة بعين رأسه
والاخرى رآه بفؤاده ومنهم من توقف (أفتمارونه على مايرى) أى أفتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة فتمارونه
عطف على محذوف وقرأ على كرم الله تعالى وجهه أفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم يقال مريته حقه اذا جحدته
أو المراد بما يرى ما رآه من صورة جبريل عليه السلام على ما قال كثير من العلماء (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة
المنتهى) هى شجرة النبق فوق السماء السابعة (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس هى يمين العرش وهى منزل
الشهداء وقيل لها سدرة المنتهى لانها كما روى عن ابن عباس اليها ينتهى علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه الا الله تعالى
أو لانها تنتهى اليها أعمال الخلائق بان تعرض على الله تعالى عندها أو لانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد
من تحتها أو لانها تنتهى اليها أرواح الشهداء أو المؤمنين وفى الكشاف لانها منتهى الجنة وآخرها (اذ يغشى
السدرة ما يغشى) متعلق برآه أو بالجملة المنفية الآتية والغشيان التغطية وفى ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى
وعن الحسن غشيها نور رب العزة جل شأنه وعن سلمة قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا الى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأذن لهم فغشيتها وقيل غير ذلك وهذه السدرة نبقها كقلال هجر وأوراقها مثل
آذان الفيلة يسير الراكب فى الفنن منها مائة سنة كما فى الاحاديث الصحيحة (مازاغ البصر) أى ما عدل بصر رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمينا ولا شمالا (وماطغى) أى ما جاوز مارآى بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل
عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وما جاوزها الى ما لم يؤمر برؤيته (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد
رأى الآيات الكبرى من آياته تعالى وعجائبه الملكية والملكوتية وجاء فى بعض الاخبار انه رأى رفرفا أخضر من
الجنة قد سد الافق وعن ابن زيد رأى جبريل فى الصورة التى هو بها وروى ان له ستمائة جناح كل جناح منها
يسد الافق هذا كان فى ليلة المعراج قبل الهجرة انتهى بزيادة من المواهب وروح المعانى وليعلم انه قد ثبت فى هذه
الآيات الكريمات عروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء قال الأمالى

وحق أمر معراج وصدق * ففيه نص اخبار عوالى

قال الشارح الفاضل الملا على القارى أما الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فيكفر منكره لثبوته
بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه
هو السميع البصير واما الى السماء فقد قالوا ان منكره مبتدع انتهى وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى هل كان
الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم مع روحه أو بروحه فقط فذهب معظم السلف والخلف الى الاول وذهب
الى الثانى طائفة من العلماء منهم عائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما وذهبت طائفة الى التفصيل فقالوا كان
الاسراء بجسده يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح والصحيح هو قول الجمهور للاحاديث المتعددة فى ذلك
وكذا اختلفوا فى تاريخ الاسراء فروى ان ذلك كان قبل الهجرة الى المدينة بسنة وقيل فى ربيع الاول ليلة سبع
وعشرين وقيل لسبعة عشر من رمضان وقيل فى رجب وقيل غير ذلك وكذا اختلفوا فى الموضع الذى أسرى
منه فقال الحسن وقتادة أسرى به من نفس المسجد ويؤيده حديث الصحيحين وقال كثير من المفسرين انه
أسرى به عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانئ بنت أبى طالب واسمها هند ففى سيرة ابن هشام انها كانت تقول
ما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة وذكرت حديثها بطوله قال فى

التبصرة روى ان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم حدث عن ليلة أسرى به قال بينما انا فى الحطيم مضطجع اذ أتانى آت فقد أى شق ما بين هذه الى هذه يعنى من ثغرة نحره الى شعرته قال فاستخرج قلبى قال فأتيت بطشت من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار بيضاء يقع خطوها عند أقصى طرفها قال فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتيت السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا انا بهرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا أنا بموسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح قال فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك قال أبكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا ابراهيم قال هذا ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى قال واذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ثم رفعت الى البيت المعمور قال ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم فقال ان أمتك لا تستطيع لخمسين صلاة وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت باربعين صلاة كل يوم قال فانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فوضع عنى عشرا أخر فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قال أمرت بثلاثين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فوضع عنى عشرا أخر فرجعت الى موسى فقال بم أمرت فقلت بعشرين صلاة كل يوم وليلة فقال ان أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت بعشر صلوات كل يوم قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال قلت قد سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم فلما نفذت نادى مناد قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى

أخرجاه فى الصحيحين وفى افراد مسلم من حديث أنس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتيت بالبراق فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى يربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت ركعتين وانما كان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج من هنالك الى السماء لاربع فوائد الاولى انه لو أخبر بصعوده الى السماء فى بدء الحديث لاشتد انكارهم ولو وصفها لهم لم يكن عندهم علم بذلك فلما أخبرهم ببيت المقدس ووصفه لهم دل صدقه فى ذلك على صدقه فى حديث المعراج الثانية انه سير فى الارض ليستأنس ثم درج الى الصعود الى السماء الثالثة ان الانبياء عليهم السلام جمعوا له هنالك فصلى بهم فبان فضله بالتقدم عليهم فى دار التكليف الرابعة أن مر بالنواحى التى كلم عندها موسى عليه السلام ثم صعد فكلم فى السماء ليظهر التفاوت بينهما وفى المواهب اللدنية للقسطلانى عليه الرحمة انه عليه الصلاة والسلام لما رجع من سفر الاسراء مر فى بعض طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير وفى رواية اضلوا بعيرا قد جمعه فلان قال صلى الله تعالى عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتى مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى وقال لهم ان من آيتى ما أقول لكم انى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه عليه الصلاة والسلام وفى رواية الى المسجد الاقصى سألوه آية فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لما أسرى بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال من المشركين الى أبى بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء فى غدوة وروحة فلذلك سمى الصديق رواه الحاكم فى المستدرك وابن اسحق وزاد ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله حدث هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبى الله صفه لى فانى قد جئته قال الحسن قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصفه لابى بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيأ وقول أبى بكر صفه لى لم يكن عن شئ فانه صدقه من أول وهلة ولكنه أراد اظهار صدقه عليه الصلاة والسلام لقومه فانهم كانوا يثقون بابى بكر فاذا طابق خبره عليه الصلاة والسلام ما كان يعلم أبو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفى رواية البخارى جلا الله لى بيت المقدس أى كشف الحجب بينى وبينه حتى رأيته وفى رواية مسلم فسألونى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فرفعه الله لى أنظر اليه ما يسألونى عن شئ الا أنبأتهم به فيحتمل أن يكون حمل الى أن وضع بحيث يراه ثم أعيد ففى حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه وهذا أبلغ فى المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين وأما ما وقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد فخيل الى بيت المقدس وطفقت أخبرهم فان ثبت احتمل أن يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل فى حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله جئ بالمسجد بمثاله وفى حديث أم هانئ المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها قال فجعلت انظر اليه وأعدها بابا بابا ولله تعالى در القائل

سرى النبى غريب وهو معجزة * عظيمة وذوو الاخبار ترويه
به علا لذوى السبع العلى ودنا * الى مقام شريف جل مدنيه
فقاب قوسين أو أدنى مسافته * ورؤية الله أعلى نعمة فيه

فسبحان من أسرى بعبده فعاد الحساد أسرى قصرت دولته قيصر وكسرت هيبته كسرى أقامه بالليل من وطائه ودثاره ورفعه فوق السموات بقوته واقتداره وأراه ما فى جنته وما فى ناره وأوحى اليه ما أوحى من أسراره ثم

اعاده فى الليل الى مسكنه وقراره جاوز أفق الشمس والقمر وعلا على الملائكة والبشر وفاز بالتقريب والنظر وماحضر أحد قط حيث حضر ارتقى الى مقام القرب بقدميه والاملاك تحف به من جانبيه وجبريل يمشى خادما بين يديه والرب قد أنعم بتقريبه اليه وكشف له الحجاب حتى رآه بعينيه حماه بالطافه من الزيغ فى طريقه وأيده باسعافه واسعاده وتوفيقه وعضده فى صدقه بتصديق صديقه سبحان من رفعه فوق الافلاك وقدمه على الانبياء والاملاك وانه والله أهل لذلك لانه أطول القوم فى جهاد أهل الاشر الذيلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا أوقد لهداية الخلق سراجه وشاد قواعد دينه وأبراجه وقوى دليله وأظهر احتجاجه فالخزى كل الخزى لمن جحد معراجه ويلا له ويلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا كلمه كفاحا ومنحه فلاحا وسقاه من شراب المحبة راحا يميل باعطافه ميلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا أصلح بتدبيره طباع المرضى وجعل طاعته على الخلق فرضا وضمن أن يعطيه حتى يرضى كيلا يحصر مايعطى وزنا وكيلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا سبحان من شرفنا بهذا الرسول ورزقنا موافقة المنقول فنحن أهل السنة لا أهل الفضول لا نزال على الصراط ولا نزول مانعرف ميلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا فخر نبينا أجل وأعلى ومناقبه من الشمس أجلى وذكره فى قلوبنا والله أحلى عند قيس من ليلى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا اللهم وفقنا المتابعة نبيك الكريم وارزقنا الاستمساك بسنته ودينه القويم واحشرنا فى زمرته وآمنا من الهول العظيم اللهم وأيقظ قلوبنا من رقدات الآمال وذكرنا قرب الرحيل ودنو الآجال وصبرنا على أقوم الامور وأشرف الخصال فى غدوا تنا وفى الآصال اللهم اشف بلطفك مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وصلى الله تعالى على سيد الانبياء والمرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين* (تتمة)* ولنذكر مجلسا مسجعا ملحقا بهذا المجلس لمن يريد قراءة المعراج على وجه الاختصار منقولا من كتاب تحفة الاخوان لشهاب الدين أحمد بن حجازى عليه رحمة الرحمن وهو الحمد لله الذى أشرقت بنوره الحجب والاستار ومن عنده جرت الاقدار وكل شئ عنده بمقدار وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له اله تقدس وتعالى عما يقول الكفار وأشهد أن محمدا عبده ورسوله السيد الفائق والامين الصادق والحبيب الموافق والمنقذ بشفاعته أمته من النار صلى الله وسلم عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام وساق اليه أطيب التحيات وانماه وجزاه الله عنا أفضل الجزاء وأرضاه وآتاه الوسيلة فى دار القرار ورضى عن آله السادة النجباء وأصحابه القادة الكرماء وتابعيهم وسائر العلماء ما انفجر صبح ونار وطلع قمر واستنار (وبعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه المنير سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير أخبر الله تعالى بما أكرم نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم من الاسراء به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى المقدس الاسنى ثم عرج به الى السموات ليريه من الآيات وقد صرح الله تعالى بذلك وأثنى بقوله والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى الى قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وكان المسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حجر مكة المعظم ليلا فى اليقظة لا فى المنام بجسده الشريف على الصحيح بين العلماء الاعلام ١ ولله تعالى در الفاروقى حيث يقول

من الغرائب مولاه براه لنا * شمسا وأسرى به فى حندس الظلم

وعمره اذ ذاك احدى وخمسون سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما حسنة قبل الهجرة بسنة ليلة سبع عشرة من ربيع الاول وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وعلى الاول المعول وقد روى هذه القصة طائفة كثيرة من الصحابة الاكرمين من رواية جماعة كثيرة من التابعين من طرق جيدة حسنة ووجوه يشق حصرها على الالسنة جمعت غالبها وسقته فى هذا المجلس وجعلته كاللباب لان فيه من أمر الله تعالى وقدرته وسلطانه وعجائب مخلوقاته

١ قوله ولله الى اخر البيت هذا ملحق بالاصل وليس فيه اهـ منه

عبرة لاولى الالباب فكان فيما بلغنا عن مسرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الخبر انه بينما هو نائم فى الحجر اذ جاءه ثلاثة نفر من الملائكة الكرام وفيهم جبريل عليه السلام فلم يكلموه حتى احتملوه وعند بئر زمزم وضعوه فتولاه منهم جبريل فشق صدره الجليل وغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقاه وأتى بطست من ذهب محشو ايمانا وحكمة فطيب به صدره وحشاه وشرح صدره هذه المرة للقاء الرحمن وتلك المرة التى عند حليمة لازالة حظ الشيطان ثم قدم جبريل البراق مسرجا ملجما بين يديه وهو دابة أبيض بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره عند أقصى طرفه ومنتهاه وهو مركب الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومسراه فذهب صلى الله تعالى عليه وسلم ليركبه فاستصعب عليه وتشدد فامسك جبريل بياديه وقال ألا تستحى يا براق فوالله ماركبك أحد فيما تقدم أكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتصبب البراق عرقا ثم قرله حتى صار راكبه فسار ومعه جبريل لايفارق أحدهما صاحبه حتى بلغا أرضا ذات نخل فقال جبريل أنزل فصل أيها الخليل ففعل فقال اعلم ان هذه لطيبة التى وقفت عليها وتكون هجرتك اليها ثم سار قليلا مع الامان فقال له جبريل انزل فصل بهذا المكان ففعل ماأمره من ذلك فقال انك صليت بطور سيناء حيث كلم الله تعالى موسى هنالك ثم سارا يعلوهما نور حتى بلغا أرضا ذات قصور فقال له جبريل انزل فصل بهذه البقعة الشريفة ففعل فاخبره انها بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم العفيفة ثم سار الى ان دخلا بيت المقدس من الباب اليمانى وحصل بذلك الشرف والعز والتهانى ونزل عن البراق سيد الانام وربطه بالحلقة التى يربط بها الانبياء عليهم السلام ثم دخلا المسجد من باب يميل نور القمرين فصلى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حيث شاء الله فى المسجد ركعتين ثم وجد ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان فى نفر من الانبياء قد جمعوا له فى ذلك المكان فصلى بهم اماما لديهم ليكمل له الشرف عليهم ثم ان كلا منهم أثنى على ربه الجليل بما خصه من الثناء الجميل فلما سمع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ما أثنى كل من صحبه أثنى بثناء عظيم على ربه فقال الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل أمتى هم الاولون وهم الآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى فاتحا خاتما فلما فرغ من الثناء المحمود قال ابراهيم للانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذا فضلكم محمد عليه الصلاة والسلام ثم أتى بثلاثة أوان قريبة لبن وماء وخمر عجيبة وقد ثبت من طرق واتصل انه عرض عليه أناء من عسل فاخذ اللبن وشربه وترك الماء والمدام فقال له جبريل أصبت الفطرة أنت وأمتك الكرام ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعماها فصعدا من جهة المشرق أعلاها فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت فامسكتها الملائكة لما تحركت ومالت ثم أتى بالمعراج الفائق فنصب بين يديه وهو الذى يعد المحتضر اليه عينيه فأصعده جبريل عليه وعرج به الى السماء الدنيا فضرب جبريل بابا من أبوابها العليا عليه الملائكة صافين يحفظونه بامر الملك المعين فقال له الموكلون من ذا فقال جبريل قالوا ومن معك من الانام قال محمد عليه أفضل الصلاة والسلام قالوا أو قد بعث اليه العلى الأعلى قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا فاستبشر أهل السماء بقدومه المبارك الميمون وتلقته الملائكة حين دخل ضاحكين مستبشرين يقولون له خيرا ويدعون ولقيه ملك عابس فقال خيرا ودعا فقال جبريل يا محمد هذا مالك خازن النار أتى اليك وسعى ولم ير ضاحكا من حين خلقه الجبار فقال يا مالك أر محمدا النار فكشف عنها غطاءها ففارت وخرجت وكادت ان تاخذ مارأت حين ارتفعت فامره جبريل بردها فقال لها مالك اخسئى فرجعت ثم رأى رجلا جالسا يرى أسودة ١ عن يمينه فيضحك ويستبشر ثم يلتفت عن شماله فيبكى ويعتبر فقال جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فالتفت آدم اليه وخاطبه بخطاب الوالد الناصح وقال مرحبا وأهلا بالولد الصالح والنبى الناصح فسأل جبريل عن الاسودة التى رآها المختار فقال هى نسم بنيه المؤمنين والكفار فاهل اليمين أهل الجنة ذات القرار وأهل الشمال أهل النار ثم رأى رجالا لهم مشافر عظيمة فى أيديهم قطع من نار جهنم يقذفونها

١ العدد الكثير من الناس وعامتهم اهـ منه

فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فسال جبريل عنهم ليزداد علما فقال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما ثم أبصر ناسا يعرضون على النار لكل واحد منهم بطن كبير عظيم يمر عليهم كالابل الهيم كلما مر واهنالك لا يتحولون عن مكانهم ذلك فقال جبريل هؤلاء أكلة الربا الهوالك ثم نظر الى رجال بين أيديهم لحم طيب سمين وبجانبهم لحم منتن مهين من الغث المنتن يأكلون وللسمين الطيب تاركون فقال جبريل يا محمد هؤلاء تاركوما أحل الله لهم من النساء الطيبات ومرتكبوا الحرام من النساء الخبيثات ثم رأى نساء معلقات بابزازهن ١ فسأل جبريل عن أحوالهن فقال هن اللاتى أدخلن على أزواجهن بالفساد ما ليس لهم باولاد ثم مضى جبريل بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرأى نهرا عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده الى ترابه فشمه فاذا هو مسك أذفر فقال له جبريل هذا ما خبألك ربك هذا الكوثر ثم صعد به الى السماء الثانية ولم يزل يعرج به من سماء الى سماء حتى انتهى الى السماء السابعة ذات العجائب الرائعة والملكوت الباهر والآيات البديعة فرأى الانبياء فى السموات على قدر منازلهم الرفيعة فآدم فى الاولى كما تقدم وفى الثانية يحيى وعيسى بن مريم وفى الثالثة يوسف الصديق وفى الرابعة ادريس الرفيق وفى الخامسة هرون الكريم وفى السادسة موسى الكليم وفى السابعة ابراهيم الخليل ذو الشيبة والنور جالس على كرسى من نور متوجها للبيت المعمور فرحب به واستبشر بقدومه العظيم وسلم علينا على لسان نبينا الكريم فعليهما أنمى الصلاة وأزكى التسليم ثم دخل به جبريل جنة المأوى وسقفها عرش الرحمن فرأى فيها قباب اللؤلؤ والياقوت والمرجان ترابها المسك الأذفر ونقارها الدر والجوهر ثم عرج به جبريل من ذلك المقام الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام ثم أتى به سدرة المنتهى فى الحال واذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها كالقلال فى أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقال جبريل أما الباطنان ففى الجنة دار المسرات وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم غشاها من الله تعالى ما غشاها فتغيرت فما أحد من الخلق يستطيع ينعتها من حسن ما تزينت ثم تأخر عنه جبريل وتقدم الحبيب الخليل فناداه الرب الجليل فقال لبيك وسعديك والخير فى يديك فأمره بسؤاله ليفيض عليه من جزيل نواله فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وموسى كليما وألنت لداود الحديد وسخرت له الجبال وأعطيته فضلا عظيما وأعطيت سليمان ملكا عظيما لا ينبغى لاحد من العالمين وسخرت له الريح والجن والانس والشياطين وعلمت عيسى التوراة والانجيل الكريم وجعلته يبرئ الاكمه والابرص والسقيم وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم وجعل يذكر له معجزات الانبياء الاخيار فخاطبه الملك الجبار طمأنينة لقلبه وتطييبا يا محمد قد اتخذتك حبيبا وأرسلتك كافة الى الناس أجمعين وجعلتك أنت وأمتك الآخرين السابقين فلا تجوز لهم خطبة فى مقام حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى الى الأنام وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا لتذهب عن القلوب المريضة ظلمة ووعثا واخترتك هاديا مهديا وآتيتك سبعا من المثانى لم أعطها قبلك نبيا وأعطيتك خواتيم سورة البقرة الجليلة المفتخره من كنز تحت عرشى عطاء دائما وجعلتك فاتحا خاتما وأباحه الجبار عز وجل النظر اليه وأجزل نعمه وفضله لديه وفرض فى كل يوم وليلة خمسين صلاة عليه فرجع وعليه خلع القرب والرضوان مغمورا بمواهب الرحمن الى أن هبط به جبريل الكريم حتى بلغ موسى الكليم فقال موسى يا محمد ماذا فرض ربك على أمتك من العبادات فقال فى كل يوم وليلة خمسين من الصلوات فقال يا محمد انى خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة على أقل من هذا وان أمتك لا تستطيع هذا العمل الكثير فارجع فليخفف عنك اللطيف الخبير فالتفت الى جبريل كأنه مستشير هنالك فقال له جبريل نعم ان شئت ذلك فعلا به الى الجبار جل وعز ودنا فقال يارب خفف عنا مما به أمرتنا فوضع عنه عشر صلوات من الخمسين فرجع به جبريل الامين حتى بلغ به موسى فسأله بما أمر فقال باربعين فرده موسى الى كاشف الضر والازمة فسأله التخفيف لهذه الامة شفقة منه علينا ورحمة وتلذذا بكلام من سمع خطاب الرحمن وفاز بالرؤية العظيمة الشان ولم يزل يردده حتى صارت الصلوات خمسا فرجع الى موسى وقد وجد به أنسا

١ الظاهر بفروجهن اهـ منه

فاخبره

فاخبره بما فرض عليه وأوحى فى هذه الاسرار اليه فقال يا محمد قد والله عالجت بنى اسرائيل وراودتهم على أدنى من هذا العمل القليل فلم يقبلوه وضعفوا عنه وتركوه وان أمتك أضعف اجسادا واسماعا وأبصارا وأقل الامم اعمارا فارجع الى ربك الجليل ليأمرك بعمل قليل وهو فى كل ذلك يلتفت الى جبريل ليستشيره ولا يكره ذلك جبريل ليتم سروره فرفعه عند ذلك الى الجبار فقال يارب خفف عن أمتى فانهم ضعفاء الابدان قصار الاعمار فقال يا محمد قال لبيك وسعديك تلذذا بالخطاب قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضته عليك فى أم الكتاب فالحسنة بعشر أمثالها مضاعفة مأثوره وهى خمسون فى أم الكتاب وخمس عليك مسطورة ومن هم بحسنة فلم يمض لها أمرا كتبت حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فان عملت صارت واحدة لديه فرجع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتى موسى عليه السلام فاخبره بما أمره الملك العلام فقال موسى قد والله راودت قومى على أدنى من ذلك فلم يبلغوا تلك المسالك فارجع الى ربك واسأله التخفيف للامة وزيادة النعمة فقال يا موسى قد استحييت مما اختلف الى الله تعالى قال اهبط باسم الله فهبط به جبريل عليهما الصلاة والسلام فاصبح وهو فى المسجد الحرام فلما صلى عليه الصلاة والسلام الفجر قال لام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة ثم جئت بيت المقدس فصليت فى بقعته الفاخره ثم صليت معكم الصبح اليوم ولاحدثن به القوم ولا أخشى من عتب ولا لوم فقالت يا نبى الله لا تحدثهم بذلك فيكذبوك ولا تذكره لهم فيؤذوك فذكره لقريش فانكرته وكذبته وجحدته وارتدت طائفة ممن أسلم ونسبوه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكذب واللمم وافتتن ناس من الالتباس فانزل الله تعالى فيهم وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس وذهب الناس لابى بكر وأخبروه الخبر فقال ان كان قاله فقد صدق فيما ذكر وما يعجبكم مما سمعتم من صلاته هنالك فوالله انه ليخبرنى الخبر يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة وأصدقه فى ذلك ثم أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستخبره عما نفوه به وتكلم وقال صف لى بيت المقدس فانى مشتاق لرؤية ذلك الحرم وقد زرته ورأيته فكشف الله تعالى له عن بيت المقدس وجلاه لديه فطفق يخبرهم عن آياته وهو ينظر اليه كلما وصف شيأ مما رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له أبو بكر رضى الله تعالى عنه صدقت أنا أشهد انك رسول الله لقد صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ذكره وأبداه فلما انتهى فى الوصف على التحقيق قال له لقد أجبت وأصبت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم وأنت موفق يا أبا بكر الصديق ثم أخبر قريشا بامارات جلية تدلهم على تحقيق هذه القضية انه مر بعير قوم بينما هم فى الخبر بواد وصفه لهم فيما ذكر فانفرهم حس الدابة فند لهم بعير لديه فطلبوه فدلهم عليه وهو ذاهب الى الشام فلما رجع عليه أفضل الصلاة والسلام مر بعير بنى فلان وهو سائر بضجنان ١ فوجد القوم نياما بذلك المكان ولهم اناء فيه ماء فشرب به ثم غطاه كما كان وزاد قريشا من الدلالات والتفهيم ان تلك العير تصوب عليهم من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح أسود كأنه رداء وعليه غرارتان برقاء وسوداء فلما سمع القوم كلام سيد الاصفياء سألوه عن العير متى تجيء فقال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرف القوم يعنى قريشا ينظرون العير هل تجيء كما قال البشير النذير فلم تجئ حتى كاد اليوم يدخل فى أمس فدعا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست له الشمس فاقبلت العير من الثنية يقدمها ذلك الجمل المعلم كما وصفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسألوهم عن الاناء فاخبروهم انهم ملؤه ماء وخمروه ٢ فلم يجدوا فيه ماء حين كشفوه وسألوا الآخرين عن خبر البعير الذى ند لهم ووجدوه بعد ان نفر فقالوا صدق والله فى الخبر لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر وفقدنا بعيرا وطلبناه فسمعنا صوت محمد يدعونا اليه حتى أخذناه فصدق بهذه القصة أهل الطاعة والايمان وجحدها أهل النفاق والعصيان بعد أن قامت الدلالات القاطعة للجدال ولقد أحسن من قال

وليس يصح فى الأذهان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

فكيف تنكر هذه القصة الباهرة ودلالاتها بينة ظاهرة وقد ذكرها الرحمن فى محكم القرآن ولقد أحسن القائل

١ ضجنان كسكران جبل قرب مكة وجبل آخر اهـ منه ٢ أى غطوه اهـ منه

سادالانام محمد خيرالورى * بفضائل جلت عن الاحصاء
وجوامع الكلم التى مانالها * أحد من الفصحاء والبلغاء
والى الخلائق كلهم ارساله * فشفى القلوب الجمة الادواء
وله الوسيلة والشفاعة فى غد * ومقامه السامى على الشفعاء
ويجىء يومئذ كماقد قاله * أنارا كب والرسل تحت لوائى
ولقد دنا من ربه لما دنا * فى ليلة المعراج والاسراء
سمع الخطاب بحضرة قدسية * ماحازها أحد من العظماء
وبرؤية الجبار فازونالها * من نعمة جلت على النعماء
مانال موسى والخليل وما اجتبى * مانلته ياسيد النجباء
ونروم فضلا من جنابك سيدى * وشفاعة يا أعظم العظماء
فاليك ساق الله سحب صلاته * وجزاك رب العرش خيرجزاء
وعلى صحابتك الرضامتعددا * والآل والأتباع والعلماء

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الاهوال والافات وتقضى لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيآت وترفعنا بها أعلى الدرجات وتبلغنا بها اقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات وعلى آله وصحبه وزوجاته امهات المؤمنين وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

المجلس التاسع والاربعون
(فى فضائل شعبان المعظم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القديم فى الذات والصفات الاول المنزه عن الحدوث فلا يتغير ولا يتحول المنعم على العباد فكم أعطى وأجزل ومن فزاد وأكثر ونول وأسدى وأغنى وأقنى ومول ثم عاد وعاد وجاد وتطول وأطمع ورجا وخوف وهول وأعان على العدو كلما زخرف وسول فهو المرجو للشدائد وعلى فضله المعول يحكم مايشاء ولا يسئل عما يفعل أحمده على لطفه فانه حليم لا يعجل وأقر بوحدانيته اقرار موقن لا يجهل وأصلى على رسوله المقدم على الأنبياء المفضل وعلى صاحبه أبى بكر الذى عليه فى صحبة الغار عول وعلى عمر المتورع فما ترخص ولا تأول وعلى عثمان المعطى جزيلا فما قال وعلى على بن أبى طالب الأقرب الأعلم الأفضل وعلى بقية آله وأصحابه المرضيين الكمل وسلم تسليما *(أما بعد)* فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين *(فنقول)* وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون حم فيه قولان أحدهما انه من المتشابه الذى استأثره الله بعلمه وهو مذهب السلف الصالح قالوا هى سر الله فى القرآن ولله فى كل كتاب من كتبه سر فهى وأمثالها كالم وطسم وكهيعص من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه ولا نحب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها ونمرها كما جاءت وروى هذا القول عن أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وغيرهما من أكابر الصحابة ثانيهما ان هذه الحروف معرفة المعنى واليه ذهب جمع من العلماء واختلفوا فى ذلك على أقوال فعن ابن عباس ان الحروف المقطعة من القرآن اسم الله الاعظم الا انا لا نعرف تأليفه منها وقال الفراء والمبرد وغيرهما هى اشارة الى حروف الهجاء أعلم الله تعالى بها العرب حين تحداهم بالقرآن انه مؤتلف من الحروف التى بنى كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه أبلغ فى الحجة عليهم اذ لم يخرج عن كلامهم فقد كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما نزل الم والمص استنكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أقبل عليهم بالقرآن

المؤتلف ليثبته فى أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم وقال بعضهم هى حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بعينها فالالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وحم الحاء من حميد والميم من مجيد وقيل غير ذلك كما هو مفصل بعاله وعليه فى التفاسير المطولة قلت ومن المتشابه أيضا قوله تعالى يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى ويبقى وجه ربك وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فيقول هل من مستغفر فأغفر له وغير ذلك من الآيات والاحاديث فالخلف يؤولونها كتأويل الاستواء بالاستيلاء وتأويل النزول بنزول الرحمة والسلف يؤمنون بها ويكلون الكيفية الى الله تعالى كما قال الامام مالك لما سأله السائل كيف استوى فقال له مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا المذهب هو الاسلم كما ذكرناه لكم فى بعض الدروس قال تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر الا أولوا الالباب فقد ذهب جمع من القراء والمفسرين الى الوقف على قوله تعالى الا الله والابتداء بالراسخون فى العلم الاية والاعتراضات والاجوبة فى هذه المسئلة كثيرة من الطرفين ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع الى كتاب العبد الفقير جلاء العينين وقوله تعالى (انا أنزلناه) أى القرآن فى ليلة مباركة هى ليلة القدر كما روى عن ابن عباس وقتادة وابن جبير ومجاهد وعليه أكثر المفسرين كما ذكرناه أيضا فى مجلس ليلة القدر وقال عكرمة وجماعة هى ليلة النصف من شعبان وتسمى ليلة الرحمة والليلة المباركة وليلة الصك وليلة البراءة قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى ووجه تسميتها بالاخيرين ان البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة والصك كذلك ان الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة والصك فى هذه الليلة ولفظة البراءة بهذا المعنى عامية ولم تسمع من العرب وقيل أصله ان الجانى كان اذا جنى وعفا عنه والملك كتب له كتاب أمان مما خافه فكان يقال كتب السلطان لفلان براءة ثم عمم ذلك فيما كتب من أولى الامر أمثالهم انتهى وقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) أى يفصل ويلخص ويبين والحكيم بمعنى المحكم لانه لا يبدل ولا يغير بعد ابرازه للملائكة عليهم السلام بخلافه قبله وهو فى اللوح المحفوظ فان الله تعالى يمحو منه مايشاء ويثبت أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس انه قال فى ذلك يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر مايكون فى السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان وأخرج عبد بن حميد عن ربيعة بن كلثوم قال كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد ليلة القدر فى كل رمضان هى قال اى والله انها لفى كل رمضان وانها الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق الى مثلها وروى هذا التعميم عن غير واحد من السلف وقيل يبدأ فى استنساخ كل أمر حكيم من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب الى جبريل عليه السلام وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل عليه السلام صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وقد ذكروا فى ليلة النصف من شعبان أخبارا كثيرة منها ما أخرجه ابن ماجه عن على كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول ألا مستغفر فاغفر له ألا مسترزق فارزقه ألا مبتلى فاعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر وأخرج الامام أحمد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يطلع الله الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن وقاتل نفس وروى ابن الجوزى فى التبصرة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى فبات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عندى فلما كان فى جوف الليل فقدته فاخذنى عليه ما يأخذ النساء من الغيرة فتلفعت بمرطى أما والله ما كان مرطى خزا ولا قزا ولا حريرا ولا ديباجا ولا قطنا ولا كتانا فقيل مم كان قالت سداه كان شعرا ولحمته أوبار الابل فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده فانصرفت الى حجرتى فاذا به كالثوب الساقط على وجه الارض ساجدا وهو يقول فى سجوده سجد لك سوادى

وخيالى وآمن بك فؤادى هذه يدى وما جنيت بها على نفسى يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم أقول كما
قال داود عليه السلام أعفر وجهى بالتراب لسيدى وحق له أن يسجد سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره
ثم رفع رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم ارزقنى قلبا نقيا تقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم سجد وقال
أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من معاقبتك لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك قالت ثم
انصرف ودخل معى فى الخميلة ولى نفس عال فقال ماهذا النفس يا حميراء قالت فاخبرته فطفق يمسح بيده على ركبتى
ويقول ويس هاتين الركبتين ماذا لقيتا فى هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا
فيغفر لعباده الا المشرك أو مشاحن وفى رواية أخرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها يا حميراء أما تدرين ما هذه
الليلة هذه ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب قلت يا نبى الله
وما بال غنم بنى كلب قال ليس فى العرب قوم أكثر غنما منهم لا أقول فيهم (١) ستة مدمن خمر ولا عاق والديه ولا مصر
على ربا أو زنا ولا مصارم ولا مصور ولا قتات وقد ذكرت لكم هذا فى غير هذا المجلس والله تعالى أعلم وفى
الدر المختار وحاشيته ومن المندوب احياء ليلتى العيدين والنصف من شعبان والعشر الاخير من رمضان وليالى العشر
الاول من ذى الحجة فرادى لانهم صرحوا بكراهة الاجتماع على احياء ليلة من هذه الليالى فى المساجد قال فى البحر
ومن هنا يعلم كراهة الاجتماع على صلاة الرغائب التى تفعل فى رجب فى أول جمعة منه وانها بدعة وما يحتاله بعضهم من
نذرها لتخرج عن النفل والكراهة فباطل قال الوالد عليه الرحمة وذكر بعضهم فيها صلاة مخصوصة وانها تعدل
عشرين حجة مبرورة وصيام عشرين سنة مقبولة وروى فى ذلك حديثا طويلا عن على كرم الله تعالى وجهه وقد
أخرجه البيهقى ثم قال يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعا وهو منكر ولهذا أعرضنا عنه وليعلم انه يحصل قيام
هذه الليالى بالصلاة نفلا فرادى من غير عدد مخصوص وبقراءة القرآن والاحاديث وسماعها وبالتسبيح والثناء
والصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحاصل ذلك فى معظم الليل وقيل بساعة منه وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما بصلاة العشاء جماعة والعزم على صلاة الصبح جماعة كما قالوه فى احياء ليلتى العيدين وفى صحيح
مسلم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح
فى جماعة فكأنما قام الليل كله * ولنذكر لكم مما يتعلق بشهر شعبان فانه شهر نبى الانس والجان قال فى عقد الدرر
واللآلئ فى فضل الشهور والايام والليالى قال بعضهم انما سمى شعبان لانه يتشعب فيه خير كثير لرمضان وقيل
لتشعب القبائل المتفرقة فيه لان العرب كانت تفترق فى رجب ولا تجتمع على الغارات فيه ولذا سمى برجب الاصم
فاذا انسلخ رجب اجتمعت وتشعبت كما كانت فى غيره وقيل مشتق من شعب الخيرات والايمان أعظمها وأعظم شعب
الايمان الصلاة والصوم فينبغى للمؤمن أن يجتهد فيه بالطاعات ويكثر الصيام والصلوات ولقد أحسن القائل

من ذا يشعب فى شعبان همته * ويستقيم على الطاعات اذعانا
فانه شهر من ترجى شفاعته * يوم القيامة فيمن كان خوانا
سمى لما فيه من خير ومن نعم * تشعبت بعد صدع كان شعبانا

وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول اذا رأى هلال شعبان اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان
وبلغنا رمضان وفى الغنية لسيدى الكيلانى قدس سره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان
يأمر مناديا يقول شعبان شهرى فرحم الله من أعاننى على شهرى يعنى بالصوم والصلاة والصدقة فينبغى للمسلم اكثار
الخير فيه لانه عليه الصلاة والسلام قد أضافه اليه ولزم أيضا أن يكثر فيه الصلاة عليه وروى العلامة الحافظ
أبو الفرج بن الجوزى فى التبصرة بسنده الى عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يصوم شعبان كله فقلت يا رسول الله ان شهر شعبان لمن أحب الشهور اليك أن تصومه فقال نعم يا عائشة انه ليس
من نفس تموت فى السنة الا كتب أجلها فى شعبان فاحب أن يكتب أجلى وأنا فى عبادة ربى والعمل الصالح وعن

(١) قوله لا أقول فيهم الخ هكذا باصله وليحرر الحديث اهـ مصححه

عثمان بن المغيرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له
ولقد خرج اسمه فى الموتى قال فهذان الحديثان لم يعين فيهما متى يكون ذلك من شعبان وعن الحسن بن سهل قال قال
شعبان يا رب جعلتنى بين شهرين عظيمين فمالى قال جعلت فيك قراءة القرآن وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله
تعالى عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه
كله لانه عليه الصلاة والسلام ما كان يصوم جميع أيام السنة بل كان يفطر أياما ويصوم أياما فقد قالت عائشة وابن
عباس وأنس كان عليه الصلاة والسلام يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم قال العلماء وما ذاك
الا لتقوية البدن لئلا يضعف عن سائر العبادات وقد قال عليه الصلاة والسلام ان لنفسك عليك حقا ولزوجك
عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه ولذا كان صوم الدهر مكروها عند كثير من العلماء وكان صوم داود أفضل الصيام
فانه كان يصوم يوما ويفطر يوما كما ورد فى الحديث وكان عليه الصلاة والسلام يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس كما
قال أبو هريرة كان صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس ويغفر الله تعالى فيهما لكل مسلم الا المتهاجرين
يقول دعوهما حتى يصطلحا نقله فى عقد الدرر ثم قال وروى كراهة صيامهما عن أنس بن مالك وكرهت طائفة صيام
يوم معين دائما لئلا يتأسى به جاهل فيظن ان ذلك واجب وان فعل على غير اعتقاد الوجوب فحسن أقول ولذلك
اختلف العلماء فى صوم يوم الشك وهو اليوم الذى يلى التاسع والعشرين من شعبان يعنى يوم الثلاثين منه ولنذكر
لكم ما قالوا فيه على سبيل الاجمال ذاكرين بعض المذاهب والاقوال فقد قال أئمتنا الحنفية فى كتبهم ما نصه ولا
يصام يوم الشك الا نفلا ويكره غيره من فرض أو واجب ولو صامه لواجب آخر كره تنزيها ولو جزم ان يكون من
رمضان كره تحريما للتشبه باهل الكتاب لانهم زادوا فى صومهم وعليه حمل حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين الا رجل كان يصوم صوما فليصمه والتنفل فيه أفضل
ان وافق صوما يعتاده أو صام من آخر شعبان ثلاثة أو أكثر لا أقل للحديث المتقدم وان لم يوافق صوما يعتاده ولا صام
من آخر شعبان ثلاثة فأكثر استحب صومه للخواص ولا يعلم العوام بذلك كيلا يعتادوا صومه فيظنه الجهال زيادة
على رمضان وأما العوام فيفطرون بعد الزوال وكل من علم كيفية صوم يوم الشك فهو من الخواص والا فمن العوام
وكيفية النية المعتبرة هنا أن ينوى التطوع على سبيل الجزم ولا يخطر بباله انه ان كان من رمضان فعنه ولو ردد فى
أصل النية فهو ليس بصائم بان نوى ان يصوم غدا ان كان من رمضان والا فلا أصوم لعدم الجزم بالنية ولو نوى ان
كان من رمضان فعنه والا فعن نفل فهو مكروه انتهى وقال الامام أبو سليمان الخطابى فى شرحه لسنن أبى داود
ما نصه عن أبى اسحق عن صلة قال كنا عند عمار فى اليوم الذى يشك فيه فأتى بشاة فتنحى بعض القوم فقال عمار من
صام هذا اليوم فقد عصى أبا القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم قلت اختلف الناس فى معنى النهى عن صيام يوم الشك
فقال قوم انما نهى عن صيامه اذا نوى به أن يكون عن رمضان فاما من نوى به عن صوم يوم شعبان فهو جائز هذا قول
مالك بن أنس والاوزاعى وأصحاب أبى حنيفة ورخص فيه على هذا الوجه أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقالت
طائفة لا يصام ذلك اليوم عن فرض ولا تطوع للنهى فيه وليقع الفصل بذلك بين شعبان ورمضان هكذا قال عكرمة
وروى معناه عن أبى هريرة وابن عباس وكانت عائشة وأسماء ابنتا أبى بكر رضى الله تعالى عنهم تصومان ذلك اليوم
وكانت عائشة تقول لأن أصوم يوما من شعبان أحب الى من أن أفطر يوما من رمضان وكان هذا مذهب عبد الله
ابن عمر صوم يوم الشك اذا كان من ليله فى السماء سحاب أو قترة فان كان صحوا ولم ير الناس الهلال أفطر مع الناس
واليه ذهب أحمد بن حنبل وقال الشافعى ان وافق يوم الشك يوما كان يصومه صامه والا لم يصمه وهو أن يكون من
عادته أن يصوم صوم داود فان وافق يوم صومه صامه وان وافق يوم فطره لم يصمه انتهى وفى عقد الدرر لشهاب الدين
الحنبلى فى الكلام على حديث أبى هريرة اذا انتصف شعبان فلا تصوموا ما نصه أن النهى عن الصيام بعد النصف
انما هو لمن ليس له عادة والا فلا يمنع من هذه الطاعة كيف وقد ثبت فى الصحيحين عن سيد الثقلين صلى الله تعالى عليه
وسلم من حديث عمران بن حصين أنه قال لرجل هل صمت من سرر هذا الشهر وفى رواية من سرر شعبان شيأ قال لا قال

فاذا أفطرت فصم يومين والسرر بفتح السين المهملة آخر الشهر على ماهو المشهور لاستسرار القمر فيه وقد اختلفت الرواية عن الامام أحمد اذا حال دون المطلع غيم فروى عنه وجوب صيامه من رمضان وهو قول عمر وعلى وروى عنه أيضا انه اذا لم يحل دون مطلعه شئ أصبح الناس مفطرين فان جاءهم خبر كان عليهم يوم مكانه ولا كفارة وروى عنه أيضا أنهم يفعلون ما يفعله امامهم وكان عمر بن الخطاب اذا كانت تلك الليلة معتمة يصوم ويقول ليس هذا بالتقدم ولكنه بالاحتياط فمن أفطر أخذ بالجواز ومن صام أخذ بالاحتياط وأصح من روى عنه صومه عبد الله بن عمر قال ابن عبد البر والى قوله ذهب طاوس اليمانى وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى انتهى باختصار ومن أراد التفصيل فعليه بالكتب المطولة والله تعالى أعلم بالصواب فيا اخوانى اجتهدوا فى هذا الشهر بعود ذنوبكم واستغيثوا الى مولاكم من عيوبكم وهذه ليلة الانابة فيها تفتح أبواب الاجابة أين اللائذ بالجناب أين المتعرض للباب أين الباكى على ماجنى أين المستعد لامر قد دنا ألا رب فرح بما يؤتى فقد خرج اسمه فى الموتى ألا رب غافل عن تدبر أمره قد انفصمت عرى عمره ألا رب معرض عن سبيل رشده قد آن أوان شق لحده ألا رب رافل فى ثوب شبابه قد أزف فراقه لاحبابه ألا رب مقيم على جهله قد قرب رحيله عن أهله ألا رب مشغول بجمع ماله قد حانت خيبة آماله ألا رب ساع فى جمع حطامه قد دنا تشتت عظامه ألا رب مجد فى تحصيل لذاته قد آن خراب ذاته أين من كان فى مثل هذه الايام فى منازله مشغولا بشهواته مغرورا بعاجله أما أصاب مقاتله سهم مقاتله أما ظهرت خسارته عند حساب معاملته أين المعتذر مما جناه فقد اطلع عليه مولاه أين الباكى على تقصيره قبل تحسره فى مصيره

اذا لم تكن دنياك دار اقامة * فمالك تبنيها بناء مقيم
وما صح ود الخل فيها وانما * يغر بود فى الحياة سقيم
وجدت بنى الايام فى كل موطن * يعدون فيها شقوة كنعيم
تزيدك فقرا كلما ازددت ثروة * فتلقى غنيا فى ثياب عديم

هذه ليلة أمرها عظيم والخير فيها جزيل عميم وكفى وصفها فى الكلام القديم فيها يفرق كل أمر حكيم فيها تقسم الآجال والاعمار فيها يكتب الحجاج والعمار كم جامع دينارا الى دينار وأكفانه عند القصار وهو يعمر الدار عمارة مقيم فيها يفرق كل أمر حكيم كم مؤمل أملا خاب كم منقول على ذم وعاب يا هذا مضى زمان الشباب يا من كبر على الزلل وشاب قد استشن الاديم فيها يفرق كل أمر حكيم يا سيئ السر والعلن يا جاريا على أقبح سنن يا ناسيا الحاق من ظعن يا سليما فى الجسم والبدن لكنه سليم فيها يفرق كل أمر حكيم اخوانى الى كم مع البلايا الام تأمنون الرزايا أين الاستعداد للمنايا اعتذروا الليلة من الخطايا فالمولى كريم فيها يفرق كل أمر حكيم أقبلوا بالقلوب الليلة اليه وقفوا بالخضوع والخشوع لديه وتعلقوا بجوده تعويلا عليه وانكسروا بالذل بين يديه فانه رحيم فيها يفرق كل أمر حكيم مدوا أنامل الرجاء الى بابه واتبعوا فى البكاء طريق أحبابه وتعرضوا الليلة لجزيل ثوابه واحذروا من سطوته وعقابه فعقابه أليم فيها يفرق كل أمر حكيم بين أيديكم يوم لا كالايام يتنبه فيه كل من غفل ونام وتزفر جهنم على أهل الآثام فيجثوا الخليل والكليم فيها يفرق كل أمر حكيم قوموا بنا الى مطلوبنا قفوا بنا على باب محبوبنا هلموا نستغيث من ذنوبنا لعله يهب عن قلوبنا من العفو نسيم فيها يفرق كل أمر حكيم اللهم يا خالق الانسان وبناه واللسان وأجراه يا من لا يخيب من دعاه هب لكل منا فى هذه الليلة ما رجاه وبلغه من خير الدارين مناه يا أكرم من كل كريم اللهم واذا اطلعت فى ليلتنا هذه على خلقك فعد علينا بمنك وعتقك وقدر لنا من الحلال واسع رزقك واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك وارحمنا برحمتك يا رحيم اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك رحمتك ومن قدرت طول حياته فاجعل فى ذلك نعمتك واسبل على الجميع سترك ومغفرتك وعاملنا بعفوك يا حليم اللهم اشف فى هذه الليلة مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا يا ذا الفضل العميم اللهم انا

نسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم فانك تعلم ولا نعلم فعمنا بلطفك القديم وارحم آباءنا وتجاوز عن أمهاتنا واغفر لمشايخنا وأقاربنا واحفظ ذرياتنا وأدخلنا جميعا جنة النعيم وصل على سيدنا محمد وآله أجمعين

المجلس المتمم الخمسين

(فى الميزان والصراط والحساب والكتاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الواحد المجيد الخالق الرازق ومن عنده المزيد الفعال فى عبيده لما يريد يسبحه الحب النضيد والاب الحصيد والدما فى البيد والدماء فى الوريد والقريب والبعيد والرقيب والعتيد اقتضت نعمة الخالق شكرا فوجدت النفوس بالجهل سكرى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أوجد ما شاء كما شاء وأعدم وأمات وأحيى وعافا وأسقم وأغنى وأفقر وأهان وأكرم واطلع على أسرار الخلق وفاوت بينهم وقسم فمنهم شقى وسعيد أحمده على ما ينعم ويفيد وأقر بوحدانيته عن برهان لا عن تقليد وأصلى وأسلم على رسوله وعبده معدن الرسالة وأفضل العبيد صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الثابت على وقعة يوم الردة ثبات الحديد وعلى عمر القوى فى دين الله الشديد وعلى عثمان التقى النقى الرشيد وعلى على مقدم الاهل وبيت القصيد وعلى سائر آله وأصحابه ذوى الرأى السديد وسلم تسليما *(أما بعد)* فقد قال تعالى فى محكم كتابه العزيز ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (فنقول) وبالله تعالى التوفيق القسط العادلة وانما أفرد لانه فى الاصل مصدر أو على حذف مضاف أى ذوات القسط والمقسط العادل قال الله تعالى ان الله يحب المقسطين وأما القاسط فهو الجائر قال تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فقسط الثلاثى بمعنى جار وأقسط الرباعى بمعنى عدل كذا قيل ومن الغريب ما حكى ان الحجاج عامله الله تعالى بعدله لما أحضر سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه قال ما تقول فى قال قاسط عادل فاعجب الحاضرين فقال لهم الحجاج ويلكم لم تفهموا جعلنى جائرا كافرا ألم تسمعوا قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله تعالى ليوم القيامة أى لاهلها وقيل اللام بمعنى فى وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيأ) أى لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد فى اساءة مسئ وقوله سبحانه وان كان مثقال حبة من خردل قرئ بنصب مثقال وبرفعه ومثقال الشئ ميزانه أى وان كان العمل فى غاية الخفة والقلة والحقارة فان حبة الخردل مثل فى الصغر (أتينا بها) أى أحضرناها وجئنا بها أى بموزونها للمجازاة عليها (وكفى بنا حاسبين) أى محصين لكل شئ والحسب فى الاصل معناه العد وقيل عالمين وليعلم ان الامور التى تقع فى الدار الآخرة ويجب على المكلف الايمان بها واعتقادها كثيرة فمنها الميزان والصراط والشفاعة والحوض ورؤية البارى جل جلاله وغير ذلك فلنذكر أشياء مما هنالك قال السفارينى عليه الرحمة فى منظومته

واجزم بامر البعث والنشور * والحشر جزما بعد نفخ الصور
كذا وقوف الخلق للحساب * والصحف والميزان للثواب
كذا الصراط ثم حوض المصطفى * فيا هنا لمن به نال الشفا
عنه يذاد المفترى كما ورد * ومن نحا سبل السلام لم يرد
فكن مطيعا واقف أهل الطاعة * فى الحوض والكوثر والشفاعة
فانها ثابتة للمصطفى * كغيره من كل أرباب الوفا
من عالم كالرسل والابرار * سوى التى خصت بذى الانوار

قال العلماء ان مراتب المعاد البعث والنشور ثم الحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها

باليمين والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان أما الحشر والنشر فقد ذكرناه فى بعض الدروس فلا حاجة الى التكرار وأما الحساب فقد ثبت فى الكتاب والسنة واجماع أهل الحق قال تعالى فو ربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى فى حق أعدائه أولئك لهم سوء الحساب وقال تعالى وقالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والحساب لغة العد واصطلاحا توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن الا من استثنى منهم وقد اختلف فى معنى محاسبة الله تعالى عباده على ثلاثة أقوال أحدها انه يعلمهم مالهم وما عليهم قيل بان يخلق الله فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم الثانى ونقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويأتيهم كتب أعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيآتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم الثالث أن يكلم الله تعالى عباده فى شأن أعمالهم وكيفية مالها من الثواب وما عليها من العقاب أخرج الطبرانى والبزار باسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من نوقش الحساب هلك وروى الامام أحمد يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة وروى الامام أحمد أيضا من حديث عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يحشر الله العباد يوم القيامة عراة غرلا بهما أى غير مختونين وليس معهم شئ ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الديان أنا الملك لا ينبغى لاحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغى لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه حتى اللطمة قال قلنا كيف وانما نأتى عراة غرلا بهما قال الحسنات والسيآت وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار واما وقوف الخلق لاخذ الصحف وهى الكتب التى كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل انسان من سائر أعماله فى الدنيا القولية والفعلية فقد ثبت بالكتاب والسنة قال الله تعالى واذا الصحف نشرت أى للحساب وانما يؤتى بها الزاما للعباد ورفعا للجدال والعناد وقال تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال العلماء معنى طائره عمله وقال تعالى وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وفى رواية أخرى فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا والفتيل هو القشر الذى فى شق النواة وهذا يضرب مثلا للشئ الحقير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه الوسخ الذى يظهر بفتل الانسان ابهامه بسبابته وأما السنة فقد أخرج العقيلى عن انس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى ريحا فتطيرها بالايمان والشمائل أول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا وعن أبى هريرة مرفوعا عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس عليه واخرج الامام احمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال اما عند ثلاث فلا عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف وعند تطاير الكتب فاما من يعطى كتابه بيمينه أو بشماله وحين يخرج عنق من النار الحديث قال بعض العلماء يعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من امامه ويعطى المؤمن العاصى كتابه بشماله من أمامه وقيل بيمينه ايضا ويعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بان تخلع أو يدخلها من صدره وأما الميزان فالايمان به ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ولا عبرة بمن أنكره من المعتزلة قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغى أن يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن

لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال تعالى ونضع الموازين القسط الآية وقال تعالى فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية وأخرج البزار والبيهقى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق ألا شقى فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا قال كثير من العلماء الذى جاء فى أكثر الاخبار أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيآت مقابل النار قالوا والميزان كميزان الدنيا له لسان وكفتان احداهما من نور والاخرى من ظلمة فالاولى للحسنات والثانية للسيآت ويرجح فيه الثقيل ويعلو فيه الخفيف وعن بعض العلماء انه عكس ميزان الدنيا فالراجح يصعد والخفيف يهبط لان الآخرة عكس الدنيا ولهذا نحن يوم القيامة نرى الجن ولا يروننا والصحيح انه كميزان الدنيا ويدل عليه حديث البطاقة الذى ذكرناه فى بعض المجالس ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه فاذا كفته كما بين المشرق والمغرب فغشى عليه فلما أفاق قال الهى من يقدر يملأ كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بنصف تمرة أو بلقمة ذكرها السفارينى الحنبلى والسفيرى الشافعى وليعلم أيضا ان العلماء اختلفوا أيضا فى مسائل أخر تتعلق بالميزان فمنها ان الذى يوزن هل هو الصحيفة أم غيرها فقيل نفس الصحيفة وهو الصحيح وقيل أعمال العبد بدون الصحيفة فتجعل الحسنات أجساما نورانية والسيآت أجساما ظلمانية وتوضع فى الميزان وقيل نفس العبد يوزن مع عمله وهل توزن الاعمال كلها أم خواتيمها فالجمهور على الاول وقال وهب بن منبه توزن الخواتيم لقوله عليه الصلاة والسلام الاعمال بخواتيمها واختلفوا فى ميزان الآخرة هل هو واحد أو متعدد والصحيح انه واحد وقال بعضهم انه متعدد واستدل بقوله تعالى ونضع الموازين والجواب انه جمع باعتبار تنوع الاعمال وليعلم أيضا ان الموكل بالميزان هو جبريل عليه السلام وان سبعون ألفا من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا والجن توزن أعمالهم كما توزن أعمال الانس * وأما الصراط فانه حق ثابت أيضا بلا اشطاط وهو فى اللغة الطريق الواضح وفى الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار خلق من حين خلقت جهنم قال القرطبى فى تذكرته ان فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم الا من دخل الجنة بغير حساب والا من يلتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذى ذكرناه ولا يخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستنفد حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع الى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم التى يسقط فيها من أوبقته ذنوبه وزاد على الحسنات جرمه وعيوبه فقد أخرج البخارى والاسماعيلى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الآية ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم اهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا قال الحافظ ابن حجر قوله يخلص المؤمنون من النار أى ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط واختلف فى القنطرة المذكورة فقيل انها من تتمة الصراط وهو طرفه الذى يلى الجنة وقيل انها صراط آخر قال العلماء الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحمى من الجمرة فقد أخرج الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة أى مزلقة أى لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يثبته الله تعالى عليه كالاليب من نار تخطف أهلها فتمسك بهواديها ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذلك الذى لا ينشب أن ينجو ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشى الرجل وآخر من

يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له سل وتمن فاذا فرغ قال لك ماسألت ومثله وأخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف استواء أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله تعالى وعن ابن مسعود أنه قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم وفى رواية أن النبى عليه الصلاة والسلام يقول يارب سلم سلم وأنكر العلامة القرافى وشيخه العز بن عبد السلام كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف وانه ليس ذلك فى الروايات الصحيحة وان وردت فهى مؤولة قال القرافى والصحيح انه عريض وقيل طريقان يمنى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفض الى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى وان منكم الا واردها على أحد التفاسير وأنكر القاضى عبد الجبار المعتزلى وأتباعه ظاهر الآيات والاحاديث الواردة فى الصراط وقالوا انه لا تعذيب على المؤمنين يوم القيامة وانما المراد بالصراط طريق النار والجنة ومفصل الادلة والأجوبة فى محلها وقد ذكر القرطبى فى تذكرته عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل (١) على سبع قناطر فعند القنطرة الاولى يسئل عن الايمان بالله وهى شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا والاخلاص قول وعمل جاز ثم يسئل عند القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل عند القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل فى الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل فى الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز الى السابعة وليس فى القناطر أصعب منها فيسئل فيها عن ظلامات الناس وتبعات الخلق نقله السفارينى فى شرحه * وأما حوض نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو حق ثابت باجماع أهل الحق بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه البدور السافرة ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون واختلف هل هو بعد الصراط أو قبله على قولين للعلماء وقال القرطبى فى التذكرة ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر فى كلام العرب الخير الكثير ولا يخطر ببالك ان الحوض يكون على هذه الارض وانما يكون على الارض المبدلة وهى أرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يظلم على ظهرها أحد وأخرج الشيخان انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وأخرج الامام أحمد عن أبى امامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا بغير حساب فقال يزيد بن الاخنس والله ما أولئك فى أمتك الا كالذباب الاصهب فى الذباب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد وعدنى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزادنى ثلاث حثيات قال فما سعة حوضك يارسول الله قال كما بين عدن الى عمان وأوسع وأوسع قال فما حوضك يانبى الله قال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا وأخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه قال أغفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال انه أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربى فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب فيختلج العبد منهم وفى رواية فيجلون أى يطردون فأقول يارب انه من أمتى وفى رواية أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك وأخرج ابن أبى العاصم عن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ان عليا كرم الله تعالى وجهه يذود المنافقين عن الحوض قال العلماء كل من ارتدوا العياذ بالله تعالى عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه أو خالف

(١) نسخة عند سبع اه منه

الجماعة والسنة او ابتدع فى الدين أو ظلم وجار أو أعلن بالكبائر أو أنكر الحوض فهو يذاد و يطرد عن الحوض أخرج الحكيم فى نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ياعثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضى يوم القيامة وأخرج الترمذى والحاكم عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج عليهم وقال انه سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض وليعلم ان المعتزلة لم تثبت الحوض وقد ثبت عندنا بالسنة الصحيحة وأما ثبوته بالقرآن فمحتمل وليس بصريح وأما قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر ففيه اختلاف قيل هو الحوض وقيل الخير الكثير وقيل النهر الذى فى الجنة وليعلم أيضا ان لكل نبى حوضا فقد أخرج الترمذى من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل نبى حوضا ترده أمته وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة وورد فى بعض الاخبار ان لكل نبى حوضا الا صالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته والله تعالى أعلم * وأما الشفاعة فيجب اعتقادها أيضا لتعدد الاحاديث فيها لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الرسل والانبياء عليهم السلام والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم وبقدر جاههم ووجاهتهم روى أبو هريرة وجابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا أول شافع وأول مشفع أخرجه مسلم وأخرج البيهقى عن ابن مسعود يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد فى أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء وأخرج البيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفى رواية ثم المؤذنون ١ وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار برحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين وأخرج ابن أبى عاصم عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس وفى رواية بما أحسنت أدبهم وأخرج الديلمى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعا يقال للعالم اشفع فى تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته وأخرج البزار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرجل ليشفع فى الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى ان ابليس الاباليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وأخرج البزار عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحاج يشفع فى أربعمائة من أهل بيته والحاصل ان للناس شفاعات بقدر أعمالهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لاهله والاسلام يشفع لاهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وليعلم ان لنبينا عليه الصلاة والسلام شفاعات مختصة بجنابه الرفيع وقدره المجيد وهى عدة أولها وهى أعظمها وأعمها شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لفصل القضاء بين الورى بعد التردد الى الانبياء وتدافعها بين أخيار الملأ الى أن تصل الى صاحب الحوض المورود والمقام المحمود وقد عم الخلق زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الاكباد وينسى الاولاد وهذه مجمع عليها لا ينكرها أحد فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت الذى خلقك الله

١ وقد ذكرنا فى بعض المجالس ان المؤذن يلزمه أن يؤذن بالالفاظ الصحيحة حسبة لله تعالى واذا بلغ وراء الامام ينبغى أن يبلغ على قدر ما يلزم من غير تمطيط وغناء فاحش ومن غير ادخال واو على أكبر فلا تغفل اه منه

بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتونه فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته ائتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول لست هنا كم فيذكر خطيئته ائتوا عيسى فيأتونه فيقول لست هنا كم ائتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى فأستأذن على ربى فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء ثم يقال لى ارفع رأسك سل تعط وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى ثم اشفع فيحد لى حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى فى النار الا من حبسه القرآن فكان قتادة يقول عند هذا أى وجب عليه الخلود وذكر كثير من المفسرين لقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا انه المقام الذى يقومه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للشفاعة يوم القيامة للناس ليريحهم ربهم سبحانه مما هم فيه من الغم والكرب كما هو مفصل فى المواهب اللدنية وغيرها ثانيها أنه يشفع عليه الصلاة والسلام عند ربه فى ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فان هذه خاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال القاضى عياض ثالثها شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وقيل هذه غير مختصة رابعها فى رفع درجات ناس فى الجنة قال السفارينى وهذه لا تنكرها المعتزلة كالاولى خامسها الشفاعة فى عموم أمته عليه الصلاة والسلام من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره العلامة السبكى ومنها شفاعته عليه الصلاة والسلام لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات* واعلم ان المعتزلة أنكرت الشفاعة فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها وفيمن دخلها منهم أن يخرج منها والاحاديث دامغة لرؤسهم فمنها ما أخرجه البيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب وليعلم ان الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرة فمنها قول لا اله الا الله فقد قال عليه الصلاة والسلام أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه ومنها اجابة المؤذن روى جابر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة ومنها ما أخرجه مسلم لا يثبت أحد على لأواء المدينة وجدبها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ومنها ما أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها وعن سلمان من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين ومنها ما رواه أبو الدرداء من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة ومنها زيارة قبره أخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا من زار قبرى وجبت له شفاعتى وأما المحرومون من شفاعته والعياذ بالله تعالى من الحرمان فأصناف منهم كما أخرجه البيهقى عن معقل رجلان لا تنالهما شفاعتى يوم القيامة امام ظلوم غشوم عسوف وآخر غال فى دين الله مارق منه وأخرج البيهقى عن عثمان بن عفان من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى نقل ذلك كله السفارينى ومن الامور التى يجب الايمان بها أيضا رؤية الله تعالى بالابصار فى الجنة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقد تعامت المعتزلة أيضا عن هذه الآية وعن الاحاديث الآتية وأنكرت الرؤيا قال السفارينى فى منظومته

فانه ينظر بالابصار * كما أتى فى النص والاخبار

وأخرج مسلم والترمذى عن صهيب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب أى الموانع عن ادراك أبصارهم حتى يروه فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الرحمن وروى اللالكائى وغيره مثله عن على كرم الله تعالى وجهه وروى الطبرانى عن على كرم الله تعالى وجهه انه قال فى قوله تعالى لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد هو النظر الى وجه الله عز وجل وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لما

نظر الى القمر ليلة أربعة عشر انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون فى رؤيته أى لا تزاحمون وفى لفظ لا تضامون بضم أوله وتخفيف الميم أى لا يلحقكم ضيم ولا مشقة فى رؤيته وأخرج اللالكائى عن الحسن فى قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار وفى حادى الافراح لابن القيم ان الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وبقيت فى هذه المسائل أبحاث كثيرة من أرادها فعليه بالمطولات فيا كثير الخلاف يا عظيم الشقاق يا قليل الصواب يا عديم الوفاق يا من سيبكى كثيرا اذا انتبه وأفاق والتفت الساق بالساق أين من أنس بالدنيا ونسى الزوال أين من عمر القصور وجمع المال تقلبت بالقوم أحوال الاهوال كم أراك مولاك عبرة وقد قال سنريهم آياتنا فى الآفاق أين صديقك المؤانس أين رفيقك المجالس أين المبانى فقيرا وأين الفارس امتدت الى الكل كف المخالس فنزلوا تحت الاطباق والتفت الساق بالساق وكأن قد رحلت كما رحلوا ونزلت قريبا حيث نزلوا وحملت الى القبر كما حملوا الى ربك يومئذ المساق من لك اذا ألم الالم وسكن الصوت وتمكن الندم ووقع الفوت وأقبل لأخذ الروح ملك الموت وجاءت جنوده وقيل من راق والتفت الساق بالساق ونزلت منزلا ليس بمسكون وتعوضت بعد الحركات سكون فيا أسفى لك كيف تكون وأهوال القبر لا تطاق والتفت الساق بالساق وفرق مالك وسكنت الدار ودار البلى فادار اذدار وشغلك الوزر عمن هجر أو زار ولم ينفعك نوح ندب الرفاق والتفت الساق بالساق أما أكثر عمرك قد مضى أما معظم زمانك قد انقضى أفى أفعالك ما يصلح للرضا اذا التقينا يوم التلاق والتفت الساق بالساق يا ساعيا فى هواه تذكر أمسك يا من سعى الى خطاياه خطاه تذكر حبسك يا مأسورا فى سجن الشهوات خلص نفسك قبل أن تعز السلامة ويعتاق الاعتاق والتفت الساق بالساق وينصب الصراط ويوضع الميزان وينشر الكتاب بجزاء ما قد كان ويشهد الجلد والملك والمكان والنار الحبس والحاكم الخلاق والتفت الساق بالساق فحينئذ يشيب المولود وتخرس الألسنة وتنطق الجلود وتظهر الوجوه بين بيض وسود يوم يكشف عن ساق فانتهب عمرا يفنى بالمساق والصباح وعامل مولى يجزل العطايا والارباح ولا تبخل فقد حث على السماح ماعندكم ينفد وما عند الله باق اللهم يا حبيب كل غريب ويا أنيس كل كئيب أى منقطع اليك فلم تصله أم أى داع دعاك فلم تجبه ويروى عنك سبحانك انك قلت وما غضبت على أحد كغضبى على مذنب أذنب ذنبا فاستعظمه فى جنب عفوى فيا من يغضب على من لا يسأله لا تمنع من قد سألك أنت الذى دللت بجودك عليك وأطلقت الألسنة بالسؤال لديك اللهم أعط كل سائل لك من الخير مراده وأنلنا الحسنى والزيادة واجعلنا على الصراط من العابرين وعلى حوض نبيك عليه الصلاة والسلام من الواردين الشاربين وأعطنا صحائفنا باليمين وامح سيآتنا وثقل ميزان حسناتنا واجعلنا من أهل شفاعة نبيك الامين وارحم اللهم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت ولا تهتك فى الدارين ما سترت وارحمنا ووالدينا والمسلمين وكافة المؤمنات والمؤمنين وصل على محمد وآله أجمعين والحمد لله رب العالمين

المجلس الحادى والخمسون

(فى النار أعاذنا الله تعالى منها والجنة ونسأله دخولها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مبلغ الراجى فوق مأموله ومعطى اللاجى زيادة على مسؤله المنان على التائب بصفحه وقبوله خلق الآدمى وأنشأ له دارا لحلوله وجعل الدنيا مرحلة لنزوله فتوطنها من لم يعرف شرف الدار الاخرى لجهوله أو ما ترى غربان البين تنوح على طلوله ارحلوا عنها بايمان كامل فرب قفر يخاف من غوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله أحمده على نيل الهدى وحصوله وأقر بوحدانيته اقرار عارف بالدليل وأصوله وأصلى وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى صاحبه أبى بكر الصديق

الذى يبغضه المبتدع (١) بفضوله وعلى عمر حامى الاسلام بسيف عزم لا يخاف من فلوله وعلى عثمان الصابر على البلاء حين نزوله وعلى على بن أبى طالب الصائل بشجاعته قبل أن يصول بنصوله وعلى سائر آله وأصحابه الفائزين من الايمان بشعبه وأصوله صلاة وسلاما دائمين ما تردد النسيم بين شماله وجنوبه وقبوله * (أما بعد) * فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون قوله تعالى (وسيق الذين كفروا) الآية أى ساقت الملائكة الكافرين بعد انقضاء الحساب سوقا عنيفا (الى جهنم) أى الى النار حال كونهم (زمرا) أى جماعات متفرقة بعضها يتلو بعضا (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) جمع خازن وهم الملائكة المأمورون عليها (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم وجنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم) التى أنزلها عليكم كالتوراة المبشر فيها ببعثة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن المبين (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوفونكم لقاء هذا الوقت الشديد وانما قالوا لهم ذلك توبيخا لهم فأجابوا معترفين ولم يقدروا على الجدل الذى كانوا يتعللون به فى الدنيا لظهور الامر وانكشافه ولهذا (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ثم قيل لهم) أى قال لهم الملائكة الموكلون بعذابهم (ادخلوا أبواب جهنم) التى قد فتحت لدخولكم (خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها فبئس مثوى المتكبرين) جهنم وليعلم انه قد وردت أحاديث وآيات كريمة فى عدد أبواب جهنم وصفاتها أجارنا الله تعالى وإيا كم منها قال الله تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال ابن جريج أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية قال على كرم الله تعالى وجهه ان أبواب جهنم هكذا بعضها فوق بعض وأومأ الراوى بأصابعه وقال الضحاك هى سبعة أدراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى فيه النصارى والثالث فيه اليهود والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركوا العرب والسابع فيه المنافقون وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ناركم هذه الذى يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وروى ابن عباس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الارض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال يوما لكعب يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر جاثيا على ركبتيه يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم الا نفسى وقال أبو عمران اذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بكل جبار عنيد وكل شيطان مريد وكل من يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم الى جهنم ثم أوصدوها عليهم أى أطبقوها وأغلقوها

(١) نسخة الرافضى اه منه

فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ولا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ولا يذوقون فيها بارد شراب أبدا وأنشد بعضهم فى ذلك

لو أبصرت عيناك أهل الشقا * سيقوا الى النار وقد أحرقوا
يصلونها حين عصوا ربهم * وخالفوا الرسل وما صدقوا
تقول أخراهم لأولاهم * فى لجج المهل وقد أغرقوا
قد كنتم حذرتموا حرها * لكن من النيران لم تفرقوا
وجىء بالنيران مذمومة * شرارها من حولها محدق
وقيل للنيران أن أحرقى * وقيل للخزان ان أطبقوا
وأولياء الله فى جنة * قد توجوا فيها وقد طوقوا

وقوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) أى ساقتهم الملائكة سوق اعزاز وتشريف وتكريم والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان بخلاف السوق الاول فانه للتعذيب والهوان وقيل الكلام على حذف مضاف أى سيقت مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) أى جماعات فجماعة أهل الصلاة على حدة وأهل الصوم كذلك الى غير ذلك (حتى اذا جاؤها) جواب اذا محذوف تقديره سعدوا (وفتحت أبوابها) وقيل الجواب فتحت والواو زائدة وقيل ان هذه الواو تسمى واو الثمانية وذلك ان من عادة العرب انهم كانوا يقولون فى العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وفى الآية وجوه آخر فلتطلب فى التفاسير المطولات ثم أخبر سبحانه ان خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين فقال (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى سلامة لكم من كل آفة لا يعتريكم بعدها مكروه وقد حيتهم الملائكة بما حيت به آدم عليه السلام فقد أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله عز وجل آدم على صورته أى لم ينم كالاطفال طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاسمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن متفق عليه وقوله تعالى (طبتم) أى طهرتم فى الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصى وقيل طاب لكم المقام وقال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان خازن الجنان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) أى ادخلوا الجنة مقدرين الخلود (و) عند ذلك (قالوا) أى أهل الجنة (الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب بالجنة فى قوله سبحانه تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله تعالى (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة كأنها صارت من غيرهم اليهم فملكوها وتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقال أكثر المفسرين ان المؤمنين ورثوا الارض التى كانت لأهل النار لو كانوا مؤمنين وقوله تعالى (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى نتخذ من المنازل فيها ما نشاء حيث نشاء فلا يختار أحد مكان غيره وقيل يتخير كل واحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أين ينزل تكرمة له وان كان لا يختار الا ما قسم له وأما بقية الامم فيدخلون بعد أمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فينزلون فيما فضل عنهم وقوله تعالى (فنعم أجر العاملين) أى فى الدنيا أجرهم فى الجنة وهذا من تمام قول أهل الجنة وقيل هو من قول الله سبحانه * ولنذكر لكم بعضا من صفات أهل الجنة ومنازلهم وأماكنهم وما يتعلق بذلك أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع ومن رواية أنس ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ومن روايته الاخرى على حسن يوسف وعلى لسان محمد وفى رواية وقلب أيوب ذوى أفانين أى شعور وجمم وقد ورد فى روايات مختلفة ان أهل الجنة لا بول لهم ولا غائط ولا يولد لهم أولاد ولا ينامون وليس لأحد منهم لحية وما ذكر أن لبعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحى فهو قول مردود

وخبر مصنوع وكذا من زعم ان ليس لأهل الجنة اسنان وكذا مسئلة التوالد فيها خلاف وقال بعضهم ان المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة كما يشتهى كما نص على ذلك الشيخ محمد السفارينى فى كتابه البحور الزاخرة وأعلى أهل الجنة منزلة نبينا وشفيعنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ هى الوسيلة التى وعد بها عليه الصلاة والسلام وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى خيامه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال السفارينى وأما تحفة أهل الجنة اذا دخلوها فزيادة كبد النون أى الحوت كما أخرجه مسلم فى صحيحه عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال كنت قائما عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعنى فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودى انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان اسمى محمد الذى سمانى به أهلى فقال اليهودى جئت أسألك فقال له عليه الصلاة والسلام أينفعك شئ ان حدثتك قال أسمع بأذنى فنكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعود معه فقال سل فقال اليهودى أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هم فى ظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس اجازة يوم القيامة قال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت قال وجئت أسألك عن شئ لا يعلمه أحد من أهل الارض الانبى أو رجل أو رجلان قال ينفعك ان حدثتك قال أسمع بأذنى قال جئت أسألك عن الولد قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا باذن الله أى أتى المولود ذكرا واذا علا منى المرأة منى الرجل أنثا باذن الله أى جاء المولود أنثى فقال اليهودى لقد صدقت وانك لنبى ثم انصرف فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشئ منه حتى أتانى الله عز وجل به وعن وهب بن منبه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خلق الله تعالى الجنان يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهى سبع جنان دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وزبرجد كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وان جنة الفردوس أوسطها واعلاها سماء وعليها يوضع العرش يوم القيامة ومنها تفجر أنهار الجنة قال رجل بأبى أنت وأمى يارسول الله فيها خيل قال نعم والذى نفسى بيده ان فيها الخيلا من ياقوتة حمراء ترن بهم خلال ورق الجنة يتزاورون عليها فجاء رجل فقال بأبى وأمى يارسول الله هل فيها ابل قال نعم والذى نفسى بيده ان فيها الابلا من ياقوتة حمراء أرحالها الذهب والفضة محفين نمارق الديباج ترن بهم بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها فجاء رجل فقال بأبى أنت وأمى هل فيها صوت قال نعم والذى نفسى بيده ان الله عز وجل ليوحى الى شجرة فى الجنة أن أسمعى عبادى هؤلاء الذين شغلهم ذكرى فى الدنيا عن عزف المزاهر والمزامير بالتسبيح والتقديس وفى التبصرة عن على كرم الله تعالى وجهه قال يساق الذين اتقوا ربهم زمرا حتى اذا انتهوا الى أول باب من أبوابها وجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهب ما فى بطونهم من قذى وأذى ثم عمدوا الى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدا ولن تشعث أشعارهم كأنما ادهنوا ثم انتهوا الى خزنة الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يقدم من غيبته فيقولون له ابشر بما أعد الله لك من اكرامه قال ثم ينطلق غلام من أولئك الغلمان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهذا بأثرى فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها فاذا انتهى

الى

الى منزله انظر أى شئ أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون ثم رفع رأسه فنظر الى سقفه فاذا مثل البرق فلولا ان الله تعالى قدره له لألم ان يذهب بصره ثم طاطار أسه فنظر الى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون وتقيمون فلا تظعنون وقال أبو هريرة ان أدنى أهل الجنة منزلة من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم الا معه طرفة ليست مع صاحبه وأما ريح الجنة فقد أخرج الطبرانى عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام وأخرجه البخارى بلفظ ليوجد من مسيرة أربعين عاما وأخرج أبو داود الطيالسى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عاما وفى روايات أخر لا يجد ريحها منان بعمله ولا عاق ولا مدمن خمر ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء وعن أبى هريرة مرفوعا من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وأما النداء فى الجنة فقد أخرج مسلم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى مناد ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا وذلك قول الله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وأما أشجارها قال تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود أى لا شوك فيه وطلح منضود أى موز متراكم قد نضد بالحمل من أوله الى آخره قاله فى البحور الزاخرة وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرؤا ان شئتم وظل ممدود وأما ثمارها فقد قال الربيع بن أنس ويحيى بن كثير عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك فيطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون هذا الذى جئتمونا به آنفا فيقول لهم الخدم كلوا فاللون واحد والطعم مختلف فهو قوله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها وقال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أى لا تكون فى وقت دون وقت كثمار الدنيا ولا تمنع من أرادها وقال تعالى فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية أى ثمارها قريبة يتناولونها كيف شاؤا قياما وقعودا ومضطجعين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم القلال جمع قلة وهى الحب العظيم أو الجرة والدلاء جمع دلو والعجم النواه وأما أنهارها وعيونها وطعام اهلها وشرابهم وآنيتهم وثيابهم قال تعالى جنات تجرى من تحتها الأنهار وقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن أى لا يتغير ولا ينتن من طول المكث وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم وأخرج ابن أبى الدنيا عن أنس رضى الله تعالى عنه قال أظنكم تظنون أنهار الجنة أخدودا فى الارض لا والله انها السائحة على وجه الارض احدى حافتيها اللؤلؤ والاخرى الياقوت وطينه المسك الاذفر أى الخالص الشديد الرائحة وقال تعالى يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا أخرج الشيخان عن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة وأما لباسهم وفرشهم قال تعالى ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين وقال تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك قال فى حادى الارواح السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وأخرج الشيخان من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة

وعن الحسن الحلى ١ فى الجنة على الرجال أحسن منه على النساء وعن سعد بن أبى وقاص مرفوعا لو أن
رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أسواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم وفى هذا الحديث
ابن لهيعة وثقه الامام أحمد وعن الامام أحمد سوط أحد كم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ولنصيف امرأة
من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها رواه أبو هريرة والنصيف الخمار وأخرج ابن أبى الدنيا ما من أحد يدخل الجنة
الا انطلق به الى شجرة طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ ما شاء من الثياب ان شاء بيضا وان شاء حمرا وان شاء خضرا وان
شاء صفرا وان شاء سودا مثل شقائق النعمان وفى حادى الارواح عن أبى سعيد مرفوعا ان الرجل فى الجنة ليتكئ
سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة
عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت فتقول أنا المزيد وانه ليكون عليها
سبعون ثوبا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وأخرج الطبرانى فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال
مسيرة أربعين سنة وأما خدمهم ونساؤهم وغلمانهم فقد قال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا قال الفراء مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون وقال بعض العلماء مخلدون مقرطون أى فى آذانهم
القرط وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان أدنى أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس
عليه صاحبه وعن أنس مرفوعا ان أسفل أهل الجنة درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم وقال تعالى وبشر
الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الى قوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها
خالدون قال فى البحور الزاخرة فى أحوال الآخرة والمطهرة التى طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط
والمخاط والبصاق وكل قذر وطهر لسانها من الفحش ونظرها من طمح عينها الى غير زوجها وأخرج الترمذى عن أنس
رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يتزوج العبد فى الجنة سبعين زوجة قيل يا رسول الله
أيطيقها قال يؤتى قوة مائة رجل وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن سابط موقوفا ان الرجل من أهل الجنة يتزوج
خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره من الدنيا وأخرج
الطبرانى عن أم سلمة قالت يا رسول الله ان المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والاربعة ثم تموت فتدخل الجنة
ويدخلون معها من يكون زوجها قال يا أم سلمة تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول أى رب ان هذا كان أحسنهم معى
خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة قال فى البحور الزاخرة فيه ضعف
وقد ورد خلافه فعن حذيفة ان المرأة لآخر أزواجها وخطب معاوية أم الدرداء فأبت وقالت سمعت أبا الدرداء
يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان المرأة لآخر أزواجها فى الآخرة وفى الصحيحين من حديث
عبد الله بن قيس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان للعبد المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها
ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا وأخرج ابن أبى الدنيا عن سعيد بن جبير
ان شهوته لتجرى فى جسده سبعين عاما يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون الى التطهير ولا ضعف ولا انحلال
قوة بل وطؤهم وطء التذاذ نعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه وأخرج أبو نعيم قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يسطع نور فى الجنة فيرفعون رؤسهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها والى هذا أشار

فلو ان حورا فى الدياجى تبسمت * تجلى دجى الظلماء فى الارض نورها
ولو مزج الماء الاجاج بريقها * لاصبح عذبا سلسبيلا بحورها

---

١ قال القسطلانى فى شرحه للبخارى قال عليه الصلاة والسلام أحل الذهب والحرير لاناث أمتى وحرم على ذكورها
قال الترمذى حسن صحيح نعم الاصح عند الرافعى تحريم افتراشها اياه لانه ليس فى الفرش ما فى اللبس من التزين
للزوج المطلوب وصحح النووى حله قال وبه قطع العراقيون وغيرهم لاطلاق الحديث السابق وبه قال أبو حنيفة
وكرهه صاحباه فلو صلى فيه الرجل أجزأته صلاته لكنه ارتكب حراما وقال الحنفية تكره وتصح وقال المالكية
يعيد فى الوقت ان وجد ثوبا غيره وقد ذكرنا بعضا من هذا فى بعض الدروس فلا تغفل اهـ منه

فيا اخوانى سبحان من قدر الامور وأمضاها أحظ النفوس تقديره وأرضاها أحضر زمر المتقين ثم نجاها
زرعوا جنات التقوى فالتقطوا اجناها فأما زمر الكفر فالنار مأواها تستغيث عطشا ولو رحمها سقاها الغسلين
شرابها والزقوم مرعاها حرموا لذة المنى والاسعاد وبدلت وضاءة وجوههم بالسواد وضربوا بمقامع أقوى
من الاطواد عليها ملائكة غلاظ شداد لو رأيتهم فى الجحيم يسرحون وعلى الزمهرير يطرحون حزنهم دائم فما
يفرحون مقامهم محتوم لا يبرحون أبد الآباد ليس لهم طعام الا من ضريع والشراب الحميم وهذا الزاد وأما
زمر المتقين فقد سيقوا الى الجنات وفتحت لهم الابواب وتلقاهم الحور يقلن آن الاياب وغنتهم الامانى أطيب
من غناء الرباب فكلما غنت رنت من القصور القباب وأعطاهم مولاهم ما لم يكن بالحساب فهم فى النعيم
يتقلبون وعلى الارائك ينظرون والملائكة يدخلون عليهم من كل باب فسبحان من أصلح بالهم طوبى لهم
وحسن مآب نزلوا والله المقام الامين وكتبوا فى أصحاب اليمين ونالوا كل متمن ثمين وأسكنوا القصور وأعطوا
الحور العين كأنهن ابكار ليس فيهن عون قد عوضوا عن حريق القلق الرحيق وأبدلوا عن بريق السيوف
الاباريق وقوبلت رياضاتهم بالروض الانيق فهم يرتعون فيما يرتعون نقوا بالآداب الشرعية وهذبوا فاذا
أبعدتم يوم الحضور وقربوا فماذا تصنعون فنسألك اللهم أن تجعلنا والجماعة الحاضرين من القوم الذين اغتنموا
الايام واجتنبوا الخطايا والآثام وصمتوا عن ردىء الكلام وصموا عن استماع الحرام فكأنهم ما يسمعون
واحشرنا فى زمرة العلماء العاملين واجعلنا يوم الفزع الاكبر من الآمنين وتحت لواء سيد المرسلين عليه وعلى
آله وأصحابه أفضل صلاة المصلين اللهم وأعتقنا من النار وسلمنا من دار البوار ووفقنا لسلوك سبيل عبادك
الاخيار واغفر لنا جميع الذنوب والاوزار وعاملنا بمحض فضلك وكرمك يا أكرم الاكرمين وعمنا بعفوك
ومغفرتك ولوالدينا وجميع المسلمين الاحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم انا نسألك الجنة وما
يقربنا اليها من قول أو عمل ونسألك الصبر والشكر والعفو والعافية وبلوغ الأمل واسألك اللهم بنا ما سألك
الصادقون الابرار وألحقنا بأوليائك الاخيار وارحم اللهم آباءنا وأمهاتنا وأقاربنا ومشايخنا وكافة المسلمين
وانصر اللهم من نصر الدين واخذل من خذل الموحدين واحفظ المجاهدين والعساكر المرابطين وأيد شريعة
نبيك المصطفى وكثر أتباع دينه المرتضى وألف بين قلوب أمته واجعلنا والحاضرين من المتمسكين بسنته الفائزين
بكمال حبه وآله وأصحابه وزوجاته وذريته وثبت قلوبنا على دينه المبين والطف بنا لطفا خفيا يا رب العالمين
وصل وسلم على جميع أنبيائك والمرسلين وأهل طاعتك أجمعين

هذا آخر ما سهل الله تعالى تحريره وغاية طيب ما دبجت بالتوفيق تحبيره من الكتاب الموسوم بالغالية فى
المجالس العالية وانى أحمد الله سبحانه على اتمامه وترصيفه فى سلك نظامه وأبتهل اليه عز سلطانه أن يكون ذلك
سببا لغفرانه وموجبا فى الدارين لاحسانه وأن يعفو عما طغى به القلم أو زلت فى بعض كلماته القدم أو صدر
تكاسل فى التنقيح أو توان فى بيان التصحيح فان لى عذرين قويين وهما تشويش البال وتشتت الحال فى
هذا الزمن الذى قد استولت فيه على أرباب العقل المحن والعذر الذى هو أوسع من هذين عند ذوى العرفان ان
الانسان محل السهو والنسيان فالمرجو ممن سلم من داء الجهل والحسد أن يصلح ما فسد ويدرأ السيئة بالحسنات
ويذكر ان العصمة من خواص ذوى المعجزات ومع هذا فاظننى قد أتيت والحمد لله تعالى بما هو فى هذا الوقت درياق
لاهل العراق بل الآفاق وقد جمعته من عدة أسفار غدت كالشمس فى رابعة النهار وهى تبصرة العلامة ابن
الجوزى وروح المعانى تفسير الفهامة والدنا المبرور وعقد الدرر واللآلى للحموى الحنبلى والترغيب والترهيب
للحافظ المنذرى ومختصره والزواجر والصواعق للعلامة ابن حجر وميزان العارف الشعرانى الشافعى وكتاب
اختلاف المذاهب للوزير وكشف الغمة للشعرانى ورد المحتار حاشية الدر المختار للعلامة ابن عابدين الحنفى
والمواهب اللدنية للقسطلانى الشافعى وزاد المعاد للحافظ ابن القيم الحنبلى وصحيحا الامامين وشرح سنن
أبى داود للامام الخطابى وشرح السفيرى الشافعى لبعض أحاديث البخارى والبدور السافرة والحبائك

للحافظ السيوطى والبحور الزاخرة للشيخ محمد السفاريني الحنبلي وشرح عقيدته وشرح الجامع الصغير للمناوى الشافعى وكتاب نصاب الاحتساب واحياء العلوم لحجة الاسلام الغزالى وقد كان أغلبه أوراقا مسودة وطروسا مبددة انتهبتها من أيدى الضياع واختطفتها من زوايا البقاع فاستخرجته للتبييض مع زيادة وتنقيح وتهذيب كالروض الاريض فى شهر ربيع الآخر من شهور السنة المتممة لثلثمائة بعد الالف من هجرة ذى العز والشرف سيد بنى عدنان ورسول الانس والجان الشفيع الاعظم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما لفظ لافظ ونصح واعظ وعلى كافة العلماء العاملين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وقد نسخت هذه النسخة من التسويد الذى كان المؤلف عليه على الكاتب المجيد فلما أن تم جمعها وكمل حسنها وحررها بادر وقال فى آخرها يقول الفقير الى رحمة ربه الغنى محمد على الشهير بآل قطان الخبق انى بعد أن يبس من القلم ريقه وختم من هذا الكتاب رحيقه أنشد صادح اللسان أبيات هى عند الادباء رياض يانعات مؤرخا عام الاتمام بهذا النظام فاسمع لازلت بسلام

أنجوم أم درارى باديه * أم مصابيح ظلام ساريه
أم من الآفاق شهب أرسلت * راجمات للنفوس الطاغيه
أم هو البدر بدا فى غلس * فمحا ظلمة ليل داجيه
بل هو الاسفار من كتب السما * حملتها نفس قدس زاكيه
جمعت ما جاءت الرسل به * من كتاب وحديث حاويه
لفنون الوعظ صارت مجمعا * حاويا جل النصاح العاليه
داعيا الله فيها بيننا * رحم الله ملبى داعيه
أرجت بغداد مسكا مذ مشى * حاملوها يا لها من غاليه
فهى للوعظ دروس كافيه * وهى للطالب رشدا شافيه
جاد خير الدين فيها فاستمع * بعض ما خص بأذن واعيه
عالم ما زال يبدى علم ما * قد جهلناه ويجلو خافيه
وله حلم وصفح راسخ * وأياد نشداها هاميه
وبه روح المعانى قد بدت * فلمعناه وجوه عانيه
وبه عز الهدى فى شديه * وعروش الغى أضحت خاويه
ذو تقى قد حالف الحق فما * ساورته الهفوات الثانيه
ذا قليل من كثير قلت فى * مدح من أكثر فى اكرامه
فاعفنى عن عد أفضال له * ليس يحصى فضله تعداديه
دام فى أوج علاه ساميا * وبيوت المجد فيه زاهيه
ولواء العز معقود له * وحلى الفخر عليه ضافيه
مذ شممنا طيبها أرختها * زال وجدى بنسيم الغاليه

سنة ١٣٠٠ ٣٨ ٢٣ ١٦٢ ١٠٧٧

(يقول المتوسل الى الله تعالى بالجاه النبوى الحسينى الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الكبرى العامرة ببولاق مصر القاهرة)

سبحان من نور بواطن العارفين بشموس المعارف اليقينية وعطر ظواهر المتقين بغالية المواعظ الايمانية وأجلس وعاظ العاملين فى بحبوحة الجنة على منابر من نور يشرفون على أهلها فيشرقون على منازلهم كما تشرق على الدنيا

البدور وجمل العلماء بحلل الجلال وتوجهم بتاج الكرامة وجعلهم شفعاء لمن أحبهم يوم القيامة فقد ورد فى الخبر يقال للولى عند الصراط جز فادخل الجنة وللعالم قف فاشفع فيمن تحب وجعلهم ساسة الناس وأساة أمراض القلوب يعالجون سمومها بدرياق العظات وجراحها بضماد الهداية فيطبونها أنجع طب (نحمده) أن هدانا بهدايتهم ونشكره جعلنا من حزبهم وأهل رعايتهم ونصلى ونسلم على النبى الاكرم والرسول السيد السند الاعظم سيدنا محمد ذى القلب الرحيم والخلق العظيم والخلق القويم وعلى آله وأصحابه هداة الأمة الى الصراط المستقيم *(أما بعد)* فقد تم من هذا الكتاب طبعه وأزهر نبراسه وفاق تشييده بعد أن توطد ركنه وأساسه فبدا زاهيا على أقرانه تدين الثريا لنظمه ويستنزل بقدمه السها عن مكانه اقتعد بهمته صهوة التحقيق واجتاب فيافى الابداع حتى سرح جياده فى رياض التدقيق والترقيق ولبس حلى الابتهاج وخطر معجبا بهذا الجمال تائها على عشاقه رافلا فى حلل الدلال فلله مؤلف رجم شياطين النفوس الآبية بشهب وعظه واستمل العقول المهذبة برقائق لفظه حوى من صائب المواعظ كل شهاب ثاقب فأرغم أنوف المعاندين وصار على كمدهم ضربة لازب ولعمرى انه لحقيق ان يسمى (غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ) كيف لا وهو عمل بنان الصنع الأريب ونتيجة فكر الفطن اللبيب علم الفضل المفرد وركن المجد الاوحد علامة بغداد نابغة كل من صنف فاجاد أنبه من روى فأعلى فى الرواية اسناده حضرة الاستاذ الاجل خير الدين أبى البركات السيد نعمان الوسى زاده أعلى الله قدره وأزهر فى رياض القبول بدره على ذمة مؤلفه هذا السيد الهمام والعلامة الامام فى ظل من عم رعاياه سابغ انعامه وتمتعوا بهنى احسانه واكرامه رافع لواء العدل على هام رعيته قاصم معانديه بماضى عزمه وقاصم سطوته الخديو الاعظم والداور الاكرم ولى نعمتنا على التحقيق جناب أفندينا الافخم محمد باشا توفيق أدام الله أيامه ودولته وقوى شوكته وصولته وحفظ أنجاله وجعلهم غرة فى جبين الاعصار ولاسيما عباسه الشبل النجيب والاسد الهصار بالمطبعة الكبرى الميرية العامرة ببولاق مصر القاهرة مشمولا طبعه الرائق البديع الجليل وشكله الفائق البارع الجميل بنظر ناظرها الجناب الامجد والهمام الاوحد ذى العز والمكانة والهمة والفطانة من علت أخلاقه باللطف تثنى حضرة حسين باشا حسنى ونظر جناب وكيله السالك جادة سبيله من خاطبته المعالى بابالك أعنى حضرة محمد بك حسنى فى أوائل شهر ربيع الثانى من عام ثلثمائة وواحد بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله وسلم عليه وعلى جميع أصحابه وآله وكل ناسج على منواله ما سح غيث وعم وطلع بدر وتم

م

